

جامع البيان
عن آتأ ونبأ آي القرآن



جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الأمم الكبار والمحدث الشيرين طبقت

الامة علم تقدمه في التفاسير

الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء التاسع والعشرون

ضبط وتعليق

محمد شاکر الحرستاني

تصحیح

علي عواشور

دار احیاء التراث العربی

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٢ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٢ - ص.ب: ٧٩٥٧/١١
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box: 7957/11

(٦٧) سورة الملك مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾﴾

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعظيم وتعالى ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ فأما من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يقول: ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع. وقد:

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ذكر أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ ابْنَ آدَمَ بِالْمَوْتِ».

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره ﴿الْعَلِيمُ﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَائِفًا مَّا تَرَىٰ فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مِنَ النُّجُومِ وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالنَّهْرَ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَةَ وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: **مخبراً عن صفته ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾** طبقاً فوق طبق، بعضها فوق بعض.

وقوله: **﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾** يقول جل ثناؤه: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت، يعني من اختلاف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾**: ما ترى فيهم من اختلاف.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿مِنْ تَفَاوُتٍ﴾** قال: من اختلاف.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: **﴿مِنْ تَفَاوُتٍ﴾** بالالف. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: **﴿مِنْ تَفَوُتٍ﴾** بتشديد الواو بغير ألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، كما قيل: ولا تُصَاعِرْ، ولا تُصَعِّرْ وتعهدت فلاناً، وتعاهدته وتظهرت، وتظاهرت وكذلك التفاوت والتفوت.

وقوله: **﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾** يقول: فرد البصر، هل ترى فيه من صدوع؟ وهي من قول الله: **﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾** بمعنى يتشققن ويتصدعن، والفُطُور مصدر فُطِر فُطُوراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾** قال: الفطور: الوهي،

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾** يقول: هل ترى من خلل يا ابن آدم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿مِنْ فُطُورٍ﴾** قال: من خلل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾** قال: من شقوق. وقوله: **﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾** يقول جل ثناؤه: ثم رد البصر يا ابن آدم كرتين، مرة بعد

أخرى، فانظر ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أو تفاوت ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يقول: يرجع إليك بصرك صاغراً مُبْعَدًا من قولهم للكلب: اخسأ، إذا طردوه أي ابعده صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: وهو مُعْيٍ كالأهل. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ اِرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ يقول: هل ترى في السماء من خللٍ ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ بسواد الليل.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: ذليلاً. وقوله: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: مرجف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي حاسراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي مُعْيٍ.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿خَاسِئًا﴾ قال: صاغراً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: مُعْيٍ لم ير خلاً ولا تفاوتاً. وقال بعضهم: الخاسيء والحسير واحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾... الآية، قال: الخاسيء، والخاسر واحد حَسَرَ طرفه أن يرى فيها فُطْرًا، فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فُطْرًا قال: فإذا جاء يوم القيامة انفطرت ثم انشقت، ثم جاء أمر أكبر من ذلك انكشطت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي النجوم، وجعلها مصابيح لإضاءتها، وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذي يضيء للناس من النهار ﴿وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ يقول: وجعلنا المصابيح التي زَيَّنَّا بها السماء الدنيا رجوماً للشياطين تُرجم بها. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها فمن يتأول منها غير ذلك، فقد قال براهيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يقول جل ثناؤه: وأعدنا للشياطين في الآخرة عذاب السعير، تُسعر عليهم فتُسجّر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَأَنْتَ الْمَصِيرُ﴾ (١) إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ الذي خلقهم في الدنيا ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَأَنْتَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وبئس المصير عذاب جهنم.

وقوله: ﴿إِذَا أَلْقُوا فِيهَا﴾ يعني إذا ألقى الكافرون في جهنم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يعني لجهنم ﴿شَهيقًا﴾ يعني بالشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار، كما قال رؤية في صفة حمار:

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقَ
حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقٌ^(١)

وقوله: ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾ يقول: تغلي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ يقول: تغلي كما يغلي القدر.

(١) البيتان في (ديوان رؤية الراجز طبع ليبسج ١٠٦) وحشرج الحمار: قطع صوته وردده في حلقه، والسحيل: صوت إلى البحة يدور في صدر الحمار، وكذلك السحال بالضم. والشهيق: نهيق الحمار. والشهيق رد النفس، والزفير إخراج النفس قال الله عز وجل في صفة أهل النار: ﴿لَهُمْ فِيهَا زفير وشهيق﴾ قال الزجاج: الزفير والشهيق: من أصوات المكروبيين قال: والزفير من شديد الأنين وقبحه. والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً. قال: وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين: أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق، والشهيق: بمنزلة آخر صوته في الشهيق. وروي عن الربيع قوله ﴿لَهُمْ فِيهَا زفير وشهيق﴾ قال الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر «اللسان» شهق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي سَكَلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿تَكَادُ﴾ جهنم ﴿تَمَيَّزُ﴾ يقول: تتفرق وتتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على أهلها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يقول: تتفرق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ تكاد يفارق بعضها بعضاً وتنفطر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يقول: تفرق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ قال: التميز: التفرق من الغيظ على أهل معاصي الله غضباً لله، وانتقاماً له.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: كلما ألقى في جهنم جماعة سألهم ﴿خَزَنَتُهَا، أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يقول: سأل الفوج خزنة جهنم، فقالوا لهم: ألم يأتكم في الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟ فأجابهم المساكين ﴿فَقَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ ينذرننا هذا، ﴿فَكَذَّبْنَاهُ﴾ ﴿وَقُلْنَا﴾ له: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يقول: في ذهاب عن الحق بعيد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وقال الفوج الذي ألقى في النار للخزنة: ﴿لَوْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ من الثدر ما جاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه ﴿مَا كُنَّا﴾ اليوم ﴿فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني أهل النار.

وقوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ يقول: فأقرّوا بذنبهم ووحد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع، لأن فيه معنى فعل، فأدّى الواحد عن الجمع، كما يقال: خرج عطاء الناس، وأعطية الناس ﴿فَسُخِّقُوا أَصْحَابَ السَّعِيرِ﴾ يقول: فبدأ لأهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَسُخِّقُوا أَصْحَابَ السَّعِيرِ﴾ يقول: بعداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير ﴿فَسُخِّقُوا أَصْحَابَ السَّعِيرِ﴾ قال: سُخِّقُوا: واد في جهنم.

والقراء على تخفيف الحاء من السُّخِّقُوا، وهو الصواب عندنا لأن الفصحح من كلام العرب ذلك، ومن العرب من يحركها بالضم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣٤﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِنَّ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخافون ربهم بالغيب: يقول: وهم لم يروه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول: لهم عفو من الله عن ذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يقول: وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل.

وقوله: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِنَّ﴾ يقول جل ثناؤه: وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: إنه ذو علم بضمائر الصدور التي لم يتكلم بها، فكيف بما نطق به وتكلم به، أخفى ذلك أو أعلن، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور فغيرها أخرى أن لا يخفى عليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَسَاكِينِهَا وَكُنُوا مِنْ زُرْقِيهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الربّ جلّ ثناؤه ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ من خلقه؟ يقول: كيف يخفى عليه خلقه الذي خلق ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بعباده ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم وبأعمالهم.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل لكم الأرض ذلولاً سهلاً، سهلاً لكم ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.

واختلف أهل العلم في معنى ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ فقال بعضهم: مناكبها: جبالها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾ يقول: جبالها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجارية له: إن دَرَيْتِ ما مَنَاكِبِهَا، فأنت حرّة لوجه الله قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سُفِعَ في وجهه، ورغب في جاريته. فسأل، منهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء، فقال: الخير في طمأنينة، والشرّ في ريبة، فذُرْ ما يريبك إلى ما لا يريبك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن بشير بن كعب، بمثله سواء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جبالها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال: في جبالها.

وقال آخرون: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: أطرافها ونواحيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ يقول: امشوا في أطرافها.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد، عن قتادة، أن بشير بن كعب العدويّ، قرأ هذه الآية ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها، فأنت حرّة، فقالت: نواحيها فأراد أن يتزوَّجها، فسأل أبا الدرداء، فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشرّ في ريبة، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال: طرفها وفجاجها.

وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه.

وقوله: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ يقول: وكلوا من رزق الله الذي أخرجكم من مناكب الأرض، ﴿وَالْيَهُ الشُّعُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله نشركم من قبوركم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أيها الكافرون ﴿أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهو التراب فيه الحصباء الصغار ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ يقول: فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم، إذ كذبتكم به، ورددتموه على رسولي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُتْمَسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الخالية رسلكم. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فكيف كان نكيري تكذيبهم إياهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ يقول: أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صافات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يقول: ويقبضن أجنحتهن أحياناً. وإنما عني بذلك أنها تُصَفُّ أجنحتها أحياناً، وتقبض أحياناً. وينضحون للذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿صَافَاتٍ﴾ قال: الطير يصف جناحه كما رأيت، ثم يقبضه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ بسطهن أجنحتهن وقبضهن.

وقوله: ﴿مَا يُتْمَسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ يقول: ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن

يقول: فلهم بذلك مذكر إن ذكروا، ومعتبر إن اعتبروا، يعلمون به أن ربهم واحد لا شريك له ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ يقول: إن الله بكل شيء ذو بصر وخبرة، لا يدخل تدبيره خلل، ولا يرى في خلقه تفاوت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرُوكُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾

يقول تعالى ذكره: للمشركين به من قريش: من هذا الذي هو جند لكم أيها الكافرون به، ينصرمكم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءاً، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الكافرون بالله إلا في غرور من ظنهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى، وأنها تنفع أو تضر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ كُلَّ لَيْلٍ فِي عَتَمٍ وَنُفُورٍ﴾

يقول تعالى ذكره: أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم، ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم.

وقوله: ﴿بَلْ لَجُوعًا فِي عَتَمٍ وَنُفُورٍ﴾ يقول: بل تمادوا في طغيان ونفور عن الحق واستكبار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلْ لَجُوعًا فِي عَتَمٍ وَنُفُورٍ﴾ يقول: في ضلال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿بَلْ لَجُوعًا فِي عَتَمٍ وَنُفُورٍ﴾ قال: كفور.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ يَمِشِي مِثْقَالَ عَلْفٍ عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمِشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿أَمَّنْ يَمِشِي﴾ أيها الناس ﴿مِثْقَالَ عَلْفٍ عَلَى وَجْهِهِ﴾ لا يبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله ﴿أَهْدَىٰ﴾: أشد استقامة على الطريق، وأهدى له، ﴿أَمَّنْ يَمِشِي سَوِيًّا﴾ مشي

بني آدم على قدميه ﴿على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه وقيل ﴿مُكَبَّأً﴾ لأنه فعل غير واقع، وإذا لم يكن واقعاً أدخلوا فيه الألف، فقالوا: أكَبَ فلان على وجهه، فهو مكبب ومنه قول الأعشي:

مُكَبَّأً عَلَى رَوْقَيْهِ يَخْفِرُ عِرْقُهَا عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمًا^(١)
فقال: مكبأً، لأنه فعل غير واقع، فإذا كان واقعاً حذفت منه الألف، فقيل: كبيت فلاناً على وجهه وكبّه الله على وجهه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: من يمشي في الضلالة أهدى، أم من يمشي مهتدياً؟

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال: في الضلالة ﴿أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: حق مستقيم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ﴾ يعني الكافر أهدى ﴿أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ المؤمن؟ ضرب الله مثلاً لهما.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن الكافر يحشره الله يوم القيامة على وجهه، فقال: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ﴾ يوم القيامة ﴿أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ يومئذ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إلياس بن قبيصة الطائي؛ والبيت في وصف ثور شبه به ناقه. ومكبأً: مطأطأ رأسه يحفر الأرطاة (في البيت قبله) ليتخذ فيها كناساً يأوي إليه. وروقيه: قرنيه. وعلى ظهر عريان الطريقة: على ظاهر الطريق. وأهيم منهار لا يماسك، وهو من صفة (عريان الطريقة). يقول: أكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه يحفر فيها بيتاً يؤويه، في هذا الموضع المكشوف، الذي تنهال رماله غير متماسكة. وقد أورد المؤلف البيت شاهداً على قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي مطرقاً إلى الأرض. وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٣٨) وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّأً عَلَى وَجْهِهِ﴾ تقول: قد أكب الرجل: إذا كان فعل غير واقع على أحد (غير متعد) فإذا وقع الفعل (تعدى) أسقطت الألف، فنقول قد كبه الله لوجهه وكبته أنا لوجهه اهـ.

وَجْهٍ أَهْدَى: «هو الكافر أكْبَ على معاصي الله في الدنيا، حشره الله يوم القيامة على وجهه»، فقيل: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال: «هو الكافر يعمل بمعصية الله، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه». قال معمر: قيل للنبي ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: المؤمن عمل بطاعة الله، فيحشره الله على طاعته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد للذين يكذبون بالبعث من المشركين. الله الذي أنشأكم فخلقكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ تسمعون به ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ تبصرون بها ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ تعقلون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: قليلاً ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، الله ﴿الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: الله الذي خلقكم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يقول: وإلى الله تحشرون، فتجمعون من قبوركم لموقف الحساب ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويقول المشركون: متى يكون ما تعدنا من الحشر إلى الله إن كنتم صادقين في وعدكم إيانا ما تعدونا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِذُّ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب وقيام الساعة:

إنما علم الساعة، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به ﴿مُبِينٌ﴾: قد أبان لكم إنذاره.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله زلفة: يقول: قريباً، وعاینوه، ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ساء الله بذلك وجوه الكافرين. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿زُلْفَةً﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ﴾ قال: لما عاینوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ قال: معاينة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ قال: قد اقترب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما عاينت من عذاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ قال: لما رأوا عذاب الله زلفة، يقول: سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ﴾ قيل: الزلفة حاضر قد حضرهم عذاب الله عز وجل.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ يقول: وقال الله لهم: هذا العذاب الذي كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ قال: استعجالهم بالعذاب.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ بتشديد الدال بمعنى تفتعلون من الدعاء.

وذكر عن قتادة والضحاك أنهما قرءا ذلك: «تَدْعُونَ» بمعنى تفعلون في الدنيا.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرنا أبان العطار وسعيد بن أبي عروبة، عن قتادة أنه قرأها: «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ» خفيفة ويقول: كانوا يدعون بالعذاب، ثم قرأ: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ».

والصواب من القراءة في ذلك، ما عليه قرء الأماص لإجماع الحجة من القرءا عليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين من قومك: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ فأماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فأخَّر في آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ بالله ﴿مِنْ عَذَابِ﴾ موجع مؤلم، وذلك عذاب النار. يقول: ليس ينجي الكفار من عذاب الله موتنا وحياتنا، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة، ونزول العذاب، فإن ذلك غير نافعكم، بل ذلك بلاء عليكم عظيم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ربنا ﴿الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ﴾ يقول: صدقنا به ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يقول: وعليه اعتمدنا في أمورنا، وبه وثقنا فيها ﴿فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: فستعلمون أيها المشركون بالله الذي هو في ذهاب عن الحق، والذي هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم إذا صرنا إليه، وحشرنا جميعاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم العادلون بالله ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يقول: غائراً لا تناله الدلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

يقول: فمن يجيئكم بماء معين، يعني بالمعين: الذي تراه العيون ظاهراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ يقول: بماء عذب.

حدثنا ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثني عبيد بن قاسم البزاز، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ لا تناله الدلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ قال: الظاهر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: أي ذاهباً ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ قال: الماء المعين: الجاري.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ذاهباً ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارٍ.

وقيل غوراً فوصف الماء بالمصدر، كما يقال: ليلة عم، يراد: ليلة عامة.

آخر تفسير سورة الملك

٦٨) سورة القلم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَحْسُورٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿٢﴾، فقال بعضهم: هو الحوت الذي عليه الأرضون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: «أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحركت الأرض فمادت، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض»، قال: وقرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، أو مجاهد عن ابن عباس، بنحوه، إلا أنه قال: ففُتِّتَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون، ورفع بخار الماء، ففُتِّتَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ وَبُسِطَتْ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ، فاضطرب النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض».

حدثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: «أول ما خلق الله من شيء القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، قال فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رفع بخار الماء ففتق منه

السموات، ثم خلق النون فدُحيت الأرض على ظهره، فاضطرب النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض».

حدثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس نحوه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، أن إبراهيم بن أبي بكر، أخبره عن مجاهد، قال: كان يقال النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر. ثنا الأعمش، أن ابن عباس قال: **إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خُلِقَ الْقَلَمُ**، ثم ذكر نحو حديث واصل عن ابن فضيل، وزاد فيه: ثم قرأ ابن عباس **﴿نَ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس، قال: **إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خُلِقَ رَبِّي الْقَلَمُ**، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء، ثم كبس الأرض عليه. وقال آخرون: **﴿ن﴾** حرف من حروف الرحمن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن أحمد المروزي، قال: ثنا علي بن الحسين، قال: ثنا أبي، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿الر، وحتم، ون﴾** حروف الرحمن مقطعة.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا عباس بن زياد الباهلي، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله **﴿الر، وحتم، ون﴾** قال: اسم مقطع. وقال آخرون: **﴿ن﴾**: الدواة، والقلم: القلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، قال: ثنا أخي عيسى بن عبد الله، عن ثابت البناني، عن ابن عباس قال: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّوْنَ وَهِيَ الدَّوَاةُ**، وخلق القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل معمول، بر أو فجور، أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم، وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم،

فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال: فقال ابن عباس: أألستم قوماً عربياً تسمعون الحفظة يقولون: إِنَّا كُنَّا نَسْتَسِيخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وهل يكون الاستساخ إلا من أصل؟.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله ﴿ن﴾ قال: هو الدواة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن قتادة، قال: النون الدواة.

وقال آخرون: ﴿ن﴾: لوح من نور

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن شبيب المكنب، قال: ثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قرّة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: «لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وقال آخرون: ﴿ن﴾: قَسَمَ أقسم الله به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يُقْسِمُ الله بما شاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله الله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: هذا قسم أقسم الله به.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء السورة.

وقال آخرون: هي حرف من حروف المعجم وقد ذكرنا القول فيما جانس ذلك من حروف الهجاء التي افتتحت بها أوائل السور، والقول في قوله نظير القول في ذلك.

واختلفت القراء في قراءة: ﴿ن﴾، فأظهر النون فيها وفي يس عامة قراء الكوفة خلا الكسائي، وعامة قراء البصرة، لأنها حرف هجاء، والهجاء مبني على الوقوف عليه وإن اتصل، وكان الكسائي يُدغم النون الآخرة منهما ويخفيها بناء على الاتصال.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان فصيحتان بأيتهما قرأ القارئ أصاب، غير أن إظهار النون أفصح وأشهر، فهو أعجب إليّ. وأما القلم: فهو القلم المعروف، غير أن الذي

أقسم به ربنا من الأقلام: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

حدثني محمد بن صالح الأنماطي، قال ثنا عباد بن العوام، قال: ثنا عبد الواحد بن سليم، قال: سمعت عطاء، قال: سألت الوليد بن عباد بن الصامت: كيف كانت وصية أبيك حين حشره الموت؟ فقال: دعاني فقال: أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده، والقدر خيرته وشره، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ».

حدثني محمد بن عبد الله الطوسي، قال: ثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا رباح بن زيد، عن عمرو بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ».

حدثنا موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبي ﷺ، نحوه.

حدثنا موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبي ﷺ، نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدر، فقال: إنهم يكذبون بكتاب الله، لآخذن بشعر أحداهم، فلا يقصن به، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو هاشم، أنه سمع مجاهداً، قال: سمعت عبد الله لا ندرى ابن عمر أو ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله القلم، فجرى القلم بما هو كائن وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني معاوية بن صالح وحدثني عبد الله بن آدم، قال: ثنا أبي، قال: ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح، عن أيوب بن زياد، قال: ثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت، قال: أخبرني أبي، قال: قال أبي عباد بن الصامت: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبِ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ قال: الذي كُتِبَ به الذكر.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، أخبره عن إبراهيم بن أبي بكر، عن مجاهد، في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ قال: الذي كتب به الذكر.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يقول: والذي يَحْطُونَ ويكتبون. وإذا وُجِّهَ التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم. وقد يحتمل الكلام معنى آخر، وهو أن يكون معناه: وسطرهم ما يسطرون، فتكون «ما» بمعنى المصدر. وإذا وُجِّهَ التأويل إلى هذا الوجه، كان القسم بالكتاب، كأنه قيل: ن والقلم والكتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: وما يَحْطُونَ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يقول: يكتبون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: وما يكتبون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يكتبون.

يقال منه: سطر فلان الكتاب فهو يَسْطُرُ سَطْرًا: إذا كتبه ومنه قول رؤبة بن العجاج:

إني وأسطارٍ سَطِرْنَ سَطْرًا^(١)

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، مكذِّباً بذلك مشركي قريش الذين قالوا له: إنك مجنون.

(١) البيت في ديوان رؤبة بن العجاج الراجز (ديوانه طبع لبيسج ١٧٤ وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» عند قوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ﴿وَمَا يَكْتَبُونَ﴾ قال رؤبة:

«إنسي وأسطار...»

البيت. والأسطار: جمع سطر، وهو الصف من النخل أو من حروف الكتابة المنسوقة.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن لك يا محمد لشواباً من الله عظيماً على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع، من قولهم: حبل منبر، إذا كان ضعيفاً، وقد ضعفت مثته: إذا ضعفت قوته. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ قال: محسوب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١٤١ فَسَتَكْفُرُ وَيَصْرُونَ ۝١٤٢ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ۝١٤٣ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّىٰ عَنْ سَيِّئِهِ ۝١٤٤ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرن الذي آذبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: دين عظيم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: إنك على دين عظيم، وهو الإسلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: الدين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: سألت عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: أأست تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن خُلُقِ رسول الله ﷺ كان القرآن.

حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس، قال: ثني أبي، قال: ثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن سعيد بن هشام، قال: أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقلت: أخبريني عن

خُلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.

حدثنا عبيد بن أسباط، قال: ثني أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ قال: أدب القرآن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ قال: على دين عظيم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ﴿لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ يعني دينه، وأمره الذي كان عليه، مما أمره الله به، ووكله إليه.

وقوله: ﴿فَسْتَبْصِرُ وَبَصِيرُونَ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فسترى يا محمد، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنوناً ﴿بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿فَسْتَبْصِرُ وَبَصِيرُونَ﴾ يقول: ترى ويرون.

وقوله: ﴿بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله بأيكم المجنون، كأنه وجه معنى الباء في قوله ﴿بِأَيْكُمُ﴾ إلى معنى في. وإذا وجهت الباء إلى معنى «في» كان تأويل الكلام: ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك يا محمد أو فريقهم، ويكون المجنون اسماً مرفوعاً بالباء. ذكر من قال معنى ذلك: بأيكم المجنون:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونَ﴾ قال: المجنون.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونَ﴾ قال: بأيكم المجنون.

وقال آخرون: بل تأويل ذلك: بأيكم الجنون وكان الذين قالوا هذا القول وجهوا المفتون إلى معنى الفتنة أو الفتون، كما قيل: ليس له معقول ولا معقود: أي بمعنى ليس له عقل ولا عقد رأى فكذاك وضع المفتون موضع الفتون. ذكر من قال: المفتون: بمعنى المصدر، وبمعنى

الجنون:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بَأْيُكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قال: الشيطان.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک، يقول في قوله: ﴿بَأْيُكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ يعني الجنون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس يقول: بأبيكم الجنون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أيكم أولى بالشيطان فالباء على قول هؤلاء زيادة دخولها وخروجها سواء، ومثل هؤلاء ذلك بقول الراجز:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَضْحَابُ الْفَلَجِ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَتَرْجُو بِالْفَرْجِ^(١)
بمعنى: نرجو الفرج، فدخول الباء في ذلك عندهم في هذا الموضع وخروجها سواء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأْيُكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ يقول: بأبيكم أولى بالشيطان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿بَأْيُكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قال: أيكم أولى بالشيطان.

واختلف أهل العربية في ذلك نحو اختلاف أهل التأويل، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: فستبصر ويصرون أيكم المفتون. وقال بعض نحويي الكوفة: بأبيكم المفتون ها هنا، بمعنى الجنون، وهو في مذهب المفتون، كما قالوا: ليس له معقول ولا معقود قال: وإن شئت جعلت بأبيكم في أيكم في أي الفريقين المجنون قال: وهو حيثئذ اسم ليس بمصدر.

(١) البيتان من مشطور الرجز، وهما من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٩) من مصورة الجامعة عن نسخة «مراد مثلاً» بالآستانة قال عند قوله تعالى: ﴿بَأْيُكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ مجازها: أيكم المفتون، كما قال الأول:

«نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ...»

والشاهد فيه أن الباء في قوله بالفرج، أي نرجو الفرج، كما زيدت في الآية. والبيتان للناطقة الجعدي. وقد سبق للاستشهاد بهما على مثل هذا الموضع في الجزء (١٤/١٨) فراجع.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: بأيكم الجنون، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر، لأن ذلك أظهر معاني الكلام، إذا لم ينو إسقاط الباء، وجعلنا لدخولها وجهاً مفهوماً. وقد بينّا أنه غير جائز أن يكون في القرآن شيء لا معنى له.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، كضلال كفار قريش عن دين الله، وطريق الهدى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يقول: وهو أعلم بمن اهتدى، فاتبع الحق، وأقرّ به، كما اهتديت أنت فاتبعت الحق، وهذا من معاريض الكلام. وإنما معنى الكلام: إن ربك هو أعلم يا محمد بك، وأنت المهتدي ويقومك من كفار قريش وأنهم الضالون عن سبيل الحق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ﴾ ﴿هَكَازٍ مَسْأَمٍ يَمِينٍ﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾ يا محمد ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله ورسوله ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: ودّ المكذّبون بآيات الله لو تكفّر بالله يا محمد فيكفرون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ يقول: ودّوا لو تكفّر فيكفرون.

حدثت عن الحسين، فقال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال: تكفّر فيكفرون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال: تكفّر فيكفرون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ودّوا لو تُرْخِصْ لهم فيرْخِصون، أو تليّن في دينك فيلينون في دينهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ يقول: لو ترخص لهم فيرخصون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُوْنَ﴾ قال: لو تَزَكَّنْ إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق فيمالثونك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُوْنَ﴾ يقول: ودوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر، فأدهنوا معك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُوْنَ﴾ قال: ودوا لو يُدَهْن رسول الله ﷺ فيُدَهْنون.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَزَكُّنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذَا لَادَقْتْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التليين في القول بتليين الدهن.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل مهين: وهو الضعيف. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذاب، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة وإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ والمهين: الكذاب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ قال: ضعيف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ وهو المكثار في الشر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿كُلُّ حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ يقول: كل مكثار في الحلف مهين ضعيف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن الحسن وقاتدة ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِيْنٍ﴾ قال: هو المكثار في الشر.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ يعني: مغتاب للناس يأكل لحومهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ يعني الاغتياب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هَمَّازٍ﴾: يأكل لحوم المسلمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿هَمَّازٍ﴾ قال: الهماز: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، وليس باللسان وقرأ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الذي يلزم الناس بلسانه، والهمز أصله الغمز، فقليل للمغتاب: هماز، لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون، وذلك غمز عليهم.

وقوله: ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ يقول: مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض، ينقل حديث بعضهم إلى بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هَمَّازٍ﴾: يأكل لحوم المسلمين ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: يمشي بالكذب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي، في قوله: ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ قال: هو الأخنس بن شريق، وأصله من ثقيف، وعداده في بني زُهرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ عُنُقٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

وقوله: ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾. يقول تعالى ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق.

وقوله: ﴿مُعْتَدٍ﴾ يقول: معتد على الناس ﴿أَلِيمٍ﴾: ذي إثم بربه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿مُعْتَدٍ﴾ في عمله ﴿أثيم﴾ بره.

وقوله: ﴿عُتْلٌ﴾ يقول: وهو عُتْلٌ، والعتل: الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوي فالعرب تسمية عُتْلًا ومنه قول ذي الإصبع العدواني:

والدَّهْرُ يَغْدُو مِعْتَلًا جَدْعًا^(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿عُتْلٌ﴾ العتل: العاتل الشديد المنافق.

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: ثنا أبو عامر العقدي، قال: ثنا زهير بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن وهب الذماري، قال: «تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقصمًا من الدنيا، ثم يكون ظلومًا للناس، فذلك العتل الزنيم».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن أبي الزبير، عن عبيد بن عمير، قال: العتل: الأكل الشروب القوي الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً دفعة في جهنم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، في قوله: ﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: العتل: الشديد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين، في قوله: ﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: العتل: الصحيح.

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٩) أنشده عند قوله تعالى: ﴿عُتْلٌ﴾ قال: العتل: اللفظ الكافر في هذا الموضع، وهو الشديد من كل شيء بعد ذلك؛ قال ذو الإصبع العدواني:

«والدهر يغدو معتلا جدعا»

أي شديداً أ هـ. وفي «اللسان» عتل: العتل: هو الشديد الجافي، والفظ الخليظ. قيل: هو الجافي الخلق. اللثيم الضريبة. وقيل هو الشديد من الرجال والدواب. وفي التنزيل: ﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قيل هو الشديد الخصومة أ هـ. وفي «اللسان» عتل ورجل معتل بوزن منبر بالكسر: قوي. والجدع: الصغير السن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني معاوية بن صالح، عن كثير بن الحارث، عن القاسم، مولى معاوية قال: سئل رسول الله ﷺ عن العُتْلُ الزنيم، قال: «الفاحشُ اللثيم».

قال: معاوية، وثني عياض بن عبد الله الفهري، عن موسى بن عقبة، عن رسول الله ﷺ، بمثل ذلك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: «عُتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» قال: فاحش الخُلُق، لثيم الضريبة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «عُتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» قال: الحسن وقاتدة: هو الفاحش اللثيم الضريبة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله «عُتْلُ» قال: هو الفاحش اللثيم الضريبة.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَبْكِي السَّمَاءُ مِنْ عَبْدٍ أَصَحَّ اللَّهُ جِسْمَهُ، وَأَزْحَبَ جَوْفَهُ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الدُّنْيَا يَقْضَمًا، فَكَانَ لِلنَّاسِ ظُلُومًا، فَذَلِكَ الْعُتْلُ الزَّنِيمُ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، قال: العتْلُ: الصحيح الشديد.

حدثني جعفر بن محمد البزوري، قال: ثنا أبو زكريا، وهو يحيى بن مصعب، عن عمر بن نافع، قال: سئل عكرمة، عن «عُتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» فقال: ذلك الكافر اللثيم.

حدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: ثنا يحيى، يعني ابن يمان، عن أبي الأشهب، عن الحسن في قوله «عُتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» قال: الفاحش اللثيم الضريبة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، قال: العتْلُ: الزنيم الفاحش اللثيم الضريبة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: «عُتْلُ» قال: شديد الأثر.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: **﴿عُتِّلَ﴾** قال: العتَلُ: الشديد.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ ومعنى «بعد» في هذا الموضع معنى مع، وتأويل الكلام: **﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾**: أي مع العتَلِ زَنِيم.

وقوله: **﴿زَنِيمٌ﴾** والزَنِيم في كلام العرب: الملتصق بالقوم وليس منهم ومنه قول حسان بن ثابت:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطُ خَلْفِ الرَّاَكِبِ الْقَدْحُ الْفَزْدُ^(١)
وقال آخر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يَغْرِفُ مَنَ أَبْوَهُ بَغْيِي الْأُمِّ دُوَ حَسَبِ لَيْئِيمٍ^(٢)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿زَنِيمٌ﴾** قال: والزَنِيم: الدعوي، ويقال: الزَنِيم: رجل كانت به زنمة يُعرف بها، ويقال: هو الأخنس بن شريق الثَّقَفِيُّ حليف بني زُهرة. وزعم ناس من بني زُهرة أن الزَنِيم هو: الأسود بن عبد يغوث الزُهري، وليس به.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: أخبرنا ابن إدریس، قال: ثنا هشام، عن عكرمة، قال: هو الدعوي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني سليمان بن بلال، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، أنه سمعه يقول في هذه الآية: **﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾** قال سعيد: هو الملتصق بالقوم ليس منهم.

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٩ من مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة «مراد مثلاً» بالآستانة). أنشده عند قول الله تعالى: **﴿زَنِيمٌ﴾** قال: الزَنِيم: المعلق في القوم ليس منهم، قال حسان بن ثابت:

«وَأَنْتَ زَنِيمٌ.....»

البيت» ويقال للئيس زَنِيم، له زنمتان ١ هـ.

(٢) ليس هذا البيت من شواهد الفراء ولا من شواهد أبي عبيدة، ولم ينسبه المؤلف إلى قائله. وفي «اللسان» الزَنِيم: المستلحق في قوم ليس منهم، لا يحتاج إليه، فكأنه فيهم زنمة (أي زنمة العنز المعلقة عند حلقها) يقول: هو فيهم زَنِيم، لا يعرفون أباه، لأنه دخيل، وأمه بغية وحسبه لئيم. وهو في معنى الشاهد الذي قبله على معنى «الزَنِيم».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن الحسن، عن سعيد بن جبير، قال: الزنيم الذي يعرف بالشرّ، كما تعرف الشاة بزئمتها الملتصق.

حدثني محمد بن عمرو قل: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى، قال ثنا الحسن وقال آخرون: هو الذي له زئمة كزئمة الشاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم قال: نُعِبَتْ، فلم يعرف حتى قيل زنيم. قال: وكانت له زئمة في عنقه يُعرف بها. وقال آخرون: كان دعياً.

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا عليّ بن عاصم، قال ثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: نزل على النبي ﷺ: ﴿وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِتَمِيمٍ﴾ قال: فلم نعرفه حتى نزل على النبي ﷺ: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: فعرفناه له زئمة كزئمة الشاة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أصحاب التفسير، قالوا: هو الذي يكون له زئمة كزئمة الشاة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله الزنيم: يقول: كانت له زئمة في أصل أذنه، يقال: هو اللثيم الملتصق في النسب. وقال آخرون: هو المريب

ذكر من قال ذلك:

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: زنيم: المريب الذي يعرف بالشرّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير قال: الزنيم: الذي يعرف بالشرّ. وقال آخرون: هو الظلوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿زَنِيمٌ﴾ قال: ظلوم.

وقال آخرون: هو الذي يُعرف بأبنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: الذي يُعرف بأبنة، قال أبو إسحاق: وسمعت الناس في إمرة زياد يقولون: العتلّ: الدعيّ.
وقال آخرون: هو الجلف الجافي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود بن أبي هند، قال: سمعت شهر بن حوشب يقول: هو الجلف الجافي الأكل الشروب من الحرام.
وقال آخرون: هو علامة الكفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، قال: الزنيم: علامة الكفر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، قال: الزنيم: علامة الكافر.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أنه كان يقول الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة.
وقال آخرون: هو الذي يعرف باللؤم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، قال: الزنيم: الذي يعرف باللؤم، كما تُعرف الشاة بزنتها.
وقال آخرون: هو الفاجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين، في قوله: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: الزنيم: الفاجر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (١٤) إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ مَا لَنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِيئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَنْ كَانَ﴾ فقرأ ذلك أبو جعفر المدني وحزمة: «أَنَّ كَانَ ذَا مالٍ» بالاستفهام بهمزتين، وتتوجه قراءة من قرأ ذلك كذلك إلى وجهين: أحدهما أن يكون مراداً به تفرغ هذا الحلاف المهين، فقيل: لأن كان هذا الحلاف المهين ذا مال وبنين ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا أظهر وجهيه. والآخر أن يكون مراداً به: لأن كان ذا مال وبنين تطيعه، على وجه التوبيخ لمن أطاعه. وقرأ ذلك بعد سائر قراء المدينة والكوفة والبصرة: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ على وجه الخبر بغير استفهام بهمزة واحدة ومعناه إذا قرئ كذلك: ولا تطع كل حلاف مهين ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ كأنه نهاء أن يطيعه من أجل أنه ذو مال وبنين.

وقوله: ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: إذا تقرأ عليه آيات كتابنا، قال: هذا مما كتبه الأولون استهزاء به وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند الله.

وقوله: ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سنخطمه بالسيف، فتجعل ذلك علامة باقية، وسمة ثابتة فيه ما عاش.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ فقاتل يوم بدر، فخطم بالسيف في القتال.

وقال آخرون: بل معنى ذلك سنشينه شيئاً باقياً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ شيئ لا يفارقه آخر ما عليه.

وقال آخرون: سيمى على أنفه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ قال: سنسم على أنفه.

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي قول من قال: معنى ذلك: سنبين أمره بياناً

واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وقال قتادة: معنى ذلك: شين لا يفارقه آخر ما عليه، وقد يحتمل أيضاً أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف.

ويعني بقوله: ﴿سَتْسِمَةٌ﴾ سنكويه. وقال بعضهم: معنى ذلك: سنسمة سِمة أهل النار: أي سنسود وجهه. وقال: إن الخرطوم وإن كان خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض، والعرب تقول: والله لأسمنك وسماً لا يفارقك، يريدون الأنف. قال: وأنشدني بعضهم:

لَأَعْلِطَنَّهُ وَسَمًا لَا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَرِّزُ بِحَمَى الْمَيْسَمِ النَّجْرُ^(١)
والنجز: داء يأخذ الإبل فتكوى على أنفها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوْنَ ﴿٧٨﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أي بلونا مشركي قريش، يقول: امتحانهم فاخترناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يقول: كما امتحنا أصحاب البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يقول: إذ حلفوا ليصرمن ثمرها إذا أصبحوا. ﴿وَلَا يَسْتَنْوْنَ﴾: ولا يقولون إن شاء الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٣٩) قال عند قوله تعالى: ﴿سنسمة على الخرطوم﴾ أي سنسمة سمة أهل النار، أي سنسود وجهه؛ فهو وإن كان الخرطوم قد خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض، والعرب تقول أما والله لأسمنك وسماً لا يفارقك، يريدون الأنف؛ وأنشدني بعضهم:

«لَأَعْلِطَنَّهُ وَسَمًا.....»

البيت فقال الميسم ولم يذكر الأنف لأنه موضع السمة. والبحر: البعير إذا أصابه البحر، وهو داء يأخذ البعير فيوسم لذلك أ. هـ. قلت: وأنشد صاحب «اللسان» البيت (في بحر) وقال: قال الفراء: البحر أن يلغى البعير بالماء، فيكثر منه، حتى يصيبه منه داء، يقال: بحر يبحر بحراً، فهو بحر، وأنشد: بيت الشاهد. قال: وإذا أصابه الداء كوى في مواضع فيبرأ. أ. هـ. كلام الفراء كما في «اللسان» وقال الأزهري معقياً عليه: الداء الذي يصيب البعير فلا يروى من الماء، هو النجر، بالنون والجييم، والبحر بالباء والجييم. وأما البحر فهو داء يورث السل. وأبحر الرجل: إذا أخذه السل. ورجل بحير وبحر: مسلول ذاهب اللحم. عن ابن الأعرابي أ. هـ. قلت: ويؤيد هذا ما جاء في «اللسان» نجر قال الجوهرى: النجر بالتحريك: عطش يصيب الإبل والغنم عن أكل الحبة، فلا تكاد تروى من الماء. يقال: نجرت الإبل ومجرت أيضاً أ. هـ. وفي «التهديب» نجر ينجر نجرأ: إذا أكثرت من شرب الماء، ولم يكد يروى. قال يعقوب: وقد يصيب الإنسان. أ. هـ. وحى الميسم: حره. والميسم حديدة يكوى بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ قال: هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة، كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم، قال بنوه: والله إن كان أبونا الأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمها مصبحين، ولا يستنون، ولا يطعمون مسكيناً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَيُضْرَمْتُهَا مُصْبِحِينَ﴾ قال: كانت الجنة لشيخ، وكان يتصدق، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة، وكان يمسك قوت ستة، وينفق ويتصدق بالفضل فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا: ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾.

وذكر أن أصحاب الجنة كانوا أهل كتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا... الآية، قال: كانوا من أهل الكتاب.

والصرم: القطع، وإنما عنى بقوله ﴿لَيُضْرَمْتُهَا﴾ لَيَجُذَّنْ ثمرتها ومنه قول امرئ القيس:

صَرَمَتْكَ بَعْدَ تَوَاصُلِ دَعْدٍ وَبَدَا لِدَعْدٍ بَعْضُ مَا يَسْبُدُو^(١)

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿طَائِفٌ عَلَيْهِمْ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ذُو قُرْبَىٰ مِمَّن ذُكِّرُوا بِهَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّبُوا أَجْمَعِينَ﴾

يقول تعالى ذكره: فطرق جنة هؤلاء القوم ليلاً طارق من أمر الله وهم نائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلاً، ولا يكون نهاراً، وقد يقولون: أطففت بها نهاراً.

وذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده:

(١) نسب المؤلف البيت إلى امرئ القيس، ولم أجده في «مختار الشعر الجاهلي» ولا في العقد الثمين، ولعله لغير امرئ القيس بن حجر الكندي من المراقبة. أنشده المؤلف شاهداً على أن الصرم في قوله تعالى: ﴿ليصر منها﴾ بمعنى القطع. وفي «اللسان» صرم الصرم القطع البائن. وعم به بعضهم القطع أي نوع كان

أَطْفَتْ بِهَا نَهَاراً غَيْرَ لَيْلٍ وَأَلْهَى رَيْهَا طَلَبُ الرَّخَالِ^(١)
والرّخال: هي أولاد الضّانّ الإناث. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كريب، عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن الطوفان ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال: هو أمر من أمر الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ قال: طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون.

وقوله: ﴿فَأُضْبِحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عُني بالصريم، فقال بعضهم: عُني به الليل الأسود، وقال بعضهم: معنى ذلك: فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا شيخ لنا عن شيخ من كلب يقال له سليمان عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَأُضْبِحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال: الصريم: الليل. قال: وقال في ذلك أبو عمرو بن العلاء رحمه الله.

أَلَا بَكَرَتْ وَعَاذَلْتِي تَلُومٌ تَهْجِدُنِي وَمَا أَنْكَشَفَ الصَّرِيمُ^(٢)

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٩٣) عند قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ قال: لا يكون الطائف إلا ليلاً، ولا يكون نهاراً، وقد تكلم به العرب، فيقولون: أطفت به نهاراً، وليس موضعه بالنهار ولكنه بمنزلة قولك:

«لو ترك القطا ليلاً لنام»

لأن القطا لا يسري ليلاً قال: أنشدني أبو الجراح العقيلي:

«أطففت بها نهاراً.....»

البيت ١ هـ. والرخال: جمع رخل (بكسر الراء وفتحها): الأنثى من أولاد الضان. والذكر: حمل، والجمع: أرخل ورخال (بكسر الراء وضمها) ورخلان أيضاً ١ هـ.

(٢) نسب المؤلف البيت إلى أبي عمرو بن العلاء ولعله يريد أنه مما أنشده أبو عمرو يقول استيقظت هذه المرأة قبل أن ينكشف الليل عن الصبح، توقظني حين هبت عاذلتي تلومني. قال في «اللسان»: هجد قال ابن بزرج: أهجدت الرجل: أتمته، وهجدته بالشديد: أيقظته. والصريم: الليل. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٣٩) فأصبحت كالصريم: أي احترقت، فصارت سوداء مثل الليل المسود ١ هـ. وفي «اللسان» (صرم) عن ثعلب، =

وقال أيضاً:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ فَمَا يَنْجَابُ عَنْ صُبْحِ صَرِيمٍ
إِذَا مَا قُلْتَ أَفْشَعَ أَوْ تَنَاهَى جَرَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غَيُومٌ^(١)

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: أخبرني نعيم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جبير يقول: هي أرض باليمن يقال لها صُرْوَان من صنعاء على ستة أميال.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيدٍ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة. يقول: نادى بعضهم بعضاً ﴿مُصْبِحِينَ﴾ يقول: بعد أن أصبحوا ﴿أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ وذلك الزرع ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ يقول: إن كنتم حاصدي زرعكم ﴿فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يقول: فمضوا إلى حرثهم وهم يتسازون بينهم ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ يقول: وهم يتسازون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم مسكين، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يقول: يُسِرُّون ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: لما مات أبوهم غدوا عليها، فقالوا: ﴿لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾.

= فأصبحت كالصريم: أي احترقت فصارت سوداء مثل الليل. ١ هـ. ويقال: كالشئ المصروم، الذي ذهب ما فيه. وقيل الصريم: أرض سوداء لا تنبت شيئاً وقال الجوهري: أي احترقت واسودت.

(١) أنشده «اللسان» (صرم) البيت الأول من هذا الشاهد، وقال: قال ابن بري: وأنشد أبو عمرو:

«تَطَاوَلَ لَيْلُكَ.....»

البيت، فالبيتان إذن ليسا لأبي عمرو، وإنما أنشدتهما. وكذلك بيت الشاهد الذي قبلهما. والجون الأسود، والبهيم: الخالص السواد: لا بياض فيه. وينجاب: ينكشف ويزول وصريم: أي ليل. وأفشع زال. وتناهى: انتهى. وهذا الشاهد في معنى الشاهد الذي قبله، وهو أن الصريم بمعنى الليل الشديد السواد. ١ هـ.

واختلف أهل التأويل في معنى الحزْد في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: على قُدْرَة في أنفسهم وجدّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: ذوي قدرة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج عن حدثه، عن مجاهد في قول الله: ﴿عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: على جدّ قادرين في أنفسهم.

قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: على جهد، أو قال على جدّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ غدا القوم وهي مُخردون إلى جنتهم، قادرون عليها في أنفسهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: على جدّ من أمرهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ على جدّ قادرين في أنفسهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وعدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم، واستسروه، وأسروه في أنفسهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: كان حرث لأبيهم، وكانوا إخوة، فقالوا: لا نطعم مسكيناً منه حتى نعلم ما يخرج منه ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ على أمر قد أسسوه بينهم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله ﴿عَلَى حَزْدٍ﴾ قال: على أمر مجمع.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ قال: على أمر مُجمَع.

وهذا قول لا نعلم له قائلًا من متقدمي العلم قاله وإن كان له وجه، فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز عندنا أن يتعدى ما أجمعت عليه الحجة، فما صحَّ من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلم. وإذا كان ذلك كذلك، وكان المعروف من معنى الحرد في كلام العرب القصد من قولهم: قد حرد فلان حرد فلان: إذا قصد قصده ومنه قول الراجز:

وَجَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّئِ يَحْرُذُ حَرْدَ الْجِنَّةِ الْمُغْلَةِ^(١)

يعني: يقصد قصدها، صحَّ أن الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ وعدوا على أمر قد قصده واعتمده، واستسروه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ سَحَّ حَرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوها محترقاً حرثها، أنكروها

= الآية إذا نغد شربها قال:

وَلَسْنَا بِطَاطِيَةٍ مُمْلُوءَةٍ جَوْنَةٌ يَسْبَغُهَا بِسْرِيزِئُهَا
فَإِذَا مَا حَارَدَتْ أَوْ بَكَأَتْ فَسَتْ عَنْ حَاجِبِ أُخْرَى طَيْئُهَا

والبرزين: إناء يتخذ من قشر طلع الفحال، يشرب به ا هـ. والبيت شاهد على أن معنى حاردت السنة، وحاردت الناقة، وحاردت الباطية، قل مطرها، وقل لبنها، ونغد خمرها. ا هـ. ورواية البيت الأول في «اللسان» برزن:

إنما لقحتنا باطية....

الخ.

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز، لم ينسبا لقائل معروف. وكرواية الفراء في «معاني القرآن» ورواية البيت الأول في «اللسان» حرد وجاء سيل، كرواية المؤلف هنا. وفي «مجاز القرآن» قد جاء وفي «الكامل» مبرد (٥٠/١) طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: «قد جاء سيل جاء» قال المبرد في الكامل: فأما قول الله عز وجل: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ فإن فهي قولين: أحدهما ما ذكرنا من معنى القصد - قال الشاعر:

قد جاء سيل جاء....

البيتين وقالوا على حرد: على منع، من قولهم حاردت السنة: إذا منعت قطرها، وحاردت الناقة: إذا منعت درها ا هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» «على حرد» على حد وقدرة في أنفسهم. والحرد أيضاً القصد، كما يقول الرجل قد أقبلت قبلك وقصدت قصدك، وحردت حردك. وأنشدني بعضهم:

«وجاء سيل كان....»

البيتين». ويريد: يقصد قصدها ا هـ.

وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظناً منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون لطريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرِمْنَا منفعة جنتنا بذهاب حرثها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَّالُّونٌ﴾**: أي أضللنا الطريق، بل نحن محرومون، بل جُوزينا فحُرِمْنَا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَّالُّونٌ﴾**. يقول قتادة: يقولون أخطأنا الطريق ما هذه بجنتنا، فقال بعضهم: بل نحن محرومون حرمتنا جنتنا.

وقوله: **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** يعني: أعدلهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال ثنا ثني أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** قال: أعدلهم، ويقال: قال خيرهم، وقال في البقرة: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** قال: الوسط: العدل.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** يقول: أعدلهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الفرات بن خلاد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾**: أعدلهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** قال: أعدلهم.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** قال: أعدلهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾**: أي أعدلهم قولاً، وكان أسرع القوم فزَعاً، وأحسنهم رَجْعَةً **﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾**.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال: أعدلهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يقول: أعدلهم.

وقوله: ﴿الْمِ أَوْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ يقول: هلا تستنون إذ قلتُم ﴿لَتَنْصُرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، فتقولوا إن شاء الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال: بلغني أنه الاستثناء.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿الْمِ أَوْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال: يقول: تستنون، فكان التسيح فيهم الاستثناء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب الجنة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تركنا الاستثناء في قسما وعزما على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: فأقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضاً على تفریطهم فيما فرطوا فيه من الاستثناء، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنتهم.

وقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول: قال أصحاب الجنة: يا ويلنا إنا كنا مُبْعِدِينَ: مخالفين أمر الله في تركنا الاستثناء والتسيح.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَئِنَّ الْآخِرَةَ لَأكْثَرُ لَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل أصحاب الجنة: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِنْهَا﴾ يتوبتنا من

خطأ فعلنا الذي سبق منا خيراً من جنتنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ يقول: إنا إلى ربنا راغبون في أن يبدلنا من جنتنا إذ هلكت خيراً منها.

قوله تعالى ذكره ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ يقول جل ثناؤه: كفعلنا بجنة أصحاب الجنة، إذ أصبحت كالصريم بالذي أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة، فعلنا بمن خالف أمرنا وكفر برسولنا في عاجل الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يعني عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني بذلك عذاب الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الله: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾: أي عقوبة الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ قال: عذاب الدنيا: هلاك أموالهم: أي عقوبة الدنيا.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ يعني: بساتين النعيم الدائم.

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذي اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كلاً ما الله بفاعل ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أتجعلون المطيع لله من عبیده، والمعاصي له منهم في

كرامته سواء. يقول جل ثناؤه: لا تسووا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ الْإِنشَاءِ ﴿٢٩﴾ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين في كرامة الله كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرُونَ، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ قال: فيه الذي تقولون تقرؤونه: تدرسونه، وقرأ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ...﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: إن لكم في ذلك الذي تخيرون من الأمور لأنفسكم، وهذا أمر من الله، توبيخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل، ويتمنون من الأمانى الكاذبة.

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ فيه ﴿أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: هل لكم أيمان علينا تنتهي بكم إلى يوم القيامة، بأن لكم ما تحكمون أي بأن لكم حكمكم، ولكن الألف كسرت من «إن» لما دخل في الخبر اللام: أي هل لكم أيمان بأن لكم حكمكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿سَلِّمْهُمْ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣١﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فَلَتَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سل يا محمد هؤلاء المشركين أيهم بأن لهم علينا أيماناً بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة ﴿زَعِيمٌ﴾ يعني: كفيل به، والزعيم عند العرب: الضامن والمتكلم عن القوم، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ يقول: أيهم بذلك كفيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿سَلُّهُمْ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ يقول: أيهم بذلك كفيل.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فُلْيَاتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ألهؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التي يزعمون أنها لهم، فليأتوا بشركائهم في ذلك إن كانوا فيما يدعون من الشركاء صادقين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةَ الْأَصْرَامِ رَبَّهُمْ وَنَلَّهٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَمَنْ سَلُّوا ﴿٤٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: هو يوم حرب وشدة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلِيٍّ سَاقٍ^(١)

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ولا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظماً واحداً. وكان ابن عباس يقول: يكشف عن أمر عظيم، ألا تسمع العرب تقول:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلِيٍّ سَاقٍ

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يقول: حين يكشف الأمر، وتبدو الأعمال، وكشفه: دخول الآخرة وكشف الأمر عنه.

(١) هذا بيت من الرجز المشطور. أنشده المؤلف عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي أمر عظيم. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٩) «يوم يكشف عن ساق». إذا اشتد الحرب والأمر، قيل: قد كشف الأمر عن ساقه.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن ابن عباس، قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

حدثني محمد بن عبيد المحاربّي وابن حميد، قالا: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر وجدّه قال ابن عباس: هي أشد ساعة في يوم القيامة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر، قال ابن عباس: هي أوّل ساعة تكون في يوم القيامة غير أن في حديث الحارث قال: وقال ابن عباس: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن عاصم بن كليب، عن سعيد بن جبير، قال: عن شدة الأمر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: عن أمر فطيع جليل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: يوم يكشف عن شدة الأمر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: شمّرت الحرب عن ساق يعني إقبال الآخرة وذهاب الدنيا.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزهراء، عن عبد الله، قال: «يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرّ المسلمون، قال: فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شيئاً، فينتهزم مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلا خرّ لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طَبَّقَ واحد، كأنما فيها السفايد، فيقولون: ربنا، فيقول: قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون».

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن مسعود، قال: «ينادي مناد يوم القيامة: أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم، ثم صوركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولى كلّ عبد منكم ما تولى، فيقولون: بلى،

قال: فيمثل لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، فيتبعونها حتى توردهم النار، ويبقى أهل الدعوة، فيقول بعضهم لبعض: ماذا تنتظرون، ذهب الناس؟ فيقولون: ننتظر أن ينادي بنا، فيجيء إليهم في صورة، قال: فذكر منها ما شاء الله، فيكشف عما شاء الله أن يكشف، قال: فيخزون سجداً إلا المنافقين، فإنه يصير فقار أصلابهم عظماً واحداً مثل صياصي البقر، فيقال لهم: ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم» ثم ذكر قصة فيها طول.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا الأعمش، عن المنهال عن قيس بن سكن، قال: حدثت عبد الله وهو عند عمر ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «إذا كان يوم القيامة قال: يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاماً، شاخصة أبصارهم إلى السماء، خفاة غرأة، يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشر أربعين عاماً، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم، ثم عبدتم غيره، أن يؤلى كل قوم ما تولوا؟ قالوا: نعم؟ قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله قال: ويمثل لكل قوم، يعني آلهتهم، فيتبعونها حتى تقذفهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون، فيقال: ألا تذهبون فقد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربنا، قال: وتعرفونه؟ فقالوا: إن اعترف لنا، قال: فيتجلى فيخبر من كان يعبد ساجداً، قال: ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفايد. قال: فيذهب بهم فيساقون إلى النار، فيقذف بهم، ويدخل هؤلاء الجنة، قال: فيستقبلون في الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج والحدود العيون، لكل رجل منهم في الجنة كذا وكذا، بين كل جنة كذا وكذا، بين أدناها وأقصاها ألف سنة هو يرى أقصاها كما يرى أدناها قال: ويستقبله رجل حسن الهيئة إذا نظر إليه مُقبلاً حسب أنه ربه، فيقول له: لا تفعل إنما أنا عبدك وقهرمانك على ألف قرية» قال: يقول عمر: يا كعب ألا تسمع ما يحدث به عبد الله؟.

حدثنا ابن جبلة، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، قال: ثنا سليمان الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة وقيس بن سكن، قالوا: قال عبد الله وهو يحدث عمر، قال: وجعل عمر يقول: ويحك يا كعب، ألا تسمع ما يقول عبد الله؟ «إذا حشر الناس على أرجلهم أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلى السماء، لا يكلمهم بشر، والشمس على رؤوسهم حتى يلجمهم العرق، كل برّ منهم وفاجر، ثم ينادي مناد من السماء: يا أيها الناس أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وصوركم، ثم توليتم غيره، أن يولي كل رجل منكم ما تولى؟ فيقولون: بلى ثم ينادي مناد من السماء: يا أيها الناس، فلتنتلق كل أمة إلى ما كانت تعبد، قال: ويبسط لهم السراب، قال: فيمثل لهم ما كانوا يعبدون، قال: فينطلقون حتى يلجوا النار، فيقال للمسلمين: ما يحبسكم؟ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيقال لهم: هل تعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: إن اعترف لنا عرفناه».

قال: وثني أبو صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ «حتى إن أحدهم ليلتف فيكشف عن ساق، فيقعون سجوداً، قال: وتُدْمَج أصلاب المنافقين حتى تكون عظماً واحداً، كأنها صياصي البقر، قال: فيقال لهم: ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم قال: فترفع طائفة منهم رؤوسهم إلى مثل الجبال من النور، فيمزّون على الصراط كطرف العين، ثم ترفع أخرى رؤوسهم إلى أمثال القصور، فيمزّون على الصراط كمرّ الريح، ثم يرفع آخرون بين أيديهم أمثال البيوت، فيمزّون كمرّ الخيل ثم يرفع آخرون إلى نور دون ذلك، فيشدّون شدّاً وآخرون دون ذلك يمشون مشياً حتى يبقى آخر الناس رجل على أنملة رجله مثل السراج، فيخزّ مرّة، ويستقيم أخرى، وتصيبه النار فتشعث منه حتى يخرج، فيقول: ما أعطي أحد ما أعطيت، ولا يدري مما نجا، غير أني وجدت مسها، وإني وجدت حرّها» وذكر حديثاً فيه طول اختصرت هذا منه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: ثنا هشام بن سعد، قال: ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا لتلحق كلّ أمة بما كانت تعبد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من برّ وفاجر، وغُبّرات^(١) أهل الكتاب ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، ثم تدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزّيز ابن الله، فيقول: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي ربنا ظمئنا فيقول: أفلا تردون فيذهبون حتى يتساقطوا في النار، ثم تدعى النصارى، فيقال: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: المسيح ابن الله، فيقول: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي ربنا ظمئنا اسقنا، فيقول: أفلا تردون، فيذهبون فيتساقطون في النار، فيبقى من كان يعبد الله من برّ وفاجر قال: ثم يتبدى الله لنا في صورة غير صورته التي رأيناها فيها أوّل مرّة، فيقول: أيها الناس لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد، وبيّنتم أنتم فلا يكلمه يومئذٍ إلا الأنبياء، فيقولون: فارقنا الناس في الدنيا، ونحن كنا إلى صحبتهم فيها أحوج لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق، فيخزّون سجداً أجمعون، ولا يبقى أحدٌ كان سجد في الدنيا سمعة ولا رياء ولا نفاقاً، إلا صار ظهره طبقاً واحداً، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه قال: ثم يرجع يرفع برّنا ومسيئنا، وقد عاد لنا في صورته التي رأيناها فيها أوّل مرّة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم أنت ربنا ثلاث مرّات».

(١) في «النهاية» لابن الأثير: للغبرات جمع غبر، وهو من الغابر الباقي. وفي «اللسان»: وغبر كل شيء بقيته.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثني أبي وسعيد بن الليث، عن الليث، قال: ثنا خالد بن يزيد، عن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادِيهِ فَيَقُولُ: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَعُجْبَرَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتِي بِجَهَنَّمَ تَغْرِضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ» ثم ذكر نحوه، غير أنه قال «فإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا» فقال: إن كان قاله فيأتيهم الجبار، ثم حدثنا الحديث نحو حديث المسروقي.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْخُذُ اللَّهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عَزْرِي، فَتَتَّبِعُهُ الْيَهُودُ، وَجَعَلَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى فَتَتَّبِعُهُ النَّصَارَى، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ أَسْمَعَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، فَقَالَ: أَلَا لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهَتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا مَثَلٌ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمْ الْمُنَافِقُونَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَيُّهَا النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ، الْحَقُّوْا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ إِلَّا هِيَ غَيْرَهُ، وَهُوَ اللَّهُ تَبَّتْهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ الثَّانِيَةَ مِثْلَ ذَلِكَ: الْحَقُّوْا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقَالُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَهَا؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَهُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَخْرُونَ لَهُ سُجْدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيَقَعُ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاهُ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ أَضْلَابَهُمْ كَصَبَاصِي الْبَقْرِ».

وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو سعيد روح بن جناح، عن مولى لعمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «يَوْمٌ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» قال: «عن نور عظيم، يخرون له سجداً».

حدثني جعفر بن محمد البرزوري، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي جعفر، عن الربيع في قول الله «يَوْمٌ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» قال: يكشف عن الغطاء، قال: ويدعون إلى السجود وهم سالمون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، في قوله «يَوْمٌ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» قال: هو يوم كرب وشدة.

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «يَوْمٌ تَكْشَفُ عَن سَاقٍ» بمعنى تكشف القيامة عن شدة شديدة، والعرب تقول: كشف هذا الأمر عن ساق: إذا صار إلى شدة ومنه قول الشاعر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَيَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ^(١)
 وقوله: ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقول: ويدعوهم الكشف عن الساق إلى
 السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك.

وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلة من عذاب الله ﴿وَقَدْ كَانُوا
 يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ يقول: وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له، وهم
 سالمون، لا يمنعمهم من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم حائل. وقد قيل: السجود في هذا
 الموضع: الصلاة المكتوبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم التيمي ﴿وَقَدْ
 كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: إلى الصلاة المكتوبة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير ﴿وَقَدْ
 كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ قال: يَسْمَعُ المُنَادِيَ إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي ﴿وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى
 السُّجُودِ﴾ قال: الصلاة المكتوبة.

وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾... الآية، قال أهل
 التأويل

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله:
 ﴿وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: هم الكفار كانوا يدعون في الدنيا وهم
 آمنون، فاليوم يدعوهم وهم خائفون، ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في
 الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فإنه قال ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ وأما في

(١) البيت لجد طرفه كما قال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٠) قال عند قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن
 ساق﴾ القراء مجتمعون على رفع الياء. ويسنده إلى ابن عباس: أنه قرأ: «يوم تكشف» (بالتاء مفتوحة)؛ يريد
 القيامة والساعة لشدتها. قال: وأنشدني بعض العرب لجد طرفه: وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن
 ثعلبة جد طرفه بن العبد:

كشفت لهم عن ساقها
 وبدا من الشر السباح

وروايته في «اللسان» سوق عن ديوان الحماسة: «الصرح، في موضع» «البراح».

الآخرة فإنه قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلكم والله يوم القيامة. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يُؤَذَّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبِينُ كُلُّ مُؤْمِنٍ مَنَافِقٍ، فَيَقْسُو ظَهْرُ الْمَنَافِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سُجُودَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخًا وَذَلًّا وَصَغَارًا، وَنَدَامَةً وَحَسْرَةً».

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي في الدنيا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾: أي في الدنيا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني أنه يُؤَذَّنُ للمؤمنين يوم القيامة في السجود بين كل مؤمنين منافق، يسجد المؤمنون، ولا يستطيع المنافق أن يسجد وأحسبه قال: تقسو ظهورهم، ويكون سجود المؤمنين توبيخاً عليهم، قال: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَدَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كلُّ يا محمد أمر هؤلاء المكذِّبين بالقرآن إليّ وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلاً: دعني وإياه، وحلني وإياه، بمعنى: أنه من وراء مساءته. و«مَنْ» في قوله: ﴿وَمَنْ يُكذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ في موضع نصب، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو نظير قولهم: لو تُرُكَّتْ ورأيك ما أفلحت. والعرب تنصب «ورأيك»، لأن معنى الكلام: لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح.

وقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنسىء في آجالهم ملاوة من الزمان، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمردهم على الله لتكامل حجج الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يقول: إن كيدي بأهل الكفر قويّ شديد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ نَسْتَأْذِنُكُمْ أَيُّهَا مَعْرِضُ الْمُقُولُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أتسأل يا محمد هؤلاء المشركين بالله على ما أتيتهم به من النصيحة، ودعوتهم إليه من الحق، ثواباً وجزاء ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ يعني من غرم ذلك الأجر مثقلون، قد أثقلهم القيام بأدائه، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك، وتجنبوا لعظم ما أصابهن من ثقل الغرم الذي سألتهم على ذلك الدخول في الذي دعوتهم إليه من الدين.

وقوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الأيمان به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا أَنْ تَدَّارِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَا يَذُرُهَا الْعَرَاءُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٧٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يشنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ الذي حبسه في بطنه، وهو يونس بن متى ﷺ فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه. ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: إذ نادى وهو مغموم، قد أثقله الغم وكظمه، كما:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: مغموم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مَكْظُومٌ﴾ قال: مغموم.

وكان قتادة يقول في قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: لا تكن مثله في العجلة والغضب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: لا تعجل كما عجل، ولا تغضب كما غضب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه، فرحمه بها، وتاب عليه من مغاضبته ربه ﴿لَتُنْبِتُ بِالْعَرَاءِ﴾ وهو الفضاء من الأرض: ومنه قول قيس بن جعدة:

وَرَفَعْتُ رِجْلًا لَا أَحَافَ عِشَارَهَا وَتَبَدَّتْ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي^(١)
﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ فقال بعضهم: معناه وهو مليم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يقول: وهو مليم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهو مذنب

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه عن بكر ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ قال: هو مذنب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاجْتَبَىٰ رَبُّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَحْزُونُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا هُمْ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فاجتبي صاحب الحوت ربه، يعني اصطفاه واختاره لنبوته ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم، المتهمين عما نهاهم عنه.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يكاد الذين كفروا يا محمد يُنْقِذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ من شدة عداوتهم لك ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظاً عليك. وقد قيل: إنه عني بذلك: وإن كان الذين كفروا مما عانوك بأبصارهم ليرمون بك يا

(١) البيت: من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى: ﴿النبت بالعراء﴾ قال: لا تقي بوجه الأرض. قال رجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة أحد الفراريين:

ورفـعـت رـجـلاً.....

محمد، ويصرعونك، كما تقول العرب: كاد فلان يصرعني بشدة نظره إليّ قالوا: وإنما كانت قريش عانوا لمجنون، فقال الله لنبيه عند ذلك: وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذُّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾. وينحو الذي قلنا في معنى ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُزَيْب، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَأَنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذُّكْرَ﴾ يقول: ينفذونك بأبصارهم من شدة النظر، يقول ابن عباس: يقال للسهم: زهق السهم أو زلق.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يقول: لينفذونك بأبصارهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَأَنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يقول: ليزهقونك بأبصارهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا معاوية، عن إبراهيم، عن عبد الله أنه كان يقرأ: ﴿وَأَنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّ قُنُوكَ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ﴾ قال: لينفذونك بأبصارهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال: ليزهقونك، وقال الكلبي ليصرعونك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ لينفذونك بأبصارهم معادة لكتاب الله، ولذكر الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأَنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يقول: ينفذونك بأبصارهم من العداوة والبغضاء.

واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة «لَيَزِلُّ قُنُوكَ» بفتح الياء من زلفته أزلقه زلقاً. وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة «لَيَزِلُّ قُنُوكَ» بضم الياء من أزلقه يُزْلِقُه.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان في العرب متقاربتا المعنى والعرب تقول للذي يحلق الرأس: قد أزلقه وزلقه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ يقول: لما سمعوا كتاب الله يتلى ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم إن محمداً لمجنون، وهذا الذي جاءنا به من الهديان الذي يَهْدِي به في جنونه ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ وما محمد إلا ذَكَرَ ذَكَرَ الله به العالمين الثقلين الجن والإنس.

آخر تفسير سورة ن والقلم

في قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ يعني القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ و ﴿القَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ و ﴿الْوَاقِعَةُ﴾ و ﴿الطَّامَّةُ﴾ و ﴿الصَّاحَّةُ﴾ قال: هذا كله يوم القيامة الساعة، وقرأ قول الله: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ والخافضة من هؤلاء أيضاً خفضت أهل النار، ولا نعلم أحداً أخفض من أهل النار، ولا أذل ولا أخزى ورفعت أهل الجنة، ولا نعلم أحداً أشرف من أهل الجنة ولا أكرم. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وأي شيء أدراك وعزفك أي شيء الحاقة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان قال: ما في القرآن «وما يدريك» فلم يخبره، وما كان «وما أدراك»، فقد أخبره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ تعظيماً ليوم القيامة كما تسمعون.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود بالساعة التي تفرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم. والقارعة أيضاً: اسم من أسماء القيامة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أي بالساعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ قال: القارعة: يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَمَّا كُورًا بِالطَّاعِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَوَّارٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لُجَالٍ وَتَمَنِيَةَ أَتَانٍ حُسُومًا فَفَرَقَ الْقَوْمَ فِيهَا فَفَرَّ عَنَّا كَانَتْهُمْ آفَاجٌ نَحْلٌ حَارِيبٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ﴾ قوم صالح، فأهلكهم الله بالطاغية.

واختلف في معنى الطاغية التي أهلك الله بها ثمود أهل التأويل، فقال بعضهم: هي طغيانهم وكفرهم بالله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: بالذنوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ فقرأ قول الله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ وقال: هذه الطاغية طغيانهم وكفرهم بآيات الله. الطاغية طغيانهم الذي طغوا في معاصي الله وخلاف كتاب الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة التي قد تجاوزت مقادير الصباح وطغت عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ بعث الله عليهم صيحة فأهدتهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهدتهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت.

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصف مع شدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ يقول: عتت على خزائنها في الهبوب، فتجاوزت في الشدة والعصف مقاديرها المعروف في الهبوب والبرد. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يقول: بريح مهلكة باردة، عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة، دائمة لا تفتّر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ والصرصر الباردة عنت عليهم حتى نقتت عن أفئدتهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن المسيب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال ولا أنزل قطرة قط إلا بمئقال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ وإن الريح عنت على خزائنا فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا أبو سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: «لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الجبال فخرج، فذلك قول الله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزان، فخرجت، وذلك قول الله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عنت على الخزان».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ قال: الصرصر: الشديدة، والعاتية: القاهرة التي عنت عليهم فقهرتهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿صَرْصَرٍ﴾ قال: شديدة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ يعني: باردة عاتية، عنت عليهم بلا رحمة ولا بركة.

وقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يقول تعالى ذكره: سخر تلك الرياح على عاد سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فقال بعضهم: غنى بذلك تباعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وِثْمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يقول: تباعاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿حُسُوماً﴾ قال: متتابعة.

حدثنا ابن حميد، قال حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود ﴿وَأَمَّا أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود مثل حديث محمد بن عمرو.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله ﴿حُسُوماً﴾ قال: تباعاً.

قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، في قوله: ﴿حُسُوماً﴾ قال: تباعاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية ﴿وَأَمَّا أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة.

حدثنا نصر بن علي، قال: ثني أبي، قال: ثنا خالد بن قيس، عن قتادة ﴿وَأَمَّا أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة ليس لها فترة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَأَمَّا أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة ليس فيه تفتير.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿حُسُوماً﴾ قال: دائمات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَةَ، عن ابن مسعود ﴿أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان قال: قال مجاهد: ﴿أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: تباعاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿أَيَّامُ حُسُوماً﴾ قال: متتابعة، و ﴿أَيَّامُ نَحْسَاتٍ﴾ قال: مشائيم.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿حُسُوماً﴾ الريح، وأنها تحسم كل شيء، فلا تبقي من عاد أحداً، وجعل هذه الحسوم من صفة الريح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَمَّا يَوْمَ يَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾ قال: أحسم هذا الأمر قال: وكان فيهم ثمانية لهم خلق يذهب بهم في كل مذهب قال: قال موسى بن عقبة: فلما جاءهم العذاب قالوا: قوموا بنا نرد هذا العذاب عن قومنا قال: فقاموا وصفوا في الوادي، فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحداً، وقرأ قول الله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ حتى بلغ: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ قال: فإن كانت الريح لتمر بالظعينة فتستدبرها وحمولتها، ثم تذهب بهم في السماء، ثم تكبهم على الرؤوس، وقرأ قول الله: فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا قال: وكان أمسك عنهم المطر، فقرأ حتى بلغ: ﴿تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ قال: وما كانت الريح تقلع من أولئك الثمانية كل يوم إلا واحداً قال: فلما عذب الله قوم عاد، أبقى الله واحداً ينذر الناس، قال: فكانت امرأة قد رأت قومها، فقالوا لها: أنت أيضاً، قالت: تنحيت على الجبل قال: وقد قيل لها بعد: أنت قد سلمت وقد رأيت، فكيف لا رأيت عذاب الله؟ قالت: ما أدري غير أن أسلم ليلة ليلة لا ريح.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بقوله ﴿حُسُومًا﴾ متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وكان بعض أهل العربية يقول: الحسوم: التباع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه حسوم قال: وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء: إذا كوى صاحبه، لأنه لحم يكوى بالمكواة، ثم يتابع عليه.

وقوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ يقول: فترى يا محمد قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام الحسوم صرعى قد هلكوا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ يقول: كأنهم أصول نخل قد خوت، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: وهي أصول النخل.

وقوله: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره لبيبه محمد ﷺ: فهل ترى يا محمد لعاد قوم هود من بقاء. وقيل: عني بذلك: فهل ترى منهم باقياً. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من البصريين يقول: معنى ذلك: فهل ترى لهم من بقية، ويقول: مجازها مجاز الطاغية مصدر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَرْجُونَ مِنْ بَعْدِهَا وَمَنْ فَأَلَمَتْهُ الْفَلَاحَةُ ﴿١٤﴾ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَصْدَةً رَابِعَةً ﴿١٥﴾ إِنَّا لَنَّا ظَمْنَا لَكُمْ الْكَوْبَةَ فِي اللَّيْلِ ﴿١٦﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرًا وَنَعْمًا أَدْنَىٰ رَابِعَةً ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ مصر. واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ومكة خلا الكسائي: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء، بمعنى: وجاء من قبل فرعون من الأمم المكذبة بآيات الله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بالخطيئة. وقرأ ذلك عامة قراء البصرة والكسائي: ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى: وجاء مع فرعون من أهل بلده مصر من القبط.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ يقول: والقرى التي اتفكت بأهلها فصار عاليها سافلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ يعني بالخطيئة. وكانت خطيئتها: إتيانها الذكران في أدبارهم. وينحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قرية لوط. وفي بعض القراء: «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ قال: المؤتفكات: قوم لوط، ومدينتهم وزرعهم، وفي قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ أَهْوَى﴾ قال: أهواها من السماء: رمى بها من السماء أوحى الله إلى جبريل عليه السلام، فاقتلعها من الأرض، ريضها ومدينتها، ثم هوى بها إلى السماء ثم قلبهم إلى الأرض، ثم أتبعهم الصخر حجارة، وقرأ قول الله: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً﴾ قال: المسومة: المعدة للعذاب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ يعني المكذبين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ هم قوم لوط، اتفكت بهم أرضهم.

وبما قلنا في قوله: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ قال: الخطايا.

وقوله: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ يقول: فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة، يعني أخذة زائدة شديدة نامية، من قولهم: أربيت: إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا يقال: أربيت قريباً رباك، والفضة والذهب قد ربوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ قال: شديدة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ يعني أخذة شديدة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ قال: كما يكون في الخير رابية كذلك يكون في الشر رابية، قال: ربا عليهم: زاد عليهم، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ يقول: ربا لهؤلاء الخير ولهؤلاء الشر.

وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا لما كثر الماء فتجاوز حده المعروف، كان له، وذلك زمن الطوفان.

وقيل: إنه زاد فعلاً فوق كل شيء بقدر خمس عشرة ذراعاً.

ذكر من قال ذلك، ومن قال في قوله: ﴿طَغَى﴾ مثل قولنا:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ قال: بلغنا أنه طغى فوق كل شيء خمس عشرة ذراعاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ذاكم زمن نوح طغى الماء على كل شيء خمس عشرة ذراعاً بقدر كل شيء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ قال: لم تنزل من السماء قطرة إلا

بعلم الخزان، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله، فطغى على الخزان، فخرج ما لا يعلمون ما هو.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ إنما يقول: لما كثر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ يعني كثر الماء ليالي غرق الله قوم نوح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ﴾ قال محمد بن عمرو في حديثه: طما وقال الحارث: ظهر.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، عن الضحاك، في قوله: ﴿لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾: كثر وارتفع.

وقوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يقول: حملناكم في السفينة التي تجري في الماء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الجارية: السفينة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ والجارية: سفينة نوح التي حملتم فيها.

وقيل: حملناكم، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده، لأن الذين خاطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملاً لذريتهم على ما قد بينا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا.

وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يقول: لنجعل السفينة الجارية التي حملناكم فيها لكم تذكرة، يعني عبرة وموعظة تتعظون بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رماداً.

وقوله: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ يعني حافظة عقلت عن الله ما سمعت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ يقول: حافظة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ يقول: سامعة، وذلك الإعلان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا خالد بن قيس، عن قتادة ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ قال: أذن عقلت عن الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ أذن عقلت عن الله، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ قال: أذن سمعت، وعقلت ما سمعت.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: الضحاك يقول في قوله: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن عليّ بن حوشب، قال: سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ ثم التفت إلى عليّ، فقال: «سألت الله أن يجعلها أذنك»، قال عليّ رضي الله عنه: فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فنسيته.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثني بشر بن آدم، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، قال: ثني عبد الله بن رستم، قال: سمعت بُرَيْدَةَ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ: «يا عليّ إن الله أمرني أن أذنبك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي»، قال: فنزلت ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا الحسن بن حماد، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي عن فضيل بن عبد الله، عن أبي داود، عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ: «إن الله أمرني أن أعلمك وأن أذنبك ولا أجفوك ولا أقصيك»، ثم ذكر مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ

وَأَعِيَّةٌ ﴿١١﴾ قال: واعية يحذرون معاصي الله أن يعذبهم الله عليها، كما عذب من كان قبلهم تسمعا فتعياها، إنما تعي القلوب ما تسمع الأذان من الخير والشر من باب الوعي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿١٢﴾ وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ إسرافيل ﴿نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ وهي النفخة الأولى، ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: فزلزلنا زلزلة واحدة.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: صارت غباراً.

وقيل: ﴿فَدُكَّتَا﴾ وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد، كما قال الشاعر:

هُمَا سَيِّدَانِ يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِ إِنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا^(١)

وكما قيل: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَأَنَّ رَتْقًا﴾. ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يقول جل ثناؤه: فيومئذ وقعت الصيحة الساعة، وقامت القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَسْمَتِ السَّمَاءَ فِي يَوْمِئِذٍ وَهَيْبَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّتَّبِعَةً ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تَعْرَمُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

(١) نسب البيت صاحب «اللسان» (يسر) والعيني في شرح شواهد الألفية إلى أبي أسيدة الديبري. وأنشد في «اللسان» قبله بيتاً آخر، وهو:

إِنَّ لَنَا شَيْخَيْنِ لَا يَنْفَعَانِنَا غَنِيَيْنِ لَا يُجِدِي عَلَيْنَا غَنَاهُمَا

أي ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غنماهما، أي كثرت وكثرت ألبانها ونسلها، والسؤدد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التدبير والحلم، وليس عندهما من ذلك شيء. واستشهد المؤلف بالبيت على أن الشاعر قال: غنماهما بلفظ الثنية للغنم، مع أن الغنم اسم للجمع، وليس بمفرد، ولكنه عامله معاملة المفرد، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ في حكم المفرد كالأرض، ولذلك قال: فدكنا، ولم يقل فدككن. ا هـ. وفي البيت شاهد آخر عند النحويين في باب إلغاء عمل ظن وأفعال القلوب إذا تأخرت عن معموليهما ولو تقدمت عليهما لعملت فيهما النصب.

يقول تعالى ذكره: وانصدعت السماء ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يقول: منشفة متصدعة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صف ثم نزل الملك الأعلى على مجنّبه اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ وذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وذلك قوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يعني: متمزقة ضعيفة.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتهما. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يقول: والملك على حافات السماء حين تشقق ويقال: على شقة، كل شيء تشقق عنه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ قال: أطرافها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ قال: على حافات السماء.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: قلت للضحاك: ما أرجاؤها، قال: حافاتهما.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثني سعيد: عن قتادة **﴿والمَلِكُ على أَرْجَائِهَا﴾** على حافاتها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر **﴿والمَلِكُ على أَرْجَائِهَا﴾** قال: بلغني أنها أقطارها، قال قتادة: على نواحيها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿والمَلِكُ على أَرْجَائِهَا﴾** قال: نواحيها.

حدثني الجارث، قال: ثنا الأشيب، قال: ثنا ورقاء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن المسيب: الأرجاء حافات السماء.

قال: ثنا الأشيب، قال: ثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير **﴿والمَلِكُ على أَرْجَائِهَا﴾** قال: على ما لم يه منها.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا حسين الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله **﴿والمَلِكُ على أَرْجَائِهَا﴾** قال: على ما لم يه منها.

وقوله: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** اختلف أهل التأويل في الذي عنى بقوله **﴿ثَمَانِيَةٌ﴾** فقال بعضهم: عنى به ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهن إلا الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق عن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك عن ابن عباس: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** قال: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** قال: هي الصفوف من وراء الصفوف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** قال: ثمانية صفوف من الملائكة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** قال بعضهم: ثمانية صفوف لا يعلم عدتهن إلا الله. وقال بعضهم: ثمانية أملاك على خلق الوعدة.

وقال آخرون: بل عنى به ثمانية أملاك.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية أملاك، وقال: قال رسول الله ﷺ: «يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ»، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَقْدَامَهُمْ لَفِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَإِنَّ مَنَاكِبَهُمْ لَخَارِجَةٌ مِنَ السَّمَوَاتِ عَلَيْهَا الْعَرْشُ» قال ابن زيد: الأربعة، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَهُمُ اللَّهُ قَالَ: تَذَرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ؟ قَالُوا: خَلَقْتَنَا رَبَّنَا لِمَا تَشَاءُ، قَالَ لَهُمْ: تَحْمِلُونَ عَرْشِي، ثُمَّ قَالَ: سَلُونِي مِنَ الْقُوَّةِ مَا شِئْتُمْ أَجْعَلُهَا فِيكُمْ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: قَدْ كَانَ عَرْشُ رَبَّنَا عَلَى الْمَاءِ، فَاجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْمَاءِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْمَاءِ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ السَّمَوَاتِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْأَرْضِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الرِّيَّاحِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الرِّيَّاحِ ثُمَّ قَالَ: اخْمَلُوا، فَوَضَعُوا الْعَرْشَ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ، فَلَمْ يَزُولُوا قَالَ: فَجَاءَ عِلْمٌ آخَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ عِلْمُهُمُ الَّذِي سَأَلُوهُ الْقُوَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ يَتَلَعَّهُ عِلْمُهُمْ، فَحَمَلُوا».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «هُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ»، يعني حملة العرش «وَأَذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ آيْدُهُمُ اللَّهُ بِأَرْبَعَةِ آخِرِينَ فَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ميسرة، قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور: وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ أيها الناس تعرضون على ربكم، وقيل: تعرضون ثلاث عرضات.

نكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي، قال: ثنا وكيع بن الجراح، قال: ثنا علي بن علي الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى الأشعري، قال: «تعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداول ومعاذير. وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله».

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سليمان بن حيان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل عن عبد الله، قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان

معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يُعرضُ الناس ثلاث عرضات يوم القيامة، فأما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال. وأما العرضة الثالثة فتطير الصحف في الأيدي».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

وقوله: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يقول جل ثناؤه: لا تخفى على الله منكم خافية، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْكَلَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ﴿١٧﴾ إِنْ لَدَيْهِ آيٌ مِّمَّنْ حِسَابِهِ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله يمينه، فيقول تعالى ﴿أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾، كما:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ قال: تعالوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان بعض أهل العلم يقول: وجدت أكيس الناس من قال: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾.

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ يقول: أني علمت أني ملاق حسابه إذا وردت يوم القيامة على ربي. وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ يقول: أيقنت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾: ظنّ ظناً يقيناً، فنفعه الله بظنه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ قال: إن الظنّ من المؤمن يقين، وإن «عسى» من الله واجب ﴿فَعَسَى أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ فَعَسَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ

حِسَابِيَّةٌ ﴿٢١﴾ قال: ما كان من ظنّ الآخرة فهو علم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، قال: كلّ ظنّ في القرآن ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ يقول: أي علمت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَهْرًا فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةً ﴿٢١﴾ فِي حِكْمَةٍ عَلِيَّةٍ ﴿٢٢﴾ فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ﴿٢٤﴾ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فالذي وصفت أمره، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه، في عيشة مرضية، أو عيشة فيها الرضا، فوصفت العيشة بالرضا وهي مرضية، لأن ذلك مدح للعيشة، والعرب تفعل ذلك في المدح والذم فتقول: هذا ليل نائم، وسرّ كاتم، وماء دافق، فيوجهون الفعل إليه، وهو في الأصل مفعول لما يراد من المدح أو الذم، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب مضروب، ولا للمضروب ضارب، لأنه لا مدح فيه ولا ذم.

وقوله: ﴿فِي حِكْمَةٍ عَلِيَّةٍ﴾ يقول: في بستان عال رفيع، و «في» من قوله ﴿فِي حِكْمَةٍ﴾ من صلة عيشة. وقوله: ﴿فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾ يقول: ما يقطف من الجنة من ثمارها دان قريب من قاطفه.

وذكر أن الذي يريد ثمرها يتناوله كيف شاء قائماً وقاعداً، لا يمنعه منه بُعد، ولا يحول بينه وبينه شوك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول في هذه الآية ﴿فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾ قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾: دنت فلا يرذ أيديهم عنها بعد ولا شوك.

وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ يقول لهم ربهم جل ثناؤه: كلوا معشر من رضيت عنه، فأدخلته جنتي من ثمارها، وطيب ما فيها من الأطعمة، واشربوا من أشربتها، ﴿هَنِيئًا لَكُمْ﴾ لا تتأذون بما تأكلون، ولا بما تشربون، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ يقول: كلوا واشربوا هنيئاً: جزاء من الله لكم، وثواباً بما أسلفتم، أو على ما أسلفتم: أي على ما قدمتم في دنياكم. لآخرتكم من العمل بطاعة الله في الأيام الخالية، يقول: في أيام الدنيا التي خلّت فمضت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ إن أيامكم هذه أيام خالية: هي أيام فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا فيها خيراً إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ قال: أيام الدنيا بما عملوا فيها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَ كَنَّتَ بِشَمَائِلِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَرَأْتُ كَلِمَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَرَأَى مَا حَسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وأما من أعطي يومئذ كتاب أعماله بشماله، فيقول: يا ليتني لم أعط كتابيه، ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسَابِيَةَ﴾ يقول: ولم أدر أي شيء حسابه.

وقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ يقول: يا ليت الموتة التي منها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث والقضاء: هو الفراغ. وقيل: إنه تمنى الموت الذي يقضى عليه، فتخرج منه نفسه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ تمنى الموت، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ الموت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢٩﴾ حُدُّوهَ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرَىٰ الْجَحِيمَ سَوُوهُ ﴿٣١﴾ تَرَىٰ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعًا سَتَعُونَ ذِرَاعًا فَاتَّسَلَكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَوْمِنَ إِلَّا اللَّهُ الْمَطْمَئِنِينَ ﴿٣٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذي أوتي كتابه بشماله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ﴾ يعني أنه لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئاً ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ﴾ يقول: ذهبت عني حججي، وضلت، فلا حجة لي أحتج بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، مقال: **ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس** ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ يقول: ضلت عنى كلّ بيته فلم تغن عنى شيئاً.

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن النضر بن عربي، قال: سمعت عكرمة يقول: ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قال: حُجّتي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قال: حُجّتي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجيبها، ولكن الله خلقهم، وسلطهم على أقرانهم، وأمرهم بطاعة الله، ونهاهم عن معصية الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ يقول: بيتي ضلّت عنى. وقال آخرون: عنى بالسلطان في هذا الموضع: الملك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قال: سلطان الدنيا.

وقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ يقول تعالى ذكره لملائكته من خزّان جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ﴾ يقول: ثم في جهنم أوردوه ليصلى فيها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ يقول: ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً يذراع الله أعلم بقدر طولها. وقيل: إنها تدخل في دُبره، ثم تخرج من منخريره. وقال بعضهم: تدخل في فيه، وتخرج من دبره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق، قال: سمعت نَوْفًا يقول: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ قال: كلّ ذراع سبعون باعاً، الباع: أبعد ما بينك وبين مكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثني نسير، قال: سمعت نَوْفًا يقول في رحبة الكوفة في إمارة مصعب بن الزبير في قوله ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ قال: الذراع: سبعون باعاً، الباع: أبعد ما بينك وبين مكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن نسير بن ذعلوق أبي طعمة، عن نوف البكالي **﴿في سِلْسِلَةٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾** قال: كلُّ ذراع سبعون باعاً، كلُّ باع أبعد مما بينك وبين مكة وهو يومئذٍ في مسجد الكوفة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿في سِلْسِلَةٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسلُكُوهُ﴾** قال: بذراع الملك فاسلكوه، قال: تسلك في دُبره حتى تخرج من منخره، حتى لا يقوم على رجله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشير المنقري، قال: ثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السمع، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى جَمْعَةٍ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السُّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَضْلَهَا»**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن ابن المبارك، عن مجاهد، عن جُوَيْر، عن الضحاك، **﴿فاسلُكُوهُ﴾** قال: السلك: أن تدخل السلسلة في فيه، وتخرج من دبره.

وقيل: **﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسلُكُوهُ﴾** وإنما تسلك السلسلة في فيه، كما قالت العرب: أدخلت رأسي في القلنسوة، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس، وكما قال الأعشى:

إِذَا مَا السَّرَابُ ارْتَدَى بِالْأَكْمِ^(١)

وإنما يرتدي الأكم بالسراب وما أشبه ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه، وإنه لا يشكل على سامعه ما أراد قائله.

(١) هذا عجز بيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة، من قصيدة له يمدح بها قيس بن معد يكرب ٣٥ وما بعدها ورواية البيت كله كما في الديوان:

غَضُوبٌ مِنَ السَّيْفِ رِيَاقَةٌ إِذَا مَا ارْتَدَى بِالسَّرَابِ الْأَكْمِ

وعلى رواية المؤلف يكون في البيت قلب، لأن المعنى: إذا ارتدى الأكم بالسراب، كما في رواية الديوان. وأما على رواية الديوان فلا قلب. وقد جعل المؤلف على روايته القلب في البيت نظير ما في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسلُكُوهُ﴾** قال: تسلك السلسلة في فيه، كما قالت العرب: أدخلت رأسي في القلنسوة، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه، وأنه لا يشكل على سامعه ما أراد قائله هـ.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا، إنه كان لا يصدّق بوحدانية الله العظيم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هذا الشقي الذي أوتي كتابه بشماله: إنه كان في الدنيا لا يحضّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة.

وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فليس له اليوم وذلك يوم القيامة ها هنا، يعني في الدار الآخرة حميم، يعني قريب يدفع عنه، ويغيثه مما هو فيه من البلاء، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ﴾ القريب في كلام العرب ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا له طعام كما كان لا يحضّ في الدنيا على طعام المسكين، إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: كلّ جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين، فعلى من الغسل من الجراح والدّبر، وزيد فيه الباء والنون بمنزلة عفرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ صديد أهل النار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ قال: ما يخرج من لحومهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ شرّ الطعام وأخبثه وأبشعه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ قال: الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو.

وقوله: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ﴾ يقول: لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون، وهم المذنبون الذين ذنوبهم كفر بالله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (١٢٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (١٢٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٣٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ (١٣١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (١٣٢)﴾

يقول تعالى ذكره: فلا، ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسله، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها، والتي لا تبصرون. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ قال: أقسم بالأشياء، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: بما ترون وبما لا ترون.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن رسول كريم، وهو محمد ﷺ يتلوه عليهم.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما هذا القرآن بقول شاعر لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر، فتقولوا هو شعر ﴿قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ يقول: تصدقون قليلاً به أنتم، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ يقول: ولا هو بقول كاهن، لأن محمداً ليس بكاهن، فتقولوا: هو من سجع الكهان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ يقول: تعظون به أنتم، قليلاً ما تعتبرون به. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ طهره الله من ذلك وعصمه ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ طهره الله من الكهانة، وعصمه منها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ .

يقول تعالى ذكره: ولكنه ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزل عليه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ محمد بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ الباطلة، وتكذب علينا ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ يقول: لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب. وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها.

وقد قيل: إن معنى قوله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه قالوا: وإنما ذلك مثل، ومعناه: إنا كنا نذله ونهينه، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين قالوا: وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه، خذ بيده فأقمه، وافعل به كذا وكذا قالوا: وكذلك معنى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: أي لأهناه كالذي يفعل بالذي وصفنا حاله. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿الْوَتِينَ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال: نياط القلب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عطاء، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس بمثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، قال: قال ابن عباس ﴿الْوَتِينَ﴾: نياط القلب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن سعيد بن جبيرة بمثله.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ يقول: عرق القلب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ يعني: عرقاً في القلب، ويقال: هو حبل في القلب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْوَتِينَ﴾ قال: حبل القلب الذي في الظهر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال: حبل القلب.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وتين القلب: وهو عرق يكون في القلب، فإذا قطع مات الإنسان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال: الوتين: نياط القلب الذي القلب متعلق به، وإياه عنى الشماخ بن ضرار التغلبي بقوله:

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةً فَاشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ^(١)

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾ (٤٧) ﴿وَلَهُ لَذِكْرُ الْمُنْفِقِينَ﴾ (٤٨) ﴿وَإِنَّا لَعَلَّمْنَا أَن مِّنكُمْ مَكِيدِينَ﴾ (٤٩) ﴿وَلَهُ لِحِسْرَةُ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَلَهُ لِحَقُّ النَّهْيِ﴾ (٥١) ﴿فَسَجَّ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

يقول تعالى ذكره: فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد لو تقول علينا بعض الأقاويل، فأخذنا منه باليمين، ثم لقطنا منه الوتين، حاجزين يحجزونا عن عقوبته، وما نفعله به. وقيل: حاجزين، فجمع، وهو فعل لأحد، وأحد في لفظ واحد رداً على معناه، لأن معناه الجمع، والعرب تجعل أحداً للواحد والاثنين والجمع، كما قيل ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ وبين: لا

(١) البيت للشماخ بن ضرار التغلبي (ديوانه طبع القاهرة ٩٢) من قصيدة يمدح بها عرابية بن أوس بن قيطي، وكان هو وأبوه من الصحابة، وكان عرابية مشهوراً بالكرم. وعرابية منصوب مفعول ثانٍ لبلغتني. والوتين: قال: أبو عبيدة نياط القلب. وأنشد بيت الشماخ (الورقة ١٨٠) وفي «اللسان» الوتين: عرق في القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

تقع إلا على اثنين فصاعداً.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لتذكرة، يعني عظة يتذكر به، ويتعظ به للمتقين، وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: القرآن.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مَّكَذِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا لنعلم أن منكم مكذبين أيها الناس بهذا القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ذاكم يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ يقول: وإنه للحق اليقين الذين لا شك فيه أنه من عند الله، لم يتقوله محمد ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ بذكر ربك وتسميته العظيم، الذي كل شيء في عظمته صغير.

آخر تفسير سورة الحاقة

(٧٠) سورة المحارج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْعَمَارِ ﴿٣﴾ تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا حَسِيلًا ﴿٥﴾﴾

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فقرأه عامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بهمز سأل سائل، بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله، بمن هو واقع وقرأ ذلك بعض قراء المدينة: «سال سائل» فلم يهزم سأل، ووجهه إلى أنه فعل من السيل.

والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بالهمز لإجماع الحجة من القراء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمز تأولوه. ذكر من تأول ذلك كذلك، وقال تأويله نحو قولنا فيه:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾ الآية، قال ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قول الله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال: دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾: يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: سأل عذاب الله أقوام، فبين الله على من يقع على الكافرين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال: سأل عن عذاب واقع، فقال الله: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾. وأما الذين قرأوا ذلك بغير همز، فإنهم قالوا: السائل واد من أودية جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» قال: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له سائل. وقوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم.

ومعنى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على الكافرين، كالذي:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: واقع على الكافرين واللام في قوله ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ من صلة الواقع.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم.

وقوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يقول: العلو والفواضل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾: ذي الفواضل والنعم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال معارج السماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال: الله ذو المعارج.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾** قال: ذي الدرجات.

وقوله: **﴿تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** يقول تعالى ذكره: تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل عليه السلام إليه، يعني إلى الله جلّ وعزّ والهاء في قوله: **﴿إِلَيْهِ﴾** عائدة على اسم الله **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** يقول: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عمرو بن معروف، عن ليث، عن مجاهد **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة، يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض، مسيرة خمس مئة عام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه، كان قدر ذلك اليوم الذي فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن عكرمة **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: في يوم واحد يفرغ في ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن عكرمة **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: يوم القيامة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة في هذه الآية **﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**: ذاكم يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد،

قال معمر: وبلغني أيضاً، عن عكرمة، في قوله: ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لا يدري أحدكم مضى، ولا كم بقي إلا الله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعني يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هذا يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن سعيد، أنه قال لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا فقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لِيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيَهَا فِي الدُّنْيَا».

وقد روي عن ابن عباس في ذلك غير القول الذي ذكرنا عنه، وذلك ما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن يوم مقداره ألف سنة، قال: فاتهمه، فقبل له فيه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، فقال: هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم.

وقرأت عامة قراء الأمصار قوله: ﴿تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ بالتاء خلا الكسائي، فإنه كان يقرأ ذلك بالياء بخير كان يرويه عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك كذلك.

والصواب من قراءة ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وهو بالتاء لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله ﴿فَاضْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: فاصبر صبراً جميلاً، يعني: صبراً لا جزع فيه. يقول له: اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك، ولا يثنيك ما تلقى منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَاضْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ قال: هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم لا يكافئهم، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم أمر بالشدة والقتل حتى يتركوا، ونسخ هذا.

وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أمر بالعفو بهذه الآية، ثم نسخ ذلك قول لا وجه له، لأنه لا دلالة على صحة ما قال من بعض الأوجه التي تصح منها الدعاء، وليس في أمر الله نبيه ﷺ في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمراً منه له به في بعض الأحوال، بل كان ذلك أمراً من الله له به في كل الأحوال، لأنه لم يزل ﷺ من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه في أذى منهم، وهو في كل ذلك صابر على ما يلقي منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم، وبعد إذنه له بذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۝ بَصُرْتُمْ﴾

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين يرون العذاب الذي سألوها عنه، الواقع عليهم بعيداً وقوعه، وإنما أخبر جل ثناؤه أنهم يرون ذلك بعيداً، لأنهم كانوا لا يصدقون به، وينكرون البعث بعد الممات، والثواب والعقاب، فقال: إنهم يرونه غير واقع، ونحن نراه قريباً، لأنه كائن، وكل ما هو آت قريب.

والهاء والميم من قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ من ذكر الكافرين، والهاء من قوله: ﴿يَرَوْنَهُ﴾ من ذكر العذاب.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم تكون السماء كالشيء المذاب، وقد بينت معنى المهل فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين فيه، وذكرنا ما قال فيه السلف، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ قال: كَعَكْرِ الزَّيْتِ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ تتحوّل يومئذٍ لوناً آخر إلى الحمرة.

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ يقول: وتكون الجبال كالصوف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف.

وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس.

وقوله: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالهاء والميم في قوله ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك الأقرباء أنهم يعرفون أقرباءهم، ويعرف كل إنسان قريبه، فذلك تبصير الله إياهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عبي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ قال: يعرف بعضهم بعضاً، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض، يقول: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يعرفونهم يعلمون، والله ليعرفن قوم قوماً، وأناس أناساً.

وقال آخرون: بل عني بذلك المؤمنون أنهم يبصرون الكفار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ المؤمنون يبصرون الكافرين.

وقال آخرون: بل عني بذلك الكفار الذين كانوا أتباعاً لآخرين في الدنيا على الكفر، أنهم يعرفون المتبوعين في النار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ قال: يبصرون الذين أضلّوهم في الدنيا في النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميماً عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ تلا قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار سوى أبي جعفر القاريء وشيبة بفتح الياء وقرأه أبو جعفر وشيبة: «وَلَا يُسْتَلُّ» بضم الياء، يعني: لا يقال لحميم أين حميمك؟ ولا يطلب بعضهم من بعض.

والصواب من القراءة عندنا فتح الياء، بمعنى: لا يسأل الناس بعضهم بعضاً عن شأنه، لصحة معنى ذلك، ولإجماع الحجة من القراءة عليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ الْمُحْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ ۙ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۙ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ۙ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا تُمِيطُهُ ۙ﴾

يقول تعالى ذكره: يوم الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم بينه وصاحبه، وهي زوجته، وأخيه وفضيلته، وهم عشيرته التي تؤويه، يعني التي تضمه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته، لقربة ما بينها وبينه، وبمن في الأرض جميعاً من الخلق، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم. وبدأ جلّ ثناؤه بذكر البنين، ثم الصحابة، ثم الأخ، إعلماً منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس

إليه، كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَذُ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَيْدِ بَيْنِيهِ وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ الأحبّ فالأحبّ، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ قال: قبيلته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَصَاحِبِيهِ﴾ قال: الصاحبة الزوجة ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ قال: فصيلته: عشيرته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّمَا لَطَىٰ ۙ (١٥) نَزَاعَةَ لَشْوَىٰ (١٦) تَدْعُوا مِنْ أَدْرٍ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨)﴾

يقول تعالى ذكره: كلا ليس ذلك كذلك، ليس ينجيه من عذاب الله شيء. ثم ابتدأ الخبر عما أعده له هنالك جل ثناؤه، فقال: ﴿إِنَّمَا لَطَىٰ﴾ ولطى: اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم يجز.

واختلف أهل العربية في موضعها، فقال بعض نحويي البصرة: موضعها نصب على البدل من الهاء، وخبر إن: ﴿نَزَاعَةَ﴾ قال: وإن شئت جعلت لظى رفعاً على خبر إن، ورفعت ﴿نَزَاعَةَ﴾ على الابتداء. وقال بعض من أنكر ذلك: لا ينبغي أن يتبع الظاهر الممكن إلا في الشذوذ قال: والاختيار ﴿إِنَّمَا لَطَىٰ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ لظى: الخبر، ونزاعة: حال، قال: ومن رفع استأنف، لأنه مدح أو ذم قال: ولا تكون ابتداء إلا كذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ﴿لَطَىٰ﴾ الخبر، و ﴿نَزَاعَةَ﴾ ابتداء، فذلك رفع، ولا يجوز النصب في القراءة لإجماع قراء الأمصار على رفعها، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب وإن كان للنصب في العربية وجه وقد يجوز أن تكون الهاء من قوله ﴿إنها﴾ عماداً، ولظى مرفوعة بنزاعة، ونزاعة بلظى، كما يقال: إنها هند قائمة، وإنه هند قائمة، فالهاء عماد في الوجهين.

وقوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن لظى إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن والشَّوَى: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمى فأشوى: إذا لم يصب مقتلاً، وربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى:

قَالَتْ قَتَيْلَةُ مَالَهُ قَدْ جُلِّتْ شَيْبًا شَوَاتُهُ^(١)

وربما وصف بذلك الساق كقولهم في صفة الفرس:

عَبْلُ الشَّوَى نَهْدُ الْجُزَارَةِ^(٢)

يعني بذلك: قوائمه، وأصل ذلك كله ما وصفت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن

(١) البيت في ديوان الأعشى (طبعة فينا ٢٣٨) قال وهو مما نسب إلى الأعشى وليس في ديوانه. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٠). قال: الشوى، واحدها شواة، وهي اليدان والرجلان والرأس من الأدميين؛ قال الأعشى:

«قَالَتْ قَتَيْلَةُ.....»

البيت». وفي «اللسان» شوى قال الفراء: في قوله تعالى: كلا إنها لظى، نزاعة للشوى قال: الشوى: اليدان والرجلان، وأطراف الأصابع وقحف الرأس. وجلدة الرأس يقال لها شواة. وقال الزجاج: الشوى: جمع الشواة وهي جمع الشواة وهي جلدة الرأس، وأنشد:

«قَالَتْ قَتَيْلَةُ مَالَهُ...»

البيت».

(٢) هذا عجز بيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة من قصيدة من مجزوء الكامل يهجو شيبان بن شهاب المجحدري مطلعها:

«يَا جَارَتِي مَا كُنْتَ جَارَهُ»

(ديوانه طبع القاهرة ١٥٣ وما بعدها) وهاك بيت الشاهد بتمامه مع بيتين قبله من «خزانة الأدب الكبرى» (١/ ٨٣):

وَهَنَّاكَ يَكْذِبُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَا اجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَةَ

وَلَا بُرَاءَةَ لِلْجَبْرِ وَلَا عَطَاءَ وَلَا خِفَارَةَ

إِلَّا عُلَّالَةً أَوْ بُدَا هَةَ سَابِيحَ نَهْدِ الْجُزَارَةَ

قال البغدادي: يقول إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأننا لا نغزوكم كذب، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازين لكم، ومن كان برياً منكم لم تنفعه براءته، لأن الحرب إذا عظمت لحق شرها البريء، كما يلحق المسمى ولا تقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تفتنون بها منا، والخفارة بالضم والكسر: الذمة. إلا علالة، أي لكن نزوركم بالخيل. والعلالة: بقية جرى الفرس من التعلل بمعنى التلهي والبداهة أول جرى الفرس والسابح: الفرس الذي يدحو الأرض بيديه في العدو. والنهد: المرتفع. والجزارة: الرأس واليدان والرجلان. يريد أن في عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً، فإنه يستحب في عنق الخيل الطول واللين. ويستحب أيضاً أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً، فيوصف حينئذ بطول القوائم. ١ هـ. والشطر الذي أورده المؤلف شاهداً، يختلف عن شطر الأعشى، ولكن فيه موضع الشاهد ١ هـ.

قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس عن: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: تنزع أم الرأس.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا يحيى بن مهلب أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: تنزع الرأس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ يعني الجلود والهام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ فلم يخبر، فسألت عنها مجاهداً، فقلت: اللحم دون العظم؟ فقال: نعم.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: لحم الساق.

حدثني محمد بن عُمارة الأسدي، قال: ثنا قبيصة بن عقبة السوائي، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح في قوله ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: نزاعة للحم الساقين.

حدثنا ابن حميد، قال: مهران، عن خارجة، عن قرّة بن خالد، عن الحسن ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: للهام تحرق كل شيء منه، ويبقى فؤاده نضيجاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرّة، عن الحسن، في قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾: أي نزاعة لهامته ومكارم خَلْقِهِ وأطرافه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿نَزَاعَةَ لِلشَّوَى﴾ قال: الشوى: الأراب العظام، ذاك الشوى.

وقوله: ﴿نَزَاعَةَ﴾ قال: تقطع عظامهم كما ترى، ثم يجدد خلقهم، وتبدل جلودهم.

وقوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ يقول: تدعو لظي إلى نفسها من أدبر في الدنيا عن طاعة الله، وتولى عن الإيمان بكتابه ورسله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ قال: عن طاعة الله وتولى، قال: عن كتاب الله، وعن حقه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ قال: عن الحق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ قال: ليس لها سلطان إلا على هوانٍ من كفر وتولى وأدبر عن الله، فأما من آمن بالله ورسوله، فليس لها عليه سلطان.

وقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ يقول: وجمع مالا فجعله في وعاء، ومنع حق الله منه، فلم يُزك ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ قال: جمع المال.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا أبو قطن، قال: ثنا المسعودي، عن الحكم، قال: كان عبد الله بن عكيم، لا يربط كيسه، يقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن جموعاً قموماً للخبيث.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٦﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّا مَسَّهُ الْحَزَنُ جَزُوعًا ﴿١٨﴾ إِلَّا الصَّالِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾، والهلع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: هو الذي قال الله ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ويقال: الهلوع: هو الجزوع الحريص، وهذا في أهل الشرك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: شحيحاً جزوعاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن عكرمة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: ضجوراً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يقول: هو بخيل منوع للخير، جزوع إذا نزل به البلاء، فهذا الهلوع.

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا شعبة، عن حصين، قال يحيى، قال خالد: وسألت شعبة عن قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ فحدثني شعبة عن حصين أنه قال: الهلوع: الحريص.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، قال: سألت حصينا عن هذه الآية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: حريصاً.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: الهلوع: الجزوع.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: جزوعاً.

وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ يقول: إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك لا صبر له عليه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ يقول: وإذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا يتفقه في طاعة الله، ولا يؤدّي حق الله منه.

وقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ يقول: إلا الذين يطيعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة، وهم على أداء ذلك مقيمون لا يضيعون منها شيئاً، فإن أولئك غير داخلين في عداد من خلق هلوعاً، وهو مع ذلك بره كافر لا يصلي لله.

وقيل: عُني بقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ وقيل عُني به كل من صلى الخمس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ومؤمل، قالوا: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** قال: المكتوبة.

حدثني زريق بن السخب، قال: ثنا معاوية بن عمرو، قال: ثنا زائدة، عن منصور، عن إبراهيم **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** قال: الصلوات الخمس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾**... إلى قوله: **﴿دَائِمُونَ﴾** ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد ﷺ قال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خُلِقَ للمؤمنين حسن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم **﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** قال: الصلاة المكتوبة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** قال: هؤلاء المؤمنون الذين مع النبي ﷺ على صلاتهم دائمون.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا حنيفة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير أنه سأل عقبة بن عامر الجهني، عن: **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** قال: هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خَلْفَهُمْ، ولا عن أيمنهم، ولا عن شمائلهم.

حدثني العباس بن الوليد، قال: أخبرنا أبي، قال: ثنا الأوزاعي، قال: ثنا يحيى بن أبي كثير، قال: ثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: **﴿خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا﴾** قالت: وكان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما ذووم عليه قال: يقول أبو سلمة: إن الله يقول: **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِيَسْأَلُوا وَالْمَعْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ النَّبِيِّ ﴿٢٦﴾

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره: وإلا الذين في أموالهم حقّ مؤقت، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله، والمحروم الذي قد حرم الغنى، فهو فقير لا يسأل.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالحقّ المعلوم الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو الزكاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قال: الحقّ المعلوم: الزكاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ قال: الزكاة المفروضة.

وقال آخرون: بل ذلك حقّ سوى الزكاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ يقول: هو سوى الصدقة يصل بها رحمه، أو يقرى بها ضيفاً، أو يحمل بها كلاً، أو يُعِين بها محروماً.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن، عن شعبة، عن أبي يونس، عن رباح بن عبيدة، عن قزعة، أن ابن عمر سئل عن قوله: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ أهى الزكاة؟ فقال: إن عليك حقاً سوى ذلك.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا بيان، عن الشعبي، قال: إن في المال حقاً سوى الزكاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: في المال حقّ سوى الزكاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ قال: سوى الزكاة.

وأجمعوا على أن السائل هو الذي وصفت صفته . واختلفوا أيضاً في معنى المحروم في هذا الموضوع، نحو اختلافهم فيه في الذاريات وقد ذكرنا ما قالوا فيه هنالك، ودلنا على الصحيح منه عندنا، غير أننا نذكر بعض ما لم نذكر من الأخبار هنالك . ذكر من قال: هو المحارَف^(١) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الحجاج، عن الوليد بن العيزار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: المحروم: هو المحارَف .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد عن ابن عباس، قال: المحروم: المحارَف .

حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس قال: **«السَّائِلُ وَالْمَحْرُومُ»**: المحارَف الذي ليس له في الإسلام نصيب .

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس أنه قال: المحروم المحارَف الذي ليس له في الإسلام سهم .

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس، في هذه الآية **«لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»** قال: السائل الذي يسأل، والمحروم: المحارَف .

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يحدث عن قيس بن كركم، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية **«لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»** قال: السائل: الذي يسأل والمحروم: الذي يسأل والمحروم: المحارَف .

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، قال: سألت ابن عباس، عن قوله: **«لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»** قال: السائل: الذي يسأل، والمحروم: المحارَف الذي ليس له في الإسلام سهم .

حدثني محمد بن عمر بن عليّ المقدمي، قال: ثنا قريش بن أنس، عن سليمان، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: المحروم: المحارَف .

(١) في «اللسان» المحارَف: الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له . وقال الشافعي: المحروم المحارَف الذي يحترف بيديه، قد حرم سهمه من الغنيمة، لا يغزو مع المسلمين، فبقي محروماً، وما يعطى من الصدقة ما يسد حرمانه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالوا: ثنا قريش، عن سليمان، عن قتادة عن سعيد بن المسيب، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جبير، عن المحروم، فلم يقل فيه شيئاً قال: وقال عطاء: هو المحدود المحارف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس، قال: السائل: الذي يسأل الناس، والمحروم: الذي لا سهم له في الإسلام، وهو محارف من الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: المحروم: الذي لا يُهدى له شيء وهو محارف.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قال: المحروم: هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه، فلا يسأل الناس.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم، قال: في المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه، أو يعطيه شيئاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن إبراهيم، قال: المحروم. الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف في الناس.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب، عن نافع: المحروم: هو المحارف.

وقال آخرون: هو الذي لا سهم له في الغنيمة.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم أن ناساً قَدِموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال: اقسموا لهم، وقال: هذا المحروم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: المحروم: المحارف الذي ليس له في الغنيمة شيء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن مسلم الجدلي، عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن النبي ﷺ بعث سرية، فغنموا، وفتح عليهم، فجاء قوم لم يشهدوا، فنزلت: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّغْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ يعني هؤلاء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد، أن رسول الله ﷺ بعث سرية، فغنموا، فجاء قوم لم يشهدوا الغنائم، فنزلت: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّغْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، عن سفيان، عن قيس بن مسلم الجدلي، عن الحسن بن محمد، قال: بعثت سرية فغنموا، ثم جاء قوم من بعدهم، قال: فنزلت ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد أن قوماً في زمان النبي ﷺ أصابوا غنيمة، فجاء قوم بعد، فنزلت: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّغْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. وقال آخرون: هو الذي لا ينمي له مال.

نكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، قال: سألت عكرمة عن السائل والمحروم، قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمي له مال. وقال آخرون: هو الذي قد اجتبح ماله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا شعبة، عن عاصم، عن أبي قلابة، قال: جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا المحروم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ قال: المحروم: المصاب ثمره وزرعه، وقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ...﴾ حتى بلغ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ وقال أصحاب الجنة: إنا لضاؤون، بل نحن محرومون.

وقال الشعبي ما:

حدثني به يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن عون، قال: قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم.

وقال قتادة، ما:

حدثني به ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قال: السائل: الذي يسأل بكفه، والمحروم: المتعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ وهو سائل يسألك في كفه، وفقير متعفف لا يسأل الناس، ولكليهما عليك حق.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: وإلا الذين يقرّون بالبعث يوم البعث والمجازاة.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ يقول: والذين هم في الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضاً، ولا يتعدون له حداً.

وقوله: ﴿إِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أن ينال من عصاه وخالف أمره.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُسِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُسِهِمْ حَافِظُونَ﴾ يعني أقبالهم حافظون عن كل ما حرم الله عليهم وضعها فيه ﴿إلا﴾ أنهم غير ملومين في ترك حفظها ﴿على أرواحهم أو ما ملكت أيمائتهم﴾ من إيمانهم. وقيل: ﴿لِرؤوسهم حافظون إلا على أرواحهم﴾ ولم يتقدم ذلك جحد لدلالة قوله: ﴿فإنهم غير ملومين﴾ على أن في الكلام معنى جحد، وذلك كقول القائل: اعمل ما بدا لك إلا على ارتكاب المعصية، فإنك معاقب عليه، ومعناه: اعمل ما بدا لك إلا أنك معاقب على ارتكاب المعصية.

وقوله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته، أو ملك يمينه، فاعل ذلك هم العادون، الذين عدوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم فهم الملمون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثِلِهِمْ رُحَمَاءُ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِنْبَائِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون، يرقبون ذلك، ويحفظونه فلا يضيعونه، ولكنهم يؤذونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ يقول: والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أداءها غير مغيرة ولا مبدلة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يقول: والذين هم على مواقيت صلاتهم التي فرضها الله عليهم وحدودها التي أوجبها عليهم يحافظون، ولا يضيعون لها ميقاتاً ولا حداً.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ يقول عز وجل: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال في بساتين مكرمون يكرمهم الله بكرامته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَ نُهَيَّبِينَ ﴿٢٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٢٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ آمِرٍ مِّنْهُمْ أَن يَدْخُلَ جَنَّةً يَصِيرُ ﴿٢٨﴾ كَلَّا إِنَّا مَحَلَّتْهُم بِمَنَّا يَكْمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فما شأن الذين كفروا بالله قبلك يا محمد مهطعين وقد بينا معنى الإهطاع، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم يذكره هنالك. فقال قتادة فيه ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهَيَّبِينَ﴾ يقول: عامدين.

وقال ابن زيد فيه ما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهَيَّبِينَ﴾ قال: المهطع: الذي لا يطرف.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معناه: مسرعين. ورؤي فيه عن الحسن ما:

حدثنا به ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن الحسن، في قوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهَيَّبِينَ﴾ قال: منطلقين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قرة، عن الحسن، مثله.

وقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ يقول: عن يمينك يا محمد، وعن شمالك

متفرقين حلقاً ومجالس، جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال: قبلك ينظرون ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العزيرين: العصب من الناس عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: مجالس مجنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ يقول: عامدين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾: أي فرقاً حول نبي الله ﷺ، لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿عِزِينَ﴾ قال: العزيرين: الحلق المجالس.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿عِزِينَ﴾ قال: حلقاً ورفقاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العزيرين: المجلس الذي فيه الثلاثة والأربعة، والمجالس الثلاثة والأربعة أولئك العزور.

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا أبو الأحوص، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة يرفعه قال: «مالي أَرَاكُمْ عِزِينَ» والعزيرين: الحلق المتفرقة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا شقيق، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم جلق جلق، فقال: «مالي أَرَاكُمْ عِزِينَ».

حدثني أبو حُصين، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة الطائي، عن جابر بن سمرة، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن متفرقون،

فقال: «مَأْتِكُمْ عَزِينٌ».

حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، قال: ثنا الفريابي، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة، قال: جاء النبي ﷺ إلى ناس من أصحابه وهم جلوس، فقال: «مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِينٌ حَلَقًا».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة، قال: جاء النبي ﷺ إلى ناس من أصحابه وهم جلوس، فقال: «مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِينٌ حَلَقًا».

حدثني ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة الطائي، قال: ثنا جابر بن سمرة أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم حلق، فقال: «مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِينٌ» يقول: حلقاً، يعني قوله: ﴿عَنِ الَّتِيْمِيْنَ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيْنٌ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرعة، عن الحسن، في قوله: ﴿عَنِ الَّتِيْمِيْنَ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيْنٌ﴾ قال: عزين: متفرقين، يأخذون يميناً وشمالاً، يقولون: ما قال هذا الرجل؟ **حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قرعة، عن الحسن، مثله.

وواحد العزين: عزوة، كما واحد الثبين ثبّة، وواحد الكرين كرة. ومن العزين قول راعي الإبل:

أَخْلِيْفَةُ الرَّحْمَنِ إِنْ عَشِيْرَتِيْ
أَمْسَى سَوَامُهُمْ عَزِيْنَ فُلُوْلًا^(١)
وقوله: «أَيْطَمَعُ كُلُّ أَمْرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيْمٍ» يقول: أيطمع كل امرئ من هؤلاء

(١) هذا البيت لعبيد الراعي، من قصيدة أبياتها (٨٩ بيتاً) يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان: «خزانة الأدب الكبرى» للبخاري (١/٥٠٢) وعندها صاحب «جمهرة أشعار العرب» (١٧٢، ١٧٦) من القصائد الملحومات. والسواثم الإبل ترسل للرعي. وعزين جمع عزة، وهي الجماعة القليلة. والفلول: جمع فل، وهو بقية الشيء الكثير ومنه فلول للنعارك، وهم المنهزمون. يقول: إن السعاة لم يتركوا لنا من أموالنا إلا ما لا خير فيه، واستولوا منا على أكرم أموالنا، فلم يبق لنا منها إلا أشياء قليلة مفرقة هنا وهناك في مراعيها، وكانت قبل كثيرة. والبيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٠) قال: عزين: جماع عزة، مثل ثبة وثيين، وهي جماعات متفرقة قال الراعي.

.....

البيت» وفي «فتح القدير» في التفسير، للشوكاني (٥/٢٨٥) «وأسمى سراتهم»: في موضع «أسمى سواتهم» والمعنى على هذا أن سراة قوم الشاعر قد وفدوا على عبد الملك بن مروان جماعة بعد جماعة، لتتظلم من عسف السعاة بهم. وهذا واضح جيد.

الذين كفروا قبلك مهطعين أن يدخله الله جنة نعيم: أي بساتين نعيم ينعم فيها.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿يُدْخَلَ﴾ بضم الياء على وجه ما لم يسم فاعله، غير الحسن وطلحة بن مصرف، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرأانه بفتح الياء، بمعنى: أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار، وهي ضم الياء لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنْآ خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ يقول عز وجل: ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار من أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم.

وقوله: ﴿إِنآ خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جل وعز: إنا خلقناهم من مني قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجهه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرية. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنآ خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إنما خلقت من قدر يا ابن آدم، فاتق الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشُوقِ وَالْمُغْرِبِ إِنآ لَقَادِرُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ خَيْرًا نَّعِيمٌ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُورِينَ﴾ (٤١) ﴿قَدَرَهُمُ بَحْصُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: فلا أقسم برّب مشارق الأرض ومغاربها ﴿إِنآ لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ يقول: إنا لقادرون على أن نهلكهم، ونأتي بخير منهم من الخلق يطيعونني ولا يعصونني ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُورِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه، فيعجزنا هرباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاث مئة وستين كوة، تطلع كل يوم في كوة، لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة، تقول: رب لا تطلعي على عبادك، فإني أراهم يعصونك، يعملون بمعاصيك أراهم، قال: أو لم

تسمعوا إلى قول أمية بن أبي الصلت:

حَتَّى تُجَجَّرَ وَتُجَلَّدَ^(١)

قلت: يا مولاه وتجلد الشمس؟ فقال: عَضَّضْتُ بِهِنِ أَبِيكَ، إنما اضطره الروي إلى الجلد.

حدثنا ابن المنثى، قال: ثني ابن عمارة، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ قال: إن الشمس تطلع من ثلاث مئة وستين مطلعاً، تطلع كل يوم من مطلع لا تعود فيه إلى قابل، ولا تطلع إلا وهي كارهة، قال عكرمة: فقلت له: قد قال الشاعر:

حَتَّى تُجَجَّرَ وَتُجَلَّدَ

قال: فقال ابن عباس: عَضَّضْتُ بِهِنِ أَبِيكَ، إنما اضطره الروي.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا شعبة، قال: أخبرنا عمارة، عن عكرمة، عن ابن عباس: إن الشمس تطلع في ثلاث مئة وستين كوة، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ قال: هو مطلع الشمس ومغربها، ومطلع القمر ومغربيه.

وقوله: ﴿فَدَّرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ يقول لبيبة محمد ﷺ: فذر هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين، يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في هذه الدنيا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ﴾

(١) هذا جزء من بيت لامية بن أبي الصلت الثقفي «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ليدن (٢٨٠) ورواية البيت بتمامه فيه:

لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لَهُمْ فِي رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجَلَّدُ

قال: يقولون إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع، وقالت لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله، حتى تدفع وتجلد فتطلع. ورواية البيت في «الأغانى» لأبي الفرج طبعة دار الكتب (٤/١٣٠) مع البيت الذي قبله هي:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ مَطْلَعِ لَوْنِهَا مُتَوَرِّدُ

تَأبَى فَلَا تُسَبِّدُوْنَا فِي رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجَلَّدُ

ومن هاتين الروايتين يعلم أن شاهد المؤلف مبتور محرف. قلت: والذي قاله ابن عباس في تفسير طلوع الشمس كل سنة في ٣٦٠ كوة... الخ صحيح من ناحية العلم. أما تفسير بيت أمية بأن الملائكة تدفعها حتى تطلع فتأبى فتجلد، فهو تخيل وتمثيل وزجر لمن يعبدون الشمس.

اللَّيْلِ يُوعَدُونَ﴾ يقول: حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذي يوعدونه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يِرَاقًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ ﴿٤٣﴾ حَشَعَةً أَصْرَهُمْ نَزَّهُمْ إِلَهُ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُؤْعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ﴾ بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذي في قوله: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وتاويل الكلام: حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث وهي القبور: واحدها جدث ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ﴾، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾: أي من القبور سراعاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقد بينا الجدث فيما مضى قبل بشواهد، وما قال أهل العلم فيه.

وقوله: ﴿إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ﴾ يقول: كأنهم إلى علم قد نصب لهم يستبقون. وأجمعت قراء الأمصار على فتح النون من قوله: «نُصْبٍ» غير الحسن البصري، فإنه ذكر عنه أنه كان يضمها مع الصاد وكان من فتحها يوجه النصب إلى أنه مصدر من قول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. وكان تأويله عندهم: كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون سعيًا. وأما من ضمها مع الصاد فإنه يوجهه إلى أنه واحد الأنصاب، وهي ألتهتهم التي كانوا يعبدونها.

وأما قوله: ﴿يُؤْفُضُونَ﴾ فإن الإيفاض: هو الإسراع ومنه قول الشاعر:

لَأَتَعَنَّ نَعَامَةً مِيفَاضًا حَرْجَاءَ تَغْدُو تَطْلُبُ الْإِضَاضًا^(١)

يقول: تطلب ملجأ تلجأ إليه والإيفاض: السرعة وقال رؤبة:

(١) البيتان في «اللسان» وفض ولم ينسبهما. استشهد المؤلف عند قوله تعالى: ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ على أن معنى: الإيفاض الإسراع. ومنه نعامة ميفاض، وناقاة ميفاض: أي سرعة. والخرجاء: التي في لونها سواد وبياض ظليم أخرج، وناقاة خرجاء. وقال الليث: ظليم أخرج، وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه. والإيضاض، بكسر الهمزة: الملجأ. عن هامش «اللسان» وفض وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» يوفضون يسرعون، قال رؤبة:

يُنْمِي بِنَا الْجِدُّ عَلَى أَوْفَاضٍ

(ديوانه ٨١) والبيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٢) قال: وقوله «إلى نصب يوفضون» =

تَمْشِي بِنَا الْجِدِّ عَلَى أَوْفَاضٍ^(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن أبي العالية، أنه قال في هذه الآية ﴿كَانَهُمْ إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علامات يستبقون.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَانَهُمْ إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علم يسعون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ قال: يستبقون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿كَانَهُمْ إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علم يسعون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿كَانَهُمْ إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علم يوفضون، قال: يسعون.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت أبا عمر يقول: سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: ﴿كَانَهُمْ إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى غاية يستبقون.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ إلى علم ينطلقون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان: ﴿إِلَى نَضْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علم يستبقون.

= الإيفاض: الإسراع. وقال الشاعر:

«ولأنهم يفتنون.....»

البيتين. وفي روايته: ظلت في موضع «تغدو». قال الخرجاء: في اللون، فإذا رقع للقميص الأبيض برقة حمراء، فهو أخرج. «تطلب الإضاضا»: أي تطلب موضعاً تدخل فيه، وتلجأ إليه أ هـ.

(١) البيت لرؤية «اللسان» وفض. وقال قبله: ويقال لقيته على أوفاض: على عجلة، مثل أوفاز. وجاء في وفض ووفض (بتسكين الفاء وفتحها) أي على عجل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: النصب: حجارة كانوا يعبدونها، حجارة طوال يقال لها نصب. وفي قوله ﴿يُوفِضُونَ﴾ قال: يُسرعون إليه كما يُسرعون إلى نصب يوفضون قال ابن زيد: والأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها، كان أحدهم يحمله معه، فإذا رأى أحسن منه أخذه، وألقى هذا، فقال له: كَلِّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مرة، عن الحسن، في قوله: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: يتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أول.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قرة، عن الحسن، مثله.

وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان ﴿تَرَهَقَهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يقول عز وجل: هذا اليوم الذي وصفت صفته، وهو يوم القيامة الذي كان مشركو قريش يوعدون في الدنيا أنهم لاقوه في الآخرة، كانوا يكذبون به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ يوم القيامة ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

آخر تفسير سورة سأل سائل

(٧٤) سورة نوح مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ
إِن لَّكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَعِزُّ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَفِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ وهو نوح بن لَمَك ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك فإن في موضع نصب في قول بعض
أهل العربية، وفي موضع خفض في قول بعضهم. وقد بيّنت العِلل لكل فريق منهم، والصواب
عندنا من القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وهي في
قراءة عبد الله^(١) «فيما ذكر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ بغير «أَنْ»، وجاز ذلك لأن
الإرسال بمعنى القول، فكأنه قيل: قلنا لنوح: أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم وذلك
العذاب الأليم هو الطوفان الذي غرقهم الله به.

وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه: يا قوم إني
لكم نذير مبين، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: قد أبنت
لكم إنذاري إياكم.

وقوله: ﴿إِنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه ﴿إِنِّي
لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بأن اعبدوا الله، يقول: إني لكم نذير أنذركم، وأمركم بعبادة الله ﴿وَاتَّقُوهُ﴾
يقول: واتقوا عقابه بالإيمان به، والعمل بطاعته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ يقول: وانتهوا إلى ما أمركم به،
واقبلوا نصيحتي لكم. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، مقرأ القرآن ومعلم أهل الكوفة.

وَأَطِيعُونَ ﴿٥﴾ قال: أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَدَ اللَّهُ وحده، وأن تتقي محارمه، وأن يُطَاع أمره.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ يقول: يغفر لكم ذنوبكم.

فإن قال قائل: أو ليست «من» دالة على البعض؟ قيل: إن لها معنيين وموضعين، فأما أحد الموضعين فهو الموضع الذي لا يصلح فيه غيرها. وإذا كان ذلك كذلك لم تدلّ إلا على البعض، وذلك كقولك: اشتريت من مماليكك، فلا يصلح في هذا الموضع غيرها، ومعناها: البعض، اشتريت بعض مماليكك، ومن مماليكك مملوكاً. والموضع الآخر: هو الذي يصلح فيه مكانها عن فإذا، صلحت مكانها «عن» دلت على الجميع، وذلك كقولك: وجع بطني من طعام طعمته، فإن معنى ذلك: أوجع بطني طعام طعمته، وتصلح مكان «من» عن، وذلك أنك تضع موضعها «عن»، فيصلح الكلام فتقول: وجع بطني عن طعام طعمته، ومن طعام طعمته، فكذلك قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إنما هو: ويصفح لكم، ويعفو لكم عنها وقد يحتمل أن يكون معناها يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعدكم العقوبة عليه. فأما ما لم يعدكم العقوبة عليه فقد تقدّم عفوه لكم عنها.

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغرق ولا غيره ﴿إلى أجل مسمى﴾ يقول إلى حين كتب أنه يبيدكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه، في أم الكتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ قال: ما قد خط من الأجل، فإذا جاء أجل الله لا يؤخر.

وقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن أجل الله الذي قد كتبه على خلقه في أم الكتاب إذا جاء عنده لا يؤخر عن ميقاته، فينظر بعده ﴿لو كنتم تعلمون﴾ يقول: لو علمتم أن ذلك كذلك، لأنتم إلى طاعة ربكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَبًّا ﴿٥﴾ لَمْ يَزِدْهُمْ مَرْغَبًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنَّا
دَعْوَتَهُمْ لِنَتَّخِذَ لَهُمْ حَمَلَآءَ سَمِيعَةً فِي آذَانِهِمْ وَنَسْتَعْتَبُهَا بِلِسَانِهِمْ وَأَنصُرُوهُم بِأَسْجَادِكَ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه، أو أنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه، وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ إلى توحيدك وعبادتك، وحذرتهم بأسك وسطوتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ يقول: فلم يزدهم دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحق الذي أرسلتني به لهم ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ يقول: إلا إداراً عنه وهرباً منه وإعراضاً عنه. وقد:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ قال: بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغوينك، فأراني قد ذهب بي أبي إليه وأنا مثلك، فحذرتني كما حذرتك.

وقوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يقول جلّ وعزّ: وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدايتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعون دعائي إياهم إلى ذلك ﴿وَاسْتَعْشُوا بِيَابَهُمْ﴾ يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعون دعائي. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعون كلام نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿وَأَصْرُوا﴾ يقول: وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَصْرُوا﴾ قال: الإصرار إقامتهم على الشرّ والكفر.

وقوله: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ يقول: وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحقّ، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَفَلْتَكُ اسْتَعْشِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ أَقْبَالِ رَبِّهِ لَآتِينَ ۝١٠﴾

يقول: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه ﴿جِهَارًا﴾ ظاهراً في غير خفاء، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ قال: الجهار الكلام المعلن به.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَزْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ يقول: صرخت لهم، وصحت بالذي أمرتني به من الإنذار، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَغْلَنْتُ لَهُمْ﴾ قال: صحت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿أَغْلَنْتُ لَهُمْ﴾ يقول: صحت بهم.

وقوله: ﴿وَأَسْرَزْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ يقول: وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَسْرَزْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال: فيما بيني وبينهم.

وقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحده، وأخلصوا له العبادة، يخفر لكم، إنه كان غفراً للذنوب من أناب إليه، وتاب إليه من ذنوبه.

وقوله: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ يقول: يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدموه وأخلصتم له العبادة الغيث، فيرسل به السماء عليكم مدراراً متتابعاً. وقد:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا سفيان، عن مطرف، عن الشعبي، قال: خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، وقرأ الآية التي في سورة هود حتى

بلغ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُضِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّرَ لَكُمْ وَيَسْجَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ سُُلُوكًا ﴿١٥﴾﴾

وقوله: ﴿وَيُضِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّرَ﴾ يقول: ويعطكم مع ذلك ربكم أموالاً وبنين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ﴾ يقول: يرزقكم بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ تسقون منها جنتكم ومزارعكم وقال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا فيما ذكر قوم يحبون الأموال والأولاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾... إلى قوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ قال: رأى نوح قوماً تجزعت أعناقهم حرصاً على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: ما لكم لا ترون لله عظمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ يقول: عظمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا ترون لله عظمة.

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح وقيس، عن مجاهد، في قوله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا تبالون لله عظمة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن منصور، عن مجاهد ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: كانوا لا يبالون عظمة الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول

في قوله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ يقول: عظمة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا تبالون عظمة ربكم قال: والرجاء: الطمع والمخافة.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تعظمون الله حقَّ عظمته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سلم بن جنادة، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن سميع، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: ما لكم لا تعظمون الله حقَّ عظمته.

وقال آخرون: ما لكم لا تعلمون الله عظمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ يقول: ما لكم لا تعلمون الله عظمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ما لكم لا ترجون الله عاقبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي عاقبة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا ترجون الله عاقبة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما لكم لا ترجون الله طاعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: الوقار: الطاعة.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ما لكم لا تخافون الله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذؤيب:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَزُجْ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبِ عَوَاسِلٍ^(١)
يعني بقوله: «لم يرج»: لم يخف.

وقوله: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» يقول: وقد خلقكم حالاً بعد حال، طوراً نُطْفَةً، وطوراً عِلْقَةً، وطوراً مَضْغَةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» يقول: نطفة، ثم علقه، ثم مضغه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» قال: من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقه، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» طوراً نطفة، وطوراً علقه، وطوراً عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أنشأ خلقاً آخر، أنبت به الشعر، فبارك الله أحسن الخالقين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» قال: نطفة، ثم علقه، ثم خلقاً طوراً بعد طور.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» يقول: من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» قال: طوراً النطفة، ثم طوراً أمشاجاً حين يمشج النطفة الدم، ثم يغلب الدم على النطفة، فتكون علقه، ثم تكون مضغه، ثم تكون عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» قال: نطفة، ثم علقه، شيئاً بعد شيء.

(١) سبق استشهاد المؤلف بالبيت في الجزئين (٢٦٤/٥، ٨٧/١١) وشرحناه فيهما شرحاً مستوفى، فراجعهما فيهما.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أُنْتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَاقًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه، لقومه المشركين بربهم، محتجاً عليهم بحجج الله في وحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها القوم فتعتبروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض والطباق: مصدر من قولهم: طبقت مطابقة وطباقاً. وإنما عني بذلك: كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نوراً ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ فيهن ﴿سراجاً﴾. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن شئتم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن الشمس والقمر وجوهما قبل السموات، وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يقول: خلق القمر يوم خلق سبع سموات.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: إنما قيل ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ على المجاز، كما يقال: أتيت بني تميم، وإنما أتى بعضهم ﴿وَاللَّهُ أَنْتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَاقًا﴾ يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يقول: ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم تراباً فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يقول ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشراً من قبل أن يعيدكم فيها، فيصيركم تراباً إخراجاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ حَمَلٌ لِّكَرِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْأَلُكُمْ مِنْهَا سَلًّا وَعِلْمًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي أُنذِرُكُمْ لِمَا لَكُمْ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ ﴿٢١﴾﴾

عَصَوِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿١١١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿١١٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه، مذكرهم نعم ربه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تستقرون عليها وتمتهدونها.

وقوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ يقول: لتسلكوا منها طرقاً صعباً متفرقة والفيجاج: جمع فيج، وهو الطريق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال: طرقاً وأعلاماً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال طرقاً.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ يقول: طرقاً مختلفة.

وقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فخالفوا أمري، وردوا علي ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا﴾ يقول: واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزد كثره ماله وولده إلا خساراً، بعداً من الله، وذهاباً عن مَحَجَّةِ الطريق.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَوَلَدُهُ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة: ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتح الواو واللام، وكذلك قرءوا ذلك في جميع القرآن. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بضم الواو وسكون اللام، وكذلك كل ما كان من ذكر الولد من سورة مريم إلى آخر القرآن. وقرأ أبو عمرو كل ما في القرآن من ذلك بفتح الواو واللام في غير هذا الحرف الواحد في سورة نوح، فإنه كان يضم الواو منه.

والصواب من القول عندنا في ذلك، إن كل هذه القراءات قراءات معروفة، متقاربات المعاني، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ يقول: ومكروا مكراً عظيماً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كِبَارًا﴾ قال: عظيماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكَرًا كِبَارًا﴾ كثيراً، كهيئة قوله: لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا.

والكِبَارُ: هو الكبير، كما قال ابن زيد، تقول العرب: أمر عجيب وعجاب بالتخفيف، وعُجَابٌ بالتشديد ورجل حُسَانٌ وحَسَانٌ، وجُمَالٌ وجَمَالٌ بالتخفيف والتشديد، وكذلك كبير وكُبَارٌ بالتخفيف والتشديد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤).

يقول تعالى ذكره مخبراً عن إخبار نوح، عن قومه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. كان هؤلاء نفرأ من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا يعبدونها. وكان من خبرهم فيما بلغنا ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كانوا قومأ صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسْقون المطر فعبدوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام. وقال آخرون: هذه أسماء أصنام قوم نوح.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كان وذ لهذا الحي من كُلب بدومة الجندل، وكانت

سُوع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني عُطَيْفٍ من مُراد بالجُزْف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخ، وكان نسر لذي كلاع من جَمِيرٍ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك. واللّه ما عدا خشبة أو طينة أو حجراً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَا تَدْرُونَ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُونَ وِدّاً وَلَا سُوعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ قال: كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، قال: فكان وِدٌ لكلب بدومة الجندل، وكان سُوعٌ لهذيل، وكان يغوث لبني عُطَيْفٍ من مراد بالجُزْف، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لذي الكلاع من جَمِيرٍ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَلَا تَدْرُونَ وِدّاً وَلَا سُوعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ قال: هذه أصنام، وكانت تُعبد في زمان نوح.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ هي آلهة كانت تكون باليمن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾ قال: هذه آلهتهم التي يعبدون.

واختلفت القرآء في قراءة قوله ﴿وِدّاً﴾ فقرأه عامة قرآء المدينة: «وِدّاً» بضم الواو. وقرأه عامة قرآء الكوفة والبصرة: ﴿وِدّاً﴾ بفتح الواو.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قرآءتان معروفتان في قرآء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح: وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس فثيب الضلال إذ ضلّ بها عابدها إلى أنها المضلة.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بآياتنا إلا ضلالاً، إلا طبعاً على قلبه، حتى لا يهتدي للحق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً فَامَّ حِدُّوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً ﴿١٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ

رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا ﴿٢٧﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ من خطيئاتهم ﴿أَغْرَقُوا﴾. والعرب تجعل «ما» صلة فيما نوى به مذهب الجزاء، كما يقال: أينما تكن أكن، وحيثما تجلس أجلس، ومعنى الكلام: من خطيئاتهم أغرقوا. وكان ابن زيد يقول في ذلك. ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ قال: فبخطيئاتهم ﴿أَغْرَقُوا﴾ فأدخلوا ناراً، وكانت الباء ههنا فصلاً في كلام العرب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أَغْرَقُوا﴾ قال: بخطيئاتهم أغرقوا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ فقرأه عامة قرّاء الأمصار غير أبي عمرو ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ بالهمز والتاء، وقرأ ذلك أبو عمرو: «مِمَّا خَطَايَاهُمْ» بالألف بغير همز.

والقول عندنا أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

وقوله: ﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ جهنم ﴿فَلَمَّ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ تقتض لهم ممن فعل ذلك بهم، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم.

وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ ويعني بالذيار من يدور في الأرض، فيذهب ويجيء فيها وهو فيعال من الدوران ديواراً، اجتمعت الياء والواو، فسبقت الياء الواو وهي ساكنة، وأدغمت الواو فيها، وصيرت ياء مشددة، كما قيل: الحي القيام من قمت، وإنما هو قيوام: والعرب تقول: ما بها ديار ولا عريب، ولا دوي، ولا صافر، ولا نافخ ضرمة، يعني بذلك كله: ما بها أحد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ آخِزْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح في دعائه إياه على قومه: إنك يا رب إن تذر الكافرين أحياء على الأرض، ولم تهلكهم بعذاب من عندك ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ الذين قد آمنوا بك، فيصدّوهم عن سبيلك، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا﴾ في دينك ﴿كَفَّارًا﴾ لنعمتك.

وذكر أن قيل نوح هذا القول ودعائه هذا الدعاء، كان بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ثم دعاه دعوة عامة فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿تَبَارًا﴾ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة ﴿لَا تَذَرْ عَلَيِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ثم ذكر نحوه .

وقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يقول: رب اعف عني، واستر عليّ ذنوبي وعلى والديّ ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ يقول: ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصلياً مؤمناً، يقول: مصداقاً بواجب فرضك عليه . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن آدم، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن أبي سنان، عن الضحاك ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ قال: مسجدي .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سلمة، عن أبي سنان سعيد، عن الضحاك مثله .

وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول: وللمصدقين بتوحيدك والمصدقات .

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خساراً . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ قال: خساراً .

وقد بينت معنى قول القائل: تبرت، فيما مضى بشواهد، وذكرت أقوال أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر: ثنا الأعمش، عن مجاهد، قال: كانوا يضربون نوحاً حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

آخر تفسير سورة نوح ﷺ

(٧٢) سورة الجن مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد أوحى الله إليّ ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ هذا القرآن ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما سمعوه ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يقول: يدل على الحق وسبيل الصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ يقول: فصدّقناه ﴿وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ من خلقه.

وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجن القرآن، كما:

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو هشام، يعني المخزومي، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، قال: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها فانظروا ما هذا الذي حدث، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء قال: فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء قال: فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ قال: فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن ورقاء، قال: قدم رهط

زوبعة وأصحابه مكة على النبي ﷺ، فسمعوا قراءة النبي ﷺ، ثم انصرفوا، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ قال: كانوا تسعة فيهم زوبعة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ هو قول الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ لم تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد فلما بعث الله محمداً ﷺ حرس السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجن فتفرقت في الأرض لتأتيه بخبر ما حدث. وكان أول من بعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض باليمن، وهم أشرف الجن وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك النفر، فأتوا على الوادي وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبي الله ﷺ يصلي صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن فلما حضره، قالوا: أنصتوا، فلما قُضي، يعني فرغ من الصلاة، ولَّوا إلى قومهم منذرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبي الله ﷺ، ولم يشعر أنه صُرف إليه، حتى أنزل الله عليه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأما به ولن نُشرك برينا أحداً، وأما بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه وقدرته.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يقول: فعله وأمره وقدرته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يقول: تعالى أمر ربنا.

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالوا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة في هذه الآية: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: أمر ربنا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: أمر ربنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ قال: تعالى أمره أن يتخذ ولا يكون الذي قالوا: صاحبة ولا ولداً،

وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: لا يكون ذلك منه.

وقال آخرون: عني بذلك جلال ربنا وذكره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال عكرمة، في قوله: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: جلال ربنا.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثني خالد بن يزيد، قال: ثنا أبو إسرائيل، عن فضيل، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: جلال ربنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن سليمان التيمي قال: قال عكرمة: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: أي تعالى جلاله وعظمته وأمره.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: تعالى: أمر ربنا تعالت عظمته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تعالى غني ربنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: قال الحسن، في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: غني ربنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن الحسن ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: غني ربنا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: غني ربنا.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا هشيم، عن سليمان التيمي، عن الحسن وعكرمة، في قول الله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال أحدهما: غناه، وقال الآخر: عظمته.

وقال آخرون: عني بذلك الجد الذي هو أبو الأب، قالوا: ذلك كان من كلام جهلة الجن.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني أبو السائب، قال: ثني أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبي سارة، عن أبيه، عن أبي جعفر: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: كان كلاماً من جهلة الجن. وقال آخرون: عُني بذلك: ذَكَرَهُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: ذكره. وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عُني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجد في كلام العرب معنيين: أحدهما الجَدُّ الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَأَمْنَا بِهِ وَلَنْ نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ومن وصف الله بأن له ولداً أو جِداً أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين. والمعنى الآخر: الجَدُّ الذي بمعنى الحظَّ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يُقال له بالفارسية «الْبَحْت»، وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النفر من الجن بقليلهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إن شاء الله. وإنما عتوا أن حظوته من المُلْك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأن صاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا مُلْك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد.

وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نَزَّهوا الله عن اتخاذ صاحبة والولد بقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ يقال منه: رجل جدِّي وجديد ومجدود: أي ذو حظ فيما هو فيه ومنه قول حاتم الطائي:

أَعَزُّوا بَنِي تُغَلِّلٍ فَالْعَزُّ جَدُّكُمْ عُدُّوا الرُّوَابِيَّ وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا^(١)

(١) البيت لحاتم الطائي (شعراء النصرانية ١٢٨) وفيه حظكم في موضع «جدكم» وهما بمعنى قال شارحه: والروابي: الأشراف، أو الأصل والشرف. وفي «اللسان» جدد وفي التنزيل العزيز ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾

وقال آخر:

يُرْفَعُ جَدُّكَ إِنْسِي امْرُؤٌ سَقَشْنِي إِلَيْكَ الْأَعَادِي سِجَالاً^(١)
وقوله: «مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً» يعني زوجة «وَلَا وَلَدًا».

واختلفت القراء في قراءة قوله «وَأَنَّهُ تَعَالَى» فقرأه أبو جعفر القاريء وستة أحرف آخر بالفتح، منها: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا» «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» «وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقُولُ سَفِيهًا» «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٍ مِنَ الْإِنْسِ» «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ» «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ» وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف: أحدها: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا» والثانية «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا»، والثالثة «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ». وأما قراءة الكوفة غير عاصم، فإنهم يفتحون جميع ما في آخر سورة النجم وأول سورة الجن إلا قوله «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»، وقوله: «قَالَ إِنَّمَا أَذْعُو رَبِّي» وما بعده إلى آخر السورة، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله: «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ». وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» فإنه كان يفتحها، وأما أبو عمرو، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله: «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ» فإنه كان يفتح هذه وما بعدها فأما الذين فتحوا جميعها إلا في موضع القول، كقوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا» وقوله: «قَالَ إِنَّمَا أَذْعُو رَبِّي» ونحو ذلك، فإنهم عطفوا أن في كل السورة على قوله فأما به، وآمنا بكل ذلك، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها. وكان القراء يقول: لا يمنعنك أن تجد الإيمان يقبح في بعض ذلك من الفتح، وأن الذي يقبح مع ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان، فوجب فتح أن كما قالت العرب:

إِذَا مَا الْغَانِيَاتِ بَسْرَزْنَ يَوْمًا وَرَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا^(٢)

فنصب العيون لاتباعها الحواجب، وهي لا تزجج، وإنما تكحل، فأضمر لها الكحل، كذلك يضم في الموضع الذي لا يحسن فيه أمناً صدقنا وآمنا وشهدنا. قال: ويقول النصب قوله: «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ» فينبغي لمن كسر أن يحذف «أن» من «لو» لأن «أن» إذا خُففت لم

قيل: جده عظمته، وقيل: غناه. وقال مجاهد: جد ربنا: جلال ربنا. وقال بعضهم عظمة ربنا، وهما قريبان من السواء. ١ هـ. وهذه التأويلات صالحة لتأويل قول حاتم، فالغزو هو عز العرب وعظمتهم وسبب هيبتهم وجلالهم في أعين أعدائهم. وشجاعتهم في الحرب والنزال: هي حظهم الذي عرفوا به في الدنيا، بأبون الضيم، وبأنفون من استدلال الملوك والجبابة لهم.

(١) هذا البيت لم ينسب المؤلف. وهو أشبه بقول الحطيئة في لاميته المنصوبة التي يخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب، معتذراً عن هجائه الزبيرقان بن بدر التميمي، ومطلعها:

«لَأَتُوكَ أَمَامَةَ إِلَّا سِوَالاً»

ولم أجده في ديوان الحطيئة المطبوع، ولا في «جمهرة أشعار العرب» (١٥١، ١٥٤) وقوله: يرفع جدك يدعو له بأن يرفع الله حظه وذكره. والسجال: جمع سجل، وهو الدلو يعتذر إليه مما دسه عليه الوشاة.

(٢) سبق الاستشهاد بالبيت في الجزء (١٧٦/٢٧) وشرحناه هناك شرحاً مبسوطاً، فارجع إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ وهو إبليس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل من المكيين، عن مجاهد ﴿سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قال: إبليس: ثم قال سفيان: سمعت أن الرجل إذا سجد جلس إبليس يبكي يقول: يا ويله أمر بالسجود فعصى، فله النار، وأمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فقال: عصاه والله سفيه الجن، كما عصاه سفيه الإنس.

وأما الشُّطَطُ من القول، فإنه ما كان تعدياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: ثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قال: ظلماً.

وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: قالوا: وأنا حسبنا أن لن نقول بنو آدم والجن على الله كذباً من القول والظن ههنا بمعنى الشك، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن تكون علمت أن أحداً يجتريء على الكذب على الله لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعه وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن الله صاحبة وولداً، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذباً في كل ذلك، فلذلك قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ فسموه سفيهاً.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر: وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم.

وكان ذلك من فعلهم فيما ذكر لنا، كالذي:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كان

رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزير هذا الوادي، فزادهم ذلك إثمًا.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزير هذا الوادي من شر سفهاء قومه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كانوا إذا نزلوا الوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه، فتقول الجن: ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرراً ولا نفعاً.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كانوا في الجاهلة إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، فيقول الجنيون: تتعوذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرراً ولا نفعاً!

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كانوا يقولون إذا هبطوا وادياً: نعوذ بعظماء هذا الوادي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ ذكر لنا أن هذا الحي من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا: نعوذ بأعز أهل هذا المكان قال الله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً يقولون: نعوذ بأعز أهل هذا المكان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كانوا يقولون: فلان من الجن رب هذا الوادي، فكان أحدهم إذا دخل الوادي يعوذ برب الوادي من دون الله، قال: فيزيده بذلك رهقاً، وهو الفرق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال: إني أعوذ بكبير هذا الوادي، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم.

وقوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فزاد الإنس بالجنّ باستعازتهم بعزيرهم، جراءة عليهم، وازدادوا بذلك إثمًا.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ فزادهم ذلك إثمًا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: قال الله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: أي إثمًا، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يقول: خطيئة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: فيزدادون عليهم جراءة.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: ازدادوا عليهم جراءة. وقال آخرون: بل عُني بذلك أن الكفار زادوا بذلك طغيانًا.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: زاد الكفار طغيانًا.

وقال آخرون: بل عُني بذلك فزادوهم فَرَقًا.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: فيزيدهم ذلك رهقًا، وهو الفَرَق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: زادهم الجنّ خوفًا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فزاد الإنس الجنّ بفعلهم ذلك

إثماً، وذلك زادوهم به استحلالاً لمحارم الله. والرهق في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم ومنه قول الأعشى:

لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا هل يَشْتَفِي وَامِيقٌ ما لم يُصِيبْ رَهَقاً^(١)
يقول: ما لم يغش محراماً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجن ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ يعني أن الرجال من الجن ظنوا كما ظن الرجال من الإنس أن لن يبعث الله أحداً رسولاً إلى خلقه، يدعوهم إلى توحيده. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن الكلبي ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾: ظن كفار الجن كما ظن كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولاً.

وقوله: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ يقول عز وجل مخبراً عن قيل هؤلاء النفر: وأنا طلبنا السماء وأردناها، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً﴾ يقول: فوجدناها ملتت ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ يعني حَفَظَةً ﴿وَشُهَابًا﴾، وهي جمع شهاب، وهي النجوم التي كانت تُرجم بها الشياطين. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن سعيد بن جبير، قال: كانت

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦٥ من القصيدة المرقومة ٨٠) وفي «اللسان» (رهق) قال: والرهق غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه. قال ابن بري: وكذلك فسر الرهق في شعر الأعشى، بأنه غشيان المحارم وما لا خير فيه في قوله:

«لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي...»

البيت» قلت: وتفسير ابن بري لا يعجبني، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات، وإنما يحسن تفسيره كما قال شارح الديوان: إن الرهق: الدنو من المحبوب والقرب منه، والتمتع بما ينوله، فأما إذا كان بعيداً عنه فلا شفاء ولا قرار. وفي «اللسان» رهق عن الزجاج، فزادوهم رهقاً: أي ذلة وضعفاً. وقيل: سفها وطغيانا. وقيل في تفسيره: الظلم. وقيل للفساد... الخ.

الجنّ تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبي ﷺ خارجاً من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم منذرين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٢﴾﴾

يقول عز وجل: وإنا كنا معشر الجنّ نقعد من السماء مقاعد لتسمع ما يحدث، وما يكون فيها، ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ﴾ فيها منا ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يعني: شهاب نار قد رصد له به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ كانت الجنّ تسمع سمع السماء فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنِعوا ذلك، فتفقدت الجنّ ذلك من أنفسها.

وذكر لنا أن أشراف الجنّ كانوا بنصبيين، فطلبوا ذلك، وضربوا له حتى سقطوا على نبي الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه عامداً إلى عكاظ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْكًا حَرَسًا وَشُهَابًا﴾ . . . حتى بلغ ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قط إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغيته، وإما نبي مرشد مصلح قال: فذلك قول الله: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ يقول عز وجل مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ: وأنا لا ندري أعذاباً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع منا فيها بالشهب ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ يقول: أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولاً مرشداً يرشدهم إلى الحق. وهذا التأويل على التأويل الذي ذكرناه عن ابن زيد قبل.

وذكر عن الكلبي في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، عن الكلبي في قوله: ﴿وَأَنَا لَا نَذْرِي أَشْرَ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم أو يعصوه فيهلكهم.

وإنما قلنا القول الأول لأن قوله: ﴿وَأَنَا لَا نَذْرِي أَشْرَ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عقيب قوله: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾... الآية، فكان ذلك بأن يكون من تمام قصة ما وليه وقرب منه أولى بأن يكون من تمام خبر ما بعد عنه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ وَآنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُمَجِّزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُمَجِّزَهُ هَرَبًا ۖ﴾ ﴿١١﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَائِقَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ كَيْدَ ظَنَّا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيهم: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ وهم المسلمون العاملون بطاعة الله ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: ومنا دون الصالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ يقول: وأنا كنا أهواء مختلفة، وفِرَقاً شتى، منا المؤمن والكافر. والطرائق: جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه. والقِدْد: جمع قِدَّة، وهي الضروب والأجناس المختلفة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: ﴿طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ يقول: أهواء مختلفة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ يقول: أهواء شتى، منا المسلم، ومنا المشرك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ كان القوم على أهواء شتى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ قال: أهواء.

حدثني ابن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾ قال: مسلمين وكافرين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾ قال: شتى، مؤمن وكافر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾ قال: صالح وكافر وقرأ قول الله: ﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: وأنا علمنا أن لن نُعجز الله في الأرض إن أراد بنا سوءاً ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إن طلبنا فنفتوه. وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا. ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ يقول: قالوا: وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي إلى الطريق المستقيم آمنا به، يقول: صدقنا به، وأقررنا أنه حق من عند الله، فمن يؤمن بربه ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقول: فمن يصدق بربه فلا يخاف بخساً: يقول: لا يخاف أن ينقص من حسناته، فلا يجازى عليها ولا رَهَقًا: ولا إثمًا يحمل عليه من سيئات غيره، أو سيئة يعملها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقول: لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقول: ولا يخاف أن يخس من عمله شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾: أي ظلماً، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً، أو يحمل عليه ذنب غيره ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ولا مائماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال: لا يخاف أن يخس من أجره شيئاً، ولا رهقاً فيظلم ولا يعطى شيئاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل النفر من الجن: ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ الذين قد خضعوا لله

بالطاعة ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ قال: العادلون عن الحق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْقَاسِطُونَ﴾ قال: الظالمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ﴿الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿الْقَاسِطُونَ﴾ قال: الجائرون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: المقسط: العادل، والقاسط: الجائر وذكر بيت شعر:

قَسَطْنَا عَلَى الْأَمْلَاكِ فِي عَهْدِ تَبَعٍ وَمِنْ قَبْلِ مَا أَدْرَى النَّفُوسَ عِقَابِهَا^(١)
وقال: وهذا مثل الترب والمترب قال: والترب: المسكين، وقراً: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: والمترب: الغني.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك تعمدوا وترجوا رشداً في دينهم. ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يقول: الجائرون عن الإسلام، ﴿فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطْبًا﴾ توقد بهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ عَلَىٰ الْوَارِثَاتِ لَأَشَقَّيْنَهُمْ مَاءً عَدَاً﴾ ﴿١٦﴾ لَقَمِيْنَهُمْ يَدًا وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

(١) البيت استشهد به ابن زيد المحدث على أن القاسطين معناه الجائرون. قال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٤) وقوله «ومنا القاسطون»: وهم الجائرون الكفار. والمقسطون: العادلون المسلمون.

يقول تعالى ذكره: وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ يقول: لو سَعْنَا عليهم في الرزق، وبسطناهم في الدنيا لفتنهم فيه، يقول لنختبرهم فيه. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنبتليهم به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن مجاهد ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال: نافعا كثيرا، لأعطيناهم مالا كثيرا ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء.

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي، قال: ثنا الفريابي، عن سفيان، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن مجاهد ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: طريقة الحق ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ يقول مالا كثيرا ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنبتليهم به حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن مجاهد، عن أبيه، مثله.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: الإسلام ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال الكثير ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنبتليهم به.

قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن غير واحد، عن مجاهد ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ قال الماء. والغدق: الكثير ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ حتى يرجعوا إلى علمي فيهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال: لأعطيناهم مالا كثيرا، قوله: ﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنبتليهم.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن بعض أصحابه، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: الدين ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ

ماءَ عَدَقًا ﴿١٦﴾ قال: مالا كثيرا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنتليهم به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءَ عَدَقًا﴾ قال: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال الله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنتليهم بها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءَ عَدَقًا﴾ قال: لو اتقوا لوسع عليهم في الرزق ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنتليهم فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿ماءَ عَدَقًا﴾ قال: عيشاً زغداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءَ عَدَقًا﴾ قال: الغدق الكثير: مال كثير ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنتليهم فيه.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا المطلب بن زياد، عن التيمي، قال: قال عمر رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءَ عَدَقًا﴾ قال: أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال: وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأن لو استقاموا على طريقة الحق وآمنوا لوسعنا عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ والماء العَدَقُ يعني: الماء الكثير ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنتليهم فيه.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يقول عز وجل: ومن يعرض عن

ذكر ربه الذي ذكره به، وهو هذا القرآن ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذاباً صعداً: يقول: يسلكه الله عذاباً شديداً شاقاً. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا﴾ يقول: مشقة من العذاب يصعد فيها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَذَاباً صَعَدًا﴾ قال: مشقة من العذاب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿عَذَاباً صَعَدًا﴾ قال: جبل في جهنم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا﴾ عذاباً لا راحة فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿عَذَاباً صَعَدًا﴾ قال: صعوداً من عذاب الله لا راحة فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا﴾ قال: الصعد: العذاب المنصب.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ فقرأه بعض قراء مكة والبصرة: «تَسْلُكُهُ» بالنون اعتباراً بقوله: ﴿لِنَفْسِنَهُمْ﴾ أنها بالنون. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء، بمعنى: يسلكه الله، رداً على الرب في قوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٧) وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا (١٩) ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ

لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا ﴿﴾ أيها الناس ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ولا تشركوا به فيها شيئاً، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود، عن سعيد بن جبير ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: قالت الجن لنبى الله: كيف لنا نأتى المسجد، ونحن ناؤون عنك، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: المساجد كلها.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: وأنه لما قام محمد رسول الله ﷺ يدعو الله يقول: «لا إله إلا الله» ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض واحداها: لبدة، وفيها لغتان: كسر اللام لبدة، ومن كسرهما جمعها لبَد وضم اللام لبِدة، ومن ضمها جمعها لبَد بضم اللام، أو لاِبِد ومن جمع لاِبِد قال: لبَدًا، مثل راجع ورُكْعًا، وقراء الأمصار على كسر اللام من لبَد، غير ابن مَحْنِصَن فإنه كان يضمها، وهما بمعنى واحد غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار أحب إليّ، والعرب تدعوا الجراد الكثير الذي قد ركب بعضه بعضاً لبَدَّةً ومنه قول عبد مناف بن ربيع الهذلي:

صَابُوا بِسِنَّةِ أُبْيَابٍ وَأَرْزَعَةٍ حتى كأن عليهم جابياً لبَدًا^(١)

(١) البيت في (ديوان الهذليين ٢/٤٠) في شعر عبد مناف بن ربيع الهذلي، يذكر يوم أنف عاذ. وفي «اللسان» صاب: وقول الهذلي:

والجايي: الجراد الذي يجبي كل شيء يأكله.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ فقال بعضهم: عني بذلك الجنّ أنهم كادوا يركبون رسول الله ﷺ لما سمعوا القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول، فجعل يُقرته: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ كادوا يركبونه حرصاً على ما سمعوا منه من القرآن.

قال أبو جعفر: ومن قال هذا القول جعل قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ مما أوحى إلى النبي ﷺ، فيكون معناه: قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجنّ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه.

وقال آخرون: بل هذا من قول النفر من الجنّ لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله ﷺ له، وائتمامهم به في الركوع والسجود.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو مسلم، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قول الجنّ لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له قال: فقال لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن سعيد بن جبير، في قوله:

= البيت صابوا بهم: أوقعوا بهم. والجايي (بالياء): الجراد واللبد (بضم اللام) الكثير. وقال: في (جبا) «والجايي الجراد، يهزم ولا يهزم. وجبا الجراد: هجم على البلد. قال الهذلي:
«صابوا... جابشاً لبدا»

يهزم جايء قال: وكل طالع فجأة جايء وقال في (لبد) ومال لبذ (بالضم): كثير لا يخاف فناؤه، كأنه التبذ بعضه على بعض. وفي التنزيل: يقول أهلك ما لا لبدا: أي جما. قال الفراء: اللبذ: الكثير. وقال بعضهم: واحده: لبدة، ولبد: جماع قال: وجعله بعضهم على جهة قثم وحطم، وهو في الوجهين جميعاً: الكثير ا هـ.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: كان أصحاب نبي الله ﷺ يأتون به، فيركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده.

ومن قال هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد فتح الألف من قوله: «وأنه» عطف بها على قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ مفتوحة، وجاز له كسرها على الابتداء.

وقال آخرون: بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ لعلمه أن الإنس والجن تظاهروا عليه، ليُظلموا الحق الذي جاءهم به، فأبى الله إلا إتمامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليظفثوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه، ويظهره على من ناوأه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿لِبَدًا﴾ قال: لما قام النبي ﷺ تلبدت الجن والإنس، فحرصوا على أن يظفثوا هذا النور الذي أنزله الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تظاهروا عليه بعضهم على بعض، تظاهروا على رسول الله ﷺ.

ومن قال هذا القول فتح الألف من قوله «وأنه». وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عقيب قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وذلك من خبر الله فكذلك قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هودبة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول «لا إله إلا الله» ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن رجل، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تراكبوا عليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد بن جبير ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: بعضهم على بعض.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: أعواناً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال جميعاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: جميعاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ واللبد: الشيء الذي بعضه فوق بعض.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أُبَدَّ مِنْ ذُرِّيَّتِي مُنكِحًا ﴿٣٨﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين على وجه الخبر «قال» بالألف ومن قرأ ذلك كذلك، جعله خيراً من الله عن نبيه محمد ﷺ أنه قال، فيكون معنى الكلام: وأنه لما قام عبد الله يدعوه تلبدوا عليه، قال لهم: إنما أدعو ربي، ولا أشرك به أحداً. وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قراء الكوفة على وجه الأمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ: قل يا محمد للناس الذين كادوا يكونون عليك لبداً، إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي العرب الذين ردوا عليك ما جئتهم به من النصيحة: إني لا أملك لكم ضراً في دينكم ولا في دنياكم، ولا رشداً أرشدكم، لأن الذي يملك ذلك، الله الذي له ملك كل شيء.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ من خلقه إن أرادني أمراً، ولا ينصرني منه

وذكر أن هذه الآية أنزلت على النبي ﷺ، لأن بعض الجن قال: أنا أجيره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَلَنْ أُجِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾ يقول: ولن أجد من دون الله ملجأً ألبأ إليه، كما:

حدثنا مهران، عن سفيان ﴿وَلَنْ أُجِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾ يقول: ولن أجد من دون الله ملجأً ألبأ إليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَلَنْ أُجِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾: أي ملجأً ونصيراً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿مُلْتَحِذًا﴾ قال: ملجأً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَلَنْ أُجِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾ يقول: ناصراً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا بِلَاغٍ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْتَعْلِمُونَ مَنْ أَصْعَقَتْ نَاصِرًا وَقَلَّ عَدَدًا﴾ (٢٣).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ﴿إِلَّا بِلَاغٍ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم فأما الرشد والخذلان، فييد الله، هو مالكة دون سائر خلقه يهدى من يشاء ويخذل من أراد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِلَّا بِلَاغٍ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ فذلك الذي أملك بلاغاً من الله ورسالاته.

وقد يحتمل ذلك معنى آخر، وهو أن تكون «إلا» حرفين، وتكون «لا» منقطعة من «إن» فيكون معنى الكلام: قل إني لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته ويكون نصب البلاغ من

إضمار فعل من الجزاء كقول القائل: إن لا قياماً ففعوداً، وإن لا إعطاء فرداً جميلاً، بمعنى: إن لا تفعل الإعطاء فرداً جميلاً.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، ويكذب به ورسوله، فجحده رسالاته، فإن له نار جهنم يصلها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً إلى غير نهاية.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة ﴿فَسَيَخْلَمُونَ مِنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أجدد الله الذي أشركوا به، أم هؤلاء المشركون به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيَتُّ أَقْرَبًا مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكَ رَبِّي أَمْدًا ۗ ﴿٢٥﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۗ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۗ ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۗ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: ما أدري أقرب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَكَ رَبِّي أَمْدًا﴾ يعني: غاية معلومة تطول مدتها.

وقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ يعني بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحداً، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فإنه يصطفيهم، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾** فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾** قال: ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول الله ﷺ الغيب القرآن، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة.

وقوله: **﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** يقول: فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرساً وحفظة يحفظونه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن الضحاك **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن منصور، عن إبراهيم **﴿مِمَّنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم **﴿مِمَّنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن طلحة، يعني ابن مصرف، عن إبراهيم، في قوله: **﴿مِمَّنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** قال: الملائكة.

وقوله: **﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أُنْزِلَتْ رِسَالَاتٍ رَبِّهِمْ﴾** اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله

﴿لِيَعْلَمَ﴾ فقال بعضهم: عُني بذلك رسول الله ﷺ، وقالوا: معنى الكلام: ليعلم رسول الله ﷺ أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ليعلم رسول الله ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم نبي الله ﷺ أن الرسل قد أبلغت عن الله، وأن الله حفظها، ودفع عنها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليعلم محمد أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل ﴿لِيَعْلَمَ﴾ محمد ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ قال: وما نزل جبريل عليه السلام بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وذلك أن قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله ﴿فَأِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه.

وقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ يقول: وعلم بكل ما عندهم ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يقول: علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء. وقد:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ . . . إلى قوله ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ قال: ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم، فبلغوا رسالاتهم.

آخر تفسير سورة الجن

(٧٣) سورة المزمل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَأْيُهَا الْمُرْمَلُ﴾ (١) ﴿فَرِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) ﴿نُصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (٣) ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّيَ الْقَرْمَانَ تَرْتِيلًا﴾ (٤)

يعني بقوله: ﴿يَأْيُهَا الْمُرْمَلُ﴾ هو الملتف بشيابه. وإنما عني بذلك نبي الله ﷺ.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه الآية من التزمّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه متزمّل في ثيابه، متأهب للصلاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَأْيُهَا الْمُرْمَلُ﴾: أي المتزمّل في

ثيابه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿يَأْيُهَا الْمُرْمَلُ﴾ هو الذي

تزمّل بشيابه.

وقال آخرون: وصفه بأنه متزمّل النبوة والرسالة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، في قوله:

﴿يَأْيُهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال: رُمّلت هذا الأمر فقم به.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة، لأنه قد عقبه

بقوله: ﴿قُمْ اللَّيْلُ﴾ فكان ذلك بياناً عن أن وصفه بالتزمّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنيه.

وقوله: ﴿قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُمْ اللَّيْلُ﴾ يا محمد كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منه،

﴿نُصْفَهُ﴾ يقول: قم نصف الليل ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يقول: أو زد عليه خيره الله

تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن مسعر، قال: ثنا سماك الحنفي، قال: سمعت ابن عباس يقول: لما نزل أول المزمل، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في رمضان، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن بشر، عن مسعر، قال: ثنا سماك، أنه سمع ابن عباس يقول، فذكر نحوه. إلا أنه قال: نحواً من قيامهم في شهر رمضان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن حيان، عن موسى بن عبيدة، قال: ثني محمد بن طخلاء مولى أم سلمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل، فتسامع به الناس، فاجتمعوا، فخرج كالمغضب، وكان بهم رحيماً، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: «يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل من الثواب حتى تمألوا من العمل وخير الأعمال ما دمتم عليه» ونزل القرآن: ﴿بأيها المرمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيدة الحميري، عن محمد بن طحلاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: كنت اشتري لرسول الله ﷺ حصيراً، فكان يقوم عليه من أول الليل، فتسمع الناس بصلاته، فاجتمعت جماعة من الناس فلما رأى اجتماعهم كره ذلك، فخشي أن يكتب عليهم، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويتسعلون حتى خرج إليهم، فقال: «يا أيها الناس إن الله لا يمل حتى تمألوا يعني من الثواب فاكلفوا من العمل ما تطيقون فإن خير العمل أذومه وإن قل» ونزلت عليه: ﴿بأيها المرمل قم الليل إلا قليلاً﴾ السورة قال: فكتبت عليهم، وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به فلما رأى الله ما يكلفون مما يبتغون به وجه الله ورضاه، وضع ذلك عنهم، فقال: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه﴾ . . . إلى ﴿علم أن لن نخصوه فتاب عليكم﴾ فردهم إلى الفريضة، ووضع عنهم النافلة، إلا ما تطوعوا به.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في

قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِضْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً، فشق ذلك على المؤمنين، ثم خفف عنهم فرحمهم، وأنزل الله بعد هذا: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَأَخْرُوجَ وَيَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ . . . إلى قوله ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ فوسع الله وله الحمد، ولم يضيق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لما أنزل الله على نبيه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾ قال: مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِضْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فخفف الله عنهم بعد عشر سنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن، قالوا: قال في سورة المزمّل ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِضْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ نسختها الآية التي فيها: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفاً بعد في آخر السورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمن، قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾ قاموا بها حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ فاستراح الناس.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جرير يبيع الملاء عن الحسن، قال: الحمد لله تطوع بعد فريضة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن، قال لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾ . . . الآية، قام المسلمون حولاً، فمنهم من أطاقه، ومنهم من لم يطقه، حتى نزلت الرخصة.

قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة.

وقوله: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ يقول جلّ وعزّ: وبين القرآن إذا قرأته تبيينا، وترسل فيه ترسلاً. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: أقرأه قراءة بيّنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فقال: بعضه على أثر بعض.

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فقال: بعضه على أثر بعض. على تؤدة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: ترسل فيه ترسلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فقال: بعضه على أثر بعض.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، عن عطاء ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: الترتيل التّبذ: الطّرح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال بينه بياناً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مفسم، عن ابن عباس ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: بيّنه بياناً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: بعضه على أثر بعض.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ بَيِّنًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَنَةً طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فقال بعضهم: عُني به إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً بالعمل به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال: العمل به، قال: إن الرجل لِيَهْدُ^(١) السورة، ولكن العمل به ثقیل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ثقیل والله فرائضه وحدوده.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿ثَقِيلًا﴾ قال: ثقیل والله فرائضه وحدوده.

وقال آخرون: بل عني بذلك أن القول عينه ثقیل محمله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال: هو والله ثقیل مبارك القرآن، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقیل، فهو كما وصفه به ثقیل محمله ثقیل العمل بحدوده وفرائضه.

وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ يعني جَلَّ وعزَّ بقوله: إن ناشئة الليل: إن ساعات الليل، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل. وقد اختلف أهل التأويل في ذلك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا حاتم بن أبي صغيرة، قال: قلت لعبد الله بن أبي مليكة: ألا تحدثني أي الليل ناشئة؟ قال: على الثبت سقطت، سألت عنها

(١) الهد: سرعة القراءة. وهو يهد القرآن هذا: إذا أسرع فيه وتابعه. وهذا الحديث: سرده «التاج».

ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت عنها ابن الزبير، فأخبرني مثل ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل، قالوا: نشأ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** نشأ: قام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي ميسرة **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: نشأ: قام.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، قال: إذا قام الرجل من الليل، فهو ناشئة الليل.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: هو الليل كله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: إذا قمت من الليل فهو ناشئة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: كل شيء بعد العشاء فهو ناشئة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: قيام الليل قال: وأي ساعة من الليل قام فقد نشأ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أي الليل قمت فهو ناشئة.

قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل فقالوا: كل الليل ناشئة، فإذا نشأت قائماً فذلك ناشئة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** قال: أي ساعة تَهَجَّدَ فيها متهجداً من الليل.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ يعني الليل كله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي عامر الخزاز، ونافع عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: الليل كله.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الليل كله إذا قام يصلي فهو ناشئة.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان بعد العشاء، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: ما بعد العشاء ناشئة.

قال: ثنا ابن علي، قال: ثنا أبو رجاء، في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: ما بعد العشاء الآخرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: ناشئة الليل: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: قال قتادة في قوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: كل شيء بعد العشاء فهو ناشئة.

وقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ اختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والكوفة ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ بفتح الواو وسكون الطاء. وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ومكة والشام: «وطاء» بكسر الواو ومد الألف على أنه مصدر من قول القائل: واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

ويعني بقوله ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ ناشئة الليل أشد ثباتاً من النهار وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار. وحكي عن العرب: وَطْئْنَا اللَّيْلَ وَطْأً: إذا ساروا فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال من أهل التأويل من قرأه بفتح الواو وسكون الطاء، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾**: أي أثبت في الخير، وأحفظ في الحفظ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** قال: القيام بالليل أشد وطئاً: يقول: أثبت في الخير.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** يقول: ناشئة الليل كانت صلاتهم أول الليل **﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** يقول: هو أجدر أن تُحْصُوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** قال: إن مصلي الليل القائم بالليل أشد وطئاً: طمانينة أفرغ له قلباً، وذلك أنه لا يَعْْرِضُ له حوائج ولا شيء.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** يقول: قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار، وأشد مواطاة بالليل منه بالنهار.

وأما الذين قرأوا: «وطء» بكسر الواو ومد الألف، فقد ذكرت الذي عَتَوْا بقراءتهم ذلك كذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾** قال: أن تَوَاطِيءَ قلبك وسمعك وبصرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** قال: تَوَاطِيءَ سمعك وبصرك وقلبك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾** قال: مُوَاطَاةٌ للقول، وفراغاً للقلب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: **﴿إِنَّ**

ناشئة اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قَيْلاً ﴿١﴾ قال: أجدر أن تواطىء لك سمعك، أن تواطىء لك بصرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿أَشَدُّ وَطْناً﴾ قال: أجدر أن تواطىء سمعك وقلبك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾ قال: يواطىء سَمْعُكَ وبصرك وقلبك بعضه بعضاً.

وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾ يقول: وأصوب قراءة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، قال: قرأ أنس هذه الآية: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَصْوَبُ قَيْلاً﴾، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي ﴿أَقْوَمُ قَيْلاً﴾ قال: أقوم وأصوب وأهياً واحداً.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا عبد الحميد الحمانى، عن الأعمش قال: قرأ أنس ﴿وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾: «وأصوب قَيْلاً» قيل له: يا أبا حمزة إنما هي ﴿وَأَقْوَمُ﴾ قال أنس: أصوب وأقوم وأهياً واحداً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾ يقول: أدنى من أن تفقهوا القرآن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾: أحفظ للقراءة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قَيْلاً﴾ قال: أقوم قراءة لفراغه من الدنيا.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن لك يا محمد في النهار فراغاً طويلاً تتسع به، وتتقلب فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: **ثني أبي**، قال: **ثني عمي**، قال: **ثني أبي**، عن أبيه، عن ابن عباس **«سَبَّحاً طَوِيلًا»** فراغاً طويلاً، يعني النوم.

حدثنا ابن بشار، قال: **ثنا مؤمل**، قال: **ثنا سفيان**، عن منصور، عن مجاهد، قوله: **«إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا»** قال: متاعاً طويلاً.

حدثنا بشر، قال: **ثنا يزيد**، قال: **ثنا سعيد**، عن قتادة، في قوله **«سَبَّحاً طَوِيلًا»** قال: فراغاً طويلاً.

حدثني يونس، قال: **أخبرنا ابن وهب**، قال: قال ابن زيد، في قوله: **«إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا»** قال: لحوائجك، فافزغ لدينك الليل، قالوا: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إن الله من على العباد فحففها ووضعها، وقرأ: **«قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا»** . . . إلى آخر الآية، ثم قال: **«إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ»** حتى بلغ قوله: **«فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ»** الليل نصفه أو ثلثه، ثم جاء أمر أوسع وأفسح، وضع الفريضة عنه وعن أمته، فقال: **«وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا»**.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: **«إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا»** فراغاً طويلاً. وكان يحيى بن يعمر يقرأ ذلك بالخاء.

حدثنا ابن حميد، قال: **ثنا يحيى بن واضح**، قال: **ثنا عبد المؤمن**، عن غالب الليثي، عن يحيى بن يعمر «من جذيلة قيس» أنه كان يقرأ: **«سَبَّحاً طَوِيلًا»** قال: وهو النوم. قال أبو جعفر: والتسيخ: توسيع القطن والصوف وتنفيشه، يقال للمرأة: **سَبَّخِي قطنك**: أي نففيه ووسعيه ومنه قول الأخطل:

فَأرْسَلُوهُنَّ يُذْرِيْنَ الثَّرَابَ كَمَا يُذْرِي سَبَائِحَ قُطْنٍ تَذْفُ أوتاراً^(١)

(١) البيت للأخطل يذكر الكلاب «اللسان» سبخ قال: التسيخ: التخفيف. ويقال: «اللهم سبخ عني الحمى» أي خففها وسهلها؛ ولهذا قيل لقطع القطن إذا ندف سبائح، ومنه قول الأخطل يذكر الكلاب:

«فَأرْسَلُوهُنَّ»

البيت وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٦) وقوله: «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» يقول: لك في النهار ما تقضى حوائجك. وقد قرأ بعضهم: سبخا، بالخاء، والتسيخ: توسعة الصوف والقطن وما أشبهه، يقال: سبخى قطنك قال أبو العباس (ثعلب) سمعت أبا عبد الله (ابن الأعرابي) يقول: حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم، فسأله الفراء عن هذا الحرف، فقال: أهل باديتنا يقولون: اللهم سبخ عنه للمريض والملسوع ونحوه.

وإنما عني بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: إن لك في النهار سعة لقضاء حوائجك وقومك. والسبح والسيح قريباً المعنى في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً ۝ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْمُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَأذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿أَسْمَ رَبِّكَ﴾ فادعه به ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ يقول: وانقطع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره وهو من قولهم: تَنْتَبَلْتُ هذا الأمر ومنه قيل لأم عيسى بن مريم البتول، لانقطاعها إلى الله ويقال للعباد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتل ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ «أنه نهى عن التبتل». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ قال: أخلص له إخلاصاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى، عن ابن أبي نجیح، عن الحكم، عن مِقْسَم، عن ابن عباس: ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ قال: أخلص له إخلاصاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ قال: أخلص له إخلاصاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: أَخْلَصَ إليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ قال: أَخْلَصَ إليه إخلاصاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي يحيى المكي، في قوله ﴿وَتَنْتَبِلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ قال: أَخْلَصَ إليه إخلاصاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ قال: أخلص إليه المسألة والدعاء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن أشعث، عن الحسن، في قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ قال: بتل نفسك واجتهد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ يقول: أخلص له العبادة والدعوة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ قال: أخلص إليه إخلاصاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ قال: أي تفرغ لعبادته، قال: تبتل فحبذا التبتل إلى الله، وقرأ قول الله: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ قَالَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْجِهَادِ فَانصَبْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿وَالِي رَبِّكَ فَارْعَبْ﴾.

وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة بالرفع على الابتداء، إذ كان ابتداء آية بعد أخرى تامة. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالخفض على وجه النعت، والرد على الهاء التي في قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. ومعنى الكلام: ربّ المشرق والمغرب وما بينهما من العالم.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا ينبغي أن يُعبد إله سوى الله الذي هو ربّ المشرق والمغرب.

وقوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ فيما يأمرك وفوض إليه أسبابك.

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم، واهجرهم في الله هجراً جميلاً. والهجرججميل: هو الهجر في ذات الله، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ الآية، وقيل: إن ذلك نسخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاضْبُرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ براءة نسخت ما ههنا أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يقبل منهم غيرها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ﴿١١٣﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١١٤﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصْنٍ وَعِذَانًا أَلْمَا ﴿١١٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ فدعني يا محمد والمكذبين بآياتي ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ يعني أهل التمتع في الدنيا ﴿وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾ يقول: وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلاً حتى يبلغ الكتاب أجله. وذكر أن الذي كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليّة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن عباد، عن أبيه، عن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾... الآية، قالت: لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾ يقول: إن الله فيهم طليبة وحاجة.

وقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن عندنا لهؤلاء المكذبين بآياتنا أنكالاً، يعني قيوداً، واحداها: نكل. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو، عن عكرمة، أن الآية التي قال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ إنها قيود.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي عمرو، عن عكرمة ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قال: قيوداً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو عمرو، عن عكرمة ﴿أَنْكَالًا﴾ قال: قيوداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمرو، عن عكرمة ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قال: قيوداً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: ويلغني عن مجاهد قال: الأنكال: القيود.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن حماد، قال: الأنكال: القيود.

حدثني محمد بن عيسى الدماغاني، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن حماد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت حماداً يقول: الأنكال القيود.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: أي قيوداً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن، عن سفيان، عن أبي عمرو بن العاص، عن عكرمة ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قال: قيوداً.

حدثنا أبو عبيد الوصّابي محمد بن حفص، قال: ثنا ابن جُمَيْر، قال: ثنا الثوري، عن حماد، في قوله ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ قال: الأنكال: القيود.

حدثنا سعيد بن عنبسة الرازي، قال: مررت بابن السماك، وهو يَقْصُصُ وهو يقول: سمعت الثوري يقول: سمعت حماداً يقول في قول الله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قال: قيوداً سوداء من نار جهنم.

وقوله: ﴿وَجَحِيمًا﴾ يقول: وناراً تسعر ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يقول: وطعاماً يَعْصُ به أكله، فلا هو نازل عن حلقة، ولا هو خارج منه، كما:

حدثني إسحاق بن وهب وابن سنان القرّاز قالوا: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلقة، فلا يدخل ولا يخرج.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شجرة الزقوم.

وقوله: ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: وعذاباً مؤلماً موجعاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن حمزة الزيات، عن حُمران بن أعين أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَتْكَالًا وَجَجِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فصعق ﷺ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾

يقول تعالى ذكره: إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد العقوبات التي وصفها في يوم ترجف الأرض والجبال ورُجفان ذلك: اضطرابه بمن عليه، وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ يقول: وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً. والمهيل: مفعول من قول القائل: هلت الرمل فأنا أهيله، وذلك إذا حرك أسفله، فانهال عليه من أعلاه وللعرب في ذلك لغتان، تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول ومنه قول الشاعر:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَخْسَبُونَكَ سَيْدًا وَإِخَالُ أُنْكَ سَيْدٌ مَغْيُونٌ^(١)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ يقول: الرمل السائل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ قال: الكثيب المهيل: اللين الذي إذا مسسته تابع.

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمي (شرح شواهد شافية ابن الحاجب لعبد القادر البغدادي طبع القاهرة ٣٨٩) قال البغدادي مغيون، بالغين المعجمة: اسم مفعول من قولهم: غين على قلبه: أي غطى عليه. وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي» ولكن الناس يشدون به بالياء، وهو تصحيف، وقد روى بالعين غير المعجمة أي مصاب بالعين - والأول هو الوجه. وكلاهما مما جاء فيه التصحيح وإن كان الاعتلال فيه أكثر، كقولهم: طعام مزبوت، وبرمكيول، وثوب مخيوط؛ والقياس: مغين، ومزيت، ومكيل، ومخيظ، حملا على غين، وزيت، وكيل، وخيظ. قال أبو علي: ولو جاء التصحيح فيما كان من الواو لم ينكر، وقد صححوا أحرقا من ذات الواو؛ قالوا: مسك مدوون، وثوب مصووف، وفرس مقوود. وإنما صح اسم المفعول من هذا التركيب فحال بذلك اسم الفاعل؛ لأن اسم المفعول غير جار على فعله في حركاته وسكونه، كما تجرى أسماء الفاعلين على أفعالها؛ فلما خالف اسم المفعول فعله فيما ذكرناه، خالفه في إعلاله. ١ هـ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿كَثِيباً مَهِيلاً﴾ قال: ينهال.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يقول: مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون مصر رسولاً بدعائه إلى الحق، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الذي أرسلناه إليه ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ يقول: فأخذناه أخذاً شديداً، فأهلكناه ومن معه جميعاً وهو من قولهم: كلاً مستؤبل، إذا كان لا يُستمرأ، وكذلك الطعام. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ قال: شديداً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ قال: شديداً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أي شديداً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ قال: شديداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ قال: الوبيل: الشرّ والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرّ: لقد أوبل عليه، وتقول: أوبلت على شرك قال: ولم يرض الله بأن عُرق وعُذّب حتى أقرّ في عذاب مستقرّ حتى يُبعث إلى النار يوم القيامة، يريد فرعون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (٧) **السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ يَوْمَ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به: فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله، ولم تصدقوا به. وذكر أن ذلك كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يقول: كيف تتقون يوماً وأنتم قد كفرتم به ولا تصدقون به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ قال: والله لا يتقي من كفر بالله ذلك اليوم.

وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني يوم القيامة، وإنما تشيب الولدان من شدة هول وكرهه، كما:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ كان ابن مسعود يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا ربنا المَلِكُ آدمَ، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم: أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيساقون إلى النار سُوداً مقرنين، زُرْقاً كالبحين، فيشيب هنالك كل وليد».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم.

وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عبيد، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ﴾ يعني: تشقق السماء حين ينزل الرحمن جلّ وعزّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به.

حدثنا أبو حفص الحيري، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا أبو مودود، عن الحسن، في قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة محزونة يوم القيامة.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا أبو مودود بحر بن موسى، قال: سمعت ابن أبي علي يقول في هذه الآية، ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: موقرة مثقلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ يقول: منقل به ذلك اليوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: هذا يوم القيامة، فجعل الولدان شيباً، ويوم تنفطر السماء، وقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ وقال: هذا كله يوم القيامة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلئة به، بلسان الحبشة.

حدثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة، ولم يسمعه عن ابن عباس ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلئة به.

وذكرت السماء في هذا الموضع لأن العرب تذكرها وتؤنثها، فمن ذكرها وجهها إلى السقف، كما يقال: هذا سماء البيت: لسقفه. وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها لأنها من الأسماء التي لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها ومن التذكير قول الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْنِ قَوْماً لَحَفْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ^(١)

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٦) قال: وقوله «السماء منفطر به»: بذلك اليوم. والسماء تذكر وتؤنث، فهي هاهنا في وجه التذكير؛ قال الشاعر:

«ولسو رفح السمماء.....»

وقوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولاً، لأنه لا يخلف وعده، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون الولدان شيئاً يقول: فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس، فإنه كائن لا محالة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَسِيتُمْ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا نَسَرَّ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ رَجُوعٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا نَسَرَّ مِنْهُ وَأَفِضُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نُّحَدِّثْهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: إن هذه الآيات التي ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر ﴿تذكرة﴾ يقول: عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ ﴿فمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يقول: فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقاً بالإيمان به، والعمل بطاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني القرآن ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بطاعة الله.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثي الليل مصلياً، ونصفه وثلثه.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بالخفض ونصفه وثلثه بمعنى: وأدنى من نصفه وثلثه، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل، فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه. وقرأ ذلك بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة بالنصب، بمعنى: إنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه.

= البيت. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨١) «السماء منفطر به»: قال أبو عمرو: ألقى الهاء، لأن مجازها السقف، تقول: هذا سماء البيت. وقال قوم قد تلقى العرب من المؤنث الهاءات استغناء عنها، يقال مهرة ضامر، وامرأة طالق، والمعنى: منفطرة.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا مؤمنين بالله حين فرض عليهم قيام الليل.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالساعات والأوقات.

وقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ يقول: علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إذ عجزتم وضعفتم عنه، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم. وينحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن عباد بن راشد، عن الحسن ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أن لن تطيقوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرني به عباد بن راشد، قال: سمعت الحسن يقول في قوله ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ قال: لن تطيقوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ يقول: أن لن تطيقوه.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ قال: أن لن تطيقوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «حَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهُمَا رَجُلٌ مُّسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلْتَاهُ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلًا، يُسَبِّحِ اللَّهَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا» قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قال: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَالْفُؤَادِ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمَدَ وَكَبَّرَ مِئَةً، قَالَ: فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَالْفُؤَادِ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيْكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ الْفَيْنِ وَخَمْسَ مِئَةٍ سَيِّئَةٍ؟» قالوا: فكيف لا نحصيها؟ قال: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا حَتَّى يَنْقَلِبَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَغْفُلُ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ فَلَا يَزَالُ يُتَوَمَّهُ حَتَّى يَنَامَ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ﴾ قيام الليل كتب عليكم **﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾** .

وقوله: **﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾** يقول: فاقروا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم وهذا تخفيف من الله عز وجل عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله: **﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا يَضْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾** .

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذلك قال الله للعبد الصالح: ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ قلت: يا أبا سعيد قال الله: **﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾** قال: نعم، ولو خمسين آية .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عثمان الهمداني، عن السدي، في قوله: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال: مئة آية .

قال: ثنا وكيع، عن ربيع، عن الحسن، قال: من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجه القرآن .

قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن كعب، قال: من قرأ في ليلة مئة كتب من العابدين .

وقوله: **﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل **﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** في سفر **﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضاً عن قيام الليل **﴿وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يقول: وآخرون أيضاً منكم يجاهدون العدو فيقاتلونهم في نصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم، ووضع عنكم فرض قيام الليل **﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾** يقول: فاقروا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسر من القرآن . والهاء في قوله «منه» من ذكر القرآن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثم أنبأ بخصال المؤمنين، فقال: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: افترض الله القيام في أول هذه السورة، فقام نبي

الله ﷻ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأقيموا المفروضة وهي الصلوات الخمس في اليوم والليل ﴿وآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم أهلها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فهما فريضتان واجبتان، لا رخصة لأحد فيهما، فآذوهما إلى الله تعالى ذكره.

وقوله: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا﴾ يقول: وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا﴾ قال: القرض: النوافل سوى الزكاة.

وقوله: ﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يقول: وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثواباً: أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

آخر تفسير سورة المزمل

(٧٤) سورة المدثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتَبَّكَ فَطَفِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَنْسَ فَمَنْ نَسَكَرْ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾

يقول جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: يا أيها المتدثر بشيابه عند نومه.

وذكر أن نبي الله ﷺ قيل له ذلك، وهو متدثر بقطيفة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قال: كان متدثراً في قطيفة.

وذكر أن هذه الآية أول شيء نزل من القرآن على رسول الله ﷺ، وأنه قيل له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: «بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كُرسي بين السماء والأرض» قال رسول الله ﷺ: «فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقاً^(١)، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي» فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾... إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قال: ثم تابع الوحي.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا الأوزاعي، قال: ثني يحيى بن

(١) جئت منه بالبناء للمجهول: فرعت وخفت.

أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول، فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ فقلت: يقولون ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾، فقلت يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال: لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي ﷺ، قال: «جاورت في جِراء فلما قضيت جوارِي هبطت، فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقدامي، فلم أر شيئاً، فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه» هكذا قال عثمان بن عمرو، إنما هو: «فجثت منه، ولقيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، وصبوا علي ماء، فأنزل الله علي: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن علي بن مبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن، قال: نزلت ﴿يا أيها المدثر﴾ أول قال: قلت: إنهم يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، فقال: سألت جابر بن عبد الله، فقال: لا أحذثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاوِرت بِجِراء فلما قضيت جِوارِي هَبَطْتُ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً، فَتَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، وَتَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئاً، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بارِداً، فنزلت ﴿يا أيها المدثر﴾».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة، فحزن حزناً، فجعل يعدو إلى شواهق رؤوس الجبال ليردّي منها، فكلمها أوفي بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبي الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك، قال: «بينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كُرسي بين السماء والأرض، فُجِئْتُ مِنْهُ رُغْباً، فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، فزَمَلَنَاهُ: أي فدثرناه، فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر﴾ قال الزهري: فكان أول شيء أنزل عليه: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾».

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يا أيها المدثر﴾، فقال بعضهم: معنى ذلك: يا أيها النائم في ثيابه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيها المدثر﴾ قال: يا أيها النائم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ يقول: المتدثر في ثيابه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يا أيها المتدثر النبوة وأثقالها.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: وسئل داود عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فحدثنا عن عكرمة أنه قال: دثرت هذا الأمر فقم به.

وقوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قم من نومك فأندر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله، وعبدوا غيره. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: أي أندر عذاب الله ووقائعه في الأمم، وشدة نعمته.

وقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظم لعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد.

وقوله: ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لا تلبس ثيابك على معصية، ولا على غدره.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة:

وَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَيْسْتُ وَلَا مِنْ عَذْرَةِ أَتَقَسَّعُ^(١)

(١) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي كما قال المؤلف، أنشده عند قوله تعالى: ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ قال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٤٦) وقوله «وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ» يقول: لا تكن غادراً، فتدنس ثيابك، فإن الغادر دنس الثياب. ويقال: وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ: وعملك فأصلح. وقال بعضهم «وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ» فقصر فإن تقصير الثياب طهره. وفي «اللسان» ثوب وقوله عز وجل «وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ» قال ابن عباس: يقول لا تلبس ثيابك على معصية، ولا على فجور كسفر؛ واحتج بقول الشاعر:

«إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ»

وقال أبو العباس (ثعلب) الثياب: اللباس. ويقال للقلب ا هـ. قال: وقيل نفسك فطهر، والعرب تكنى بالثياب عن النفس. وفلان دنس الثياب: إذا كان خبيث الفعل والمذهب، خبيث العرض. قال امرؤ القيس:

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ بِيضُ السَّمَاوَاتِ غُرَانُ

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مُضْعَب بن سلام، عن الأجلح، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أناه رجل وأنا جالس فقال: رأيت قول الله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدره، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وَأِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَيْسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةِ أَتَقَنَّعُ

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا حفص بن غياث، عن الأجلح، عن عكرمة، قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: لا تلبسها على غدره، ولا على فجرة، ثم تمثّل بشعر غيلان بن سلمة هذا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن عكرمة ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: لا تلبس ثيابك على معصية، ألم تسمع قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وَأِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَيْسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةِ أَتَقَنَّعُ

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج، قال ابن جريج، أخبرني عطاء، أنه سمع ابن عباس يقول: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الإثم، ثم قال: نقّي الثياب في كلام العرب.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا حفص بن غياث القاضي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قوله ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: في كلام العرب: نقّي الثياب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن مخيرة، عن إبراهيم ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الذنوب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الذنوب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: هي كلمة من العربية كانت العرب تقولها: طهر ثيابك: أي من الذنوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ يقول: طهّرها من المعاصي، فكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دنس الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا: مطهّر الثياب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن

عباس: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الإثم.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الإثم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ يقول: لا تلبس ثيابك على معصية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: من الإثم.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: من الإثم.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن الأجلح، سمع عكرمة قال: لا تلبس ثيابك على معصية.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن عامر وعطاء قالوا: من الخطايا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أصلح عملك.

نكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: عملك فأصلح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين في قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: عملك فأصلحه، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل، قالوا: فلان خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل قالوا: فلان طاهر الثياب.

وقال آخرون في ذلك ما.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال: لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالوا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اغسلها بالماء، وطهرها من النجاسة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا علي بن عبد الله بن جعفر، عن أحمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد بن سيرين **﴿وَيَايَاكَ فَطَهَّرْ﴾** قال: اغسلها بالماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيَايَاكَ فَطَهَّرْ﴾** قال: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره أن يتطهر، ويظهر ثيابه.

وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عني به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة: «وَالرُّجْزَ» بكسر الراء، وقرأه بعض المكيين والمدنيين **﴿وَالرُّجْزَ﴾** بضم الراء، فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان، وقال: معنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها، واترك خدمتها، ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب، وقال: معناه: والعذاب فاهجر، أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد، ولم نجد أحداً من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك، وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي.

واختلف أهل التأويل في معنى **﴿الرُّجْزَ﴾** في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو الأصنام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** يقول: السخط وهو الأصنام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** قال: الأوثان.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل قال أبو جعفر: أحسبه أنا عن جابر عن مجاهد وعكرمة **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** قال: الأوثان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾**: إساف ونائلة، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يجتنبهما ويعتزلهما.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** قال: هي الأوثان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** قال: الرجز: ألتهم التي كانوا يعبدون أمره أن يهجرها، فلا يأتيها، ولا يقربها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: والمعصية والإثم فاهجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** قال الإثم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** يقول: اهجر المعصية.

وقد بيّنا معنى الرجز فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع.

وقوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لا تعطِ يا محمد عطية لتعطى أكثر منها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها.

حدثنا أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة، قال: ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي، قال: ثنا أروطة عن ضمرة بن حبيب وأبي الأحوص في قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط شيئاً، لتعطى أكثر منه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط شيئاً لتعطى أكثر منه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني من سمع عكرمة يقول: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل، عن منصور، عن إبراهيم **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط كيما تزداد.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط شيئاً لتأخذ أكثر منه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سلمة، عن الضحاك **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط لتعطى أكثر منه.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط لتعطى أكثر منه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط شيئاً لتزداد.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا وكيع، عن ابن أبي رواد، عن الضحاك، قال: هو الربا الحلال، كان للنبي ﷺ خاصة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي حنيفة، عن الضحاك، هما ربوان: حلال، وحرام فأما الحلال: فالهدايا، والحرام: فالربا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** يقول: لا تعط شيئاً، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط شيئاً لتثاب أفضل منه، وقاله أيضاً طاوس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: تعطي مالا مصانعة رجاء أفضل منه من الثواب في الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: لا تعط لتعطى أكثر منه.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم **﴿وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ﴾** قال: لا تعط لتزداد.

قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن رجل، عن الضحاك بن مزاحم **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: هي للنبي ﷺ خاصة، وللناس عامة مَوْسَعٌ عليهم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا تمنن عملك على ربك تستكثر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سفيان بن حسين، عن الحسن، في قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: لا تمنن عملك تستكثره على ربك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هودة، قال: ثنا عوف، عن الحسن **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: لا تمنن تستكثر عملك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا يونس بن نافع أبو غانم، عن أبي سهل، كثير بن زياد، عن الحسن **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** يقول: لا تمنن تستكثر عملك الصالح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تضعف أن تستكثر من الخير. ووجهوا معنى قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنُ﴾** أي لا تضعف، من قولهم: جبل منين: إذا كان ضعيفاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو حميد بن المغيرة الحمصي، قال: ثنا عبد الله بن عمرو، قال: ثنا محمد بن سلمة، عن خَصِيفٍ عن مجاهد، في قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف.

وقال آخرون في ذلك: لا تمنن بالنبوة على الناس، تأخذ عليه منهم أجراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلَا تَمُنُّنُ تَسْتَكْثِرُ﴾** قال: لا تمنن بالنبوة والقرآن الذي أرسلناك به تستكثروهم به، تأخذ عليه عوضاً من الدنيا.
وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه ﷺ بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه

منها بأن تكون من غيرها. وذكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك في قراءته: «وَلَا تَمُنُّنَ أَنْ»^(١) تَسْتَكْبِرُ».

وقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولربك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل على اختلاف فيه بين أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قال: على ما أوتيت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قال: حمل أمراً عظيماً محاربة العرب، ثم العجم من بعد العرب في الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولربك فاصبر على عطيتك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قال: اصبر على عطيتك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: اصبر على عطيتك لله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قال: عطيتك اصبر عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ فَانصُرْهُ لِيُقَدَّرَ ۚ وَلَوْ كُنْتُمْ إِلاَّ سَائِرِينَ ﴿٨﴾﴾
 ﴿وَمَنْ خَلَقَتْ وَحْدَهَا ﴿٩﴾﴾ رَحِمَتْ لَكُمْ مَالاً مَسْذُوبًا ﴿١٠﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾، فذلك يومئذ يوم شديد. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل وأسباط، عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس، في قوله ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَحَنِ جِبْهَتَهُ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ يَنْفُخُ فِيهِ»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نقول؟ فقال: «تقولون: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أبو رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: إذا نُفِخَ في الصور.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن جابر، عن مجاهد: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: إذا نُفِخَ في الصور.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: في الصور، قال: هي شيء كهيئة البوق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: هو يوم يُنْفَخُ في الصور الذي ينفخ فيه قال ابن عباس: إن نبي الله ﷺ خرج إلى أصحابه، فقال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنَ، وَحَنِ جِبْهَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنِهِ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصَّيْحَةِ» فاشتد ذلك على أصحابه، فأمرهم أن يقولوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يقول: الصور.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال الحسن: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: إذا نُفِخَ في الصور.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ والناقور: الصور، والصور: الخلق.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول،

في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني: الصُّور.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: الناقور: الصور.

حدثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: الصور.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ يقول: شديد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله تعالى ذكره: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فبين الله على من يقع ﴿على الكافرين غير يسير﴾.

وقوله: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كل يا محمد أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيداً، لا شيء له من مال ولا ولد إلي. وذكر أنه عُني بذلك: الوليد بن المغيرة المخزومي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ...﴾ إلى آخرها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ قال: خلقته وحده ليس معه مال ولا ولد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن محمد بن شريك، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ قال: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكذلك الخلق كلهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

وَجِيداً ﴿ وهو الوليد بن المغيرة، أخرجه الله من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد، فرزقه الله المال والولد، والثروة والنماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً﴾ . . . إلى قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ . . . حتى بلغ ﴿سَأُضْلِيهِ سَقَرَ﴾ قال: هذه الآية أنزلت في الوليد بن المغيرة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً﴾ يعني الوليد بن المغيرة.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾. اختلف أهل التأويل في هذا المال الذي ذكره الله، وأخبر أنه جعله للوحيد ما هو، وما مبلغه؟ فقال بعضهم: كان ذلك دنائير، ومبلغها ألف دينار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه، عن مجاهد: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ قال: كان ماله ألف دينار.

حدثنا صالح بن مسمار المروزي، قال: ثنا الحارث بن عمران الكوفي، قال: ثنا محمد بن سوقة، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ قال: ألف دينار. وقال آخرون: كان ماله أربعة آلاف دينار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ قال: بلغني أنه أربعة آلاف دينار.

وقال آخرون: كان ماله أراضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، في قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ قال: الأرض.

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن النعمان بن سالم مثله.

وقال آخرون: كان ذلك غلة شهر بشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حلبس إمام مسجد ابن عليّة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عمر رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ قال: غلة شهر بشهر.

حدثني أبو حفص الحيري، قال: ثنا حلبس الضُّبَيْعي، عن ابن جريج، عن عطاء مثله، ولم يقل عن عمر.

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا غالب بن حلبس، قال: ثنا أبي، عن ابن جريج، عن عطاء مثله، ولم يقل عن عمر.

حدثنا أحمد بن الوليد، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا حلبس بن محمد العجلي، عن ابن جريج عن عطاء، عن عمر مثله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ وهو الكثير. الممدود عدده أو مساحته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَسِّرْ لَكُمْ سُجُودًا ۝١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّكُمْ كَأَنْ لَأَيُّكُمْ عَيْدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُمْ ضَعُودًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره: وجعلت له بنين شهوداً، ذكر أنهم كانوا عشرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع عن إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه، عن مجاهد ﴿وَيَسِّرِينَ سُجُوداً﴾ قال: كان بنوه عشرة.

وقوله: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾ يقول تعالى ذكره: وبسطت له في العيش بسطاً، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾ قال: بسط له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾ قال: من المال والولد.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد

على ما أعطيته ﴿كَلَامًا﴾ يقول: ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزيده مالا وولداً، وتمهيداً في الدنيا ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ يقول: إن هذا الذي خلقته وحيداً كان لآياتنا، وهي حجج الله على خلقه من الكتب والرسل عنيداً، يعني معانداً للحق مجانباً له، كالبعير العنود ومنه قول القائل:

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلَانِي وَسَطًا . إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدًا^(١)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ قال: جحوداً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ قال محمد بن عمرو: معانداً لها. وقال الحارث: معانداً عنها، مجانباً لها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، قوله ﴿عَنِيدًا﴾ قال: معانداً للحق مجانباً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ كفوراً بآيات الله جحوداً بها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ قال: مشاقفاً، وقيل: عنيداً، وهو من عاند معاندة فهو معاند، كما قيل: عام قابل، وإنما هو مقبل.

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة، قال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: معانداً، كالبعير العنود. وقال الحادي:

«إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلَانِي وَسَطًا»

البيتين». وفي «اللسان» عند العنيد: الجائر عن القصد، الياغي، الذي يرد الحق مع العلم به. وتعاقد الخصمان تجادلا. وعند عن الشيء والطريق يعند ويعند (كينصر ويضرب) عنوداً فهو عنود. وناقاة عنود: لا تخالط الإبل، تباعد عن الإبل، فترعى ناحية أبداً. والجمع: عند وعاند وعاندة، وجمعهما جميعاً عوائد وعند. قال:

«إِذَا رَحِمْنَا رَحِمْنَا»

البيت: يقال: هو يمشي وسطاً لا عنداً. وهذان البيتان من مشطور الرجز، وفيهما عيب نبه عليه صاحب «اللسان»، وهو الإكفاء، لأن قافية البيت الأول طاء، وقافية الثاني دال. وقد سبق الاستشهاد بالبيت الثاني في الجزء (٦٢/١٢) فارجع إليه.

وقوله: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ يقول تعالى ذكره: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. وقيل: إن الصعود جبل في النار يكلف أهل النار صعوده. ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: ثنا محمد بن سعيد بن زائدة، قال: ثنا شريك، عن عمار، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار، يكلفون أن يصعدوه، فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله كذلك».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن دزاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «الصُّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُضَعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ قال: مشقة من العذاب.

حدثني الحارث، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾: أي عذاباً لا راحة منه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ قال: مشقة من العذاب.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ قال: تبعاً من العذاب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ ﴿٢٢﴾ وَبَسَرَ ﴿٢٣﴾ وَأَنشَكَرَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْرُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْرُ ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقته وحيداً، فكَّر فيما أنزل على عبده محمد ﷺ من القرآن، وقَدَّر فيما يقول فيه ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ يقول: ثم لعن كيف قَدَّر النازل فيه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ يقول: ثم رَوَى في ذلك ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ يقول: ثم قبض ما بين عينيه ﴿وَبَسَرَ﴾ يقول: كلح وجهه ومنه قول توبة بن الحُمَيْر:

وَقَدْ رَأَيْتِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا^(١)

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت الأخبار عن الوحيد أنه فعل. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن عباد بن منصور، عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لِمَ؟ قال: يعطونك فإنك أتيت محمداً تتعرض لما يقبله قال: قد علمت قريش أنني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك مُنكر لما قال، وأنت كاره له قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيدته، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه فلما فُكِّر قال: هذا سحر يآثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾. قال قتادة: خرج من بطن أمه وحيداً، فنزلت هذه الآية حتى بلغ تسعة عشر.

حدثني محمد بن سعيد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾... إلى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبأن قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: ألسنت أكثرهم مالا وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي فلا يقصر عن

(١) أنشد المؤلف البيت شاهداً عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال أبو عبيدة في «معجاز القرآن» (الورقة ١٨٢) عيس ويسر: كره وجهه. وقال توبة (ابن الحمير صاحب ليلى الأخيلية):

وقد رأيت رابيتي.....

البيت. وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٧) وقد ذكر موقف الوليد بن المغيرة المخزومي من الإسلام ورسوله: وقوله «ثم نظر، ثم عبس وبسر»: ذكروا أنه مر على طائفة من المسلمين في المسجد الحرام، فقالوا: هل لك إلى الإسلام يا أبا المغيرة فقال: ما صاحبكم إلا ساحر، وما قوله إلى السحر، تعلمه من مسيلمة «الكذاب» ومن سحرة بابل، ثم قال: ولي عنهم مستكبراً، وقد عبس وجهه وبسر، وكلح مستكبراً عن الإيمان. فذلك قوله «إن هذا إلا سحر يؤثر» عن أهل بابل، قال الله «سأصليه سقراً»، وهو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم بحر (يصرف) وكذلك لظي.

سائر بني قُصي لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾... إلى ﴿لَا تَبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فإذا هو ليس له شعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى، وما أشك أنه سحر، فأنزل الله فيه: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾... الآية ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾: قبض ما بين عينيه وكلج.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ قال: الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ يعني الوليد بن المغيرة دعاه نبي الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: حتى أنظر، ففكر ﴿ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ فجعل الله له سقر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾... إلى قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ قال: هذا الوليد بن المغيرة قال: سأبتار لكم هذا الرجل الليلة، فأتى النبي ﷺ، فوجده قائماً يصلي ويقتري، وأتاهم فقالوا: مه؟ قال: سمعت قولاً حلواً أخضر مثمراً يأخذ بالقلوب، فقالوا: هو شعر، فقال: لا والله ما هو بالشعر، ليس أحد أعلم بالشعر مني، أليس قد عرضت عليّ الشعراء شعرهم نابغة وفلان وفلان؟ قالوا: فهو كاهن، فقال: لا والله ما هو بكاهن، قد عرضت عليّ الكهانة، قالوا: فهذا سحر الأولين اكتبه، قال: لا أدري إن كان شيئاً فعسى هو إذا سحر يؤثر، فقرأ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قال: قتل كيف قدر حين قال: ليس بشعر، ثم قتل كيف قدر حين قال: ليس بكهانة.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم ولى عن الإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتابه، واستكبر عن الإقرار بالحق ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ قال: يآثره عن غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ قال: يأخذه عن غيره.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي رزين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ قال: يأثره عن غيره.

وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الوحيد في القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ما هذا الذي يتلوه محمد إلا قول البشر، يقول: ما هو إلا كلام ابن آدم، وما هو بكلام الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿سَاطِئِهِ سَقَرٌ ۚ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاحٍ لِلنَّارِ ۚ لَوَاحٍ لِلنَّارِ ۚ عَلَيْهَا يُسَمَّوْنَ عَشْرٌ ۚ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۚ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَزَقُوا مِنَ اللَّهِ آمِنًا ۚ وَلَا يَرْجُوا لِيلَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالثَّوَمُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ ۚ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَاطِئِهِ سَقَرٌ﴾ سأورده باباً من أبواب جهنم اسمه سقر ولم يُجرَّ سقر لأنه اسم من أسماء جهنم ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأي شيء أدراك يا محمد، أي، شيء سقر. ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر، فقال: هي نار ﴿لَا تُبْقَى﴾ من فيها حياً ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ من فيها ميتاً، ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ قال: لا تميت ولا تحي.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو ليلى، عن مرثد، في قوله: ﴿لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ قال: لا تبقى منهم شيئاً أن تأكلهم، فإذا خلقوا لها لا تذرهم حتى تأخذهم فتأكلهم.

وقوله: ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ يعني جلّ ثناؤه مغيّرة لبشر أهلها واللّوآحة من نعت سقر، وبالرّد عليها رُفعت، وحسُن الرفع فيها، وهي نكرة، وسقر معرفة، لما فيها من معنى المدح. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ قال: الجلد.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل، عن أبي رزين ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ قال: تلفح الجلد لفحة، فتدعه أشدّ سواداً من الليل.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، قال: قال زيد بن أسلم ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾: أي تلوح أجسادهم عليها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ أي حرّاة للجلد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ يقول: تحرق بشرة الإنسان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ قال: تغير البشر، تحرق البشر يقال: قد لآحه استقباله السماء، ثم قال: النار تغير ألوانهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ غيرت جلودهم فاسودّت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ يعني بشر الإنسان، يقول: تحرق بشره.

وروي عن ابن عباس في ذلك ما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿لَوْأَحَةً لِلْبَشَرِ﴾ يقول: معرّضة.

وأخشى أن يكون خبر علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس هذا غلطاً، وأن يكون موضع معرضة مغيرة، لكن صحف فيه.

وقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: على سقر تسعة عشر من الخزنة.

وذكر أن ذلك لما أنزل على رسول الله ﷺ، قال أبو جهل ما:

حدثني به محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾... إلى قوله: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحى إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل، فيأخذه بيده في بطحاء مكة فيقول له: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئاً فأخزاه الله يوم بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ذكر لنا أن أبا جهل حين أنزلت هذه الآية قال: يا معشر قريش ما يستطيع كل عشرة منكم أن يغلبوا واحداً من خزنة النار وأنتم الدّهم^(١)؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال أبو جهل: يخبركم محمد أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدّهم ليجتمع كل عشرة على واحد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: خزنتها تسعة عشر.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة. يقول لأبي جهل في قوله لقريش: أما يستطيع كل عشرة منكم أن تغلب منها واحداً؟ فمن ذا يغلب خزنة النار وهم الملائكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ قال: ما جعلناهم رجالاً، فيأخذ كل رجل رجلاً كما قال هذا.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مشركي قريش. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) في «النهاية» لابن الأثير وذكر الآية: الدّهم، بفتح الدال: العدد الكثير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: إلا بلاء.

وإنما جعل الله الخبر عن عدّة خزنة جهنم فتنة للذين كفروا، لتكذيبهم بذلك، وقول بعضهم لأصحابه: أنا أكفيكموهم. ذكر الخبر عن قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: جعلوا فتنة، قال أبو الأشدّ بن الجمحي: لا يبلغون رتوتي حتى أجهضهم عن جهنم.

وقوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يقول تعالى ذكره: ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزنة جهنم، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ قال: وإنما في التوراة والإنجيل تسعة عشرة، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: يجدونه مكتوباً عندهم عدّة خزنة أهل النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يصدّق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّة خزنة النار ما في كتبهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: عدّة خزنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

أوتوا الكتاب ﴿ أنك رسول الله .

وقوله: ﴿ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقاً إلى تصديقهم بالله ورسوله بتصديقهم بعدة خزنة جهنم .

وقوله: ﴿ وَلَا يَزْتَابُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك والمؤمنون بالله من أمة محمد ﷺ .

وقوله: ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾: أي نفاق .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ يقول: حتى يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر .

وقوله: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدة خزنة جهنم: أي شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيماناً ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ﴾ فيخذله عن إصابة الحق ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ منهم، فيوفقه لإصابة الصواب ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ ﴾ من كثرتهم ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾: يعني الله، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي من كثرتهم .

وقوله: ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وما النار التي وصفتها إلا تذكرة ذكر بها البشر، وهم بنو آدم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ يعني النار .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ قال: النار .

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ۝٣٢﴾ وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى ۝٣٥﴾ دُبْرًا
لِلنَّشْرِ ۝٣٦﴾ لَمَنْ شَاءَ مَكْرًا أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ .

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿كَلَّا﴾: ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه المشركين خزانة جهنم حتى يجهضهم عنها ثم أقسم ربنا تعالى فقال: ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ يقول: والليل إذ ولى ذاهباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: إذ ولى.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ دبورته: إظلامه.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾، وبعض قراء مكة والكوفة: «إِذَا دَبَّرَ».

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك، فقال بعض الكوفيين: هما لغتان، يقال: دبر النهار وأدبر، ودبر الصيف وأدبر قال: وكذلك قَبْلَ وأَقْبَلَ فإذا قالوا: أقبل الراكب وأدبر لم يقوله إلا بالألف. وقال بعض البصريين: «وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ» يعني: إذا دبر النهار وكان في آخره قال: ويقال: دبّرني: إذا جاء خلفي، وأدبر: إذا ولى.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان بمعنى، وذلك أنه محكي عن العرب: قبح الله ما قَبِلَ منه وما دبر. وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين، وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك، لأنهما بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: والصبح إذا أضاء، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾: إذا أضاء وأقبل.

﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن جهنم لإحدى الكبر، يعني الأمور العظام.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾** يعني: جهنم .

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾** قال: جهنم .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾** قال: هذه النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾** قال: هي النار .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾** يعني: جهنم .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ﴾**: يعني جهنم .

وقوله: **﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾** يقول تعالى ذكره: إن النار لإحدى الكبر، نذيراً لبني آدم .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله **﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾**، وما الموصوف بذلك، فقال بعضهم: عني بذلك النار، وقالوا: هي صفة للهاء التي في قوله «إنها» وقالوا: هي النذير فعلى قول هؤلاء النذير نصب على القطع من إحدى الكبر، لأن إحدى الكبر معرفة، وقوله **﴿نَذِيرًا﴾** نكرة، والكلام قد يحسن الوقوف عليه دونه .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: والله ما أُنذر الناس بشيء أدهى منها، أو بدهية هي أدهى منها .

وقال آخرون: بل ذلك من صفة الله تعالى، وهو خير من الله عن نفسه، أنه نذير لخلقه وعلى هذا القول يجب أن يكون نصب قوله **﴿نَذِيرًا﴾** على الخروج من جملة الكلام المتقدم، فيكون معنى الكلام: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيراً للبشر يعني: إنذاراً لهم فيكون

قوله: ﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى إنذاراً لهم كما قال: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرًا﴾ بمعنى إنذاري ويكون أيضاً بمعنى: إنها لإحدى الكبر صيرنا ذلك كذلك نذيراً، فيكون قوله: ﴿إِنهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾ مؤدياً عن معنى صيرنا ذلك كذلك، وهذا المعنى قصد من قال ذلك إن شاء الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل، عن أبي رزين ﴿إِنهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾ قال: جهنم ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يقول الله: أنا لكم نذير فاتقوها.

وقال آخرون: بل ذلك من صفة رسول الله ﷺ، وقالوا: نصب نذيراً على الحال مما في قوله «قم»، وقالوا: معنى الكلام: قم نذيراً للبشر فأنذر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ قال: الخلق، قال: بنو آدم البشر، فقليل له: محمد النذير؟ قال: نعم ينذرهم.

وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ يقول تعالى ذكره: نذيراً للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر في معصية الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ قال: من شاء اتبع طاعة الله، ومن شاء تأخر عنها.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر في معصيته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسْتَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَك مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَك نَطْمُؤُا الْمِسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْمُصُ مَعَ الْفَاطِينِ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: كل نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله في الدنيا، رهينة في جهنم ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنهم غير مرتهين، ولكنهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسْتَلُونَ﴾ عن المجرمين.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً﴾ يقول: مأخوذة بعملها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: عَلِقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: لا يحاسبون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: أصحاب اليمين لا يرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله لهم وقرأ قول الله: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ قال: لا يؤاخذهم الله بسيء أعمالهم، ولكن يغفرها الله لهم، ويتجاوز عنهم كما وعدهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً﴾ قال: كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار، لا يرتهن الله أحداً من أهل الجنة، ألم تسمع أنه قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ يقول: ليسوا رهينة ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: إن كان أحدهم سبقت له كلمة العذاب جعل منزله في النار يكون فيها رهناً، وليس يرتهن أحد من أهل الجنة هم في جنات يتساءلون.

واختلف أهل التأويل في أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هم أطفال المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن عثمان، عن زاذان، عن علي رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: هم الولدان.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عثمان أبي اليقظان، عن زاذان أبي عمر عن علي رضي الله عنه في قوله ﴿كَلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: أطفال المسلمين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن زاذان أبي عمر، عن علي رضي الله عنه ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: أولاد المسلمين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي اليقظان، عن زاذان، عن علي رضي الله عنه ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: هم الولدان. وقال آخرون: هم الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: هم الملائكة.

وإنما قال من قال: أصحاب اليمين في هذا الموضع: هم الولدان وأطفال المسلمين ومن قال: هم الملائكة، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ إلا أنهم لم يقتربوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقتربوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحداً لا يعاقب إلا على المعصية.

وقوله: ﴿فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ يقول: أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سلكوا في سقر، أي شيء سلككم في سقر؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَك مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ يقول: قال المجرمون لهم: لم نك في الدنيا من المصلين لله ﴿وَلَمْ نَك نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ بخلاً بما خولهم الله، ومنعاً له من حقه.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ يقول: وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ قال: كلما غوى غاو غوينا معه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ قال: يقولون: كلما غوى غاو غوينا معه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

وقوله: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا: وكنا نكذب بيوم المجازاة والثواب والعذاب، ولا نصدق بشواب ولا عقاب ولا حساب ﴿حتى أتانا اليقين﴾ يقول: قالوا: حتى أتانا الموت الموقن به ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ يقول: فما يشفع لهم الذين شفّعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم. وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفعٌ بعض خلقه في بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار ثم يقول: أنا أرحم الراحمين ثم قرأ عبد الله: يا أيها الكفار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ وعقد بيده أربعاً، ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير، ألا ما يُترك فيها أحد فيه خير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عمي وإسماعيل بن أبي خالد، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، قال: قال عبد الله: لا يبقى في النار إلا أربعة أو ذو الأربعة. الشك من أبي جعفر الطبري ثم يتلو: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رَجُلًا يُدْخِلُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ». قال الحسن: أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ قال: تعلمن أن الله يشفع بعضهم في بعض.

قال: ثنا أبو ثور، قال معمر: وأخبرني من سمع أنس بن مالك يقول: إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل.

قال: ثنا أبو ثور، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة مثل بني تميم، أو قال: أكثر من بني تميم، وقال الحسن: مثل ربيعة ومضر. وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يقول: فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين، لا يستمعون لها فيتعظوا ويعتبروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي عن هذا القرآن.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ لَوْلَا كُلُّ الْأَعْرَابِ مَتَّبِعُهُمْ أَنْ تَوَلَّوْا صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين، مولين عنها تولية الحمر المستنفرة ﴿فَزَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿مُسْتَنْفَرَةٌ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بكسر الفاء، وفي قراءة بعض المكيين أيضاً بمعنى نافرة^(١).

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان معروفتان، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وكان القراء يقول: الفتح والكسر في ذلك كثيران في كلام العرب وأنشد:

أَمْسِكَ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفَرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدَنْ لِعُرْبٍ^(٢)

(١) أي وقراءه المكيون بالفتح، بمعنى منفرة مذعورة.

(٢) البيت في «اللسان» نقر غير منسوب: قال الاستنصار: انفور. وأنشد ابن الأعرابي:

«اربط حمارك إنه مستنفر.....»

البيت «وغرب اسم موضع. وفي «معجم البكري» (٩٩٤) غرب: موضع تلقاء السنار. وقال الرياشي: موضع دون الشام إلى العراق. وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٤٨) وقوله «كانهم حمر مستنفرة» قرأها عاصم والأعمش: مستنفرة، بالكسر وقرأها أهل الحجاز: مستنفرة، بفتح الفاء، وهما جميعاً كثيرتان في كلام العرب، قال الشاعر:

وقوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى القسورة، فقال بعضهم: هم الرماة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: الرماة.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن أبي موسى ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: الرماة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هي الرماة.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ قال: عصابة قناص من الرماة. زاد الحارث في حديثه. قال: وقال بعضهم في القسورة: هو الأسد، وبعضهم: الرماة.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سيماء، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: القسورة: الرماة، فقال رجل لعكرمة: هو الأسد بلسان الحبشة، فقال عكرمة: اسم الأسد بلسان الحبشة عنيسة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، قال: أخبرنا أبو رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: الرماة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن عبد الله السلولي، عن ابن عباس، قال: هي الرماة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** وهم الرماة القناص.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** قال: قسورة النبل.

وقال آخرون: هم القناص.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، **﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** يعني: رجال القناص.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية **﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** قال: هم القناص.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: هم القناص.

وقال آخرون: هم جماعة الرجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شعبة، عن أبي حمزة، قال: سألت ابن عباس عن القسورة، فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب: الأسد هي عصب الرجال.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هي عصب الرجال.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: سمعت أبي يحدث، قال: ثنا داود، قال: ثني عباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم، قال: سئل ابن عباس عن القسورة، قال: جمع الرجال، ألم تسمع ما قالت فلانة في الجاهلية:

يَا بَيْتَ لَوِيَّ خَيْرَةً لِّخَيْرِهِ أَخْوَالُهَا فِي الْحَيِّ مِثْلُ الْقَسْوَرَةِ^(١)
وقال آخرون: هي أصوات الرجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: ركز الناس أصواتهم.

قال أبو كريب، قال سفيان: هَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا.
وقال آخرون: بل هو الأسد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو الأسد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ابن سيلان، أن أبا هريرة كان يقول في قول الله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو الأسد.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا هشام، عن زيد بن أسلم، في قول الله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: الأسد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني داود بن قيس عن زيد بن أسلم، في قول الله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو الأسد.

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش، قال ثني سلم بن قتيبة، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار، وبالنبطية: أريا، وبالحبشية: قسورة.

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لم أعثر عليهما ولا على قائلهما. أنشدتهما المؤلف عند قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٤٨) والقسورة يقال إنها الرماة. وقال الكلبي بإسناده: هو الأسد. وقال ثعلب بإسناده إلى عكرمة مولى ابن عباس قال: قيل له: القسورة الأسد بلسان الحبشة. فقال: القسورة الرماة، والأسد بلسان الحبشة: عنبة. اهـ وفي «اللسان» قسر والقصور: الصياد، والقصور: الأسد، والجمع قسورة. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال ابن سيده: هذا قول أهل اللغة. وتحريه: أن القصور والقسورة: اسمان للأسد، أنثوه كما قالوا: أسامة. إلا أن أسامة معرفة وقيل في قوله: «فرت من قسورة» قيل هم الرماة من الصيادين. قال الأزهري: أخطأ الليث في قوله القصور: الصياد خطأ، إنما القسورة: اسم جامع للرماة، ولا واحد له من لفظه. وقال ابن الأعرابي القسورة: الرماة، والقسورة الأسد، والقسورة الشجاع، والقسورة: آخر الليل، والقسورة: ضرب من الشجر اهـ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ يقول: الأسد.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة قال: الأسد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: القسورة: الأسد.

وقوله: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين في إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لا يعلمون أنه من عند الله، ولكن كل رجل منهم يريد أن يؤتى كتاباً من السماء ينزل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً﴾ قال: قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً﴾ قال: إلى فلان من رب العالمين.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفاً منشرة صدّقوا، بل لا يخافون الآخرة، يقول: لكنهم لا يخافون عقاب الله، ولا يصدّقون بالبعث والثواب والعقاب فذلك الذي دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله، وهون عليهم ترك الاستماع لوجهه وتنزيهه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يصدّقون بالآخرة، ولا يخافونها، هو الذي أفسدهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ سَاءَ ذِكْرُهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذَكَّرُونَ إِلَّا أَنْ يُشَآءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴿٥٦﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ﴾ ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه، ذكرهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ﴾ أي القرآن.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به، ويتسعملون ما فيه، إلا أن يشاء الله أن يذكروه، لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه، ويعطيه القدرة عليه.

وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويسارعوا إلى طاعته، ﴿وأهل المغفرة﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ربنا محقوق أن تتقى محارمه، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ قال: أهل أن تتقى محارمه، وأهل المغفرة: أهل أن يغفر الذنوب.

آخر تفسير سورة المدثر

(٧٥) سورة القيامة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ ﴿١﴾ ﴿لِحَسْبِ الْإِنْسَانِ أَنْ كَانَ مَجْمَعُ عِظَامِهِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿بَلْ قَدِرِينَ عَلَىٰ أَنْ سُوءَىٰ بِأَنفُسِهِمْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ لا^(١) مفصولة من أقسم، سوى الحسن والأعرج، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» بمعنى: أقسم بيوم القيامة، ثم أدخلت عليها لام القسم.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع «لا» مفصولة، أقسم مبتدأ على ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقد اختلف الذين قرأوا ذلك على الوجه الذي اخترنا قراءته في تأويله، فقال بعضهم «لا» صلة، وإنما معنى الكلام: أقسم بيوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم بن يناق، عن سعيد بن جبيرة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال: أقسم بيوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبيرة ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قال: أقسم.

وقال آخرون منهم: بل دخلت «لا» توكيداً للكلام.

ذكر من قال ذلك:

سمعت أبا هشام الرفاعي يقول: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾

(١) (لا): زيادة يقتضها المعنى.

توكيد للقسم كقوله: لا والله.

وقال بعض نحويي الكوفة، لا ردّ لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، ثم ابتدء القسم، فقيل: أقسم بيوم القيامة، وكان يقول: كلّ يمين قبلها ردّ لكلام، فلا بدّ من تقديم «لا» قبلها، ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحداً، واليمين التي تستأنف، ويقول: ألا ترى أنك تقول مبتدئاً: والله إن الرسول لحقّ وإذا قلت: لا والله إن الرسول لحقّ فكانك أكذبت قوماً أنكروه.

واختلفوا أيضاً في ذلك، هل هو قسم أم لا؟ فقال بعضهم: هو قسم أقسم ربنا بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير بن تميم، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: أيهم؟ فقلت: من بني أسد، فقال: من حريهم^(١)، أو ممن أنعم الله عليهم؟ فقلت: لا بل ممن أنعم الله عليهم، فقال لي: سل، فقلت: لا أقسم بيوم القيامة، فقال: يقسم ربك بما شاء من خلقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِتَوْحِشِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ قال: أقسم بهما جميعاً.

وقال آخرون: بل أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. وقال: معنى قوله: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ ولست أقسم بالنفس اللوامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وجعل «لا» ردّاً لكلام قد كان تقدّمه من قوم، وجواباً لهم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، أنه يقصد بلا ردّ الكلام، ويقوله: والله، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله لا فعلت كذا فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون

(١) لعل المراد بالحري هنا: الفقير المحروب، أي الذي ذهب ماله.

سائر ما جاء من نظائره جارياً مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له. وبعد، فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قسم فكذلك قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ إلا أن تأتي حجة تدل على أن أحدهما قسم والآخر خبر. وقد دللنا على أن قراءة من قرأ الحرف الأول لأقسم بوصل اللام بأقسام قراءة غير جائزة بخلافها ما عليه الحجة مجمعة، فتأويل الكلام إذا: لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس من أن الله لا يبعث عباده بعد مماتهم أحياء، أقسم بيوم القيامة. وكانت جماعة تقول: قيامة كل نفس موتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان ومسعر، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة، قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدهم: موته.

قال: ثنا وكيع، عن مسعر وسفيان، عن أبي قبيس، قال: شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

وقوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ فقال بعضهم: معناه: ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير والشر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: تلوم على الخير والشر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سيماك، عن عكرمة ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: تلوم على الخير والشر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير بن تميم، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: هي النفس اللووم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تلوم على ما فات وتندم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: تندم على ما فات وتلوم عليه.

وقال آخرون: بل اللوامة: الفاجرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾**: أي الفاجرة.

وقال آخرون: بل هي المذمومة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** يقول: المذمومة.

وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات، والقراء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل «لا» من أقسم.

وقوله: **﴿أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾** يقول تعالى ذكره: أَيْظَنَ ابن آدم أن لن ندر على جمع عظامه بعد تفرقها، بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير بن تميم، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: سل، فقلت: **﴿أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** قال: لو شاء لجعله خفاً أو حافراً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** قال: أنا قادر على أن أجعل كفه مجمّرة مثل خف البعير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن إسرائيل، عن مغيرة، عن حماد، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** قال: نجعله خفاً أو حافراً.

قال: ثنا وكيع، عن النضر، عن عكرمة **﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** قال: على أن نجعله مثل خف البعير، أو حافر الحمار.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ قال: جعلها يداً، وجعلها أصابع يقبضهن ويسطهن، ولو شاء لجمعهن، فاتقيت الأرض بفيك، ولكن سواك خلقاً حسناً. قال أبو رجاء: وسئل عكرمة فقال: لو شاء لجعلها كخف البعير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿على أن نسوي بنانه﴾ رجليه، قال: كخف البعير فلا يعمل بهما شيئاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة، أو كخف البعير، ولو شاء لجعله كذلك، فإنما ينقي طعامه بفيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿على أن نسوي بنانه﴾ قال: لو شاء جعل بنانه مثل خف البعير، أو حافر الدابة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿على أن نسوي بنانه﴾ قال: البنان: الأصابع، يقول: نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خف البعير.

واختلف أهل العربية في وجه نصب ﴿قادرين﴾ فقال بعضهم: نصب لأنه واقع موقع نفع، فلما رد إلى فاعل نصب، وقالوا: معنى الكلام: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بل نقدر على أن نسوي بنانه ثم صرف نقدر إلى قادرين. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: نصب على الخروج من نجمع، كأنه قيل في الكلام: أيحسب أن لن نقوى عليه؟ بل قادرين على أقوى منك. يريد: بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا. وقال: قول الناس بل نقدر، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ، لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل. ألا ترى أنك تقول: أتقوم إلينا، فإن حولتها إلى فاعل قلت: أقائم، وكان خطأ أن تقول قائماً قال: وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق:

عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدُّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فَيٍّ زُورُ كَلَامٍ^(١)

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٧٦٩ طبع الصاوي) من قصيدة قالها في المرید: ويروي «على حلقة» في موضع على قسم» وقد أنشده الفراء في «معاني القرآن» (٣٤٩) عند قوله تعالى: ﴿بلى قادرين﴾ قال وقوله «بلى قادرين»: نصبت على الخروج من نجمع كأنك قلت: أنتحسب أن لن نقوى عليك، بلى قادرين على إقوامك يريد: بلى =

فقالوا: إنما أراد: لا أشتم ولا يخرج، فلما صرفها إلى خارج نصبها، وإنما نصب لأنه أراد: عاهدت ربي لاشتاماً أحداً، ولا خارجاً من في زور كلام وقوله: لا أشتم، في موضع نصب. وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب على جمع: أي بل نجمعها قادرين على أن نسوي بنانه، وهذا القول الثاني أشبه بالصحة على مذهب أهل العربية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ قَادِرٌ عَلَىٰ رَيْفِ النَّعْمِ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ ﴿٨﴾ الْقَمْرَ ﴿٩﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿١٠﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١١﴾ كَلَّا لَا وَرَدَ ﴿١٢﴾ إِلَّكَ رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَقِرُ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره: ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدماً في معاصي الله، لا يشنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً، ويسوف التوبة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير بن تميم الضبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: يمضي قُدماً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يعني الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: يمضي أمامه راكباً رأسه.

= نقوى قادرين، بلى نقوى مقتردين على أكثر من ذا. قال: ولو كانت رفعا على الاستئناف كأنه قال: بل نحن قادرين على أكثر من ذا كان صواباً، وقول الناس: بلى نقدر، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل ألا ترى أن تقول: أتقول إلينا، فإن حولتها إلى فاعل، قلت: أقاتم إلينا؟ وكان خطأ أن تقول: أقاتماً إلينا؟ وقد كانوا يحتجون بقوله الفرزدق:

«على قسم.....»

البيت». فقالوا: إنما أراد: لا أشتم ولا يخرج، فلما صرفها إلى يخرج نصبها وإنما نصب لأنه أراد: عاهدت ربي لا شاماً أحداً، ولا خارجاً من في زور كلام هـ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: قال الحسن: لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدماً قُدماً، إلا من قد عصم الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: قُدماً في المعاصي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عمرو، عن إسماعيل السدي ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: قُدماً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن النضر، عن عكرمة ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: قُدماً لا يتزع عن فجور.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: سوف أتوب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يركب رأسه في طلب الدنيا دائباً ولا يذكر الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هو الأمل يؤمل الإنسان، أعيش وأصيب من الدنيا كذا، وأصيب كذا، ولا يذكر الموت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل يريد الإنسان الكافر ليكذب بيوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يقول: الكافر يكذب بالحساب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: يكذب بما أمامه يوم القيامة والحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة، والهاء على هذا القول في قوله: ﴿أَمَامَهُ﴾ من ذكر القيامة، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل.

قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: يسأل ابن آدم السائر دائباً في معصية الله قُدماً: متى يوم القيامة؟ تسويفاً منه للتوبة، فبين الله له ذلك فقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ... الآية. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن قتادة، قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: متى يوم القيامة قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من سُئِلَ عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ متى يكون ذلك، فقرأ: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال: فكذاك يكون يوم القيامة.

وقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القاري ونافع وابن أبي إسحاق: «فَإِذَا بَرِقَ» بفتح الراء، بمعنى شخص وفتح عند الموت وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو وعامة قراء الكوفة «بَرِقَ» بكسر الراء، بمعنى: فزع وشق. وقد:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن هارون، قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عنها، فقال: «بَرِقَ» بالكسر بمعنى حار. قال: وسألت عنها عبد الله بن أبي إسحاق فقال: «بَرِقَ» بالفتح، إنما برق الخيطل^(١) والنار والبرق. وأما البصر فبرق عند الموت. قال: وأخبرت بذلك ابن أبي إسحاق، فقال: أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه، فذكرت لأبي عمرو، فقال: لكن لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه، فكأنه يقول: آخذ عن أهل الحجاز.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء «فَإِذَا بَرِقَ» بمعنى: فزع فشق وفتح من هول القيامة وفزع الموت. وبذلك جاءت أشعار العرب. أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي:

لَمَّا أَتَانِي ابْنُ صُبَيْحٍ رَاغِبًا أَعْطَيْتُهُ عَيْسَاءَ مِنْهَا فَبِرَقِي^(٢)

(١) من معاني الخيطل في «اللسان» السنور، والكلب.

(٢) الرجز من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٢) عند قوله تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ» وأنشده أبو زكريا التبريزي في «تهذيب إصلاح المنطق» (طبع القاهرة ٧٥) قال: البرق (بالتحريك) أن يبرق البصر، وهو أن يتحير فلا يطرف، قال الأعور بن براء الكلابي: كلاب مرة:

«لما أتاني ابن صبيح.....»

البيت» ومعه بيت آخر، وهو:

أَعْطَيْتُهُ مَبْنِيَّةً ذَابَتْهَا مَائِزَةٌ الصَّبْعَيْنِ سَطَعَاءَ الْعُنُقِ =

وحدثت عن أبي زكريا الفراء قال: أنشدني بعض العرب:

نَعَانِي حَنَانَةٌ طُوبَالَةٌ تَسْفُ يَبِيَسًا مِنَ الْعِشْرِقِ
فَتَفْسُكَ فَانَعٌ وَلَا تَنْعَنِي وَذَاوِ الْكُلُومِ وَلَا تَنْبَرِقِ^(١)
بفتح الراء، وفسره أنه يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك قال: وكذلك يُبْرِقُ البصر يوم القيامة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ يعني يبرق البصر: الموت، وبروق البصر: هي الساعة.

= قال صبيح: من هلال بن عارم، وكان الأعور خاله، فسأل ابن صبيح الأعور، فأعطاه ناقة من إبله، فذهب بها الهلالي، وهجا الأعور فقال:

أَعْطَيْتَنِي سَاقِطَةً أَضْرَأْسُهَا لَوْ تَعَجَّمُ الْبَيْضَ إِذَنْ لَمْ يَنْفَلِقْ

مع أبيات غيرها فأجابه الأعور بقصيدة فيها البيتان المتقدمان. والدايات: فقار الظهر، الواحدة داية. والضبعاني: العضدان. ومائة الضبعين: أي سريعة. والسطعاء: الطويلة العنق أ هـ.

وفي «اللسان» برق: ويرق بصره برقا (كفرح فرحا) ويرق يبرق بروقا (كقعد يقعد قعودا) الأخيرة عن اللحيان -: دهمش فلم يبصر. وقيل: تحير فلم يطرف. وفي التنزيل: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ وَبَرِقَ﴾ (من بابي فرح وقعد) قرىء بهما جميعا أ هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٤٩) وقوله «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ» قرأها الأعمش وعاصم والحسن وبعض أهل المدينة: برق، بكسر الراء. وقرأها نافع المدني: برق البصر، بفتح الراء، من البريق: لمن فتح عينه: أي شخص وقوله برق (بالكسر) أي فزع، أ هـ.

(١) البيتان في ديوان طرفة طبعة «أدرنه - ك» (سنة ١٩٠٩ ص - ١٥) قال: وقال في شأن إبل أخيه، وكان بشبكة امرئ القيس، فوثب حنانة الحلاجب ليضربه، فانتزع طرفة سيفه. فقال في ذلك. ولم يروها الشنمري. وفي «اللسان» حنن وحنانة: اسم راع في قول طرفة:

«نَعَانَسِي حَسَنَانَةَ.....»

البيت». قال ابن بري: رواه ابن القطاع: بغاني حنانة، بالباء والغين المعجمة. والصحيح بالتون: والعين غير المعجمة كما وقع في الأصول، بدليل قوله بعد هذا البيت:

«فَنَفْسُكَ فَانَع.....»

البيت» وفي «اللسان» طبل الطوبالة النعجة أ هـ. ونصبها على الذم له كأنه قال أعني طوبالة. وتسف: تأكل. والعشرق: نبت معروف عندهم. وقوله: «لا تبرق» فسه «اللسان» بقوله: لا تفزع من هول الجراح التي بك، وفسره شارح الديوان السابق الذكر: أي لا تهددني وفسره الفراء في «معاني القرآن» (٣٤٩) فقال وقوله «برق» فزع، أنشدني بعض العرب:

«نَعَانِي حَنَانَةَ.....»

البيتين»، فتح الراء أي لا تفزع من هول الجراح التي بك. أ هـ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بَرْقَ الْبَصْرِ﴾ قال: عند الموت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَإِذَا يَرِقُّ الْبَصْرُ﴾ شخص البصر.

وقوله: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ يقول: ذهب ضوء القمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوءه فلا ضوء له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ هو ضوءه، يقول: ذهب ضوءه.

وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر لي: «وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ» وقيل: إنهما يجتمعان ثم يكوران، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وإنما قيل: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: إنما قيل: وجمع على مذهب وجمع النوران، كأنه قيل: وجمع الضيآن، وهذا قول الكسائي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال: كُورًا يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال: جُمعا فرُمي بهما في الأرض. وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كُورَت في الأرض والقمر معها.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن أبي شيبة الكوفي، عن

زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوماً: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال: يجمعان يوم القيامة، ثم يقدفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى.

وقوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ بِالْمَقْرُ﴾ بفتح الفاء، قرأ ذلك قراء الأمصار، لأن العين في الفعل منه مكسورة، وإذا كانت العين من يفعل مكسورة، فإن العرب تفتحها في المصدر منه إذا نظقت به على مفعَل، فتقول: فرّ يفرّ مَفْرَأً، يعني فرأً، كما قال الشاعر:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَّيْبًا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ الْفِرَارِ^(١)

إذا أريد هذا المعنى من مفعَل قالوا: أين المَفْرَأَ بفتح الفاء، وكذلك المدب من دب يدب، كما قال بعضهم:

كَأَنَّ بَقَايَا الْأَثْرِ فَوَقَّ مُتُونَهُ مَدَبُ الدَّبِّ فَوْقَ الثَّقَا وَهُوَ سَارِح^(٢)

وقد يُنشد بكسر الدال، والفتح فيها أكثر، وقد تنطق العرب بذلك، وهو مصدر بكسر العين. وزعم الفراء أنهما لغتان، وأنه سُمع: جاء على مدب السيل، ومدب السيل، وما في قميصه مصح ومصح. فأما البصريون فإنهم في المصدر يفتحون العين من مَفْعَل إذا كان الفعل على يَفْعَل، وإنما يُجيزون كسرهما إذا أريد بالمفعل المكان الذي يفرّ إليه، وكذلك المضرب: المكان الذي يضرب فيه إذا كُسرت الراء. وزوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء، ويقول: إنما المَفْرَأَ: مفر الدابة حيث تفرّ.

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليب بن ربيعة (العقد الفريد: في يوم الذنائب). وقافيته مختلفة عن رواية المؤلف، وبعده:

تَلَكَّ شَيْبَانَ تَقُولُ لِابْنِكِرِ ضَرِحَ السُّرِّ وَبَانَ السُّرَارِ
وَيَنُوعِجِلِ تَقُولُ لِتَيْسِ وَلَيْتَيْمِ اللَّاتِ سَيَرُوا فَسَارُوا

وفي «اللسان» فر: وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ الْمَفْرَأُ؟﴾ أين الفرار؟ وقرئ: أين المَفْرَأُ؟ (بكسر الفاء) أي أين موضع الفرار؟ عن الزجاج. وفي «معاني القرآن» للفراء (٣٤٩) وقوله «أين المَفْرَأُ بفتح الفاء. وبإسناد ثعلب إلى ابن عباس أنه قرأ: أين «المَفْرَأُ» (أي بكسر الفاء) وقال: إنما المَفْرَأُ (أي بالفتح) مفر الدابة: حيث تفتت. وهما لغتان: المَفْرَأُ والمَفْرَأُ، والمدب والمدب (أي بفتح الفاء والدال، وبكسرهما) ا هـ.

(٢) وهذا البيت أيضاً من شواهد الفراء (٣٥٠) وكلامه فيه متمم لكلامه في الشاهد الذي قبله، قال: وما كان «يفعل» (المضارع) فيه مكسوراً (مكسور العين) مثل يدب ويفر ويصح، تقول: مفر ومفر، ومصح ومصح، ومدب ومدب (أي بفتح العين وكسرهما) وأنشدني بعضهم:

«كَأَنَّ بَقَايَا الْأَثْرِ.....»

البيت». ينشدونه مدب (لعله بفتح الدال) وهو أكثر من مدب. ويقال: جاء على مدب السيل ومدب السيل؛ وما في قميصه مصح ولا مصح. ا هـ. والأثر، بفتح الهمزة وكسرهما وبضممتين على فعل هو واحد ليس بجمع: فرند السيف ورونته. والجمع: أثور «اللسان» أثر. ا هـ.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الفتح في الفاء من المَفْرَ، لإجماع الحجة من القراء عليها، وأنها اللغة المعروفة في العرب إذا أريد بها الفرار، وهو في هذا الموضع الفرار. وتأويل الكلام: يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة: أين المَفْرَ من هول هذا الذي قد نزل، ولا فرار.

يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ يقول جَلّ ثناؤه: ليس هناك فرار ينفع صاحبه، لأنه لا ينجيه فراره، ولا شيء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل، من أمر الله الذي قد حضر، وهو الوزر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ يقول: لا حرز.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ يعني: لا حصن، ولا ملجأ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا إبراهيم بن طريف، قال: سمعت مُطَرّف بن الشَّخِير يقرأ: ﴿لَا أَتَسْمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فلما أتى على: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: هو الجبل، إن الناس إذا فرّوا قالوا عليك بالوَزَر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أدهم، قال: سمعت مُطَرّفًا يقول: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: كلا لا جبل.

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي، قال: ثني أبي، عن خالد بن قيس، عن قتادة، عن الحسن، قال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: لا جبل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: كانت العرب تخيف بعضها بعضاً، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان الوَزَر الوَزَر، الجَبَل الجَبَل.

حدثني أبو حفص الحيري، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا أبو مودود، عن الحسن، في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: لا جبل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي مودود، قال: سمعت الحسن فذكر نحوه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا وَرَزَّ﴾ لا ملجأ ولا جبل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَلَّا لَا وَرَزَّ﴾ لا جبل ولا جزر ولا منجى. قال الحسن: كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدواً قالوا: عليكم الوزر: أي عليكم الجبل.

حدثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَرَزَّ﴾ قال: لا حصن.

حدثنا أحمد بن هشام، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة مثله.

قال (١): ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا مسلم بن طهمان، عن قتادة، في قوله ﴿لَا وَرَزَّ﴾ يقول: لا حصن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَا وَرَزَّ﴾ قال: لا جبل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن مولى للحسن، عن سعيد بن جبير ﴿لَا وَرَزَّ﴾: لا حصن.

قال: ثنا وكيع، عن أبي حجير، عن الضحاك، لا حصن.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَرَزَّ﴾ يعني: الجبل بلغة جُمير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّا لَا وَرَزَّ﴾ قال: لا مُتَعَيَّبٌ يُتَغَيَّبُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، لا منجى له منه.

وقوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار، وهو الذي يقرّ جميع خلقه مقرّهم.

(١) لعله قد أسقط صدر السند من هذا الحديث، لأنه كالذي قبله.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقْرُونَ﴾ قال: استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وقرأ قول الله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

وقال آخرون: عنى بذلك إلى ربك المنتهى .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقْرُونَ﴾: أي المنتهى .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ الْإِنسَانُ يَوْمِيذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ١٤ ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَصِيرَةٌ﴾ ١٥ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمَ الْآخِرَ﴾ ١٦

يقول تعالى ذكره: يُخَبِّرُ الْإِنسَانَ يَوْمِيذٍ، يعني يوم يَجْمَعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ فَيَكْوِرَانِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: بما قدم من عمل خير، أو شر أمامه، مما عمله في الدنيا قبل مماته، وما أخر بعد مماته من سيئة وحسنة، أو سيئة يعمل بها من بعده .

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُبْأُ الْإِنسَانُ يَوْمِيذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ يقول: ما عمل قبل موته، وما سنَّ فَعْمِلَ بِهِ بعد موته .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن زياد بن أبي مريم عن ابن مسعود قال: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمله ﴿وَأَخَّرَ﴾ من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر .

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يُبْأُ الْإِنسَانُ بِمَا قَدَّمَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَأَخَّرَ مِنَ الطَّاعَةِ .

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ يقول: بما قدم من المعصية، وأخر من الطاعة، فنبأ بذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ينبأ بأول عمله وآخره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور عن مجاهد ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: بأول عمله وآخره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد وإبراهيم، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من طاعة ﴿وَأَخَّرَ﴾ من حقوق الله التي ضيعها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَأَخَّرَ﴾ مما ضيع من حق الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: بما قدم من طاعته، وأخر من حقوق الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بما قدم من خير أو شر مما عمله، وما أخر مما ترك عمله من طاعة الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: ما أخر ما ترك من العمل لم يعمله، ما ترك من طاعة الله لم يعمل به، وما قدم: ما عمل من خير أو شر.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خير من الله أن الإنسان ينبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته، وأخر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدم وأخر، كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر، وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعة، فلم يعملها مما قدم

وأخر، ولم يخص الله من ذلك بعضاً دون بعض، فكل ذلك مما ينبا به الإنسان يوم القيامة.

وقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول: سمعه وبصره ويدها ورجلاه وجوارحه.

والبصيرة على هذا التأويل ما ذكره ابن عباس من جوارح ابن آدم وهي مرفوعة بقوله ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾، والإنسان مرفوع بالعائد من ذكره في قوله: ﴿نَفْسِهِ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل الإنسان شاهد على نفسه وحده ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبراً للإنسان، ورفع الإنسان بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول: الإنسان شاهد على نفسه وحده.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال: شاهد عليها بعملها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ إذا شئت والله رأيت بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم، غافلاً عن ذنوبه قال: وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، ولا تبصر الجذع المعترض في عينك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال: هو شاهد على نفسه، وقرأ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِتَفْسِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

ومن قال هذه المقالة يقول: أدخلت الهاء في قوله: ﴿بَصِيرَةٌ﴾ وهي خبر للإنسان، كما يقال للرجل: أنت حجة على نفسك، وهذا قول بعض نحويي البصرة. وكان بعضهم يقول: أدخلت هذه الهاء في بصيرة وهي صفة للذكر، كما أدخلت في راوية وعلامة.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ اختلف أهل الرواية في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم، وركب من المعاصي، وجادل بالباطل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** يعني الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: **﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَاذِرُهُمْ﴾**، وقال الله: **﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾**^(١) وقولهم: **﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾** قال: شاهد على نفسه ولو اعتذر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** ولو جادل عنها، فهو بصيرة عليها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن عمران بن حدير، قال: سألت عكرمة، عن قوله: **﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** قال: فسكت، فقلت له: إن الحسن يقول: ابن آدم عملك أولى بك، قال: صدق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** قال: معاذيرهم التي يعتذرون بها يوم القيامة فلا يتنفعون بها، قال: يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم يؤذن لهم فيعتذرون فلا تنفعهم، ويعتذرون بالكذب. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل للإنسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني نصر بن علي الجهضمي، قال: ثني أبي، عن خالد بن قيس، عن قتادة، عن زارة بن أوفى، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** قال: لو تجرد. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا رواد، عن أبي حمزة، عن السدي، في

(١) في سورة النحل «فألقوا السلم ما كنا» الخ. وفي آية أخرى منها **﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾** . . . الآية.

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أرخى الستور، وأغلق الأبواب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ لم تقبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني نصر بن علي، قال: ثني أبي، عن خالد بن قيس، عن قتادة، عن الحسن: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ لم تقبل معاذيره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ قال: ولو اعتذر.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحق، فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ إِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرْبَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا سِخْرَتَهُ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فقال بعضهم: قيل له ذلك، لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنما سنحفظه عليك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن تعجل يريد حفظه، فقال الله تعالى ذكره: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا، وَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ويونس قالوا: ثنا سفيان، عن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن تعجل به يريد حفظه وقال يونس: يحرك شفتيه ليحفظه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي عائشة، سمع سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله، وقال: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ﴾ قال: هكذا، وحرك سفيان فاه.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان يحرك به لسانه وشفثيه، فيشتد عليه، فكان يعرف ذلك فيه، فأنزل الله هذه الآية في «لا أقسم بيوم القيامة»: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن، حرك شفثيه، فيعرف بذلك، فحاكاه سعيد، فقال: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: لتعجل بأخذه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، قال سمعت سعيد بن جبير يقول: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾. قال: كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن، فيحرك به لسانه، يستعجل به، فقال: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ربيع بن علي، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي في هذه الآية: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به من حبه إياه، فنزل. ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضي إليك وحيه، فإذا قضينا إليك وحيه، فتكلم به.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ﴾ قال: كان نبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرك به لسانه مخافة أن ينساه.

وقال آخرون: بل السبب الذي من أجله قيل له ذلك، أنه كان يكسر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إن علينا أن نجعله لك، ونقرئك فلا تنسى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن

ينسأه، فقال الله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إن علينا أن نجعله لك، ﴿وَقْرَأْتَهُ﴾: أن نقرئك فلا تنسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ﴾ قال: كان يستذكر القرآن مخافة النسيان، فقال له: كفيئناك يا محمد.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يحرك به لسانه ليستذكره، فقال الله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إنا سنحفظه عليك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ كان نبي الله ﷺ يحرك به لسانه مخافة النسيان، فأنزل الله ما تسمع.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فيكثر مخافة أن ينسى.

وأشبهه القولين بما دل عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وذلك أن قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ينبيء أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نشته فيه ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ قال: في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قال: تقرأه بعد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أن نجعله لك، وقرآنه: أن نقرئك فلا تنسى.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يقول: إن علينا أن نجعله لك حتى نشته في قلبك.

وكان آخرون يتأولون قوله: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ وتأليفه. وكان معنى الكلام عندهم: إن علينا جمعه في قلبك حتى تحفظه، وتأليفه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يقول حفظه وتأليفه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿جَمَعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: حفظه وتأليفه.

وكان قتادة وجه معنى القرآن إلى أنه مصدر من قول القائل: قد قرأت هذا الناقة في بطنها جنيناً، إذا ضمت رحمها على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم:

ذِرَاعِي عَيْطِلٍ أَدْمَاءٍ بِكُرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا^(١)
يعني بقوله: «لم تقرأ»: لم تضم رحماً على ولد. وأما ابن عباس والضحاك وإنما وجه ذلك إلى أنه مصدر من قول القائل: قرأت أقرأ قرأناً وقراءة.

وقوله: ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور وابن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ﴾: فإذا أنزلناه إليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال: فاستمع قرآنه.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: فإذا أنزلناه إليك فاستمع له.

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات) وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٢) «فإذا قرأناه» جمعناه، وهو من قول العرب: ما قرأت هذه المرأة نسلاً قط؛ قال عمرو بن كلثوم: «لم تقرأ جنيناً» ١ هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٠) «إن علينا جمعه وقرآنه» جمعه في قلبك، وقرآنه: قراءته. أي أن جبريل سيعيد عليك. وقوله: «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه» إذا قرأه عليك جبريل. والقراءة والقرآن: مصدران، كما تقول: راجع بين الرجحان والرجوح، والمعرفة والعرفان، والطواف والطوفان (بتحريك الطاء والواو) ١ هـ. وفي شرح الزوزني: العيطل: الطويلة العنق من النوق. والأدماء: البيضاء منها والأدمة: البياض في الإبل. والبكر: الناقة التي حملت بطناً واحداً، ويروى بفتح الباء، وهو الفتى من الإبل، وكسر الباء أعلى الروايتين. والهجان الأبيض الخالص البياض. يستوى فيه الواحد والثنية والجمع، وينعت به الإبل والرجال وغيرهما. ولم تقرأ جنيناً: أي لم تضم في رحمها ولداً ١ هـ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا تلي عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** يقول: إذا تلي عليك فاتبع ما فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** يقول اتبع حلاله واجتنب حرامه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** يقول: فاتبع حلاله، واجتنب حرامه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: **﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** يقول: اتبع ما فيه.

وقال آخرون: بل معناه: فإذا بيناه فاعمل به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** يقول: اعمل به.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: فإذا تلي عليك فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أمرت به فيه، لأنه قيل له: **﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُعَةٌ﴾** في صدرك **﴿وَقَرَأْتَهُ﴾** ودللنا على أن معنى قوله: **﴿وَقَرَأْتَهُ﴾**: وقراءته، فقد بين ذلك عن معنى قوله: **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ﴾** يقول تعالى ذكره: ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه، وأحكامه لك مفصلة.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ﴾** يقول: حلاله وحرامه، فذلك بيانه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ﴾** بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومعصيته وطاعته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم إن علينا تبيانه بلسانك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾** قال: تبيانه بلسانك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَّا رِيحًا نَافِثَةً ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسَوِّمَةٌ ﴿٢٤﴾ تَطَّيَّرُوا بِمِثْلِ آبٍ مُنْقَطِرٍ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾** اختار أكثر الناس العاجلة، إلا من رحم الله وعصم.

وقوله: **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾** يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ، يعني يوم القيامة ناصرة: يقول حسنة جميلة من النعيم يقال من ذلك: نُصِرَ وجه فلان: إذا حَسُنَ من النعمة، ونَصَّرَ الله وجهه: إذا حَسَنَهُ كذلك.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إسماعيل البخاري، قال: ثنا آدم، قال: ثنا المبارك، عن الحسن **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾** قال: حسنة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾** قال: نُصِرَ الوجوه: حُسِنَها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾** قال: الناصرة: الناعمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿وَجُوهٌ**

يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ ﴿ قال: الوجوه الحسنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ قال: من السرور والنعيم والغبطة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنها مسرورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ قال: مسرورة.

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنها تنظر إلى ربها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري قالا: ثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ قال: تنظر إلى ربها نظراً.

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي يقول: أخبرني الحسين بن واقد في قوله ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ من النعيم ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: أخبرني يزيد النحوي، عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد، وأشياخ من أهل الكوفة، قال: تنظر إلى ربها نظراً.

حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: ثنا آدم قال: ثنا المبارك، عن الحسن، في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ قال: حسنة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا خالد بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عرفة، عن عطية العوفي، في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمِيذِ نَاضِرَةَ﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ قال: هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تنتظر الثواب من ربها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِهَا نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر منه الثواب.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور عن مجاهد ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها، لا يراه من خلقه شيء.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِهَا نَاصِرَةٌ﴾ قال: نصرة من النعيم ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر رزقه وفضله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أناس يقولون في حديث، «فيرون ربهم» فقلت لمجاهد: إن ناساً يقولون إنه يُرى، قال: يرى ولا يراه شيء.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر من ربها ما أمر لها.

حدثني أبو الخطاب الحساني، قال: ثنا مالك، عن سفيان، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِهَا نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى ملكه وسُرِّره وخدمه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بكرة وعشية».

قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا أشجع، عن أبي الصهباء الموصلي، قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، من يرى سرره وخدمه وملكه في مسيرة ألف سنة، فيرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أفضلهم منزلة، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية».

وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ:

حدثني علي بن الحسين بن أبجر، قال ثنا مصعب بن المقدم، قال: ثنا إسرائيل بن يونس، عن ثوير، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْحَجَّةِ مَنْزِلَةٌ، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ الْفَي سَنَةٍ قَالَ: وَإِنْ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: ﴿بِالْبَيَاضِ وَالصَّفَاءِ﴾، قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: ﴿تَنْظُرُ كُلَّ يَوْمٍ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾.

وقوله: ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ بِأَسِرَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ووجوه يومئذٍ متغيرة الألوان، مسودة كالحلة يقال: بسرت وجهه أسره بسراً: إذا فعلت ذلك، وبسر وجهه فهو باسر بين البسور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِأَسِرَةٍ﴾ قال: كاشرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ بِأَسِرَةٍ﴾: أي كالحلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بِأَسِرَةٍ﴾ قال: عابسة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بِأَسِرَةٍ﴾ قال: عابسة. وقوله ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يفعل بها داهية والفاقرة: الداهية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال: داهية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي شر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾

فاقِرَةً ﴿٢٦﴾ قال: تظنّ أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقرة، وأصل الفاقرة: الوسم الذي يُفقر به على الأنف.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّتْ أَنَّهَا الرِّقَاقُ ﴿٢٨﴾ وَكَلَّتِ النَّسَاءُ بِالنَّاسِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشر بها.

وقال ابن زيد في قول الله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ قال: التراقي: نفسه.

حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئاً.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مَن رَّاقٍ﴾ فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالوا: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾ قال: هل من راقٍ يرقى؟

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالوا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾ قال: هل من طيب شاف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة، مثله.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي بسطام، عن الضحاك بن مزاحم في قول الله تعالى ذكره: ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾ قال: هو الطيب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن جوير، عن الضحاك في ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾ قال: هل من مداو.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقِيلَ لَهَا مَن رَّاقٍ﴾: أي التمسوا له الأطباء فلم يُغنوا عنه من قضاء الله شيئاً.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن يزيد في قوله: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال: أين الأطباء، والرِّقاة: من يرقيه من الموت.

وقال آخرون: بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض: من يرقى بنفسه فيصعد بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِيَّ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال: إذا بلغت نفسه يرقى ربها، قالت الملائكة: من يصعد بها، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، في قوله: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال: بلغني عن أبي قلابة قال: هل من طيب؟ قال: ويلغني عن أبي الجوزاء أنه قال: قالت الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى: ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟

وقوله: ﴿وَوَظَنُّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ يقول تعالى ذكره: وأيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَوَظَنُّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾: أي استيقن أنه الفراق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَوَظَنُّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ قال: ليس أحد من خلق الله يدفع الموت، ولا ينكره، ولكن لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره؟ فالظن كما ههنا هذا.

وقوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: والتفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ﴾ قال: الدنيا بالآخرة شدة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ يقول: آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة،

إلا من رحم الله .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** يقول: **وَأَلْتَمَّتِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ**، وذلك ساق الدنيا والآخرة، ألم تسمع أنه يقول: **﴿إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ السَّاقُ﴾** .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: **﴿وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** قال: **الْتَمَّتْ** أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالوا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد، قال: **آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة** .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** قال: قال الحسن: ساق الدنيا بالآخرة .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن مجاهد، قال: هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت .

حدثني علي بن الحسين، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أبي سنان الشيباني، عن ثابت، عن الضحاك في قوله: **﴿وَأَلْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** قال: أهل الدنيا يجهزون الجسد، وأهل الآخرة يجهزون الروح .

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن الضحاك، مثله .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك، قال: اجتمع عليه أمران: **الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه** .

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، قال: ساق الدنيا بساق الآخرة .

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا جعفر بن عون، عن أبي جعفر، عن الربيع، مثله وزاد: **ويقال: التفافهما عند الموت** .

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن يمان، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية قال: الدنيا والآخرة .

قال: ثنا ابن يمان، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، قال: أمر الدنيا بأمر الآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: أمر الدنيا بأمر الآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: الشدة بالشدة، ساق الدنيا بساق الآخرة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سألت إسماعيل بن أبي خالد، فقال: عمل الدنيا بعمل الآخرة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سلمة، عن الضحاك، قال: هما الدنيا والآخرة.

حدثني يونس، قال: قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: العلماء يقولون فيه قولين: منهم من يقول: ساق الآخرة بساق الدنيا. وقال آخرون: قل ميت يموت إلا التفت إحدى ساقيه بالأخرى. قال ابن زيد: غير أنا لا نشك أنها ساق الآخرة، وقرأ: **﴿إلى ربك يؤمئذ المساق﴾** قال: لما التفت الآخرة بالدنيا، كان المساق إلى الله، قال: وهو أكثر قول من يقول ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفت ساقا الميت إذا لفتا في الكفن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا بشير بن المهاجر، عن الحسن، في قوله: **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: لفتها في الكفن.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع وابن اليمان، عن بشير بن المهاجر، عن الحسن، قال: هما ساقاك إذا لفتا في الكفن.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع عن بشير بن المهاجر، عن الحسن، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفاف ساقى الميت عند الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: ساقا الميت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب وعبد الأعلى، قالوا: ثنا داود، عن عامر، قال:

التَفَّتْ ساقاه عند الموت.

حدثنا ابن المشني، قال: ثني ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، مثله.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد، عن داود، عن عامر، بنحوه.

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالوا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حصين عن أبي مالك **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: عند الموت.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك، قال: التفت ساقك عند الموت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: **﴿والتفت الساق بالساق﴾**: لقيهما أمر الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: ساقا ابن آدم عند الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: هما ساقاه إذا ضمت إحداهما بالأخرى.

حدثنا ابن بشار وابن المشني، قالوا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال قتادة: أما رأيت إذا ضرب برجله رجله الأخرى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿والتفت الساق بالساق﴾**: ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء، فقد كان عليهما جوالاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالك **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: ساقاه عند الموت.

وقال آخرون: عني بذلك يسهما عند الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السدي، عن أبي مالك **﴿والتفت الساق بالساق﴾** قال: يسهما عند الموت.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السدي، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: والتفت أمر بأمر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا: ثنا وكيع، قال: ثنا ابن أبي خالد، عن أبي عيسى **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** قال: الأمر بالأمر.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: والتف بلاء بلاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: بلاء بلاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ الدُّنْيَا بِالسَّاقِ الآخِرَةِ﴾**، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلاع والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: **﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه ومنه قول الشاعر:

إِذَا شَمُرْتَ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَرِيهَا زَيْعٌ وَلَا تَسَامُ^(١)

عنى بقوله: **﴿الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾**: التصقت إحدى الشدتين بالأخرى، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيهما بالأخرى: لفاء.

وقوله: **﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** يقول: إلى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَا يَصَدَّقَ وَلَا يُجْرَىٰ عَلَيْهِ أَكْفَافٌ مِّنْهُنَّ عَسَىٰ فِئَةٌ مِّنْهُنَّ أَن تُجْرَىٰ عَلَيْهِنَّ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا وَتَكْفُلُ بِهِنَّ الْأُمَّةُ فَاعْلَمُوا أَن سَاءَ لَكُم مَّا كَفَرْتُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: فلم يصدق بكتاب الله، ولم يصل له صلاة، ولكنه كذب بكتاب الله، وتولى فادبر عن طاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) لم أقف على قائل البيت، وقد جاءت فيه كلمة «فرنها» هكذا في المخطوطة والمطبوعة، ولم نهتد إلى تصويبها. وقد أنشده المؤلف عند تفسير قوله تعالى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾**. قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٣) **﴿والتفت الساق بالساق﴾** مثل: شمرت عن ساقها. ا هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٠) أتاه أول شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا. ويقال: التفت ساقه كما يقال للمرأة إذا التصقت فخذها هي: لفاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ لا صدق بكتاب الله، ولا صلى الله، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ كَذَّبَ بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله. وقوله ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ يقول تعالى ذكره: ثم مضى إلى أهله منصرفاً إليهم، يتبختر في مشيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: أي يتبختر.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقیة بن الوليد، عن ميسرة بن عبيد، عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ قال: يتبختر، قال: هي مشية بني مخزوم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن إسماعيل بن أمية، عن مجاهد ﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ قال: رأى رجلاً من قريش يمشي، فقال: هكذا كان يمشي كما يمشي هذا، كان يتبختر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿يَتَمَطَّى﴾ قال: يتبختر وهو أبو جهل بن هشام، كانت مشيته.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جهل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَتَمَطَّى﴾ قال: أبو جهل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ قال: هذا في أبي جهل متبخراً.

وإنما عني بقوله ﴿يَتَمَطَّى﴾ يلوي مطاه تبخراً، والمطأ: هو الظهر، ومنه الخبر عن رسول الله ﷺ: «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطِيطَاءُ» وذلك أن يلقي الرجل يديه ويتكفأ.

وقوله ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ

فَأُولَى ﴿ وَعِيدَ عَلَى وَعِيدٍ، كَمَا تَسْمَعُونَ، زَعِمَ أَنْ هَذَا أَنْزَلَ فِي عَدْوِ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ. ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ فَقَالَ: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ فَقَالَ عَدْوُ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ: أَيُوعِدُنِي مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ لِي أَنْتَ وَلَا رَبِّكَ شَيْئاً وَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا..

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: أخذ النبي ﷺ بيده، يعني بيد أبي جهل، فقال: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ فقال: يا محمد ما تستطيع أنت وربك في شياً، إني لأعز من مشى بين جبلتها فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم، وضرب الله عنقه، وقتله شر قتلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ قال: قال أبو جهل: إن محمداً ليوعدني، وأنا أعز أهل مكة والبطحاء، وقرأ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّعَ الرُّبَائِيَةَ كَلَّالًا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، قال: قلت لسعيد بن جبير: أشيء قاله رسول الله ﷺ من قِبَلِ نَفْسِهِ، أم أمر امره الله به؟ قال: بل قاله من قِبَلِ نَفْسِهِ، ثم أنزل الله: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾.

وقوله: ﴿أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ يقول تعالى ذكره: أَيْظَنُّ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ بِاللَّهِ أَنْ يُتْرَكَ هَمَلًا، أَنْ لَا يُؤْمَرُ وَلَا يَنْهَى، وَلَا يَتَعَبَّدُ بِعِبَادَةٍ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ يقول: هملًا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال: لا يُؤْمَرُ، وَلَا يَنْهَى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال: السدي: الذي لا يفترض عليه عمل ولا يعمل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْعَمَ مِنْ مَنَى يُتَى (٢٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ سُدًى (٢٨) فَعَمَلٌ مِنْهُ الرَّؤُوفُ الذَّكْرُ

وَالْأُنثَى ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره: ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته، وإيجاده من بعد فناءه ﴿نُطْفَةٌ﴾ يعني: ماء قليلاً في صلب الرجل من مني.

واختلفت القرآء في قراءة قوله: ﴿يُحْيِي﴾ فقرأه عامة قرآء المدينة والكوفة: «تُحْيِي» بالثاء بمعنى: تمنى النطفة، وقرأ ذلك بعض قرآء مكة والبصرة: ﴿يُحْيِي﴾ بالياء، بمعنى: يمني المنى. والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ثم كان دماً من بعد ما كان نطفة، ثم علقة، ثم سواه بشراً سوياً، ناطقاً سميعاً بصيراً ﴿فَجَعَلْ مِنْهُ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ يقول تعالى ذكره: فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقاً سوياً أولاداً له، ذكوراً وإناثاً ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقة حتى صيره إنساناً سوياً، له أولاد ذكور وإناث، بقادر على أن يحيي الموتى من مماتهم، فيوجد لهم كما كانوا من قبل مماتهم. يقول: معلوم أن الذي قدير على خلق الإنسان من نطفة من مني يمني، حتى صيره بشراً سوياً، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك قال: «بلى».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى».

آخر تفسير سورة القيامة

وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه.

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة، يعني: من ماء الرجل وماء المرأة، والنطفة: كلّ ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قربة، أو غير ذلك، كما قال عبد الله بن رواحة:

هَلْ أَتَيْتِ إِلَّا نُطْفَةً فِي سُنَّةٍ^(١)

وقوله: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ يعني: أخلاط، واحدها: مشج ومشيح، مثل خدن وخدين ومنه قول رؤبة بن العجاج:

يَطْرَحْنَ كُلُّ مُعْجَلٍ نَشَّاجٍ لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فِي دَمِ أَمْشَاجٍ^(٢)

يقال منه: مشجت هذا بهذا: إذا خلطته به، وهو ممشوج به ومشيح: أي مخلوط به، كما قال أبو ذؤيب:

كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَالَ النَّضْلِ سَيْطَ بِهٍ مَشِيحٍ^(٣)

(١) البيت من مشطور الرجز لسيدنا عبد الله بن رواحة الأنصاري، من أبيات قالها في غزوة مؤتة من أرض الشام «سيرة ابن هشام» (طبعة الحلبي الأولى ٢١/٤) والنطفة: الماء القليل الصافي. والشنة السقاء البالي. ومعناه: فيوشك أن تهراق النطفة، أو يتخرق السقاء، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج (ديوانه ٢٣). وقبله: حتى مسيناهن بالإخداج:

يَقْدُفْنَ كُلَّ مَعْجَلٍ نَشَّاجٍ

والنون: راجعة إلى التناق ومسيناهن ومسوناهن: أي أدخلنا أيدينا في حياتهن لإخراج الأجنة من بطونهن، من كل ولد ذي صوت، ولكنه لم يكس جلدًا بعد، نخرجهن مع دم مختلط بغيره، مما يتجمع في الرحم والمشيمة. قال في «اللسان» مشج وفي التنزيل العزيزي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال الفراء: الأمشاج: هي الأخلاط: ماء الرجل وماء المرأة، والدم والعلقة؛ ويقال للشيء من هذا إذا خلط: مشيح، كقولك: خلط، وممشوج: كقولك مخلوط، مشجت بدم وذلك الدم دم الحوض، وقال أبو إسحاق (الزجاج) أمشاج: أخلاط من منى ودم. ثم ينقل من حال إلى حال. ويقال: نطفة أمشاج: ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها هـ.

(٣) البيت في «اللسان»: مشج ونسبه لزهير بن حرام الهذلي، وهو الملقب بالداخل. (وانظره في شرح السكري لأشعار الهذليين طبعة لندن ٢٦٩). ونسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٣) إلى أبي ذؤيب، وعنه نقل المؤلف. ونسب في «الكامل» للمبرد (طبعة الحلبي ٨٢٨) إلى الشماخ، وليس بصحيح. أما رواية البيت فتختلف ألفاظها في المراجع، وأجودها رواية الكامل، «لسان العرب» شرح وهي:

كَأَنَّ الْمَثْنِ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّضْلِ سَيْطَ بِهٍ مَشِيحٍ =

واختلف أهل التأويل في معنى الأمشاج الذي عنى بها في هذا الموضوع، فقال بعضهم: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالوا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن الأصبهاني، عن عكرمة **«أمشاج نبتليه»** قال: ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن الأصبهاني، عن عكرمة قال: ماء الرجل وماء المرأة يختلطان.

قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا زكريا، عن عطية، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يمشجان.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السدي، عن حذثة، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يختلطان.

قال: ثنا عبد الله، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج.

قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا المبارك، عن الحسن، قال: مُشج ماء المرأة مع ماء الرجل.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى»**.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: خلق من تارات ماء الرجل وماء المرأة.

وقال آخرون: إنما عني بذلك: إنا خلقنا الإنسان من نطفة ألوان ينتقل إليها، يكون نطفة، ثم يصير علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم كسي لحماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

= قال المبرد: يريد سهماً رمى به، فأنفذ الرمية، وقد اتصل به دمها. والمتن متن السهم. وشرخ كل شيء حده. فأراد شرخي الفوق وهما حرفاه. والمشيح: اختلاط الدم بالنطفة. هذا أصله. وفي «اللسان» شرخ: وشرخ كل شيء: حرفة النائيء كالسهم ونحوه. وشرخا الفوق: حرفاه المشرفان اللذان يقع بينهما الوتر اهـ.

ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ الأمشاج: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهي النطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم أنشأ خلقاً آخر فهو ذلك.

حدثنا ابن المنثى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة، في هذه الآية ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً.

حدثنا الرفاعي، قال: ثنا وهب بن جرير ويعقوب الحضرمي، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة، قال: نطفة، ثم علقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أطوار الخلق، طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، وطوراً عظماً، ثم كسى الله العظام لحماً، ثم أنشأ خلقاً آخر، أنبت له الشعر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ قال: الأمشاج: اختلط الماء والدم، ثم كان علقة، ثم كان مضغة. وقال آخرون: عُني بذلك اختلاف ألوان النطفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ يقول: مختلفة الألوان.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ألوان النطفة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أيّ الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ قال: ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة حمراء وخضراء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل هي العروق التي تكون في النطفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، قال: ثنا المسعودي، عن عبد الله بن المخارق عن أبيه، عن عبد الله، قال: أمشاجها: عروقتها.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: هي العروق التي تكون في النطفة.

وأشبهه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك **﴿مِنْ نُطْفَةِ أَمْشَاجٍ﴾** نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجاً وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لوناً واحداً لم تكن ألواناً مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى. وقد:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: إنما خلق الإنسان من الشيء القليل من النطفة. ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرُّبْرِ؟ وإنما خلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة أمشاج نبتليه.

وقوله: **﴿نَبْتَلِيهِ﴾** نخبره. وكان بعض أهل العربية يقول: المعنى: جعلناه سمياً بصيراً نبتليه، فهي مقدّمة معناها التأخير، إنما المعنى خلقناه وجعلناه سمياً بصيراً نبتليه، ولا وجه عندي لما قال يسخ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات، وإن عُدِمَ السمع والبصر. وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسمعاً وأبصاراً في هذه الآية، فتذكير منه لنا بنعمه، وتنبية على موضع الشكر فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة، وسلامة العقل من الآفة، كما قال: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**.

وقوله: **﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** يقول تعالى ذكره: فجعلناه ذا سمع يسمع به، وذا بصر يبصر به، إنعاماً من الله على عباده بذلك، ورأفة منه لهم، وحجة له عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾** إنا بينا له طريق الجنة، وعرفناه سبيله، إن

شكر، أو كفر. وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا المعنى، كانت إما وإما في معنى الجزاء. وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ فيكون قوله: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ حالاً من الهاء التي في هديناه فيكون معنى الكلام إذا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل: إنا هديناه السبيل، إما شقياً وإما سعيداً. وكان بعض نحويي البصرة يقول ذلك كما قال: «إما العذاب وإما الساعة» كأنك لم تذكر إما قال: وإن شئت ابتدأت ما بعدها فرفعته. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّمَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ قال: الشقوة والسعادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّمَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا﴾ للنعم ﴿وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾. لها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾... إلى ﴿إِنَّمَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ قال: ننظر أي شيء يصنع، أي الطريقين يسلك، وأي الأمرين يأخذ، قال: وهذا الاختبار.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا وخالف أمرنا سلاسل يُسْتَوْتَقُّ بها منهم شداً في الجحيم ﴿وَأَغْلَالًا﴾ يقول: وتشد بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم.

وقوله ﴿وَسَعِيرًا﴾ يقول: وناراً تُسْعِر عليهم فتوقد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْأَنْزَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۗ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۗ﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين يزوا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه، واجتناب معاصيه، يشربون من كأس، وهو كل إناء كان فيه شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يقول: كان مزاج ما فيها من الشراب ﴿كَافُورًا﴾ يعني: في طيب رائحتها كالكافور. وقد قيل: إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة فمن قال ذلك، جعل نصب العين على الرد على الكافور، تبياناً عنه، ومن جعل الكافور صفة للشراب

نصبها، أعني العين عن الحال، وجعل خبر كان قوله ﴿كافوراً﴾ وقد يجوز نصب العين من وجه ثالث، وهو نصبها بإعمال يشربون فيها فيكون معنى الكلام: إن الأبرار يشربون عيناً يشرب بها عباد الله، من كأس كان مزاجها كافوراً. وقد يجوز أيضاً نصبها على المدح، فأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا: الكافور صفة للشراب على ما ذكرت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مزاجها كافوراً﴾ قال: تمزج.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ قال: قوم تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك.

وقوله: ﴿عِيناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة. والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التي في «مزاجها» ويعني بقوله ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يُرَوَى بها ويُتْفَع. وقيل: يشرب بها ويشربها بمعنى واحد. وذكر الفراء أن بعضهم أنشده:

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَسِيْجٌ^(١)
وعنى بقوله: «متى لجج» من، ومثله: إنه يتكلم بكلام حسن، ويتكلم كلاماً حسناً.

وقوله: ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ يقول تعالى ذكره يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف

(١) البيت: من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٥١) قال: وقوله «يشرب بها» ويشربها سواء في المعنى. وكأنه يشرب بها: يروى بها وينفع. وأما يشربونها فين. وقد أنشدني بعضهم: «شربن بماء» ومثله: إنه ليتكلم بكلام حسن، ويتكلم كلاماً حسناً هـ. وفي «خزانة الأدب للبغدادي» (١٩٣/٣، ١٩٥) استشهد به على أن (متى) عند هذيل حرف جر؛ بمعنى «من» أو «في»، أو اسم بمعنى «وسط» والباء في قوله «بماء البحر» قيل على بابها، وشربن مضمن معنى «روين» وقيل هي للتبعيض. وقيل زائدة، كقول الفراء، قال ابن جني في سر الصناعة: الباء فيه زائدة، إنما معناه: شربن ماء البحر. هذا هو الظاهر من الحال. والعدول عنه تعسف هـ قلت: هذه هي الرواية المشهورة في كتب اللغويين والنحاة. وفي شعر أبي ذؤيب ديوان الهذليين (٥١/١).

سَقَى أُمَّ عَسْمَرُو كُلَّ آخِرٍ لَسَيْلَةٍ حَنَاتِي سَوْدٌ مَاؤُهُنَّ لُجَجِيْجٌ
تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ عَلَى حَبَشِيَّاتٍ لَسُهُنَّ نَسِيْجٌ

شبه السحاب الأسود بالحناتم، ويقال للسحاب إذا كان ريان: «أسود كأنه الحنتم». يقول: إن تلك الحناتم وهي الجرار، قد تروت من ماء البحر، ثم ارتفعت على سحائب سود لهن نسيج: أي مر سريع من صوت.

شاؤوا وحيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيراً، ويعني بالتفجير: الإسالة والإجراء. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: يعدلونها حيث شاؤوا.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: يقودونها حيث شاؤوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: مستفيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاؤوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: يصرفونها حيث شاؤوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيَطْعَمُونَ أَطْعَامًا عَلَىٰ حِدِّهِمْ وَسَكِينًا وَيُسْكِينًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ إِنَّمَا تَطْعَمُكَ لِيَوْمِ اللَّهِ لَا تَرْبُدْ سَكَرًا وَلَا سُكْرًا ۝٩﴾

يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، برؤا بوفائهم الله بالندور التي كانوا يندرونها في طاعة الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: إذا نذروا في حق الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: كانوا يندرون طاعة الله من الصلاة والزكاة، والحج والعمرة، وما افترض عليهم، فسامهم الله بذلك الأبرار، فقال: ﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ﴾** قال: بطاعة الله، وبالصلاة، وبالْحَجِّ، وبالعمرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قوله: **﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ﴾** قال: في غير معصية.

وفي الكلام محذوف اجتزىء بدلالة الكلام عليه منه، وهو كان ذلك. وذلك أن معنى الكلام: إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، كانوا يوقون بالندر، فترك ذكر كانوا لدلالة الكلام عليها والندر: هو كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل ومنه قول عنترة:

السَّائِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي^(١)
وقوله: **﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾** يقول تعالى ذكره: ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا الله من برّ في يوم كان شرّه مستطيراً، ممتدّاً طويلاً فاشياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾** استطاروا الله شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض.

وأما رجل يقول عليه نذر أن لا يصل رحماً، ولا يتصدق، ولا يصنع خيراً، فإنه لا ينبغي أن يكفر عنه، ويأتي ذلك، ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاج واستطال: إذا امتدّ، ولا يقال ذلك في الحائط ومنه قول الأعشى:

فَبَأْسَتْ وَقَدْ أَتَرَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا^(٢)
يعني: ممتدّاً فاشياً.

(١) البيت لعنترة في معلقته المشهورة بهجو حصينا وهرما ابني ضمضم وقد ذكرهما في البيت قبله، وهو:

وَلَقَدْ حَسِبْتُ بِأَنَّ أَسْوَتْ وَلَمْ تَنْدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمْضَمٍ

يقول: اللذان يشتمان عرضي ولم أشتمهما أنا، والموجبان على أنفسهما سفك دمي إذا لم أرهما. يريد أنهما يتواعد أنه حال غيبته، فأما في الحضور فلا يتجاسران عليه.

(٢) البيت للأعشى ديوانه (٩٣) والرواية فيه: «أورثت» في موضع «أثارت» ويظهر أن رواية المؤلف محرفة عن «أسارت» بالسين، لا بالثاء، لأنه لا معنى للإثارة هنا. والصدع: الشق. والمستطير كما في «اللسان»: المنتشر. وفي «مجاز القرآن» عند قوله تعالى: «كان شره مستطيراً» أي فاشياً. وفي «معاني القرآن» (٣٥١) «ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» ممتد البلاء، والعرب تقول: استطار الصدع في القارورة وشبهها، واستطال

وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه، وشهوتهم له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قال: وهم يشتهونه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو العريان، قال: سألت سليمان بن قيس أبا مقاتل بن سليمان، عن قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ قال: على حبهم للطعام.

وقوله: ﴿مِسْكِينًا﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله مسكيناً: ذوي الحاجة الذين قد أذلتهم الحاجة، ﴿وَيَتِيمًا﴾: وهو الطفل الذي قد مات أبوه ولا شيء له ﴿وَأَسِيرًا﴾: وهو الحرابي من أهل دار الحرب يُؤخذ قهراً بالغبية، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحق فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقريباً بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم.

واختلف أهل العلم في الأسير الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: بما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه.

قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو أن عكرمة قال في قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ زعم أنه قال: كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا أشعث، عن الحسن ﴿وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: ما كان أسراهم إلا المشركين.

وقال آخرون: غني بذلك: المسجون من أهل القبلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأسير: المسجون.

حدثني أبو شيبة بن أبي شيبة، قال: ثنا عمر بن حفص، قال: ثني أبي عن حجاج، قال: ثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ من أهل القبلة وغيرهم، فسألت عطاء، فقال مثل ذلك.

حدثني علي بن سهل الرملي، قال: ثنا يحيى يعني ابن عيسى، عن سفيان، عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: الأسير: هو المحبوس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد، مثله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم، فالخبر على عمومته حتى يخصه ما يجب التسليم له. وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك، فإن ذلك وإن كان كذلك، فلم يخصص بالخبر الموفون بالندر يومئذ، وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معني به أسير المشركين والمسلمين يومئذ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يقولون: إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون طلب رضا الله، والقربة إليه ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام: لا نريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثواباً ولا شكوراً.

وفي قوله: ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون جمع الشكر كما الفلوس جمع فلس، والكفور جمع كُفر. والآخر: أن يكون مصدرًا واحدًا في معنى جمع، كما يقال: قعد قعودًا، وخرج خروجًا. وقد:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سالم، عن مجاهد ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، عن سالم، عن سعيد بن جبير ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَصْرًا وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة: ما نطعمكم طعاماً نطلب منكم عوضاً على إطعامناكم جزاء ولا شكوراً، ولكننا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هول، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتد. والقمطيرير: هو الشديد، يقال: هو يوم قمطيرير، أو يوم قماطر، ويوم عصيب. وعصيب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطاراً، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم.

بني عَمْنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمْاطِرٌ^(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن معناه، فقال بعضهم: هو أن يعبس أحدهم، فيقبض بين عينيه حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن سلام التميمي، عن سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَبَّوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَوْمًا عَبَّوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال: القمطيرير: المُقبَض بين عينيه.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن

(١) البيت في «اللسان» قمطر. ولم ينسبه. قال: ويوم قمطر، وقماطر، وقمطيرير: مقبض ما بين العينين لشده. وقيل إذا كان شديداً غليظاً، قال الشاعر: وقماطر: بضم القاف، واقمطر يومنا: اشتد. وفي التنزيل العزيز: إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمْطَرِيرًا جاء في التفسير أنه يعبس الوجه، فيجمع ما بين العينين وهذا شائع في اللغة ١ هـ. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٣) العبوس، والقمطر، والقماطر، والعصيب: أشد ما يكون من الأيام، وأطولها في البلاء. ١ هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٥١) وقوله عبوساً قمطيرياً والقمطيرير: الشديد. يقال: يوم قمطيرير، ويوم قماطر. أنشدني بعضهم:

«بِنَسِي عَمَّنَا.....»

قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن قوله ﴿قَمَطْرِيْرًا﴾ قال: يُقْبَضُ ما بين العينين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطْرِيْرًا﴾ قال: يقْبَضُ ما بين العينين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطْرِيْرًا﴾ قال: يوم يقْبَضُ فيه الرجل ما بين عينيه ووجهه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطْرِيْرًا﴾ عبست فيه الوجوه، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قَمَطْرِيْرًا﴾ قال: تُقْبَضُ فيه الجباه وقوم يقولون: القمطير: الشديد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: المقْبَضُ ما بين العينين.

قال: ثنا وكيع، عن عمر بن ذر، عن مجاهد، قال: هو المقْبَضُ ما بين عينيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو، عن عكرمة، قال: القمطير: ما يخرج من جباههم مثل القطران، فيسيل على وجوههم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قَمَطْرِيْرًا﴾ قال: يُقْبَضُ الوجه بالسور.

وقال آخرون: العبوس: الضيق، والقمطير: الطويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿عَبُوسًا﴾ يقول: ضيقاً. وقوله: ﴿قَمَطْرِيْرًا﴾ يقول: طويلاً.

وقال آخرون: القمطير: الشديد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا
عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال: العَبُوسُ: الشَّرُّ، والقَمْطَرِيرُ: الشديد.

وقوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ يقول جل ثناؤه: فدفَع اللهُ عنهم
ما كانوا في الدنيا يحذرون من شَرِّ اليوم العَبُوسِ القَمْطَرِيرِ بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضى
عنهم ربهم، لَقَّاهم نَضْرَةً في وجوههم، وسُرُورًا في قلوبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ
نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ قال: نَضْرَةٌ في الوجوه، وسُرُورًا في القلوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾
نَضْرَةٌ في وجوههم، وسُرُورًا في قلوبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا﴾ قال: نعمة وسُرُورًا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَحَرِيرًا بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَجَرًا وَلَا زَمْتِيرًا ﴿١٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وأثابهم الله بما صبروا في الدنيا على طاعته، والعمل بما يرضيه عنهم
جنة وحريراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾
يقول: وجزاهم بما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصيته ومحارمه، جنة وحريراً.

وقوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يقول: متكئين في الجنة على السُّرر في الحجال، وهي
الأرائك واحدها أريكة. وقد بينا ذلك بشواهد، وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما
أغنى عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى
قبل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يعني: الحجال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ كنا نُحَدِّثُ أَنَّهَا الْحِجَالُ فِيهَا الْأَسْرَةُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الحصين، عن مجاهد ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ قال: السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ.

ونصب ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ فيها على الحال من الهاء والميم. وقوله ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا فَيُؤْذِيهِمْ حَرَّهَا، وَلَا زَمْهَرِيرًا، وَهُوَ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ، فَيُؤْذِيهِمْ بَرْدَهَا. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا زياد بن عبد الله الحساني، قال: ثنا مالك بن سعيير، قال: ثنا الأعمش، عن مجاهد، قال: الزمهرير: البرد المفظع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يعلم أن شدة الحر تؤذي، وشدة القَرِّ تؤذي، فوَقَاهُمُ اللَّهُ أَذَاهُمَا.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن السُّدِّيِّ، عن مرّة بن عبد الله قال في الزمهرير: إنه لون من العذاب، قال الله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَتَنَسَّنِي، فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِتَفْسِينِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنَ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنَ حَرِّ جَهَنَّمَ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ فِي ظُلْمِهَا لَنَزِيلًا ﴿١٤﴾ وَطَافَ عَلَيْهِم بِانِيَةٍ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَكُرُورًا كَانَتْ قَارِيرًا ﴿١٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ وقُرِبَتْ مِنْهُمْ ظِلَالُ أَشْجَارِهَا.

ولنصب دانية أوجه: أحدها: العطف به على قوله ﴿مُتَكِّثِينَ فِيهَا﴾. والثاني: العطف به على موضع قوله ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ لأن موضعه نصب، وذلك أن معناه: متكئين فيها على الأرائك، غير راثنين فيها شمساً. والثالث: نصبه على المدح، كأنه قيل: متكئين فيها على الأرائك، ودانية بعد عليهم ظلالها، كما يقال: عند فلان جارية جميلة، وشابة بعد طرية، تضر مع هذه الواو فعلاً ناصباً للشابة، إذا أريد به المدح، ولم يرد به السَّقْ وَأُنْتُثْ دانية لأن الظلال جمع. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بالتذكير: «وَدَانِيًا عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» وإنما ذكر لأنه فعل متقدم، وهي في قراءة فيما بلغني: «وَدَانٍ» رفع على الاستئناف.

وقوله: ﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾ يقول: وذلل لهم اجتناء ثمر شجرها، كيف شاؤوا قعوداً وقياماً ومتكئين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾ قال: إذا قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت حتى ينالها، فذلك تذييلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَدَانِيَةَ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾ قال: لا يردُّ أيديهم عنها بعد ولا شوك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُطُوفَهَا دَانِيَةَ﴾ قال: الدانية: التي قد دنت عليهم ثمارها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قوله: ﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾ قال: يتناوله كيف شاء جالساً ومتكئاً.

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويُطَافُ على هؤلاء الأبرار بآية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قوارير، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ يقول: آية من فضة،

وصفاؤها وتهيؤها كصفاء القوارير .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد من فضة، قال: فيها رقة القوارير في صفاء الفضة .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: صفاء القوارير وهي من فضة .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي صفاء القوارير في بياض الفضة .

وقوله: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ يقول: ويُطَاف مع الأواني بجرار ضِخَام فيها الشراب، وكلّ جرة ضخمة لا عروة لها فهي كوب، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ قال: ليس لها أذان . وقد:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان بهذا الحديث بهذا الإسناد عن مجاهد، فقال: الأكواب: الأقداح .

وقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ يقول: كانت هذه الأواني والأكواب قوارير، فحوّلها الله فضة . وقيل: إنما قيل: يطاف عليهم بآية من فضة، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة، لأن كل آية تُتخذ، وإنما تُتخذ من تربة الأرض التي فيها، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفة الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة .

واختلفت القراء في قراءة قوله «قوارير، وسلاسل»، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير حمزة: سلاسلًا، وقواريرًا ﴿قَوَارِيرًا﴾ بإثبات الألف والتنوين وكذلك هي في مصاحفهم وكان حمزة يُسقط الألفات من ذلك كله، ولا يجري شيئاً منه وكان أبو عمرو يُثبت الألف في الأولى من قوارير، ولا يثبتها في الثانية، وكلّ ذلك عندنا صواب، غير أن الذي ذكّرت عن أبي عمرو أعجبهما إليّ، وذلك أن الأول من القوارير رأس آية، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رؤوس آيات السورة أعجب إليّ إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۖ وَنَسْفُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا رَاحِيلاً ۗ عَنَّا فِيهَا كِسْفٌ



يقول تعالى ذكره: ﴿قَوَارِيرٌ﴾ في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض^(١)، كما:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: صفاء القوارير في بياض الفضة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن كثير، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قول الله: ﴿قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: بياض الفضة في صفاء القوارير.

حدثني يعقوب، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرنا ابن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: كان ترابها من فضة.

وقوله: ﴿قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: صفاء الزجاج في بياض الفضة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله: ﴿قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: لو احتاج أهل الباطل^(٢) أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: هي من فضة، وصفاءها: صفاء القوارير في بياض الفضة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: على صفاء القوارير، وبياض الفضة.

وقوله: ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ يقول: قدروا تلك الآنية التي يُطاف عليهم بها تقديراً على قدر ربيهم لا تزيد ولا تنقص عن ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قُدرت لربي القوم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله:

(١) لعله قوارير في الصفاء من فضة: كالفضة في البياض.

(٢) في «الدر المنثور»: أهل الدنيا.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قدر رِيْهِمْ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: لا تنقص ولا تفيض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: لا تشرع فتهراق، ولا ينقصون من مائها فتقص فهي ملأى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ لريهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدرت على ري القوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قدروها لريهم على قدر شربهم أهل الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: ممتلئة لا تهراق، وليست بناقصة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قدروها على قدر الكف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قدرت للكف.

واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ بفتح القاف، بمعنى: قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم. وزوي عن الشعبي وغيره من المتقدمين أنهم قرأوا ذلك بضم القاف، بمعنى: قدرت عليهم، فلا زيادة فيها ولا نقصان.

والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها فتح القاف، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: وَيُسْقَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا، وهي كل إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغاً من الخمر لم يقل له كأس، وإنما يقال له إناء، كما يقال للطبق الذي تهدي فيه الهدية المهدي مقصوراً ما دامت عليه الهدية فإذا فرغ مما عليه كان طبقاً أو خواناً، ولم يكن مهدي ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ يقول: كان مزاج شراب الكأس التي يسقون منها زنجبيلاً.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: يمزج لهم شرابهم بالزنجبيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ قال: تُمزَج بالزنجبيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ قال: يَأْتُرُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَشْرِبُونَ فِي الدُّنْيَا. زاد الحارث في حديثه: فَيُحِبُّهُ إِلَيْهِمْ. وقال بعضهم: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ رقيقة يشربها المقربون صِرْفًا، وتمزج لسائر أهل الجنة. وقوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: عَيْنًا فِي الْجَنَّةِ تَسْمَى سَلْسِيلًا. قيل: عُنِي بقوله سلسيلاً: سلسة مُنْقَادًا مَاؤَهَا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾: عَيْنًا سَلْسَةً مُسْتَقِيدًا مَاؤَهَا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ قال: سَلْسَةً يَصْرَفُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا.

وقال آخرون: عُنِي بذلك أنها شديدة الجزية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ قال: حديدة الجزية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: سلسة الجرية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **«عينا** فيها تُسمى **سَلْسِيلاً** حديدة الجزية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

واختلف أهل العربية في معنى السلسيل وفي إعرابه، فقال بعض نحويي البصرة، قال بعضهم: إن سلسيل صفة للعين بالتسلسل. وقال بعضهم: إنما أراد عيناً تسمى سلسيلاً: أي تسمى من طيبها السلسيل: أي توصف للناس، كما تقول: الأعوجي والأرحبي والمهري من الإبل، وكما تنسب الخيل إذا وصفت إلى الخيل المعروفة المنسوبة كذلك تنسب العين إلى أنها تسمى، لأن القرآن نزل على كلام العرب، قال: وأنشدني يونس:

صَفْرَاءٌ مِنْ نَبْعٍ يُسَمَّى سَهْمُهَا مِنْ طُولٍ مَا صَرَغَ الصُّيُودُ الصَّيْبُ^(١)

فرغ الصَّيْبُ لأنه لم يرد أن يسمى بالصَّيْبِ، إنما الصَّيْبُ من صفة الاسم والسهم. وقوله: «يسمى سهمها» أي يذكر سهمها. قال: وقال بعضهم: لا، بل هو اسم العين، وهو معرفة، ولكنه لما كان رأس آية، وكان مفتوحاً، زيدت فيه الألف، كما قال: كانت قواريراً. وقال بعض نحويي الكوفة: السلسيل: نعت أراد به سلس في الحلق، فلذلك حَرِي أن تسمى بسلاستها.

وقال آخر منهم: ذكروا أن السلسيل اسم للعين، وذكروا أنه صفة للماء لسلسه وعذوبته قال: ونرى أنه لو كان اسماً للعين لكان ترك الإجراء فيه أكثر، ولم نر أحداً ترك إجرائها وهو جائز في العربية، لأن العرب تُجري ما لا يجري في الشعر، كما قال متمم بن نويرة:

فَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمٍ رَأَيْتُ مَخْرَأً مِنْ حُوَارٍ وَمَضْرَعًا^(٢)

(١) هذا بيت رواه يونس النحوي ولم يذكر قائله يصف قوساً من شجر النبع. والشاهد عند المؤلف في البيت أن «الصيب مرفوع لأنه صفة للسهم وأنه ليس كقوله تعالى: يسمى سلسيلاً. يريد أن هذه القوس ينعت سهمها الصيب ويوصف. لكثرة ما أصاب به الصيود وهي جمع صيد. هذا معنى كلامه. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٢) وقوله «تسمى سلسيلاً ذكروا أن السلسيل اسم العين، وذكر أنه صفة للماء لسلسلته وعذوبته. ونرى أنه لو كان اسماً للعين لكان ترك الإجراء (الصرف) فيه أكثر، ولم نر أحداً من القراء ترك إجرائها وهو جائز في العربية، كما كان في قراءة عبد الله (ابن مسعود): ولا تدرن ودأ ولا سواعاً ويغوئاً ويعوقاً بالألف. وكما قال: سلاسل وقواريراً، بالألف، فأجروا ما لا يجري، وليس بخطأ لأن العرب تجري ما لا يجري في الشعر، فلو كان خطأ ما أدخلوه في أشعارهم. قال متمم بن نويرة:

فَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمٍ رَأَيْتُ مَخْرَأً مِنْ حُوَارٍ وَمَضْرَعًا

فأجري روائم وهي مما لا يجري، فيما لا أحصيه من أشعارهم ا هـ.

(٢) البيت لمتمم بن نويرة كما قال الفراء (تقدم في الشاهد قبله) وهو في «اللسان» ظار قال: تقول (ظنرت) الناقه مبنياً للمجهول، على ولد غيرها أو على أبو (فأظارت) بالظاء، فهي ظنور ومظنورة وجمع «الظنور» أظَار =

فأجرى روائم، وهي مما لا يُجْرَى.

والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ صفة للعين، وصفت بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاؤوا، كما قال مجاهد وقتادة. وإنما عنى بقوله ﴿تُسَمَّى﴾: توصف.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لإجماع أهل التأويل على أن قوله: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ صفة لا اسم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا دَأَبْتُمْ حَسَنَاتِهِمْ لَوْلَا نُزِّلَ فِيهَا مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا كَالْعِزَّةِ وَالْجَنَّةِ وَإِذَا دَأَبْتُمْ سَيِّئَاتِهِمْ لَوْلَا نُزِّلَ فِيهَا مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا كَالْعِزَّةِ وَالْجَنَّةِ﴾

يقول تعالى ذكره: ويطوف على هؤلاء الأبرار ولدان، وهم الوصفاء، مخلَّدون. اختلف أهل التأويل في معنى: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أنهم لا يموتون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي لا يموتون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: عنى بذلك ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: مُسَوَّرُونَ.

وقال آخرون: بل عنى به أنهم مقرطون. وقيل: عنى به أنهم دائم شبابهم، لا يتغيرون عن تلك السن.

وذكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره: إنه لمخلد وكذلك إذا كبر وثبت أضراسه وأسنانه قيل: إنه لمخلد، يراد به أنه ثابت الحال، وهذا تصحيح لما قال قتادة من

= وظوار، قال متمم:

«فَمَا وَجَدَ أَظْسَارًا.....»

البيت». والروائم: جمع رائم، يقال: رئمت الناقة ولدها ترأمه رأماً ورأماناً: عطفت عليه ولزمته وفي «التهذيب» رثماناً: أحبته ومخراً: مصدر ميمي بمعنى الخور أي السقوط على الأرض، وقد يكون معناه الموت، من خر يخر: إذا مات. ومصرعاً: أي مهلكاً، وهو مصدر ميمي بمعنى الصرع. وأما موضع الشاهد في البيت فهو صرف «روائم» لضرورة الشعر، وهو مما لا يصرف كما قال الفراء في الشاهد قبله.

أن معناه: لا يموتون، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت، فهم مخلدون. وقيل: إن معنى قوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مسورون بلغة حمير وينشد لبعض شعرائهم:

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَمَّا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ^(١)

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إذا رأيت يا محمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين، تحسبهم في حُسْنِهِمْ، ونقاء بياض وجوههم، وكثرتهم، لَوْلَا مَبْدَأًا، أو مجتمِعاً مصوبياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَوْلَا مَنُورًا﴾ قال: من كثرتهم وحُسْنِهِمْ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ من حسنهم وكثرتهم ﴿لَوْلَا مَنُورًا﴾ وقال قتادة عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، قال: ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه ألف غلام، كل غلام على عمل ما عليه صاحبه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: ﴿حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾ قال: في كثرة اللؤلؤ وبياض اللؤلؤ.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وإذا نظرت ببصرك يا محمد، ورميت بطرفك فيما أعطيت هؤلاء الأبرار في الجنة من الكرامة. وعني بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾، وذلك أن أدانهم منزلة من ينظر في ملكه فيما قيل في مسيرة ألفي عام، يرى أقصاه، كما يرى أدناه.

وقد اختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله لم يذكر مفعول رأيت الأول، فقال بعض نحويي البصرة: إنما فعل ذلك لأنه يريد رؤية لا تتعدى، كما تقول: ظننت في الدار، أخبر بمكان

(١) هذا البيت لا أعرف قائله، أنشده المؤلف عند قوله تعالى: ﴿ولدان مخلدون﴾ قال في «اللسان» خلد وقوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾: قال الزجاجي محلون وقال أبو عبيدة مسورون يمانية وأنشد:

«مُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ»

ولم أجد قول أبي عبيدة هذا في المخطوطة التي بين يدي منه، ولعل العبارة والشهادة سقطا من بعض أصول الكتاب أ هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٢) وقوله «مخلدون» يقول محلون مسورون (بأساور) ويقال: مقرطون. ويقال: مخلدون دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن، وهو أشبهها بالصواب والله أعلم. وذلك أن العرب إذا كبر الرجل، وثبت سواد شعره، قيل: إنه لمخلد. وكذلك يقال إذا كبر وثبت له أسنانه وأضراسه قيل: أنه لمخلد ثابت الحال، كذلك الولدان ثابتة أسنانهم أ هـ.

ظنه، فأخبر بمكان رؤيته. وقال بعض نحوي الكوفة: إنما فعل ذلك لأن معناه: وإذا رأيت ما ثم رأيت نعيماً قال: وصلح إضمام ما كما قيل: لقد تقطع بينكم، يريد: ما بينكم قال: ويقال: إذا رأيت ثم يريد: إذا نظرت ثم، أي إذا رميت ببصرك هناك رأيت نعيماً.

وقوله: ﴿مُلْكًا كَبِيرًا﴾ يقول: ورأيت مع النعيم الذي ترى لهم ثم مُلْكًا كَبِيرًا. وقيل: إن ذلك الملك الكبير: تسليم الملائكة عليهم، واستئذانهم عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: ثني من سمع مجاهداً يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: تسليم الملائكة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: سمعت سفيان يقول في قوله: ﴿مُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: بلغنا أنه تسليم الملائكة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: فسرها سفيان قال: تستأذن الملائكة عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال استئذان الملائكة عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿عَلَيْهِمْ يَأْتِ سُؤدِسٌ خَضِرٌ وَأَسْتَرْقٌ وَحَلُوةٌ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَةٌ رُبَّمَا سَرَكَهَا طَهُورًا﴾

يقول تعالى ذكره: فوقهم، يعني فوق هؤلاء الأبرار ثياب سُؤدِسٍ. وكان بعض أهل التأويل يتأول قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فوق حجالهم المثبته عليهم ﴿ثِيَابُ سُؤدِسٍ﴾ وليس ذلك بالقول المدفوع، لأن ذلك إذا كان فوق حجالهم فيها، فقد علاهم فهو عاليهم.

وقد اختلف أهل القراءة في قراءة ذلك فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة وبعض قراء مكة: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بتسكين الياء. وكان عاصم وأبو عمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء، فمن فتحها جعل قوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اسماً مرافعاً للثياب، مثل قول القائل: ظاهرهم ثياب سندس.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ﴿ثِيَابُ سُؤدِسٍ﴾ يعني: ثياب ديباج رقيق حسن، والسندس: هو ما رق

من الديباج.

وقوله: ﴿خُضِرٌ﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القاريء وأبو عمرو برفع ﴿خُضِرٌ﴾ على أنها نعت للثياب، وخفض «اسْتَبْرَقَ» عطفاً به على السندس، بمعنى: وثياب استبرق. وقرأ ذلك عاصم وابن كثير: «خُضِرٌ» خفضاً «وَاسْتَبْرَقَ» رفعاً، عطفاً بالاستبرق على الثياب، بمعنى: عاليهم استبرق، وتصبيراً للخضر نعتاً للسندس. وقرأ نافع ذلك: ﴿خُضِرٌ﴾ رفعاً على أنها نعت للثياب «وَاسْتَبْرَقَ» رفعاً عطفاً به على الثياب. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «خُضِرٌ وَاسْتَبْرَقَ» خفضاً كلاهما. وقرأ ذلك ابن محيصن بترك إجراء الاستبرق: «وَاسْتَبْرَقَ» بالفتح بمعنى: وثياب استبرق، وفتح ذلك لأنه وجهه إلى أنه اسم أعجمي. ولكل هذه القراءات التي ذكرناها وجه ومذهب، غير الذي سبق ذكرنا عن ابن محيصن، فإنها بعيدة من معروف كلام العرب، وذلك أن الاستبرق نكرة، والعرب تجري الأسماء النكرة وإن كانت أعجمية، والاستبرق: هو ما غلظ من الديباج. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في ذلك فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الاستبرق: الديباج الغليظ.

وقوله: ﴿وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ يقول: وحلّاهم ربهم أساور، وهي جمع أسورة من فضة.

وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهم شراباً طهوراً، ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجساً، ولكنه يصير رشحاً من أبدانهم كرشح المسك، كالذي:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالوا: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم التيمي ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: عرق يفيض من أعراضهم مثل ربح المسك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن منصور، عن إبراهيم التيمي، مثله.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم التيمي، قال: إن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سقى شراباً طهوراً، فيصير رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: ما

ذَكَرَ اللَّهُ مِنَ الْأَشْرِيَةِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبان، عن أبي قلابة: إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دَعَوْا بالشراب الطهور فيشربونه، فتطهر بذلك بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحاً وريح مسك، فتضمر لذلك بطونهم.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازي» قال: سعد جبرائيل بالنبي ﷺ ليلة أُسْرِي به إلى السماء السابعة، فاستفتح، فقيل له: من هذا؟ فقال: جبرائيل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فتعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلَصَ من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلَصَت ألوانهم، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: يا جبريل من هذا الأشمط، ومن هؤلاء البيض الوجوه، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، وما هذه الأنهار التي اغتسلوا فيها، فجاءوا وقد صفت ألوانهم؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، أول من شَمِط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فقوم لم يَنْبَسُوا إيمانهم بظلم. وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار، فأولها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث سقاها ربهم شراباً طهوراً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢٢) ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الْقَرَمَانُ تَنزِيلًا﴾ (٢٣) ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَثَمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٢٤)

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ: إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثواباً على ما كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ يقول: كان عملكم فيها مشكوراً، حمدكم عليه ربكم، ورضيه لكم، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ غفر لهم الذنب، وشكر لهم الحسن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: تلا قتادة ﴿وَكَانَ

سَغِيكُمْ مَشْكُورًا﴾ قال: لقد شَكَرَ اللهُ سَعِيًّا قَلِيلًا.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْنِكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا نحن نزلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلاً، ابتلاءً منا واختباراً ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقول: اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالاته، والقيام بما أزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آيماً يريد بركوبه معاصيه، أو كفوراً: يعني جحوداً لنعمه عنده، وآلائه قبلة، فهو يكفر به، ويعبد غيره.

وقيل: إن الذي عني بهذا القول أبو جهل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ قال: نزلت في عدو الله أبي جهل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ قال: الآيتم: المذنب الظالم والكفور، هذا كله واحد.

وقيل: ﴿أَوْ كُفُورًا﴾ والمعنى: ولا كفوراً. قال الفراء: «أو» ههنا بمنزلة الواو، وفي الجحد والاستفهام والجزاء تكون بمعنى «لا»، فهذا من ذلك مع الجحد ومنه قول الشاعر:

لَا وَجَدْتُ كَلِيَّ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَجَدْتُ عَجُولٍ أَضَلُّهَا رُبْعُ
أَوْ وَجَدْتُ شَيْخَ أَضَلُّ نَاقَتَهُ يَوْمَ تَوَاقَى الْحَجِيجُ فَاثِدَقَعُوا^(١)

أراد: ولا وجدُ شيخ، قال: وقد يكون في العربية: لا تطيعن منهم من أثم أو كفر، فيكون

(١) البيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» قال (٣٥٢ - ٣٥٣) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ أو هاهنا: بمنزلة «لا». وأو في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى «لا»، فهذا من ذلك وقال الشاعر:

«لَا وَجَدْتُ كَلِيَّ»

البيتين. قال: وقد يكون في العربية لا تطيعن منهم من أثم أو كفر، فيكون المعنى في «أو» قريباً من معنى الواو، كقولك للرجل: لأعطينك سكت أو سألت؛ معناه: لأعطينك على كل حال. ا هـ. والشكلى التي فقدت ولدها أو أخاها أو زوجها. والوجد: الحزن والعجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها، الشكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً. والجمع عجل وعجائل ومعاجيلي. «اللسان» عجل، ا هـ. والربيع: الفصيل ينتج في الربيع، وهو أول النتاج والجمع: ربيع وأرباع، مثل رطب ورطاب وأرطاب وأضلها: فقدته وذهب عنها، لا تدري أين أخذ. وأضل ناقته: يقال: أضل البعير والفرس: ذهب عنه ا هـ.

المعنى في أو قريباً من معنى الواو، كقولك للرجل: لأعطينك سألت أو سكت، معناه: لأعطينك على كل حال.

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلاً ﴿٢٦﴾﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ فادعه به بكرة في صلاة الصبح، وعشياً في صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يقول: ومن الليل فاسجد له في صلاتك، فسبحه ليلاً طويلاً، يعني: أكثر الليل، كما قال جل ثناؤه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلاً﴾ يعني: الصلاة والتسبيح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ قال: بكرة: صلاة الصبح وأصيلاً صلاة الظهر الأصيل.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلاً﴾ قال: كان هذا أول شيء فريضة. وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ...﴾ إلى قوله فاقترءوا ما تيسر من القرآن... إلى آخر الآية، ثم قال: محيي هذا عن رسول الله ﷺ وعن الناس، وجعله نافلة فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ قال: فجعلها نافلة.

وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة، يعني الدنيا، يقول: يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للأخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ وقد تأوله بعضهم بمعنى: ويذرون أمامهم يوماً ثقيلاً وليس ذلك قولاً مدفوعاً، غير أن الذي قلناه أشبه بمعنى الكلمة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ قال:

الآخرة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٧٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ﴿١٧٩﴾ فَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٨٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿نحن خلقنا﴾ هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه ﴿وشدّدنا أسرهم﴾: وشددنا خلقهم، من قولهم: قد أيسر هذا الرجل فأحسب أسره، بمعنى: قد خُلِقَ فأحسب خلقه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ يقول: شددنا خلقهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وشدّدنا أسرهم﴾ قال: خلقهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وشدّدنا أسرهم﴾: خلقهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. وقال آخرون: الأسر: المفاصل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، سمعته، يعني خلاداً يقول: سمعت أبا سعيد، وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقراني، وقال في هذه الآية ﴿وشدّدنا أسرهم﴾ قال: هي المفاصل.

وقال آخرون: بل هو القوّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وشدّدنا أسرهم﴾ قال: الأسر: القوّة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الأسر، هو ما ذكرت عند

العرب ومنه قول الأخطل:

مِنْ كُلِّ مُجْتَنِبٍ شَدِيدٍ أَسْرَهُ سَلِسِ الْقِيَادِ تَخَالُهُ مُخْتَالًا^(١)
ومنه قول العامة: خذه بأسره: أي هو لك كله.

وقوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ يقول: وإذا نحن شئنا أهلكتنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق، مخالفين لهم في العمل. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ قال: بني آدم الذين خالفوا طاعة الله، قال: وأمثالهم من بني آدم.
وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يقول: إن هذه السورة تذكرة لمن تذكر واتعظ واعتبر. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ قال: إن هذه السورة تذكرة.
وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يقول: فمن شاء أيها الناس اتخذ إلى رضا ربه بالعمل بطاعته، والانتهاه إلى أمره ونهيه، سبيلاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ وَأَعْلَمُ الَّذِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى ربكم أيها الناس ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك لكم لأن الأمر إليه لا إليكم وهو في قراءة عبد الله فيما ذكر: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) البيت للأخطل (ديوانه ٤٦) يصف خيلاً. والمجتنب: الذي يجنبه صاحبه بجانب فرسه ولا يركب عليه، وشديد الأسر قوى، ومختالاً: أي تحسبه من نشاطه فيه اختيال، لحسن مشيته قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» عند قوله تعالى: ﴿وشددنا أسرهم﴾ وأسره شدة الخلق. يقال للفرس شديد الأسر: شديد الخلق، وكل شيء شددته، من قتب أو من غبيط، فهو مساور. ا هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٣) وقوله: «وشددنا أسرهم»: والأسر الخلق. تقول: لقد أسر هذا الرجل أحسن الأسر، كقولك: أحسن الخلق ا هـ.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فلن يعدو منكم أحد ما سبق له في علمه بتدبيركم .

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول: يدخل ربكم من يشاء منكم في رحمته، فيتوب عليه حتى يموت تائباً من ضلّالته، فيغفر له ذنوبه، ويدخله جنته ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعد لهم في الآخرة عذاباً مؤلماً موجعاً، وهو عذاب جهنم. ونصب قوله: ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ لأن الواو ظرف لأعدّ، والمعنى: وأعدّ للظالمين عذاباً أليماً. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وللظالمين أعدّ لهم» بتكرير اللام، وقد تفعل العرب ذلك، وينشد لبعضهم:

أقول لها إذا سألت طلاقاً
إلام تُسارِعِينَ إلى فراقِي؟^(١)
ولآخر:

فأصبحن لا يسألنهُ عن بما به
أصعد في غاوي الهوى أم تصوّبا؟^(٢)
بتكرير الباء، وإنما الكلام لا يسألنه عما به.

آخر تفسير سورة الإنسان

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٣) قال: وقوله «والظالمين أعد لهم» لأن الواو في أولها تصوير كالظرف لأعد، ولو كانت رفعاً لكان صواباً، كما قال: «والشعراء يتبعهم الغاؤون» وهي في قراءة عبد الله (ابن مسعود) «وللظالمين أعد لهم» فكرر اللام في «للظالمين» وفي «لهم» وربما فعلت العرب ذلك، أنشدني بعضهم:

«أقول لها إذا سألت.....»

البيت» وأنشدني بعضهم:

«فأصبحن لا يسألنهُ بما به.....»

البيت». فكرر الباء مرتين، ولو قال: «يسألته عما به» كان أبين، وأجود، ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص، ليكمل الشعر اهـ.

(٢) البيت من شواهد النحويين وقد ذكره الفراء في «معاني القرآن» (كما بيّناه في الشاهد قبله) وذكر البيت صاحب «الخرزاة» وذكر أنه لم يقف على قائله، ولا تمته، يريد الأبيات التي هو منها، وقال: إنه شاهد على أنه من الغريب زيادة الباء في المجرور، فإنها زيدت مع ما المجرور بهن. وقال ابن جنّي في سر الصناعة: إنه من غريب مواضعها. ثم ذكر كلام الفراء الذي ذكرناه في الشاهد قبله.

(٧٧) سورة المرسلات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١) ﴿فَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (٢) ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (٣) ﴿فَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (٤) ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (٥) ﴿عُرْفًا أَوْ نُذْرًا﴾ (٦)

اختلف أهل التأويل في معنى قول الله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: والرياح المرسلات يتبع بعضها بعضاً، قالوا: والمرسلات: هي الرياح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود، فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم، عن أبي العبيدين، قال: سألت عبد الله بن مسعود، فذكر نحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ يعني الريح.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح صاحب الكلبي في قوله ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين، قال: سألت عبد الله عن ﴿المُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: هي الريح.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: والملائكة التي تُرْسَل بالعرف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، قال: كان مسروق يقول في المرسلات: هي الملائكة.

حدثنا إسرائيل بن أبي إسرائيل، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: ثنا شعبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: ﴿والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح ووكيع عن إسماعيل، عن أبي صالح في قوله: ﴿والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: هي الرسل ترسل بالعرف.

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، قال: سألت أبا صالح عن قوله ﴿والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: هي الرسل ترسل بالمعروف.

قالوا: فتأويل الكلام والملائكة التي أرسلت بأمر الله ونهيه، وذلك هو العرف. وقال بعضهم: عني بقوله ﴿عُرْفًا﴾: متتابعاً كعرف الفرس، كما قالت العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن داود بن الزبرقان، عن صالح بن بريدة، في قوله: ﴿عُرْفًا﴾ قال: يتبع بعضها بعضاً.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفاً، وقد ترسل عُرْفًا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنى بذلك أحد الجزئين دون الآخر وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكلّ من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك ملكاً أو ريحاً أو رسولاً من بني آدم مرسلًا.

وقوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يقول جلّ ذكره: فالرياح العاصفات عصفاً، يعني الشديديات الهبوب السريعات الممّرة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد، عن عذرة أن رجلاً قام إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ما العاصفات عصفاً؟ قال: الريح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيد أنه سأل عبد الله بن مسعود، فقال: ما العاصفات عصفاً؟ قال: الريح.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيد، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيد قال: سألت عبد الله بن مسعود، فذكر مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيد، قال: سألت عبد الله، فذكر مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: الريح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل قال: سألت أبا صالح عن قوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن إسماعيل السديّ عن أبي صالح صاحب الكلبي، في قوله ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو معاوية الضرير وسعيد بن محمد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن أبي صالح، مثله.

قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن خالد بن عَزْرَةَ، عن عليّ رضي الله عنه **﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾** قال: الريح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾** قال: الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: **﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾** اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عني بالناشرات نَشْرًا: الريح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن المسعودي، عن سَلَمَةَ بن كهيل، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن **﴿النَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾** قال: الريح.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا المسعودي، عن سَلَمَةَ بن كهيل، عن أبي العبيدين، عن ابن مسعود، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم، عن أبي العبيدين، قال: سألت عبد الله بن مسعود، فذكر مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سَلَمَةَ بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين، قال: سألت عبد الله، فذكر مثله.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾** قال: الريح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح صاحب الكلبي، في قوله: **﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾** قال: هي الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾** قال: الرياح.

وقال آخرون: هي المطر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، قال: سألت أبا صالح، عن قوله ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾: قال المطر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ قال: هي المطر.

قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن أبي صالح، مثله.
وقال آخرون: بل هي الملائكة التي تنشر الكتب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ قال: الملائكة تنشر الكتب.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشراً، ولم يخصص شيئاً من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشراً.

وقوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: عُني بذلك: الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ قال: الملائكة.

قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ قال: الملائكة.

قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ قال: الملائكة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾** يعني القرآن ما فرق الله فيه بين الحق والباطل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جل ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضاً دون بعض، فذلك قَسَمَ بكلّ فارقة بين الحق والباطل، مَلَكًا كان أو قرآنًا، أو غير ذلك.

وقوله: **﴿فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا﴾** يقول: فالمبلّغات وحي الله رسله، وهي الملائكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا﴾** يعني: الملائكة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا﴾** قال: هي الملائكة، تلقي الذكر على الرسل وتبلغه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا﴾** قال: الملائكة تلقي القرآن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا﴾** قال: الملائكة.

وقوله: **﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾** يقول تعالى ذكره: فالملقىات ذكراً إلى الرسل إعداراً من الله إلى خلقه، وإنذاراً منه لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾** قال: عذراً من الله، ونُذْرًا منه إلى خلقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾**: عذراً لله على خلقه، ونذراً للمؤمنين يتشفعون به، ويأخذون به.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾** يعني: الملائكة.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض المكيين وبعض

الكوفيين: ﴿عُذْرًا﴾ بالتخفيف، أو نُذْرًا بالثقل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض البصريين بتخفيفهما، وقرأه آخرون من أهل البصرة بثنقيلهما والتخفيف فيهما أعجب إليّ وإن لم أَدْفَع صحة الثقل لأنهما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعَ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّمَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: والمرسلات عرفاً، إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع، وهو كائن لا محالة، يعني بذلك يوم القيامة، وما ذكر الله أنه أعدّ لخلقه يومئذ من الثواب والعذاب.

وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ يقول: فإذا النجوم ذهب ضياؤها، فلم يكن لها نور ولا ضوء ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ يقول: وإذا السماء شققت وصدعت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّمَتْ﴾ يقول: وإذا الجبال نسفت من أصلها، فكانت هباء منبثاً ﴿وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ﴾ يقول: جمعت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿أُنْتَبِذَتْ﴾ قال: أُجِلَّتْ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد ﴿وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ﴾ قال: أجلت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، جميعاً عن سفيان، عن منصور عن إبراهيم ﴿وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ﴾ قال: أُوْعِدَتْ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَبِذَتْ﴾ قال: أنتت ليوم القيامة، وقرأ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرَّسُلَ﴾ قال: والأجل: الميقات، وقرأ:

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، وقرأ: ﴿إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ قال: إلى يوم القيامة، قال: لهم أجل إلى ذلك اليوم حتى يبلغوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ قال: وعدت.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة غير أبي جعفر، وعامة قراء الكوفة: ﴿أَقْبَتْ﴾ بالألف وتشديد القاف، وقرأه بعض قراء البصرة بالواو وتشديد القاف: «وَقُتَّتْ» وقرأه أبو جعفر: «وَقْتَّتْ» بالواو وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن كل ذلك قراءات معروفة ولغات مشهورات بمعنى واحد، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، وإنما هو فَعَلَّتْ من الوقت، غير أن من العرب من يستثقل ضمة الواو، كما يستثقل كسرة الياء في أول الحرف فيهمزها، فيقول: هذه أجوه حسان بالهمزة، وينشد بعضهم:

يَحُلُّ أَحِيدَهُ وَيُقَالُ بَعْلٌ وَمِثْلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقَارٌ^(١)

وقوله: ﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ يقول تعالى ذكره مُعْجَباً عباده من هول ذلك اليوم وشدة: لأَيِّ يوم أُجِّلَتْ الرسل ووقَّتت، ما أعظمه وأهوله ثم بين ذلك: وأَيِّ يوم هو؟ فقال: أُجِّلَتْ ﴿لِيَوْمِ الْفَضْلِ﴾ يقول: ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء، فيأخذ للمظلوم من الظالم، ويجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَضْلِ﴾ يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار.

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٣) والكلمة الأولى منه في النسخة «بجل» باء وجيم ولام، وهي غامضة. قال وقوله: «وإذا الرسل أقتت»: اجتمع القراء على همزها، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: «وقتت». بالواو. وقرأها أبو جعفر المدني «وقتت» خفيفة. وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت. من ذلك «صلى القوم أحدانا» وأنشدني بعضهم:

«يَحُلُّ وَحِيدَهُ.....»

البيت. ويقولون: هذه أجوه حسان، بالهمز، لأن ضمة الواو ثقيلة، كما كان كسر الياء ثقيلًا أ هـ. وموضع الشاهد في البيت أن همزة «أحيدة» مقلوبة عن واو، وأصله «وحيدة» كما قلبت في «أحدانا» وأصلها. «وحدانا» قلت: وفي «اللسان» وحد الوحيد: موضع بعينه، ونقى من أنقاء الدهناء. (وفي بعل): البعل كل شجر أو زرع لا يسقى. ومن النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي. والأرض المرتفعة لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة أ هـ.

وقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأي شيء أدراك يا محمد ما يوم الفصل، معظماً بذلك أمره، وشدة هولاه، كما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ تعظيماً لذلك اليوم.

وقوله: ﴿وَيُنزلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل في جهنم من صديد أهلها للمكذبين بيوم الفصل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَيُنزلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل والله طويل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنزِلُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيُنزِلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ألم نهلك الأمم الماضية الذين كذبوا رسلي، وجحدوا آياتي من قوم نوح وعاد وثمود، ثم تبعهم الآخرين بعدهم، ممن سلك سبيلهم في الكفر بي وبرسولي، كقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، فنهلكهم كما أهلكتنا الأولين قبلهم، ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يقول: كما أهلكتنا هؤلاء بكفرهم بي، وتكذيبهم برسلي، كذلك سنتي في أمثالهم من الأمم الكافرة، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا ﴿وَيُنزِلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأخبار الله التي ذكرناها في هذه الآية، الجاحدين قدرته على ما يشاء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَيْعَمُ الْقَدَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيُنزِلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني من نطفة ضعيفة، كما: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني بالمهين: الضعيف.

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يقول: فجعلنا الماء المهين في رحم استقر فيها فتمكن. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ قال: الرحم.

وقوله: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ يقول: إلى وقت معلوم لخروجه من الرحم عند الله، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة: «فَقَدَرْنَا» بالتشديد. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بالتخفيف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كنت أوتر التخفيف لقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، إذ كانت العرب قد تجمع بين اللغتين، كما قال: ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنهْلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ فجمع بين التشديد والتخفيف، كما قال الأعشى:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتِ
مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا^(١)
وقد يجوز أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً. فإنه محكي عن العرب، قدير عليه الموت، وقدر بالتخفيف والتشديد. وعنى بقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن ابن المبارك عن جوير، عن الضحاك ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ قال: فملكنا نعم المالكون.

وقوله: ﴿وَنِيلٌ يَوْمئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويل يومئذ للمكذبين بأن الله خلقهم من ماء مهين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ جَعَلَ الْآرْضَ كَفَاتًا ۖ ﴿١٥﴾ أَلْبَاءَ وَأَمْوَانًا ۖ ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ شَاهِقَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فَرَاتًا ۖ ﴿١٧﴾ وَنِيلٌ يَوْمئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ ﴿١٨﴾﴾

(١) هذا البيت في ديوان الأعشى، طبعة القاهرة (١٠١) من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنفي، ملك اليمامة. وأنشده الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٤) قال: وقوله «فقدرونا نعم القادرون» ذكر عن علي بن أبي طالب، وعن أبي عبد الرحمن السلمي، أنهما شديداً؛ وخففها الأعمش وعاصم ولا تبعدن أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً؛ لأن العرب قد تقول: قدر عليه الموت، «نعم المقدرون» وقد تجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ وقال الأعشى:

«فأنكرتني وما الذي نكرت....»

البيت. ا هـ. وهذا الشاهد قد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (٧١/١٢).

يقول تعالى ذكره منبهاً عباده على نعمه عليهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ أيها الناس ﴿الْأَرْضَ﴾ لكم ﴿كِفَاتًا﴾ يقول: وعاء تقول: هذا كفت هذا وكفيت، إذا كان وعاءه. وإنما معنى الكلام: ألم نجعل الأرض كِفَاتَ أحيائكم وأمواتكم، تَكْفَيْتَ أحياءكم في المساكن والمنازل، فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور، فيُدْفَنُونَ فيها.

وجائز أن يكون عني بقوله: ﴿كِفَاتًا أحياءاً وأمواتاً﴾ تكفت أذاهم في حال حياتهم، وجيفهم بعد مماتهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ يقول: كِئًا.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا خالد، عن مسلم، عن زاذان أبي عمر، عن الربيع بن خيثم، عن عبد الله بن مسعود، أنه وجد قملة في ثوبه، فدفنها في المسجد ثم قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أحياءاً وأمواتاً﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا مسلم الأعور، عن زاذان، عن ربيع بن خيثم، عن عبد الله، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ليث، قال: قال مجاهد في الذي يرى القملة في ثوبه وهو في المسجد، ولا أدري قال في صلاة أم لا، إن شئت فألقها، وإن شئت فوارها ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أحياءاً وأمواتاً﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن بيان، عن الشعبي ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أحياءاً وأمواتاً﴾ قال: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال: تكفت أذاهم ﴿أحياءاً﴾ تواريه ﴿وأمواتاً﴾ يدفنون: تكفتهم. وقد:

حدثني به ابن حميد مرة أخرى، فقال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال: تكفت أذاهم وما يخرج منهم ﴿أحياءاً وأمواتاً﴾ قال: تكفتهم في الأحياء والأموات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ قال: أحياء يكونون فيها. قال محمد بن عمرو: يغيبون فيها ما أرادوا وقال الحارث: ويغيبون فيها ما أرادوا. وقوله: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ قال: يدفنون فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ يسكن فيها حيهم، ويدفن فيها ميتهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ قال: أحياء فوقها على ظهرها، وأمواتاً يُقبرون فيها.

واختلف أهل العربية في الذي نصب ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب على الحال. وقال بعض نحويي الكوفة: بل نصب ذلك بوقوع الكفات عليه، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات، فإذا نَوَّت نصبت كما يقرأ من يقرأ: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ يَبِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ وهذا القول أشبه عندي بالصواب.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا في الأرض جبالاً ثابتات فيها، باذخات شاهقات، كما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ﴾ يعني الجبال.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَوَاسِي شَامِخَاتٍ﴾ يقول: جبالاً مشرفات.

وقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ يقول: وأسقيناكم ماء عذباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ يقول: عذباً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَاءً فُرَاتًا﴾ قال: عذباً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾: أي ماء عذبا.

حدثنا محمد بن سنان القرزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ قال: من أربعة أنهار: سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات، وكل ماء يشربه ابن آدم، فهو من هذه الأنهار، وهي تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس. وأما سيحان فهو بئلخ، وأما جيحان فدجلة، وأما الفرات ففرات الكوفة، وأما النيل فهو بمصر.

وقوله: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم التي أنعمتها عليكم من خلقي الكافرين بها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَنْظِلُّوْا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ، تَكْذِبُوْنَ ﴿٢٩﴾ أَنْظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ الْكَأْسِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بهذه النعم والحجج التي احتج بها عليهم يوم القيامة: ﴿أَنْظِلُّوْا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ﴾ في الدنيا ﴿تَكْذِبُوْنَ﴾ من عذاب الله لأهل الكفر به ﴿أَنْظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ يعني تعالى ذكره: إلى ظل دخان ذي ثلاث شعب ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذكر، فإذا تصاعد تفرق شعباً ثلاثاً، فذلك قوله: ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قال: دخان جهنم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قال: هو كقوله: ﴿نَاراً أَحَاطَ بِهْمُ سَرَادِقُهَا﴾ قال: والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرق، فكان ثلاث شعب، فقال: انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب: شعبة ههنا، وشعبة ههنا، وشعبة ههنا ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾.

وقوله: ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ يقول: لا هو يظلمهم من حرها ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ ولا يكتفهم من لهبها.

وقوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن جهنم ترمي بشرر كالقصر، فقرأ ذلك قرءاً الأمصار: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ بجزم الصاد.

واختلف الذين قرأوا ذلك كذلك في معناه، فقال بعضهم: هو واحد القصور.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ يقول: كالقصر العظيم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ قال: ذكر القصر^(١).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يزيد بن يونس، عن أبي صخر في قول الله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كان القرظي يقول: إن على جهنم سوراً، فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر، ولون القار.

وقال آخرون: بل هو الغليظ من الخشب، كأصول النخل وما أشبه ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ قال: القصر: خشب كنا نذخره للشتاء ثلاث أذرع، وفوق ذلك، ودون ذلك كنا نسميه القصر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت عبد الرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس يقول في قوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ قال: القصر: خشب كان يُقَطَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذِرَاعاً وَأَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ، يُعَمَدُ بِهِ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس يقول في قوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرِ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كنا في الجاهلية نقصر ذراعين أو ثلاث أذرع، وفوق ذلك ودون ذلك نسميه القصر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

(١) لعله: ذاك القصر.

ابن عباس، قوله ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بَشَرًا كَالْقَصْرِ﴾ فالقصر: الشجر المقطع، ويقال: القصر: النخل المقطوع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ قال: حزم الشجر، يعني الحزمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بَشَرًا كَالْقَصْرِ﴾ قال: مثل قَصْرِ النخلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّهَا تَزْمِي بَشَرًا كَالْقَصْرِ﴾ أصول الشجر، وأصول النخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بَشَرًا كَالْقَصْرِ﴾ قال: كأصل الشجر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿بَشَرًا كَالْقَصْرِ﴾ القصر: أصول الشجر العظام، كأنها أجواز الإبل الصفر وسط كل شيء جوزة، وهي الأجواز.

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: قرأها الحسن: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ وقال: هو الجزل من الخشب قال: واحده: قصرة وقصر، مثله: جمرة وجمر، وتمرة وتمر.

وذكر عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: «كَالْقَصْرِ» بتحريك الصاد.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرني حسين المعلم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأها: «كَالْقَصْرِ» بفتح القاف والصاد.

قال: وقال هارون: أخبرني أبو عمرو أن ابن عباس قرأها: «كَالْقَصْرِ» وقال: قصر النخل، يعني الأعتاق.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا ما عليه قرء الأمصار، وهو سكون الصاد، وأولى التأويلات به أنه القصر من القصور، وذلك لدلالة قوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ على صحته،

والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية، كما قال الأخطل في صفة ناقة:

كَأَنَّهَا بُرْجٌ رُومِيٌّ يُشَيِّدُهُ لُسْرٌ بِجِصٍّ وَأَجْرٌ وَأَخْجَارٌ^(١)
 وقيل: ﴿بِشْرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ ولم يقل كالقصور، والشرر: جماع، كما قيل: سَيْهَزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الدَّبْرَ ولم يقل الأدبار، لأن الدبر بمعنى الأدبار، وفعل ذلك توفيقاً بين رؤوس الآيات ومقاطع الكلام، لأن العرب تفعل ذلك كذلك، ويلسانها نزل القرآن. وقيل: كالقصر، ومعنى الكلام: كعظم القصر، كما قيل: تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ولم يقل: كعيون الذي يغشى عليه، لأن المراد في التشبيه الفعل لا العين.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عطاء بن السائب، أنه سأل الأسود عن هذه الآية: ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ فقال: مثل القصر.

وقوله: ﴿جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: كأن الشرر الذي ترمي به جهنم كالقصر جِمَالَاتٌ سود: أي أيتق سود وقالوا: الصفر في هذا الموضع، بمعنى السود. قالوا: وإنما قيل لها صفر وهي سود، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة، ولذلك قيل لها صُفْرٌ، كما سميت الظباء أدماً، لما يعلوها في بياضها من الظلمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن عمرو البصري، قال: ثنا بدل بن المحبر، قال: ثنا عباد بن راشد، عن داود بن أبي هند، عن الحسن ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ قال: الأيتق السود.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ كالثوق السود الذي رأيتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ قال: نوق سود.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، جميعاً عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ قال: هي الإبل.

(١) البيت للأخطل: (ديوانه ١١٣) ولز الشيء بالشيء: شده وألصقه. وقد استشهد به المؤلف على تشبيه الشرر المتطير من بعضهم بالقصر، وأن الجمال الضخام قد تشبه بالقصور، أي البيوت العالية، كما قال الأخطل، وكما قال طرفة قبله في صفة ناقته:

كَفَنَطْرَةَ الرُّومِيِّ أَفْسَمَ رُؤُوسَهَا لَشُكْرَتَنْفَنَ حَيْسَى تُشَادُ بِقَرْمَدٍ

وقد سبق استشهد المؤلف بالبيت في الجزء (٣٠/١٩) فارجع إليه.

قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** قال: كالنوق السود الذي رأيتهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك: قُلُوس السفن، شبه بها الشرر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعيد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** فالجمالات الصفر: قُلُوس السفن التي تجمع فتوثق بها السفن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سعيد، عن عبد الرحمن بن عباس، قال: سألت ابن عباس عن قوله: **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** قال: قُلُوس سفن البحر يجمل بعضها على بعض، حتى تكون كأوساط الرجال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن عباس، قال: سمعت ابن عباس سئل عن **﴿جمالات صُفْرٌ﴾** فقال: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت عبد الرحمن بن عباس، قال: ثنا عبد الملك بن عبد الله، قال: ثنا هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿جمالات صُفْرٌ﴾** قال: قُلُوس الجِسر.

حدثني محمد بن حويرة بن محمد المنقري، قال: ثنا عبد الملك بن عبد الله القطان، قال: ثنا هلال بن خَبَاب، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** قال: الحبال.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن عبد الله، عن ابن عباس **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** قال: قُلُوس سفن البحر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿كأنه جمالات صُفْرٌ﴾** قال: حبال الجسور.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كأنه قطع الثحاس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ يقول: قطع النحاس.

وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُني بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجمالات جمع جمال، نظير رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات.

وقد اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «جمالات» بكسر الجيم والتاء على أنها جمع جمال وقد يجوز أن يكون أريد بها جمع جمالة، والجمالة جمع جمل كما الحجارة جمع حَجَر، والذُكارة جمع ذُكْر. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: كأنه «جمالة» بكسر الجيم على أنها جمع جمل جُمع على جمالة، كما ذكرت من جمع حَجَر حجارة. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «جمالات» بالتاء وضَم الجيم كأنه جمع جمالة من الشيء المجمل.

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن الحسين المعلم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

والصواب من القول في ذلك، أن لقارئ ذلك اختيار أي القراءتين شاء من كسر الجيم وقراءتها بالتاء وكسر الجيم، وقراءتها بالهاء التي تصير في الوصل تاء، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار فأما ضم الجيم فلا أستجيزه لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

وقوله: ﴿وَنُؤَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يوم القيامة للمكذبين هذا الوعيد الذي توعد الله به المكذبين من عباده.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْلَهُمْ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأُولَى ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أهل التكذيب بثواب الله وعقابه ﴿وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْلَهُمْ﴾ مما اجترموا في الدنيا من الذنوب.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ وأنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا آئْتِنِ وَأُحْيَيْنَا آئْتِنِ﴾ في نظائر ذلك مما أخبر الله

ورسوله عنهم أنهم يقولونه؟ قيل: إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله.

فإن قال: فهل من برهان يعلم به حقيقة ذلك؟ قيل: نعم، وذلك إضافة يوم إلى قوله: ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ والعرب لا تُضيف اليوم إلى فعل يفعل، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: أتيتك يومَ يقدم فلان، وأتيتك يومَ زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو أتيتك ساعة يقدم، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يصف اليوم إلى فعل ويفعل، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء.

وقوله: ﴿فَيَعْتَدِرُونَ﴾ رفعاً عطفاً على قوله: ﴿وَلَا يُؤَدِّنْ لَهُمْ﴾ وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رؤوس الآيات التي قبلها، ولو كان جاء نصباً كان جائراً، كما قال: لا يقضى عليهم فيموتوا، وكل ذلك جائز فيه، أعني الرفع والنصب، كما قيل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾ رفعاً ونصباً.

وقوله: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين بخبر الله عن هؤلاء القوم، وما هو فاعل بهم يوم القيامة.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث يوم يبعثون: هذا يوم الفصل الذي يفصل الله فيه بالحق بين عباده ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ يقول: جمعناكم فيه لموعدكم الذي كنا نعدكم في الدنيا الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة، فقد وقينا لكم بذلك ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ يقول: والله منجز لكم ما وعدكم في الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها في التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا.

وقوله: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل يومئذ للمكذبين بهذا الخبر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُكْفِرِينَ فِي ظُلُمٍ وَعُجُوبٍ (٤١) وَفَوَكَهَهُمْ بَشْمُورٌ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْسًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه ﴿فِي ظُلُمٍ﴾ ظليمة، وكن كئيبين، لا يصيبهم أذى حر ولا قر، إذ كان الكافرون بالله في ظل ذي ثلاث

شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري خلال أشجار جناتهم ﴿وَفَوَاحِشَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضرّها، ولا عاقبة مكروهاها.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم ﴿هَنِيئًا﴾ يقول: لا تكدير عليكم، ولا تخيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم لا يزول، وامرء لا يورثكم أذى في أبدانكم.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه يقال لهم: هذا جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي وثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم.

وقوله: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل للذين يكذبون خبير الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٨) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٩)

يقول تعالى ذكره تهدياً ووعيداً منه للمكذّبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ مسئون بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي تمتعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ قال: عني به أهل الكفر.

وقوله: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذّبين الذين كذبوا خبير الله الذي أخبرهم به عما هو فاعل بهم في هذه الآية.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذّبين بوعيد الله أهل التكذيب به: اركعوا، لا يركعون.

واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه، فقال بعضهم: يقال ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول: يُدْعُونَ يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا.

وقال آخرون: بل قيل ذلك لهم في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان. وقال قتادة عن ابن مسعود، أنه رأى رجلاً يصلي ولا يركع، وآخر يجزّ إزاره، فضحك، قالوا: ما يضحكك؟ قال: أضحكني رجلان، أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه.

وقيل: عُني بالركوع في هذا الموضع الصلاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ قال: صَلُّوا.

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن ذلك خير من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين أنهم كانوا له مخالفين في أمره ونهيه، لا يأترون بأمره، ولا يتنهون عما نهاهم عنه.

وقوله: ﴿وَنِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل للذين كذبوا رسل الله، فردّوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم، ونهيه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَيُّ حَدِيثٍ مُّتَّبِعٍ يُؤْمِنُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: فبأي حديث بعد هذا القرآن، أي أنتم أيها القوم كذبتم به مع وضوح برهانه، وصحة دلائله، أنه حق من عند الله تؤمنون، يقول: تصدقون.

وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن

مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا المخبر عنه، ولم يعاينوه، وأنهم إن صدقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن، والله أعلم.

آخر تفسير سورة المرسلات

تم الجزء التاسع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الثلاثون

وأوله: تفسير سورة النبأ

محتوى الجزء التاسع والعشرون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				تفسير سورة الملك	
١	تبارك الذي بيده الملك	٥	١٨	ولقد كذب الذين من قبلهم	
٢	الذي خلق الموت والحياة	٥	١٩	فكيف	١٢
٣	الذي خلق سبع سموات طباقاً	٥	٢٠	أو لم يروا إلى الطير فوقهم	
٤	ثم ارجع البصر كرتين	٥	٢١	صافات	١٢
٥	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ..	٧	٢٢	أمّن هذا الذي هو جند لكم	
٦	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم	٨	٢٣	ينصركم	١٣
٧	إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً	٨	٢٤	أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك	١٣
٨	تكاد تَمَيِّز من الغيظ	٩	٢٥	أفمن يمشي مكباً على وجهه	
٩	قالوا بلى قد جاءنا نذير	٩	٢٦	أهدى	١٣
١٠	وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل	٩	٢٧	قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم	
١١	فاعترفوا بذنوبهم	٩	٢٨	السمع	١٥
١٢	إن الذين يخشون ربهم بالغيب	١٠	٢٩	قل هو الذي ذرأكم في الأرض ...	١٥
١٣	وأسرؤا قولكم أو اجهروا به	١٠	٣٠	ويقولون متى هذا الوعد	١٥
١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف			قل إنما العلم عند الله	١٥
	الخبير	١٠		فلما رأوه زُلْفَةً سيئت وجوه	١٥
١٥	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا	١٠		قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن	
١٦	أمأنتم من في السماء أن يخسف			معي	١٧
	بكم	١٢		قل هو الرحمن آمنا به وعليه	
١٧	أم أمأنتم من في السماء أن يرسل			توكلنا	١٧
	عليكم	١٢		قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً .	١٧
				تفسير سورة نّ	
			١	نّ والقلم وما يسطرون	١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	ما أنت بنعمة ربك بمجنون	١٩	٢٤	أن لا يدخلنها اليوم عليكم	٣٩
٣	وإن لك لأجرأ غير مَمْنون	١٩	٢٥	مسكين	٣٩
٤	وإنك لعلی خلق عظیم	٢٤	٢٦	وغدوا على خزذ قادين	٤٢
٥	فستبصر ويُبصرون	٢٤	٢٧	فلما رأوها قالوا إنا لضالون	٤٢
٦	بأيكم المفتون	٢٤	٢٨	بل نحن محرومون	٤٢
٧	إن ربك هو أعلم بمن ضل عن	٢٤	٢٩	قال أوسطهم: ألم أقل لكم لولا	٤٢
٨	سبيله	٢٤	٣٠	تسبحون	٤٤
٩	فلا تطع المكذبين	٢٧	٣١	قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ..	٤٤
١٠	وَدُوا لو تَدَهِن فَيُدِهِنون	٢٧	٣٢	فأقبل بعضهم على بعض	٤٤
١١	ولا تطع كل خلاف مهين	٢٧	٣٣	يتلاومون	٤٤
١٢	هَمَّاز مَشَاء بنميم	٢٧	٣٤	قالوا: يا ويلنا إنا كنا ظالمين	٤٤
١٣	مَنَاع للخير معتد أثيم	٢٩	٣٥	عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها	٤٤
١٤	عُتَل بعد ذلك زَنيم	٢٩	٣٦	كذلك العذاب ولعذاب الآخرة	٤٤
١٥	أن كان ذا مال وبنين	٣٥	٣٧	أكبر	٤٤
١٦	إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير	٣٥	٣٨	إن للمتقين عند ربهم جنات	٤٥
١٧	الأولين	٣٥	٣٩	النعيم	٤٥
١٨	سنسمه على الخُطوم	٣٥	٤٠	أفجعل المسلمين كالمجرمين	٤٥
١٩	إنا بَلَوناهم كما بلونا أصحاب	٣٦	٤١	ما لكم كيف تحكمون	٤٥
٢٠	الجنة	٣٦	٤٢	أم لكم كتاب فيه تدرسون	٤٦
٢١	ولا يستنون	٣٦	٤٣	إن لكم فيه لما تخيرون	٤٦
٢٢	فطاف عليهم طائف من ربك	٣٧	٤٤	أم لكم أيمان علينا بالغة	٤٦
٢٣	فأصبحت كالصريم	٣٧	٤٥	سَلِّم أيهم بذلك زعيم	٤٦
٢٤	فتنادوا مصبحين	٣٩	٤٦	أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ...	٤٦
٢٥	أن اغدوا على حرثكم إن كنتم	٤٢	٤٧	يوم يُكشَف عن ساق ويُذعون	٤٧
٢٦	صارمين	٣٩	٤٨	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة	٤٧
٢٧	فانطلقوا وهم يتخافتون	٣٩	٤٩	فذرني ومن يكذب بهذا الحديث	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٥	وأُملي لهم إن كيدي متين	٥٣	١١	إنا لما طغى الماء حملناكم في	
٤٦	أم تسألهم أجراً فهم من مَغْرَم		١٢	الجارية	٦٣
٤٧	مُتَقَلِّون	٥٣	١٢	لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن	
٤٨	أم عندهم الغيب فهم يكتبون	٥٣	١٣	واعية	٦٣
٤٨	فاصبر لحكم ربك ولا تكن		١٣	فإذا نُفِخ في الصور نفخةً واحدة .	٦٨
٤٩	كصاحب	٥٤	١٤	وحُمِلت الأرض والجبال	٦٨
٤٩	لولا أن تداركه نعمة من ربه	٥٤	١٥	فيومئذٍ وقعت الواقعة	٦٨
٥٥	فاجتبه ربه فجعله من الصالحين ..	٥٥	١٦	وانشقتِ السماء فهي يومئذٍ	
٥١	وإن يكاد الذين كفرو لَيُزْلِقُونَكَ ...	٥٥	١٦	واهية	٦٨
٥٢	وما هو إلا ذكر للعالمين	٥٥	١٧	والملك على أرجائها ويحمل	٦٨
			١٨	يومئذٍ تُعرضون لا تحفى منكم	
			١٨	خافية	٦٨
١	الحاقة	٥٨	١٩	فأما من أوتي كتابه يمينه	٧٢
٢	ما الحاقة	٥٨	٢٠	إني ظننت أني ملاقٌ حسابيه	٧٢
٣	وما أدراك ما الحاقة	٥٨	٢١	فهو في عيشة راضية	٧٣
٤	كذبت ثمود وعاد بالقارعة	٥٨	٢٢	في جنة عالية	٧٣
٥	فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية	٥٩	٢٣	فَطُوفَهَا دَانِيَةً	٧٣
٦	وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ		٢٤	كلوا واشربوا هنيئاً	٧٣
	عانية	٥٩	٢٥	وأما من أوتي كتابه بشماله	٧٤
٧	سخرها عليهم سبع ليال وثمانية		٢٦	ولم أدر ما حسابيه	٧٤
	أيام حُسوماً	٥٩	٢٧	يا ليتها كانت القاضية	٧٤
٨	فهل ترى لهم من باقية	٥٩	٢٨	ما أعنى عني مالية	٧٤
٩	وجاء فرعون ومن قبله		٢٩	هلك عني سلطانية	٧٤
	والمؤتفكات	٦٣	٣٠	خذوه فغلوه	٧٤
١٠	فعصوا رسول ربهم فأخذهم		٣١	ثم الجحيم صلوه	٧٤
	أخذة رابية	٦٣			

تفسير سورة الحاقة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٢	ثم في سلسلة ذرعها سبعون	٢	٨٢	للكافرين ليس له دافع	٨٢
	ذراعاً فاسلكوه	٧٤	٨٢	من الله ذي المعارج	٨٢
٣٣	إنه كان لا يؤمن بالله العظيم	٧٤	٨٢	تعرج الملائكة والروح إليه	٨٢
٣٤	ولا يحضُّ على طعام المسكين	٧٧	٨٢	فاصبر صبراً جميلاً	٨٢
٣٥	فليس له اليوم هاهنا حميم	٧٧	٨٦	إنهم يرونه بعيداً	٨٦
٣٦	ولا طعام إلا من غسلين	٧٧	٨٦	ونراه قريباً	٨٦
٣٧	لا يأكله إلا الخاطئون	٧٧	٨٦	يوم تكون السماء كالمُهْل	٨٦
٣٨	فلا أقسم بما تبصرون	٧٨	٨٦	وتكون الجبال كالعھن	٨٦
٣٩	وما لا تبصرون	٧٨	٨٦	ولا يسأل حميم حميماً	٨٦
٤٠	إنه لقول رسول كريم	٧٨	٨٨	يُصِّرونهم يودّ المجرم	٨٨
٤١	وما هو بقول شاعر قليلاً ما	٧٨	٨٨	وصاحبه وأخيه	٨٨
	تؤمنون	٧٨	٨٨	وفصيلته التي تُؤويه	٨٨
٤٢	ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون	٧٨	٨٨	ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه	٨٨
٤٣	تنزيل من رب العالمين	٧٩	٨٩	كلا إنها لظَى	٨٩
٤٤	ولو تقول علينا بعض الأقاويل	٧٩	٨٩	نزاعة للشوى	٨٩
٤٥	لأخذنا منه باليمين	٧٩	٨٩	تدعو من أدبر وتولى	٨٩
٤٦	ثم لقطعنا منه الوتين	٧٩	٨٩	وجمع فأوعى	٨٩
٤٧	فما منكم من أحد عنه حاجزين	٨٠	٩٢	إن الإنسان خلق هلوعاً	٩٢
٤٨	وإنه لتذكرة للمتقين	٨٠	٩٢	إذا مسه الشر جزوعاً	٩٢
٤٩	وإننا لنعلم أن منكم مكذبين	٨٠	٩٢	وإذا مسه الخير منوعاً	٩٢
٥٠	وإنه لحسرة على الكافرين	٨٠	٩٢	إلا المصلين	٩٢
٥١	وإنه لحق اليقين	٨٠	٩٢	الذين هم على صلاتهم دائمون	٩٢
٥٢	فسبح باسم ربك العظيم	٨٠	٩٤	والذين في أموالهم حق معلوم	٩٤
			٩٤	للسائل والمحروم	٩٤
			٩٤	والذين يصدقون بيوم الدين	٩٤

تفسير سورة المعارج

١ سأل سائل بعذاب واقع ٨٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	والذين هم من عذاب ربهم	٢	٢	قال يا قوم إني لكم نذير مبين	١٠٨
مشفقون	٩٥	٣	٣	أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون	١٠٨
٢٨	إن عذاب ربهم غير مأمون	٩٥	٤	٤	١٠٨
٢٩	والذين هم لفروجهم حافظون	٩٩	٥	٥	١٠٨
٣٠	إلا على أزواجهم أو ما ملكت	٩٩	٦	٦	١٠٩
أيمانهم	٩٩	٧	٧	٧	١٠٩
٣١	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم	٩٩	٨	٨	١٠٩
العادون	٩٩	٩	٩	٩	١١٠
٣٢	والذين هم لأماناتهم وعهدهم	٩٩	١٠	١٠	١١٠
راعون	٩٩	١١	١١	١١	١١٠
٣٣	والذين هم بشهاداتهم قائمون	٩٩	١٢	١٢	١١٠
٣٤	والذين هم على صلاتهم	١٠٠	١٣	١٣	١١٢
يحافظون	١٠٠	١٤	١٤	١٤	١١٢
٣٥	أولئك في جنات مكرمون	١٠٠	١٥	١٥	١١٥
٣٦	فما للذين كفروا قَيْلٌك مُهْطِعِينَ ...	١٠٠	١٦	١٦	١١٥
٣٧	عن اليمين وعن الشمال عزين	١٠٠	١٧	١٧	١١٥
٣٨	أيطمع كل امرئ منهم	١٠٠	١٨	١٨	١١٥
٣٩	كلا إنا خلقناهم مما يعلمون	١٠٠	١٩	١٩	١١٥
٤٠	فلا أقسم برب المشارق	١٠٣	٢٠	٢٠	١١٥
والمغرب	١٠٣	٢١	٢١	٢١	١١٦
٤١	على أن نبذل خيراً منهم	١٠٣	٢٢	٢٢	١١٦
٤٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	١٠٣	٢٣	٢٣	١١٧
٤٣	يوم يخرجون من الأجداث	١٠٥	٢٤	٢٤	١١٧
٤٤	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة	١٠٥	٢٥	٢٥	١١٨
اتفسير سورة نوح					
	إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه	١٠٨	٢٥	٢٥	١١٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٦	وقال نوح رب لا تذر على الأرض	١١٩	١٧	لنفتنهم فيه، ومن يعرض عن ذكر	١٣٥
٢٧	إنك إن تذرهم يضلوا عبادك	١١٩	١٨	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع	١٣٨
٢٨	رب اغفر لي ولوالدي	١١٩	١٩	الله أحداً	١٣٨
تفسير سورة الجن					
١	قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن	١٢٢	٢٠	قل إنما أَدْعُو رَبِّي	١٤٢
٢	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ	١٢٢	٢١	قل إني لا أملك لكم ضراً ولا	١٤٢
٣	وأنه تعالى جذ ربنا	١٢٢	٢٢	رشداً	١٤٢
٤	وأنه كان يقول سفيهاً على الله	١٢٧	٢٣	قل إني لن يجيرني من الله أحد	١٤٢
٥	وأنا ظننا أن لن نقول الإنس	١٢٧	٢٤	إلا بلاغاً من الله ورسالاته	١٤٣
٦	وأنه كان رجال الإنس	١٢٧	٢٥	حتى إذا رأوا ما يوعدون	١٤٣
٧	وأنهم ظنوا كما ظننتم	١٣١	٢٦	قل إن أدري أقرب ما توعدون	١٤٤
٨	وأنا لمسنا السماء فوجدنا هامئاً	١٣١	٢٧	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه	١٤٤
٩	حزساً	١٣٢	٢٨	أحداً	١٤٤
١٠	وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع	١٣٢		إلا من ارتضى من رسول	١٤٤
١١	وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض	١٣٢		ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم	١٤٤
١٢	وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك	١٣٣	تفسير سورة المزمل		
١٣	وأنا ظننا أن لن نُعجِزَ الله في الأرض	١٣٣	١	يا أيها المزمل	١٤٨
١٤	وأنا لما سمعنا الهدى آمناً به	١٣٣	٢	قم الليل إلا قليلاً	١٤٨
١٥	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون	١٣٤	٣	نصفه أو انقص منه قليلاً	١٤٨
١٦	وأما القاسطون فكانوا لجهنم	١٣٤	٤	أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً	١٤٨
	حطبا	١٣٤	٥	إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً	١٥١
	وأن لو استقاموا على الطريقة	١٣٥	٦	إن ناشئة الليل هي أشد وطناً	١٥١
			٧	إن لك في النهار سبْحاً طويلاً	١٥١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً .	١٥٨	٩	فذلك يومئذ يوم عسير	١٧٩
٩	رب المشرق والمغرب لا إله إلا		١٠	على الكافرين غير يسير	١٧٩
	هو	١٥٨	١١	ذري ومن خلقت وجيداً	١٧٩
١٠	واصبر على ما يقولون واهجرهم .	١٥٨	١٢	وجعلت له مالاً ممدوداً	١٧٩
١١	وذري والمكذبين أولى النعمة	١٦٠	١٣	وبتين شهوداً	١٨٣
١٢	إن لدينا أنكالاً وجحيماً	١٦٠	١٤	ومهدت له تمهيداً	١٨٣
١٣	وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً	١٦٠	١٥	ثم يطمع أن أزيد	١٨٣
١٤	يوم ترجف الأرض والجبال	١٦٢	١٦	كلا إنه كان لآياتنا عنيدا	١٨٣
١٥	إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً		١٧	سأرهقه صعوداً	١٨٣
	عليكم	١٦٣	١٨	إنه فكّر وقدر	١٨٥
١٦	فعصى فرعون الرسول	١٦٣	١٩	فقتل كيف قدر	١٨٥
١٧	فكيف تتقون إن كفرتم	١٦٤	٢٠	ثم قتل كيف قدر	١٨٥
١٨	السماء منفطر به كان وعده		٢١	ثم نظر	١٨٥
	مفعولاً	١٦٤	٢٢	ثم عبس وبسر	١٨٥
١٩	إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ	١٦٦	٢٣	ثم أدبر واستكبر	١٨٥
٢٠	إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى	١٦٦	٢٤	فقال إن هذا آلا سحر يؤثر	١٨٥
	تفسير سورة المدثر				
١	يا أيها المدثر	١٧٠	٢٥	إن هذا إلا قول البشر	١٨٥
٢	قم فأندر	١٧٠	٢٦	سأصليه سقر	١٨٨
٣	وربك فكبر	١٧٠	٢٧	وما أدراك ما سقر	١٨٨
٤	وثيابك فطهر	١٧٠	٢٨	لا تبقى ولا تذر	١٨٨
٥	والرؤح فاهجر	١٧٠	٢٩	لواحة للبشر	١٨٨
٦	ولا تمنن تستكثر	١٧٠	٣٠	عليها تسعة عشر	١٨٨
٧	ولربك فاصبر	١٧٠	٣١	وما جعلنا أصحاب النار إلا	
				ملائكة	١٨٨
٨	فإذا نُقِر في الناقر	١٧٩	٣٢	كلا والقمر	١٩٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٣	والليل إذ أدير	١٩٣			
٣٤	والصبح إذا أسفر	١٩٣			
٣٥	إنها لإحدى الكُبر	١٩٣			
٣٦	نذيراً للبشر	١٩٣			
٣٧	لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر	١٩٣			
٣٨	كل نفس بما كسبت رهينة	١٩٥			
٣٩	إلا أصحاب اليمين	١٩٥			
٤٠	في جنات يتساءلون	١٩٥			
٤١	عن المجرمين	١٩٥			
٤٢	ما سللكم في سقر	١٩٥			
٤٣	قالوا لم نك من المصلين	١٩٥			
٤٤	ولم نك نطعم المسكين	١٩٥			
٤٥	وكنا نخوض مع الخائضين	١٩٥			
٤٦	وكنا نكذب بيوم الدين	١٩٨			
٤٧	حتى أتانا اليقين	١٩٨			
٤٨	فما تنفعهم شفاعة الشافعين	١٩٨			
٤٩	فما لهم عن التذكرة معرضين	١٩٨			
٥٠	كانهم حمر مستنفرة	١٩٩			
٥١	فرّت من قسورة	١٩٩			
٥٢	بل يريد كل أمرئ منهم	١٩٩			
٥٣	كلا بل لا يخافون الآخرة	١٩٩			
٥٤	كلا إنه تذكرة	٢٠٣			
٥٥	فمن شاء ذكره	٢٠٣			
٥٦	وما يذكرون إلا أن يشاء الله	٢٠٣			
تفسير سورة القيامة					
	لا أقسم بيوم القيامة	٢٠٥	١	لا أقسم بيوم القيامة	٢٠٥
	ولا أقسم بالنفس اللوامة	٢٠٥	٢	ولا أقسم بالنفس اللوامة	٢٠٥
	أيحسب الإنسان أن نجمع عظامه	٢٠٥	٣	أيحسب الإنسان أن نجمع عظامه	٢٠٥
	بل قادرين على أن نسوي بنانه	٢٠٥	٤	بل قادرين على أن نسوي بنانه	٢٠٥
	بل يريد الإنسان ليفجر أمامه	٢١٠	٥	بل يريد الإنسان ليفجر أمامه	٢١٠
	يسأل أيان يوم القيامة	٢١٠	٦	يسأل أيان يوم القيامة	٢١٠
	فإذا برق البصر	٢١٠	٧	فإذا برق البصر	٢١٠
	وحُشِف القمر	٢١٠	٨	وحُشِف القمر	٢١٠
	وجُمع الشمس والقمر	٢١٠	٩	وجُمع الشمس والقمر	٢١٠
	يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ	٢١٠	١٠	يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ	٢١٠
	كلا لا وزر	٢١٠	١١	كلا لا وزر	٢١٠
	إلى ربك يومئذ المستقر	٢١٠	١٢	إلى ربك يومئذ المستقر	٢١٠
	ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر	٢١٨	١٣	ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر	٢١٨
	بل الإنسان على نفسه بصيره	٢١٨	١٤	بل الإنسان على نفسه بصيره	٢١٨
	ولو ألقى معاذيره	٢١٨	١٥	ولو ألقى معاذيره	٢١٨
	لا تحرك به لسانك لتعجل به	٢٢٢	١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به	٢٢٢
	إن علينا جمعه وقرآنه	٢٢٢	١٧	إن علينا جمعه وقرآنه	٢٢٢
	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه	٢٢٢	١٨	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه	٢٢٢
	ثم إن علينا بيانه	٢٢٢	١٩	ثم إن علينا بيانه	٢٢٢
	كلاً بل تحبون العاجلة	٢٢٧	٢٠	كلاً بل تحبون العاجلة	٢٢٧
	وتذرون الآخرة	٢٢٧	٢١	وتذرون الآخرة	٢٢٧
	وجوه يومئذ ناضرة	٢٢٧	٢٢	وجوه يومئذ ناضرة	٢٢٧
	إلى ربها ناظرة	٢٢٧	٢٣	إلى ربها ناظرة	٢٢٧

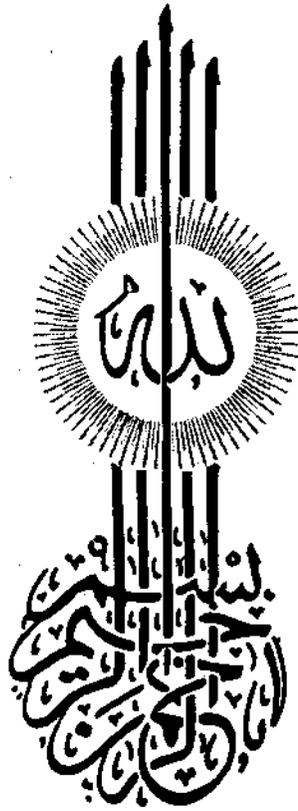
الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	ووجه يومئذ بأسرة	٢٢٧	٥	إن الأبرار يشربون من كأس	٢٤٥
٢٥	تظن أن يفعل بها فاقرة	٢٢٧	٦	عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها	٢٤٥
٢٦	كلا إذا بلغت التراقي	٢٣١	٧	يوفون بالنذر ويخافون يوماً	٢٤٧
٢٧	وقيل من راق	٢٣١	٨	ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً	٢٤٧
٢٨	وظن أنه الفراق	٢٣١	٩	إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم	٢٤٧
٢٩	والتفت الساق بالساق	٢٣١	١٠	إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً	٢٥١
٣٠	إلى ربك يومئذ المساق	٢٣١	١١	فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ..	٢٥٣
٣١	فلا صدق ولا صلى	٢٣٦	١٢	متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها	٢٥٣
٣٢	ولكن كذب وتولى	٢٣٦	١٣	ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها	٢٥٤
٣٣	ثم ذهب إلى أهله يتمطى	٢٣٦	١٤	ويطاف عليهم بآنية من فضة	٢٥٤
٣٤	أولى لك فأولى	٢٣٦	١٥	قوارير من فضة قدروها تقديراً ...	٢٥٦
٣٥	ثم أولى لك فأولى	٢٣٦	١٦	ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجيلاً	٢٥٦
٣٦	أيحسب الإنسان أن يترك سدى ...	٢٣٦	١٧	عيناً فيها تسمى سلسيلاً	٢٥٧
٣٧	ألم يك نطفة من منيٍّ يمّتى	٢٣٨	١٨	ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون ...	٢٦١
٣٨	ثم كان علقة فخلق فسوى	٢٣٨	١٩	وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً	٢٦١
٣٩	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى	٢٣٩	٢٠	عليهم ثياب سندس خضرٌ واستبرق	٢٦٣
٤٠	أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى	٢٣٩	٢١	إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم	٢٦٥
تفسير سورة الإنسان					
١	هل أتى على الإنسان حين من الدهر	٢٤٠	٢٢	إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم	٢٦٥
٢	إما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج	٢٤٠	٢٣	إنما أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً	٢٤٤
٣	إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً	٢٤٤	٢٤	إنما أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً	٢٤٤
٤	إننا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً	٢٤٤			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً .	٢٦٥	١٥	ويل يومئذ للمكذبين	٢٢٧
٢٤	فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم	٢٦٥	١٦	ألم نهلك الأولين	٢٧٩
٢٥	وإذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً	٢٦٧	١٧	ثم تبعهم الآخرين	٢٧٩
٢٦	ومن الليل فاسجد له	٢٦٧	١٨	كذلك نفعل بالمجرمين	٢٧٩
٢٧	إن هؤلاء يُجِبُّون العاجلة	٢٦٧	١٩	ويل يومئذ للمكذبين	٢٧٩
٢٨	نحن خلقناهم وشددنا أسرهم	٢٦٨	٢٠	ألم نخلقكم من ماء مهين	٢٧٩
٢٩	إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى		٢١	فجعلناه في قرار مكين	٢٧٩
	ربه	٢٦٨	٢٢	إلى قَدَرٍ معلوم	٢٧٩
٣٠	وما تشاءون إلا أن يشاء الله	٢٦٩	٢٣	فقدَرنا فنعم القادرون	٢٧٩
٣١	يُدْخِل من يشاء في رحمته	٢٦٩	٢٤	ويل يومئذ للمكذبين	٢٧٩
تفسير سورة المرسلات					
١	والمرسلات عُرفا	٢٧١	٢٥	ألم نجعل الأرض كفاتاً	٢٨٠
٢	فالعاصفات عَصفا	٢٧١	٢٦	أحياء وأمواتاً	٢٨٠
٣	والناشرات نُشرا	٢٧١	٢٧	وجعلنا فيها رواسي شامخات	
٤	فالفارقات فُرُقا	٢٧١	٢٨	وأسقيناكم	٢٨٠
٥	فالمُلَقَّيات ذكرا	٢٧١	٢٩	ويل يومئذ للمكذبين	٢٨٠
٦	عُدراً أو نُذْرا	٢٧١	٣٠	انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون	٢٨٣
٧	إنما توعدون لواقع	٢٧٧	٣١	انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب	٢٨٣
٨	فإذا النجوم طُمست	٢٧٧	٣٢	لا ظليل ولا يغني من اللهب	٢٨٣
٩	وإذا السماء فُرِجت	٢٧٧	٣٣	إنها ترمي بشرراً كالقصر	٢٨٣
١٠	وإذا الجبال نُسِفت	٢٧٧	٣٤	كأنه جمالات صفر	٢٨٣
١١	وإذا الرسل أُفِّتت	٢٧٧	٣٥	ويل يومئذ للمكذبين	٢٨٣
١٢	لأي يوم أُجِّلت	٢٧٧	٣٦	هذا يوم لا ينطقون	٢٨٨
١٣	ليوم الفصل	٢٧٧	٣٧	ولا يؤذَن لهم فيعتذرون	٢٨٨
١٤	وما أدراك ما يوم الفصل	٢٧٧	٣٨	ويل يومئذ للمكذبين	٢٨٨
				هذا يوم الفصل جمعناكم	
				والأولين	٢٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	فإن كان لكم كيدٌ فكيدون	٢٨٨	٤٥	ويل يومئذٍ للمكذابين	٢٨٩
٤٠	ويل يومئذٍ للمكذابين	٢٨٨	٤٦	كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون	٢٩٠
٤١	إن المتقين في ظلال وعميون	٢٨٩	٤٧	ويل يومئذٍ للمكذابين	٢٩٠
٤٢	وفواكه مما يشتهون	٢٨٩	٤٨	وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ..	٢٩٠
٤٣	كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون	٢٨٩	٤٩	ويل يومئذٍ للمكذابين	٢٩٠
٤٤	إنا كذلك نجزي المحسنين	٢٨٩	٥٠	فبأي حديث بعده يؤمنون	٢٩١



جامع البيان
عن أنس بن مالك رضي الله عنه



جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الأمام الكبير والمحدث الشيرازي

الأمّة على تفاسير

الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثلاثون

ضبط وتعليق

محمد شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عرياشور

دار احياء التراث العربى

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ - ص.ب: ٧٩٥٧/١١

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٧٨) سورة النبأ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَوَدُّ ﴿٥﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يا محمد؟ وقيل ذلك له ﷺ، وذلك أن قريشاً جعلت فيما ذكر عنها تختصم وتتجادل، في الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإقرار بنبوته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبية: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون؟ و«في» و«عن» في هذا الموضع بمعنى واحد. ذكر من قال ما ذكرت:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع بن الجراح، عن مسعر، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، قال: لما بُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الخبر العظيم.

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله نبيه ﷺ عن الذي يتساءلونه، فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم.

واختلف أهل التأويل في المعنى بالنبأ العظيم، فقال بعضهم: أريد به القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ قال: القرآن.

وقال آخرون: عُني به البعث.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ وهو البعث بعد الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن قتادة ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ قال: النبأ العظيم: البعث بعد الموت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قال: يوم القيامة قال: قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا، قال: فهم فيه مختلفون، لا يؤمنون به، فقال الله: ﴿بَلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾، يوم القيامة لا يؤمنون به.

وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: عم يتحدّث به قريش في القرآن، ثم أجاب فصارت عم كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن، ثم أخبر فقال: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بين مصدق ومكذب، فذلك إخلافهم، وقوله: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي صاروا هم فيه مختلفون فريقين: فريق به مصدق، وفريق به مكذب. يقول تعالى ذكره: فتسألوهم بينهم في النبأ الذي هذه صفته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة عن النبأ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ البعث بعد الموت، فصار الناس فيه فريقين: مصدق ومكذب، فأما الموت فقد أقروا به لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: صار الناس فيه رجلين: مصدق، ومكذب، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم، لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قال: مصدق ومكذب.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم، وتوعدهم جل ثناؤه على هذا القول منهم، فقال: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ يقول: سيعلم هؤلاء الكفار المُنكرون وعيد الله أعداءه، ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم أكد الوعيد بتكرير آخر، فقال: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم

على كفرهم به، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله، وأفضوا إلى ما قدموا من سيء أعمالهم. وذكر عن الضحاك بن مزاحم في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك **﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾** الكفار **﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾** المؤمنون، وكذلك كان يقرؤها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَا أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ سَبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاسًا ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره معدداً على هؤلاء المشركين نعمة وأياديه عندهم، وإحسانه إليهم، وكفرانهم ما أنعم به عليهم، ومتوعدهم بما أعد لهم عند ورودهم عليه، من صنوف عقابه، وأليم عذابه، فقال لهم: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ لَكُمْ ﴿٦﴾ مِهَادًا﴾** تمتهدونها وتفترشونها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾**: أي بساطاً **﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾** يقول: والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم **﴿وَوَخَّلَفْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾** ذكراناً وإناثاً، وطوالاً وقصاراً، أو ذوي دمامة وجمال، مثل قوله: **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾** يعني به: صيرناهم. **﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾** يقول: وجعلنا نومكم لكم راحة ودعة، تهدؤن به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح والسبت والسبات: هو السكون، ولذلك سمي السبت سبتاً، لأنه يوم راحة ودعة. **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾** يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه، لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً ومنه قول الشاعر:

فَلَمَّا لَبِسْنَا اللَّيْلَ أَوْ جِئْنَا نَضَبْتُ لَهُ مِنْ خَذَا أَدَانِهَا وَهُوَ دَالِجٌ^(١)
يعني بقوله «لبسنا الليل»: أدخلنا في سواده فاستترنا به. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قتادة **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾** قال: سكتاً.

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت في الجزء (١١/١٤٦) وهو في ديوان ذي الرمة. والرواية فيه «جانح» في موضع «دالج» والدالغ: الذي يمي بحمله وقد أثقله (انظر ديوان ذي الرمة ١٠٨).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ يقول: وجعلنا النهار لكم ضياءً لتنتشروا فيه لمعاشكم، وتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم، وابتغاء فضل الله فيه، وجعل جلّ ثناؤه النهار إذ كان سبباً لتصرف عباده لطلب المعاش فيه معاشاً، كما في قول الشاعر:

وأخو الهموم إذا الهموم تحضّرت جُحَّحَ الظلامِ وسادَهُ لا يَرُقْدُ^(١)
فجعل الوساد هو الذي لا يرقد، والمعنى لصاحب الوساد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ قال: يبتغون فيه من فضل الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَمَاوَاتٍ سِدَادًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً حَمِيمًا ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾: وسقفنا فوقكم، فجعل السقف بناءً، إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت، وهي سماؤها بناءً، وكانت السماء للأرض سقفاً، فخطبهم بلسانهم، إذ كان التنزيل بلسانهم، وقال: ﴿سَبْعًا سِدَادًا﴾ إذ كانت وثاقاً محكمة الخلق، لا صدوع فيهن ولا فطور، ولا ييلهن مرّ الليالي والأيام.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا سراجاً، يعني بالسراج: الشمس. وقوله ﴿وَهَاجًا﴾ يعني: وقاداً مضيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يقول: مضيئاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يقول: سراجاً منيراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

(١) يقال: حضره الهم، واحتضره، وتحضره: نزل به. يقول الشاعر: إن أخا الهموم إذا كثرت عليه الهموم وازدحمت فإن وساده لا ينام، يريد صاحب وساده، يعني نفسه.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿سِرَاجاً وَهَاجِجاً﴾ قال: يتلألاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿سِرَاجاً وَهَاجِجاً﴾ قال: الوهاج: المنير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿سِرَاجاً وَهَاجِجاً﴾ قال: يتلألاً ضوءه.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالمعصرات، فقال بعضهم: عُني بها الرياح التي تعصر في هبوبها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ فالمعصرات: الريح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، أنه كان يقرأ: ﴿وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني: الرياح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: الريح.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: هي في بعض القراءات: ﴿وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ﴾: الريح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: المعصرات: الرياح، وقرأ قول الله: ﴿الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً...﴾ إلى آخر الآية.

وقال آخرون: بل هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولما تمطر، كالمرأة المعصر التي قد دنا أو ان حيضها ولم تحض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: المعصرات: السحاب.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يقول: من السحاب.

قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: السحاب.
وقال آخرون: بل هي السماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّةَ، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: من السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: من السموات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: من السماء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات، وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب ماء.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها، فتنزل منها، وإنما ينزل بها، وكان يصح أن تكون الرياح، ولو كانت القراءة: ﴿وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ﴾ فلما كانت القراءة: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ علم أن المعني بذلك ما وصفت.

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الباء قد تعقب في مثل هذا الموضع من قيل ذلك، وإن كان كذلك، فالأغلب من معنى «من» غير ذلك، والتأويل على الأغلب من معنى الكلام. فإن قال: فإن السماء قد يجوز أن تكون مراداً بها. قيل: إن ذلك وإن كان كذلك، فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره.

وأما قوله: ﴿مَاءٌ تُجَاجَأُ﴾ يقول: ماء منصباً يتبع بعضه بعضاً، كشح دماء البدن، وذلك سفكها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿مَاءٌ تُجَاجَأُ﴾ قال: منصباً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ ماء من السماء منصباً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ قال: منصباً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ قال: الشجاج: المنصب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع: ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ قال: منصباً.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ قال: متتابعاً.

وقال بعضهم: عُني بالشجاج: الكثير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: قال: أخبرنا ابن وهب ﴿مَاءٌ تُجَاوَى﴾ قال: كثيراً.

ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الشج، وإنما الشج: الصب المتتابع. ومنه قول النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالشَّجُّ»: يعني بالشج: صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها، يقال منه: تُجَجَّتْ دمه، فأنا أُتَجُّه تجاً، وقد تُجُّ الدم، فهو يشجُّ تجوجاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتِنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْوِنَ الْفُؤَادَ ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: لنخرج بالماء الذي ننزله من المعصيرات إلى الأرض حباً والحب كل ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد، وهي جمع حبة، كما الشعير جمع شعيرة، وكما التمر جمع تمرة. وأما النبات فهو الكلا الذي يُزعى، من الحشيش والزرع.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ يقول: ولنخرج بذلك الغيث جنات وهي البساتين وقال: وجنات، والمعنى: وثمر جنات، فترك ذكر الثمر استغناءً بدلالة الكلام عليه من ذكره. وقوله: ﴿أَلْفَافًا﴾ يعني: ملتفة مجمعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: مجتمعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ يقول: وجنات التف بعضها ببعض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: ملتفة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: التف بعضها إلى بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: التف بعضها إلى بعض.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: ملتفة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: هي الملتفة، بعضها فوق بعض.

واختلف أهل العربية في واحد الألفاف، فكان بعض نحويي البصرة يقول: واحدها: لَفٌّ. وقال بعض نحويي الكوفة: واحدها: لَفٌّ ولفيف قال: وإن شئت كان الألفاف جمعاً، واحده جمع أيضاً، فتقول: جنة لَفَاء، وجنات لَفٌّ، ثم يجمع اللَّفُّ أَلْفَافًا.

وقال آخر منهم: لم نسمع شجرة لفة، ولكن واحدها لفاء، وجمعها لَفٌّ، وجمع لَفٌّ: أَلْفَاف، فهو جمع الجمع.

والصواب من القول في ذلك أن الألفاف جمع لَفٌّ أو لفيف، وذلك أن أهل التأويل مجمعون على أن معناه: ملتفة، واللِّفَاء: هي الغليظة، وليس الالتفاف من الغلظ في شيء، إلا أن يوجه إلى أنه غلظ الالتفاف، فيكون ذلك حينئذٍ وجهاً.

وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه، فيأخذ فيه من بعضهم لبعض، كان ميقاناً لما أنفذ الله لهؤلاء المكذبين بالبعث، ولضربائهم من الخلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ وهو يوم عظمه الله، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ تَرْجَمَ بيوم ينفخ، عن يوم الفصل، فكأنه قيل: يوم الفصل كان أجلاً لما وعدنا هؤلاء القوم، يوم ينفخ في الصور. وقد بيّنت معنى الصور فيما مضى قبل، وذكرت اختلاف أهل التأويل فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، وهو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه عندنا، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن أسلم، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «الصُّورُ: قَرْنٌ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ والصُّورُ: الحَلْقُ.

وقوله: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يقول: فيجيئون زمراً زمراً، وجماعة جماعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَفْوَاجًا﴾ قال: زُمَرًا زُمَرًا.

وإنما قيل: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها، كما قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وشققت السماء فصدعت، فكانت طُرُقًا، وكانت من قبل شِدَادًا لا تُطُور فيها ولا صدوع. وقيل: معنى ذلك: وفُتِحَتِ السَّمَاءُ فكانت قِطْعًا كقِطْعِ الخشب المشققة لأبواب الدور والمسكن. قالوا: ومعنى الكلام: وفُتِحَتِ السَّمَاءُ فكانت قِطْعًا كالأبواب، فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر، كما يقال في الكلام: كان عبد الله أسدًا، يعني: كالأسد.

وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ يقول: ونُسفت الجبال فاجثثت من أصولها، فصيرت هباء منبثًا، لعين الناظر، كالسراب الذي يظن من يراه من بُعد ماء، وهو في الحقيقة هباء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّٰغِيْنَ نَارًا ﴿٢٢﴾ لَيَبِيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا مِرْءًا وَلَا مَرًّا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَيْمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: إن جهنم كانت ذات رُصد لأهلها، الذين كانوا يكذبون في الدنيا بها، وبالمعاد إلى الله في الآخرة، ولغيرهم من المصدقين بها. ومعنى الكلام: إن جهنم كانت ذات ارتقاب، ترقب من يجتازها وترُصدهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المازني، قال: كان الحسن إذا تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال: ألا إن على الباب الرُصد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز احتبس.

حدثني يعقوب، قال: ثنا إسماعيل بن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال: لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يُعَلِّمُنَا أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى يَقَطَعَ النَّارَ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال: عليها ثلاث قناطر.

وقوله: ﴿لِلطَّٰغِيْنَ مَأْبَأٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن جهنم للذين طَعُوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله، استكباراً على ربهم، كانت منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه، ومصيراً يصيرون إليه يسكنونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِلطَّٰغِيْنَ مَأْبَأٌ﴾: أي منزلاً ومأوى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان ﴿مَأْبَأٌ﴾ يقول: مرجعاً ومنزلاً.

وقوله: ﴿لَا يَبِيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الطاغين في الدنيا لا بثون في جهنم، فما كانوا فيها أحقاباً.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لَابِثِينَ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: ﴿لَابِثِينَ﴾ بالالف. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «لَبِثِينَ» بغير ألف وأفصح القراءتين وأصحهما مخرجاً في العربية، قراءة من قرأ ذلك بالالف وذلك أن العرب لا تكاد توقع الصفة إذا جاءت على فَعِيلٍ، فتعملها في شيء، وتنصبه بها، لا يكادون أن يقولوا: هذا رجل بَخِلٌ بماله، ولا عَيسِرٌ علينا، ولا هو خَصِمٌ لنا، لأن فَعِيلٌ لا يأتي صفة إلا مدحاً أو ذمّاً، فلا يعمل المدح والذم في غيره، وإذا أرادوا إعمال ذلك في الاسم أو غيره جعلوه فاعلاً، فقالوا: هو باخل بماله، وهو طامع فيما عندنا، فلذلك قلت: إن ﴿لَابِثِينَ﴾ أصح مخرجاً في العربية وأفصح، ولم أحل قراءة من قرأ: «لَبِثِينَ» وإن كان غيرها أفصح، لأن العرب ربما أعملت المدح في الأسماء، وقد يُنشد بيت لبيد:

أَوْ مَسْحَلٍ عَمِلَ عِضَادَةً سَمَحَجٍ بِسَرَاتِهَا نَذَبٌ لَهُ وَكُلُومٌ^(١)
فأعمل «عَمِلَ» في عِضَادَةٍ، ولو كانت عاملاً كانت أفصح، ويُنشد أيضاً:
وبالفأس ضرابٌ رُووسَ الكَرَائِفِ^(٢)

(١) البيت للبيد يصف حمار وحش. وأتانه «اللسان» عمل. والمسحل: هو الحمار الوحشي، صفة غالبية. وسحيله: أشد نهيقه «اللسان» سحل والعمل، بوزن نهم: وصف بمعنى عامل. والعضادة: ما يكنف الشيء ويكون عوناً له، يقال: فلان عضد فلان وعضادته ومعاضده: إذا كان يعاونه ويرافقه. ويروي «أو مسحل سنق» والسنق: البشم والتخمة. والسماحج: الأتان الطويلة الظهر. وسراتها: وسط ظهرها. والنذب: جمع ندبة بالتحريك، وهي أثر الجرح. والكُلوم: جمع كلم، وهو الجرح، أي أنه دائم العض لها، ففي ظهرها منه ندوب التأمّت وجروح لم تلتئم بعد. يقول: هو يعضدها، مرة عن يمينها، ومرة عن يسارها لا يفارقها. «التهذيب» عمل. وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٥) وقوله: «لا بئين فيها أحقاباً». حدثت عن الأعمش أنه قال: بلغنا عن علقمة أنه قرأ: «لبئين»، وهي قراءة أصحاب عبد الله (ابن مسعود)، والناس بعد يقرءون «لا بئين» وهو أجود الوجهين؛ لأن لابئين إذا كانت في موضع تقع فتنصب، كانت بالأنلف، مثل الطامع والباخل عن قليل، وهو جائز كما يقال: رجل طمع وطماع، ولو قلت: هذا طمع فيما قبلك، كان جائزاً، وقال لبيد:

«أو مسحل عمل.....»

البيت. فأوقع (عمل) على العضادة ولو كانت (عامل) كان أبين في العربية. وكذلك إذا قلت للرجل ضراب وضروب، فلا توقعهما على شيء، لأنهما مدح، فإذا احتاج إلى إيقاعهما فعل؛ أنشدني بعضهم:

وبالفأس ضراب رُووسَ الكَرَائِفِ

واحدتها: كزنافة، وهي أصول السعف. ١ هـ.

(٢) هذا عجز بيت للبيد وصدرة: والكرناف والكرنافة (بضم الكاف وكسرهما) كما في «اللسان» كرتف: أصول الكرب التي تبقى في جذع السعف. وما قطع من السعف فهو الكرب، والجمع: كرائف. وقال ابن سيده: الكرنافة والكرنوفة: أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة. وقد تقدم كلام الفراء على هذا الشاهد مع الشاهد الذي قبله. وخلاصته أن اسم الفاعل وصيغ المبالغة قد تنصب المفعول به؛ أما ما كان على وزن فعل منها كحذر، فإنه لا يعمل في المفعول به، وقد جاء الشاهد السابق بعمله في المفعول به.

ومنه قول عباس بن مرداس:

أَكْرَ وَأُحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا^(١)
وأما الأحقاب فجمع حُقْب، والحُقْب: جمع حِقْبَة، كما قال الشاعر:

عِشْنَا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةَ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ نَتَّصَدَعَا^(٢)
فهذه جمعها حِقْب، ومن الأحقاب التي جمعها حُقْب^(٣) قول الله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ فهذا واحد الأحقاب.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحُقْب، فقال بعضهم: مدة ثلاث مئة سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن بشير بن كعب، في قوله: ﴿لَا يَبْقَى فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: بلغني أن الحُقْب ثلاث مئة سنة، كل سنة ثلاث مئة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة. وقال آخرون: بل مدة الحُقْب الواحد: ثمانون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: ثنا عمار الدُهْنِي، عن سالم بن

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمى «خزائن الأدب» للبغدادي (٣/٥١٨) وقيل:

قَلَمُ أَوْ مِثْلُ الْحَيِّ حَيًّا مُصْبِحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ الثَّقَيْنَا قَوَارِسًا

الشاهد في قوله «وأضرب منا بالسيوف القوانيسا» فإن القوانيس منصوب مفعول به لا لقوله «أضرب» الذي هو أفعل تفضيل، لأن أفعل التفضيل ضعيف في العمل، فإذا جاء بعده ما هو مفعول به، فهو مفعول لفعل مقدر، من لفظ أفعل التفضيل، أي ونضرب بلسيوف القوانيسا. قال ابن جني في إعراب الحماسة: «القوانيس: منصوب عندنا بفعل مضمر يدل عليه «أضرب»، أي ضربنا، أو نضرب القوانيس».

(٢) البيت لمتعم بن نويرة اليربوعي من قصيدة له في رثاء أخيه مالك بن نويرة ذكرها صاحب المفضليات (طبعة السنديوي ١٢٦، ١٣٠) وهذا البيت الشاهد مع الذي قبله، قال:

وَعِشْنَا بِخَيْرِ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أَصَابَ الْمَنَابِيَا رَهْطٌ كِنَسْرَى وَتُبَعَا

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ بُزْهَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصَدَعَا

ندماني جذيمة: مالك وعقيل، ولهما قصة مع جذيمة الأبرش ملك الحيرة. والبرهة: مدة من الزمان تطول وتقصر. وفي رواية المؤلف «حقبية»، قال في «اللسان» حقب الحقبية من الدهر لا وقت لها، والجمع حقب كفرة وفرى. والحقب (كقفل) والحقب (كعتق) ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك أ هـ. والجمع: أحقاب.

(٣) لعله: التي هي جمع حقب.

أبي الجعد، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهلال الهجري: ما تجدون الحُقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن عاصم بن أبي النّجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أنه قال: الحُقب: ثمانون سنة، والسنة: ستون وثلاث مئة يوم، واليوم: ألف سنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ابن عباس، قال: الحُقب: ثمانون سنة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا الأعمش، عن سعيد، بن جبيرة، في قوله: ﴿لَابِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: الحقب: ثمانون سنة، السنة: ثلاث مئة وستون يوماً، اليوم: سنة أو ألف سنة «الطبري يشك».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿لَابِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حُقب جاء حُقب بعده. وذكر لنا أن الحُقب ثمانون سنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ قال: بلغنا أن الحُقب ثمانون سنة من سني الآخرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿لَابِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا يعلم عدّة هذه الأحقاب إلا الله، ولكن الحُقب الواحد: ثمانون سنة، والسنة: ثلاث مئة وستون يوماً، كل يوم من ذلك ألف سنة.

وقال آخرون: الحُقب الواحد: سبعون ألف سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنى عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، قال: سمعت الحسن يُسأل عن قول الله: ﴿لَابِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحُقب الواحد سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام السبعين ألفاً، كألف سنة مما تعدّون.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن، في

قوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب، فلا يدري أحد ما هي، وأما الحُقُب الواحد: فسبعون ألف سنة، كل يوم كألف سنة.

وروي عن خالد بن معدان في هذه الآية، أنها في أهل القبلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عامر بن جشب، عن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في هذا الحديث؟ قيل: الذي قاله قتادة عن الربيع بن أنس في ذلك أصح.

فإن قال: فما للكفار عند الله عذابٌ إلا أحقاباً قيل: إن الربيع وكتادة قد قالا: إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: لابثين فيها أحقاباً، في هذا النوع من العذاب، هو أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ فإذا انقضت تلك الأحقاب، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال جل ثناؤه في كتابه: ﴿وَرَأَى لِلطَّاعِينَ لَشَرًّا مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُحِسَ الْمِهَادَ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية. وقد روي عن مقاتل بن حيان في ذلك ما:

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سألت أبا معاذ الخراساني، عن قول الله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ فأخبرنا عن مقاتل بن حيان، قال: منسوخة، نسختها: ﴿فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ولا معنى لهذا القول، لأن قوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي.

وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يقول: لا يطعمون فيها برداً يُبَرِّدَ حَرَّ السَّعِيرِ عنهم، إلا الغساق، ولا شراباً يزيوهم من شدة العطش الذي بهم، إلا الحميم. وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوماً ولا شراباً، واستشهد لقيه ذلك بقول الكندي:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي عَنْهَا وَعَنْ قُبُلَاتِهَا الْبَرْدُ^(١)

(١) نسبه المؤلف للكندي (وقال إن المراد بالبرد، هو النعاس، على ما قاله بعض العارفين بكلام العرب. وفي «اللسان» برد) قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما يحملكم على نومة الضحى؟ قال: إنها مبردة في الصيف =

يعني بالبرد: الثعاس والنوم إن كان يُبرد غليلَ العَطَش، فقيل له من أجل ذلك البرد، فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿لا يذوقون فيها بزداً ولا شراباً إلا حميماً وعساقاً﴾** فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البزء: العساق.

وقوله: **﴿إلا حميماً وعساقاً﴾** يقول تعالى ذكره: لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً قد أغلي حتى انتهى حره، فهو كالمهل يشوي الوجه، ولا بزء إلا عساقاً. واختلف أهل التأويل في معنى العساق، فقال بعضهم: هو ما سال من صديد أهل جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية بن سعد، في قوله: **﴿حميماً وعساقاً﴾** قال: هو الذي يسيل من جلودهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا أبو عمرو، قال: زعم عكرمة أنه حدثهم في قوله: **﴿وعساقاً﴾** قال: ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا عبد الرحمن قال: ثنا سفيان، عن منصور عن إبراهيم وأبي رزين **﴿إلا حميماً وعساقاً﴾** قالا: عسالة أهل النار لفظ ابن بشار وأما ابن المثنى فقال في حديثه: ما يسيل من صديدهم.

وحدثنا ابن بشار مرة أخرى عن عبد الرحمن، فقال كما قال ابن المثنى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين **﴿وعساقاً﴾** قال: ما يسيل من صديدهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور وأبي رزين، عن إبراهيم مثله.

= مسخنة في الشتاء ا هـ. وقال الأزهري في قوله تعالى: **﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً﴾** روى عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب قال: وقال بعضهم: لا يذوقون فيها بزداً، يريد نوماً، وإن النوم ليبرد صاحبه، وإن العطشان لينام فيبرد بالنوم ا هـ. والقول الأخير هو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٥).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿عَسَاقًا﴾ كنا نحدث أن العَسَاق: ما يسيل من بين جلده ولحمه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن سفيان، أنه قال: بلغني أنه ما يسيل من دموعهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿وَعَسَاقًا﴾ قال: ما يسيل من صديدهم من البرد، قال سفيان وقال غيره: الدموع.

حدثني يونس، قال: قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قال: الحميم: دموع أعينهم في النار، يجتمع في خنادق النار فيُسْقَوْنَه، والغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم، مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قال: الغساق: ما يقطر من جلودهم، وما يسيل من ننتهم. وقال آخرون: الغساق: الزمهرير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ يقول: الزمهرير.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن المثنى، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قال: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.

قال: ثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قال: الذي لا يستطيعونه من برده.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: الغساق: الذي لا يستطاع من برده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع قال: الغساق: الزمهرير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: الغساق: الزمهرير.

وقال آخرون: هو المُنْتِن، وهو بالطَّخَّارِيَّة.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حُدِّثت عن المسيب بن شريك، عن صالح بن حيان، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، قال: الغساق: بالطَّخارية: هو الممتن.

والغساق عندي: هو الفعال، من قولهم: غَسَقَت عَيْن فلان: إذا سالت دموعها، وَغَسَقَ الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يعني بالغساق: الليل إذا لَبَسَ الأشياء وغطاها وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجوم السيل السائل فإذا كان الغساق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب، هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة برده النتن، كما:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشر، قال: ثنا ابن المبارك، قال: ثنا رشدين بن سعد، قال: ثنا عمرو بن الحرث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ، عن النبي ﷺ، قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَاقٍ يُهْرَاقُ إِلَى الدُّنْيَا، لَأَتَتْ أَهْلَ الدُّنْيَا».

حُدِّثت عن محمد بن حرب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي مالك، عن عبد الله بن عمرو، أنه قال: «أتدرون أي شيء الغساق؟ قالوا: الله أعلم، قال: «هو القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب، لأتتن أهل المشرق، ولو تهراق بالمشرق، لأتتن أهل المغرب».

فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغساق: هو الزمهرير، والزمهرير: هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلاً؟ قيل: إن البرد الذي لا يُسْتَطَاع ولا يُطَاق، يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصدید.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿جَزَاءً وَفَاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُوقُوا فَلَنْ نَرِيَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ﴾

يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عُوقِبَ به هؤلاء الكفار في الآخرة، فعَلَهُ بهم ربهم جزاءً، يعني: ثواباً لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التي كانوا يعملونها في الدنيا، وهو مصدر من قول القائل: وافق هذا العقاب هذا العلم وفاقاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ يقول: وافق أعمالهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ قال: بحسب أعمالهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، في قوله: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ قال: ثواب وافق أعمالهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ قال: عملوا شراً، فجزوا شراً، وعملوا حسناً، فجزوا حسناً، ثم قرأ قول الله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ قال: جزاء وافق أعمال القوم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ قال: وافق الجزاء العمل.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ حِسَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، وسوء شكرهم له على ذلك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا يَزْجُونَ حِسَابًا﴾ قال: لا يبالون فيصدقون بالغيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لا يخافون حساباً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ حِسَابًا﴾ قال: لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب، وكيف يرجو الحساب من لا يؤمن أنه

يحياء، ولا يوقن بالبعث وقرأ قول الله: ﴿نَبَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَيْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾ إلى قوله ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، وقرأ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِتُكُمْ إِذَا مُرَفْتُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ...﴾ إلى قوله ﴿جَدِيدٍ﴾ فقال بعضهم لبعض: ماله ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا.

وقوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكذب هؤلاء الكفار بحججنا وأدلتنا تكديماً. وقيل: ﴿كِذَابًا﴾، ولم يقل تكديماً، تصديراً على فعله.

وكان بعض نحوِّي البصرة يقول: قيل ذلك لأن فعل منه على أربعة، فأراد أن يجعله مثل باب أفعلت، ومصدر أفعلت إفعالاً، فقال: كذاباً، فجعله على عدد مصدره، قال: وعلى هذا القياس تقول: قاتل قتالاً، قال: وهو من كلام العرب. وقال بعض نحوِّي الكوفة: هذه لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذبت به كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكلّ فعلت، فمصدرها فَعَالٌ بلغتهم مشددة. قال: وقال لي أعرابي مرّة على المروة يستفتيني: أَلحلق أحب إليك أم القِصار؟ قال: وأنشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طَالَ مَا تُبْطِئُنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ جَوْجِ قِصَاؤِهَا مِنْ شَفَائِيَا^(١)

وأجمعت القرّاء على تشديد الذال من الكِذَاب في هذا الموضع. وكان الكسائي خاصة يخفّف الثانية، وذلك في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ويقول: وهو من قولهم: كاذبته كذاباً ومكاذبه، ويشدّد هذه، ويقول قوله كَذَّبُوا يقيد الكِذَاب بالمصدر.

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ شيء أحصيناه فكتبناه كتاباً، كتبنا عدده ومبلغه وقدره، فلا يغرب عنا علم شيء منه ونصب كتاباً، لأن في قوله: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ مصدر أثبتناه وكتبناه، كأنه قيل: وكلّ شيء كتبناه كتاباً.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٥) قال وقوله «وكذبوا بآياتنا كذاباً»: خففها علي بن أبي طالب: كذاباً، وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري، وهي لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذبت به كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكل فعلت (بتشديد العين) فصدره فعال في لغتهم مشدد وأنشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طَالَ مَا تُبْطِئُنِي... البيت

وكان الكسائي يخفّف «لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً» لأنها ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرًا، ويشد في «وكذبوا بآياتنا كذاباً»، لأن كذبوا يقيد الكذاب بالمصدر، والذي قال حسن، ومعناه: «لا يسمعون فيها لغواً»: يقول: باطلاً، «ولا كذاباً» لا يكذب بعضهم بعضاً. وفي «اللسان» قضى وقوله - أنشده أبو زيد:

لَقَدْ طَالَ مَا لُبِثْتُنِي... البيت

قال ابن سيده هو عندي من قضى (بالتشديد) ككذاب من كذب. قال: ويحتمل أن يريد: اقتضاؤها، فيكون من باب قتال (بتشديد التاء) كما حكاه سيويه في اقتتال ا هـ.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يقول جل ثناؤه: يقال هؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغساق: ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذبون، فلن نزيدكم إلا عذاباً على العذاب الذي أنتم فيه لا تخفيفاً منه، ولا ترفهاً. وقد:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو، قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: ما نزلت على أهل النار آية أشد منها ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فهم في مزيد من الله أبداً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَلَاقٍ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوْاعِبَ آتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا (٣٥)﴾

يقول: إن للمتقين منجى من النار إلى الجنة، ومخلصاً منهم لهم إليها، وظفراً بما طلبوا. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال: فازوا بأن تجوا من النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: إي والله مَفَازاً من النار إلى الجنة، ومن عذاب الله إلى رحمته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال: مَفَازاً من النار إلى الجنة.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ يقول: مُنْتَهَاهَا^(١).

(١) قوله: منتهها: كذا في الأصل، وهي كلمة عامية، إذ ليس في المعاجم انتزه أي طلب النزهة في الحدائق ونحوها. وإنما الذي في اللغة: تنزه، واسم المكان منه «منتزه»، بتقديم التاء.

وقوله: ﴿حَدَائِقُ﴾ والحداثق: ترجمة وبيان عن المفاز، وجاز أن يترجم بها عنه، لأن المفاز مصدر من قول القائل: فاز فلان بهذا الشيء: إذا طلبه فظفر به، فكأنه قيل: إن للمتقين ظفراً بما طلبوا من حدائق وأعناب والحداثق: جمع حديقة، وهي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المَحْوُوط عليها الحيطان المحدقة بها، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يُقَل لها حديقة، وإحداقها بها: اشتمالها عليها.

وقوله: ﴿وَأَعْنَاباً﴾ يعني: وكرومِ أعناب، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم.

وقوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ يقول: ونواهد في سنّ واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ يقول: ونواهد. وقوله: ﴿أُنْرَاباً﴾ يقول: مُسْتَوِيَات.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ يعني: النساء المستويات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ قال: نواهد أُنْرَاباً، يقول: لسنّ واحدة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ثم وصف ما في الجنة قال: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ يعني بذلك النساء، أُنْرَاباً: لسنّ واحدة.

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: الكواعب: النواهد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ قال: الكواعب: التي قد نهدت وكعّبت نديها، وقال: أُنْرَاباً: مستويات، فلانة تربة فلانة، قال: الأُنْرَاب: اللدات.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سليمان، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾ لِدَات.

وقوله: ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ يقول: وكأساً ملأى متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء وأصله من الدهن: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدة وعنق، وكذلك الكأس الدهاق: متابعته على شاربها بكثرة وامتلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مروان، قال: ثنا أبو يزيد يحيى بن ميسرة، عن مسلم بن نسطاس، قال: قال ابن عباس لخلامه: اسقني دهاقاً، قال: فجاء بها الغلام ملأى، فقال ابن عباس: هذا الدهاق.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قوله: ﴿كأساً دهاقاً﴾ قال: ملأى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أخبرني سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن عباس يُستل عن ﴿كأساً دهاقاً﴾ قال: دراكاً، قال يونس، قال ابن وهب: الذي يتبع بعضه بعضاً.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ يقول: ممتلأ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا حميد الطويل، عن ثابت البناني، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، في قوله: ﴿كأساً دهاقاً﴾ قال: دمام^(١).

قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: ملأى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن يونس، عن الحسن ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: المَلأى.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: ملأى.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: مُثْرَعَةٌ ملأى.

(١) في الدر: دمام: لفظ فارسي، بمعنى متتابعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وكأساً دهاقاً﴾** قال: الدهاق: المَلَأَى المُتْرَعَةَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿كأساً دهاقاً﴾** قال: الدهاق: الممثلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كأساً دهاقاً﴾** قال: الدهاق المملوءة.

وقال آخرون: الدهاق: الصافية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن يحيى الأزدي وعباس بن محمد، قالا: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: ثنا عمر بن عطاء، عن عكرمة، في قوله: **﴿وكأساً دهاقاً﴾** قال: صافية. وقال آخرون: بل هي المتتابة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال سعيد بن جبيرة في قوله: **﴿وكأساً دهاقاً﴾** دهاقاً: المتتابة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: **﴿وكأساً دهاقاً﴾** قال: المتتابع.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا جرير، عن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وكأساً دهاقاً﴾** قال: المَلَأَى المتتابة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: **﴿وكأساً دهاقاً﴾** قال: المتتابة.

وقوله: **﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَاباً﴾** يقول تعالى ذكره: لا يسمعون في الجنة لغواً، يعني باطلاً من القول، ولا كذاباً، يقول: ولا مكاذبة، أي لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأت القراء في الأمصار بتشديد الذال على ما بيئت في قوله: **﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَاباً﴾** سوى الكسائي فإنه خففها لما وصفت قبل، والتشديد أحب إلي من التخفيف، وبالتشديد القراءة، ولا أرى قراءة ذلك بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء على خلافه ومن التخفيف قول الأعشى:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ^(١)
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَعُوًّا وَلَا كَذَابًا﴾ قال: باطلاً وإثماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعُوًّا وَلَا كَذَابًا﴾ قال: وهي كذلك ليس فيها لغو ولا كذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا
 يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً﴾ أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثواباً من ربك بأعمالهم، على طاعتهم إياه في الدنيا.

وقوله: ﴿عَطَاءً﴾ يقول: تفضلاً من الله عليهم بذلك الجزاء، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشراً في بعض، وفي بعض بالواحد سبع مئة، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله.

وقوله: ﴿حِسَابًا﴾ يقول: محاسبة لهم بأعمالهم لله في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ قال: عطاء منه حساباً لما عملوا.

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة، وليس من قصيدته التي يمدح بها رجلاً من كندة، يقال له ربيعة بن حبة (ديوانه ٢٨٥، ٢٩١) وإنما هو كما يقول المبرد في الكتاب الكامل (طبعة الحلبي ٥٦٤) مما أنشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة، وعلى هذا فهو بيت مفرد، ولذلك لم أجد في ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين. وموضع الشاهد فيه أن قوله «ينفعه كذابه» بتخفيف الذال يؤيد قراءة بعض القراء لقوله تعالى: ﴿وَكذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ فيمن قرأه بتخفيف الذال. وهي قراءة أخرى غير قراءة من قرأه بتشديدها. وقد تقدم تفصيل ذلك في الشاهد الذي قبله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءَ حِسَابًا﴾: أي عطاء كثيراً، فجزاهم بالعمل اليسير، الخير الجسيم، الذي لا انقطاع له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعمر، عن قتادة، في قوله: ﴿عَطَاءَ حِسَابًا﴾ قال: عطاء كثيراً وقال مجاهد: عطاء من الله حساباً بأعمالهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قول الله: ﴿جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءَ حِسَابًا﴾ فقرأ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾... إلى ﴿عَطَاءَ حِسَابًا﴾ قال: فهذه جزاء بأعمالهم عطاء الذي أعطاهم، عملوا له واحدة، فجزاهم عشراً، وقرأ قول الله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وقرأ قول الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِثَّةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قال: يزيد من يشاء، كان هذا كله عطاء، ولم يكن أعمالاً يحسبه لهم، فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له، قال: ولم يعملوا إنما عملوا عشراً، فأعطاهم مئة، وعملوا مئة، فأعطاهم ألفاً، هذا كله عطاء، والعمل الأول، ثم حَسَبَ ذلك حتى كأنهم عملوا، فجزاهم كما جزاهم بالذي عملوا.

وقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: جزاء من ربك رب السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلق.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة: «رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ» بالرفع في كليهما. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض الكوفيين: «رَبِّ» خفضاً «وَالرَّحْمَنُ» رفعاً ولكل ذلك عندنا وجه صحيح، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب، غير أن الخفض في الرب، لقربه من قوله ﴿جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ﴾: أعجب إليّ، وأما «الرَّحْمَنُ» بالرفع، فإنه أحسن، لبعده من ذلك.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة، إلا من أذن له منهم، وقال صواباً. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال: كلاماً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي كلاماً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال: لا يملكون أن يخاطبوا الله، والمخاطب: المخاصم الذي يخاصم صاحبه.
وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ اختلف أهل العلم في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود، قال: الروح ملك في السماء الرابعة، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة، يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسيحة، يخلق الله من كل تسيحة ملكاً من الملائكة، يجيء يوم القيامة صفًا وحده.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قال: هو ملك أعظم الملائكة خلقاً.
وقال آخرون: هو جبريل عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاک ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال جبريل عليه السلام.
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاک ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: الروح: جبريل عليه السلام.

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة عن الشعبي ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: الروح جبريل عليه السلام.
وقال آخرون: خلق من خلق الله في صورة بني آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال ﴿الرُّوحُ﴾ خلق على صورة بني آدم، يأكلون ويشربون.
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مسلم، عن مجاهد، قال ﴿الرُّوحُ﴾: خلق لهم أيد وأرجل وأراه قال: ورؤوس يأكلون الطعام، ليسوا ملائكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، قال: يشبهون الناس، وليسوا بالناس.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن مجاهد، قال: ﴿الرُّوحُ﴾: خَلَقَ كَخَلَقِ آدَمَ.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال: الروح خلق من خلق الله يُضْعِفُونَ على الملائكة أضعافاً، لهم أيد وأرجل:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن إسماعيل، عن أبي صالح مولى أم هانئ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قال: الروح: خلق كالنّاس، وليسوا بالنّاس. وقال آخرون: هم بنو آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هم بنو آدم، وهو قول الحسن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: قال: الروح بنو آدم. وقال قتادة: هذا مما كان يكتمه ابن عباس. وقال آخرون: قيل: ذلك أرواح بني آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ قال: يعني حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة، فيما بين النفختين، قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد. وقال آخرون: هو القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، كان أبي يقول: الروح: القرآن، وقرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾.

والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطاباً، يوم

يقوم الرُّوح، والرُّوح: خَلَقَ من خلقه. وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيُّ به دون غيره، يجب التسليم له، ولا حجة تدلُّ عليه، وغير ضائر الجهل به.

وقيل: إنه يقول: سِمَاطَان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال: هما سِمَاطَان^(١) لرب العالمين، يوم القيامة: سِمَاط من الروح، وسِمَاط من الملائكة.

وقوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قيل: إنهم يُؤذَن لهم في الكلام، حين يُؤمر بأهل النار إلى النار، وبأهل الجنة إلى الجنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: ثنا أبو عمرو، الذي يقص في طيء عن عكرمة، وقرأ هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: يمرّ بأناس من أهل النار على ملائكة، فيقولون: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقال: إلى النار، فيقولون: بما كسبت أيديهم، وما ظلمهم الله، ويمرّ بأناس من أهل الجنة على ملائكة، فيقال: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: برحمة الله دخلتم الجنة، قال: فيؤذَن لهم في الكلام، أو نحو ذلك.

وقال آخرون: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بالتوحيد ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ في الدنيا، فوحّد الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يقول: إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلا الله، وهي منتهى الصواب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال حقاً في الدنيا، وعمل به.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح في قوله:

(١) سِمَاطَان: صفان.

﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرُّحْمَنُ، وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: لا إله إلا الله.

قال أبو حفص: فحدثت به يحيى بن سعيد، فقال: أنا كتبتُه عن عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي معاوية.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر العَدَنِي، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: لا إله إلا الله.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفاً، إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صواباً، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عتَى بذلك نوعاً من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَاآبَا ۗ﴾ (٣٩) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يُنظَرُ الْأَمْرُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۗ﴾ (٤٠)

يقول تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴿الْحَقُّ﴾: يقول: إنه حق كائن، لا شك فيه.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَاآبَا﴾ يقول: فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحق، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله ﴿مَاآبَا﴾، يعني: مرجعاً وهو مَفْعَل، من قولهم: آب فلان من سفره، كما قال عبيد:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَأُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَأُوبُ^(١)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَاآبَا﴾ قال: اتخذوا إلى الله ماآباً بطاعته، وما يقربهم إليه.

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة الحلبي بتحقيق الدكتور حسين نصار ص - ١٣) وقد سبق الكلام عليه في التفسير في الجزء (٧١/١٥) وفي «اللسان» أوب الأوب الرجوع، آب إلى الشيء يثوب أوباً وإياباً، وأوية، وأبية. والمآب: المرجع ا هـ. وهو مصدر ميمي، وقد يكون اسماً للزمان أو المكان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إِلَى رَبِّهِ مَا بَأْسٌ﴾** قال: سيلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿مَا بَأْسٌ﴾** يقول: مرجعاً منزلاً.

وقوله: **﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾** يقول: إنا حذرناكم أيها الناس عذاباً قد دنا منكم وقرب، وذلك **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾** المؤمن **﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾** من خير اكتسبه في الدنيا، أو شر سَلَفَهُ، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾** قال: المرء المؤمن يحذر الصغيرة، ويخاف الكبيرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن جحادة، عن الحسن **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾** قال: المرء المؤمن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، في قوله: **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾** قال: المرء المؤمن.

وقوله: **﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾** يقول تعالى ذكره: ويقول الكافر يومئذ تمنياً لما يلقي من عذاب الله الذي أعدّه لأصحابه الكافرين به: يا ليتني كنت تراباً، كالبهائم التي جعلت تُرَابًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي، قالوا: ثنا عوف، عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو، قال: إذا كان يوم القيامة، مدّ الأديم، وحشر الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدوابّ، يقتصر للشاة الجَمَاء من الشاة القَرْنَاء نَطْحَتَهَا، فإذا فُرِغ من القصاص بين الدوابّ، قال لها: كوني تراباً، قال: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر قال: وحدثني جعفر بن بُرْقَانَ، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطيور كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا المحاربيُّ عبدُ الرحمن بن محمد، عن إسماعيل بن رافع المدنيّ، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقْبِذُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرْنَآءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» وهو الهالك المُفْرِط العاجز، وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَوْرَاتُ عمله، وقد استقبل الرحمن وهو عليه غضبان، فتمنى الموت يومئذٍ، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن أبي الزناد عبد الله بن ذُكْوَان، قال: إذا قُضِيَ بَيْنَ النَّاسِ، وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولد آدم: عودوا تراباً، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا تراباً، قال الكافر: يا ليتني يا ليتني كنت تراباً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله: «وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا»: قال: إذا قيل للبهائم: كونوا تراباً، قال الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

آخر تفسير سورة عم يتساءلون

(٧٩) سورة النازعات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿والتزعزعت عرقا﴾ (١) ﴿والشدطت شدطا﴾ (٢) ﴿والسليحت سبيحا﴾ (٣) ﴿فالتنجت تنجفا﴾ (٤) ﴿فالتدبرت أمرا﴾ (٥) ﴿يوم تهب الريح﴾ (٦) ﴿تبعها الزايفة﴾ (٧) ﴿فلوت يومئذ واجفة﴾ (٨) ﴿أضمرها خشفة﴾ (٩).

أقسم ربنا جلّ جلاله بالنازعات، واختلف أهل التأويل فيها، وما هي؟ وما تنزع؟ فقال بعضهم: هم الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم، والمنزوع نفوس الآدميين.

نكر من قال ذلك:

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا شعبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ﴿والتزعزعت عرقاً﴾ قال: الملائكة.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق: أنه كان يقول في النازعات: هي الملائكة.

حدثنا ابن المشني، قال: ثنا يوسف بن يعقوب، قال: ثنا شعبة، عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في النازعات، قال: حين تنزع نفسه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿والتزعزعت عرقاً﴾ قال: تنزع الأنفس.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿والتزعزعت عرقاً﴾ قال: نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم قذف بها في النار.

وقال آخرون: بل هو الموت ينزع النفوس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾** قال: الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق.

حدثنا الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا أبو العوام، أنه سمع الحسن في **﴿النَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾** قال: النجوم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾** قال: النجوم.

وقال آخرون: هي القيسي تنزع بالسهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾** قال القيسي.

وقال آخرون: هي النفس حين تنزع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السدي **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾** قال: النفس حين تغرق في الصدر.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً، ولم يخص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقاً، فداخلة في قسمه، ملكاً كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات إغراقاً، كما يغرق النازع في القوس.

وقوله: **﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾** اختلف أهل التأويل أيضاً فيهنّ، وما هنّ، وما الذي ينشط، فقال بعضهم: هم الملائكة، تنشط نفس المؤمن فتقبضها، كما ينشط العقال من البعير إذا حلّ عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: الملائكة.

وكان الفراء يقول: الذي سمعت من العرب أن يقولوا: أُنشِطت، وكأنما أُنشِط من عقال، ورَبَطُها: نشطها، والرابط: الناشط قال: وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نَشِطته تَنَشِطُهُ، وأنت ناشِط، وإذا حللته فقد أُنشِطته.

وقال آخرون: ﴿النَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ هو الموت يُنَشِط نفسَ الإنسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يوسف بن يعقوب، قال: ثنا شعبة عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: حين تَنَشِط نفسه.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السدي ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: نَشِطُها: حين تُنَشِط من القدمين.

وقال آخرون: هي النجوم تُنَشِط من أفق إلى أفق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: النجوم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال: هنّ النجوم.

وقال آخرون: هي الأوهاق^(١).

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء **«وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا»**
قال: الأوهاق.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات نَشْطًا، وهي التي تَنْشُطُ من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئاً دون شيء، بل عمَّ القَسَمَ بجميع الناشطات، والملائكة تَنْشُطُ من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضاً تَنْشُطُ، كما قال الطَّرِمَاحُ:

وَهَلْ بِحَلِيفِ الْخَيْلِ مِمَّنْ عَهْدَتْهُ بِهِ غَيْرُ أَخْدَانِ النَّوَاشِطِ رُؤُوعٌ^(٢)

يعني بالنواشط: بقر الوحش، لأنها تَنْشُطُ من بلدة إلى بلدة، كما قال رُوَيْبَةُ بن العجاج:

تَنْشُطَتْهُ كُلُّ مِغْلَاةِ الْوَهْقِ^(٣)

والهموم تَنْشُطُ صاحبها، كما قال هَمِيَانُ بن قُحَافَةَ:

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَأَسْطَا^(٤)

فكل ناشط فداخل فيما أقسم به، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها، بأن المعني بالقسم من ذلك، بعض دون بعض.

وقوله: **«وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا»** يقول تعالى ذكره: **وَاللَّوَاتِي تَسْبِحْنَ سُبْحَانَ**

(١) الأوهاق: جمع وهق بسكون الهاء أو تحريكها، وهي الحبل المغار يرمى فيه أنشودة، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

(٢) البيت الطرماح بن حكيم (ديوانه ١١٥) قال شارحه في تفسيره: يعني بالنواشط بقر الوحش، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة.

(٣) البيت لرؤية الراجز (ديوانه ١٠٤) و«اللسان» نشط قال: وتنشطت الناقة الأرض: قطعها. وفاعل تنشط: هو الناقة، والهاء راجعة إلى الخرق المذكور. قال: يقول تناولته وأسرت رجع يديها. والمغلاة البعيدة الخطو. والوهق: المباراة في السير. يريد أنها ناقة سريعة السير وجملة تنشطته خير رب في أول الأرجوزة «وقاتم الأعماق».

(٤) البيتان في «اللسان» نشط لهيمان بن قحافة. قال: قال الأخفش: الحمار ينشط من بلد إلى بلد، والهموم تنشط بصاحبها، وقال هيمان:

«أَمْسَتْ هُمُومِي.....»

البيت. يقول: صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد، فمرة إلى الشام، ومرة إلى واسط بالعراق.

واختلف أهل التأويل في التي أقسم بها جلّ ثناؤه من السابحات، فقال بعضهم: هي الموت تسبح في نفس ابن آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾** قال: الموت، هكذا وجدته في كتابي^(١) وقد:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾** قال: الملائكة، وهكذا وجدت هذا أيضاً في كتابي.

فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحاً، فإن مجاهداً كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سباحة، كما يقال للفرس الجواد: إنه لسابح إذا مرّ يسرع.

وقال آخرون: هي النجوم تسبح في فلکها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾** قال: هي النجوم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: هي السفن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾** قال: السفن.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سَبْحًا من خلقه، ولم يخص من ذلك بعضاً دون بعض، فذلك^(٢) كل سابح، لما وصفنا قبل في «النازعات»^(٣).

وقوله: **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾** اختلف أهل التأويل فيها، فقال بعضهم: هي الملائكة.

(١) كأن جابراً يرى تفسير السابحات وهي جمع، بالموت وهو مفرد، ليس بشيء، ولذلك قال هكذا وجدته في كتابي لعله يريد: هكذا كتبه كما سمعته عن الشيخ.

(٢) فذلك... لعل أصل العبارة: فشمّل ذلك... الخ.

(٣) أي في تأويل لفظ «النازعات».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾** قال: الملائكة. وقد:

حدثنا بهذا الحديث أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾** قال: الموت.
وقال آخرون: بل هي الخيل السابقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن واصل بن السائب، عن عطاء **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾**. قال: الخيل.

وقال آخرون: بل هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾** قال: هي النجوم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

والقول عندنا في هذه، مثل القول في سائر الأحرف الماضية.

وقوله: **﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾** يقول: فالملائكة المدبرة ما أمّرت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾** قال: هي الملائكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾** يقول تعالى ذكره: **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ لِلنَّفْخَةِ الْأُولَى ﴿تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾** تتبعها أخرى بعدها، وهي النفخة الثانية التي رَدِفَتِ الْأُولَى، لبعث يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يقول: النسخة الأولى. وقوله: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يقول: النسخة الثانية.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يقول: تتبع الآخرة الأولى، والراجفة: النسخة الأولى، والرادفة: النسخة الآخرة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال: هما النسختان: أما الأولى فتمت الأحياء، وأما الثانية فتحي الموتى ثم تلا الحسن: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال: هما الصيحتان، أما الأولى فتمت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة فتحي كل شيء بإذن الله إن نبي الله ﷺ كان يقول: «بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ» قال أصحابه: والله ما زادنا على ذلك. وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يَبْعَثُ فِي تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ مَطَرًا يُقَالُ لَهُ الْحَيَاءُ، حَتَّى تَطْيِبَ الْأَرْضُ وَتَهْتَرَّ، وَتَنْبِتَ أَجْسَادَ النَّاسِ نَبَاتَ الْبَقْلِ، ثُمَّ تُنْفَخُ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر الصور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ»، قال: فكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفْخَاتٍ: الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصُّعْقِ، وَالثَّلَاثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ، فَيَفْرَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ فَيُدِيمُهَا، وَيَطْوِلُهَا، وَلَا يَفْتُرُ، وَهِيَ الَّتِي تَقُولُ: مَا يَنْظُرُ هَوْلًا إِلَّا صِيحَّةٌ وَاحِدَةٌ مَالِهَا مِنْ فَوَاقٍ، فَيَسِيرُ اللَّهُ الْعِجَالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتُرْجَخُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي، عن أبيه، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ فقال: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: النسخة الأولى، ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: النسخة الآخرة.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ﴾ قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة. وقوله: ﴿الرَّادِفَةُ﴾ قال: هو قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فدكتا ذكة واحدة.

وقال آخرون: ترجف الأرض، والرادفة: الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ﴾ الأرض، وفي قوله: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال: الرادفة: الساعة.

واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: قوله ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: قسم والله أعلم على ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ وإن شئت جعلتها على ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا، وفي كل الأمور. وقال بعض نحويي الكوفة: جواب القسم في النازعات: ما ترك، لمعرفة السامعين بالمعنى، كأنه لو ظهر كان لَتَبَعَثُنَّ ولتحاسبن قال: ويدل على ذلك ﴿أَيُّدًا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً﴾ ألا ترى أنه كالجواب لقوله: ﴿لَتَبَعَثُنَّ﴾ إذ قال: ﴿أَيُّدًا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً﴾. وقال آخر منهم نحو هذا، غير أنه قال: لا يجوز حذف اللام في جواب اليمين، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها، وذلك أنها تلي كل كلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جواب القسم في هذا الموضع، مما استغني عنه بدلالة الكلام، فترك ذكره.

وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قلوب خلق من خلقه يومئذ خائفة من عظيم الهول النازل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يقول: خائفة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: واجفة: خائفة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في «واجفة»، قال: خائفة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يقول: خائفة، وجفت مما عاينت يومئذ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال: الواجفة: الخائفة.

وقوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يقول: أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم، من عظيم هول ذلك اليوم، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ قال: خاشعة للذل الذي قد نزل بها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يقول: ذليلة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَوْ أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٣١﴾ أَوْ إِنَّا لَكُنَّا عِطْمًا تَحَرَّةً ﴿١٣٢﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٣٣﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣٤﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٣٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أننا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا؟ وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء ومنه قول الشاعر:

أحافرة على صلح وشيب
معاذ الله من سفه وطيش^(١)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) البيت في «اللسان» حفر ولم ينسبه. والرواية فيه وفي تفسير الشوكاني (٣٦٣/٥) «من سفه وعار» قال في «اللسان» يقال: رجع على حافرته: أي الطريق الذي جاء منه. والحافرة الخلقة الأولى، وفي التنزيل: ﴿أنا لمردودون في الحافرة﴾ أي في أول أمرنا. وأنشد ابن الأعرابي:

«أحافرة.....»

البيت». يقول: أُرْجِعْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ فِي شِبَابِي وَأَمْرِي الْأَوَّلِ، مِنَ الْغَزْلِ أَوْ الصَّبَا، بَعْدَمَا شَبِتَ وَصَلَعَتْ. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» أننا لمردودون في الحافرة: من حيث كنا، يقال: رجع فلان في حافرته: من حيث جاء، وعلى حافرته: من حيث كان أهـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿الْحَافِرَةُ﴾: يقول: الحياة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يقول: أننا لنحيا بعد موتنا، وتُبعث من مكاننا هذا؟

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة يقول: ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: أيننا لمبعضوثون خلقاً جديداً؟

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال: أي مردودون خلقاً جديداً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس أو محمد بن كعب القرظي ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال: في الحياة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال: في الحياة.

وقال آخرون: الحافرة: الأرض المحفورة التي حُفرت فيها قبورهم، فجعلوا ذلك نظير قوله: ﴿مِنْ مَاءٍ ذَاقِقٍ﴾ يعني مدفوق، وقالوا: الحافرة بمعنى المحفورة، ومعنى الكلام عندهم: أننا لمردودون في قبورنا أمواتاً؟

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْحَافِرَةُ﴾ قال: الأرض، تُبعث خلقاً جديداً، قال: البعث.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال: الأرض، تُبعث خلقاً جديداً.

وقال آخرون: الحافرة: النار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قول الله: ﴿أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: قال: الحافرة: النار، وقرأ قول الله: ﴿تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ قال: ما أكثر أسماءها، هي النار، وهي الجحيم، وهي سَقْرٌ، وهي جَهَنَّم، وهي الهاوية، وهي الحافرة، وهي لَطْفَى، وهي الحُطْمَة.

وقوله: ﴿أَيْدَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة ﴿نَخِرَةً﴾ بمعنى: بالية. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: «ناخِرَةً» بألف، بمعنى: أنها مجوّفة، تنخّر الرياح في جوفها إذا مرّت بها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: الناخرة والنخيرة: سواء في المعنى، بمنزلة الطامع والطمع، والباخل والبخل وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا: ﴿نَخِرَةً﴾، بغير ألف، بمعنى: بالية، غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف، فأعجّب إليّ لذلك أن تُلحَق ناخرة بها، ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها. ذكر من قال ﴿نَخِرَةً﴾: بالية:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿أَيْدَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً﴾ فالنخرة: الفانية البالية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿عِظَاماً نَخِرَةً﴾ قال: مرفوثة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَيْدَا كُنَّا عِظَاماً﴾: تكذيباً بالبعث، ناخرة: بالية.

قالوا ﴿تِلْكَ إِذْأَ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه عن قيل هؤلاء المكذّبين بالبعث، قالوا: تلك، يعنون تلك الرجعة، أحياء بعد الممات، إذأ: يعنون الآن كرة، يعنون رجعة خاسرة، يعنون غابنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذْأَ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي رجعة خاسرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تِلْكَ إِذْأَ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. قال: وأي كرة أخسر منها، أحيوا ثم صاروا إلى النار، فكانت كرة سوء.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، ونفخة تُنفخ في الصور، وذلك هو الزجيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال: صيحة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿رُجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال: الرُّجْرَةُ: النّفخة في الصّور.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا هؤلاء المكذّبون بالبعث، المتعجبون من إحياء الله إياهم من بعد مماتهم، تكذيباً منهم بذلك، بالساهرة، يعني بظهر الأرض. والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض: ساهرة، وأراهم سموا ذلك بها، لأن فيه نوم الحيوان وسهرها، فوصف بصفة ما فيه ومنه قول أمية بن الصلت:

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَيَخِرُ وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ^(١)
ومنه قول أخي نهم يوم قار لفرسه:

أَقْدِمُ «مِحَاجٌ» إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا يَهُوَلُكَ رِجْلُ نَادِرِهِ
فَإِنَّمَا قَصْرُكَ تَرْبُ السَّاهِرَةِ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ عِظَامًا نَاحِرَةً^(٢)

واختلف أهل التأويل في معناها، فقال بعضهم مثل الذي قلنا.

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه ٥٢ و «اللسان» سهر) وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٤) قال: «الساهرة» الفلاة، ووجه الأرض. قال أمية بن أبي الصلت:

«فِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ.....»

البيت» وناهوا: تكلموا. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٤٥٦) وقوله «فإذا هم بالساهرة» وهو وجه الأرض كأنها سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان: نومهم وسهرهم. وبإسناده إلى ابن عباس أنه قال: الساهرة الأرض. وأنشد:

«فَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ.....»

البيت». ا هـ. ويصف الجنة بأنهم يطعمون فيها لحماً من الصيد ولحم البحر، وكل ما فاهت به أفواههم من شيء، وجدوه حاضراً لديهم.

(٢) هذه خمسة أبيات من مشطور الرجز، نسبها صاحب «اللسان» نخر إلى الهمداني قال ابن بري: وقال الهمداني يوم القادسية ورواية البيتين الأولين مختلفة شيئاً وهي:

أَقْدِمُ أَخَانَهُمْ عَسَلَى الْأَسَاوِرَةِ وَلَا تَهُوَلُكَ رُؤُوسُ نَاسِرَةِ

وبعدهما بقية الأبيات، كرواية المؤلف. ومحاج في رواية المؤلف بفتح الميم وكسرهما: اسم فرس. ما على رواية ابن بري فإنه يخاطب رجلاً. والأساور: جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما؛ قيل كه ني «تاج العروس»: هو قائد الفرس، بمنزلة الأمير في العرب وقيل: هو الملك الأكبر. وقيل: هو الجيد الرمي بالسهم. وقيل: هو الثابت على ظهر الفرس. والنادرة: التي ندرت عن الجسد وفارقت. وقصرك: نهاية أمرك وغايته، والساهرة: الأرض أو الفلاة، كما تقدم ذكره. والحافرة: الأولى قبل الموت. والناخرة بمعنى النخرة، وهي البالية وفي «اللسان» نخر في قوله تعالى: ﴿إِنذًا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً﴾ وقرئ: ناخرة. قال: وناظرة أجود الوجهين. لأن الآيات بالألف؛ ألا ترى أن ناخرة مع الحافرة والساهرة، أشبه بمجىء التأويل. قال: والناخرة والنخرة: سواء في المعنى، بمنزلة الطامع والطمع. قال ابن بري: قال الهمداني يوم القادسية: =

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: على الأرض، قال: فذكر شعراً قاله أمية بن أبي الصلت، فقال:

عِنْدَنَا صَيْدُ بَحْرِ وَصَيْدُ سَاهِرَةٍ^(١)

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيح، قال: ثنا أبو محصن، عن حصين، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: الساهرة: الأرض، أما سمعت: لهم صيد بحر، وصيد ساهرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يعني: الأرض.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: فإذا هم على وجه الأرض، قال: أو لم تسمعوا ما قال أمية بن أبي الصلت لهم:

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَيَخْرِي

حدثنا عمارة بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: فإذا هم على وجه الأرض، قال أمية:

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَيَخْرِي

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم على وجه الأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: المكان المستوي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال لما تباعد البعث في أعين

«أقدم أخانهم.....»

الآيات الخمسة. ١ هـ.

(١) هذا كلام غير موزون، وبيت أمية بن أبي الصلت تقدم قريباً. ونعيده هنا كما وجدناه في ديوانه: ٥٢.

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَيَخْرِي وَمَا فَافَقُوا بِهِ أَبْدًا مُقِيمٌ

القوم، قال الله ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَرْجَوَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يقول: فإذا هم بأعلى الأرض، بعد ما كانوا في جوفها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض، والأرض: الساهرة، قال: فإذا هم يخرجون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خُصيف، عن عكرمة وأبي الهيثم، عن سعيد بن جبير ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: بالأرض.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حصين، عن عكرمة، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾: وجه الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: الساهرة: ظهر الأرض فوق ظهرها.

وقال آخرون: الساهرة: اسم مكان من الأرض بعينه معروف.

نكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة، قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَرْجَوَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: بالصُّقْع الذي بين جبل حَسَّان، وجبل أريحاء، يمدّه الله كيف يشاء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: أرض بالشام. وقال آخرون: هو جبل بعينه معروف.

نكر من قال ذلك:

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا الحسن بن بلال، قال: ثنا حماد، قال: أخبرنا أبو سنان، عن وهب ابن منبه، قال في قول الله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: الساهرة: جبل إلى جنب بيت المقدس.

وقال آخرون: هي جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان العقيلي، قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: في جهنم. القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقَالَ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ (١٨)﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران، وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدس، يعني بالمقدس: المطهر المبارك. وقد ذكرنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى، فأغني عن إعادته في هذا الموضوع، وكذلك بيئنا معنى قوله: ﴿طُوًى﴾ وما قال فيه أهل التأويل، غير أنا نذكر بعض ذلك ها هنا. وقد اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿طُوًى﴾ فقال بعضهم: هو اسم الوادي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿طُوًى﴾ اسم الوادي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: اسم المقدس طُوًى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ كنا نحدث أنه قدس مرتين، واسم الوادي طُوًى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: طًا الأرض حافياً. ذكر بعض من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: طًا الأرض بقدمك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن الوادي قدس طُوًى: أي مرتين، وقد بيئنا ذلك كله ووجوهه، فيما مضى بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع. وقرأ ذلك الحسن بكسر الطاء، وقال: بُثَّتْ فيه البركة والتقدیس مرتين.

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «طوى» بالضم ولم يُجروه وقرأ ذلك بعض أهل الشام والكوفة: ﴿طوى﴾ بضم الطاء والتنوين.

وقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: نادى موسى ربه: أن اذهب إلى فرعون، فحذفت «أن»، إذ كان النداء قولاً، فكانه قيل لموسى قال ربه: اذهب إلى فرعون. وقوله: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ يقول: عتا وتجاوز حدّه في العدوان، والتكبر على ربه.

وقوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟ كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكى في القرآن كله: الإسلام وقرأ قول الله ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: من أسلم، وقرأ: ﴿وَمَا يُذْرِكُ لَعَلَّهُ يَزْكَىٰ﴾ قال: يسلم، وقرأ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَىٰ﴾ أن لا يسلم.

حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: ثنا حفص بن غَمَر العَدَنِيّ، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، قول موسى لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿تَزْكَىٰ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة: «تَزْكَىٰ» بتشديد الزاي، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ بتخفيف الزاي. وكان أبو عمرو يقول، فيما ذكر عنه: «تَزْكَىٰ» بتشديد الزاي، بمعنى: تتصدّق بالزكاة، فتقول: تتزكى، ثم تدغم وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدّق وهو كافر، إنما دعاه إلى الإسلام، فقال: تزكى: أي تكون زاكياً مؤمناً، والتخفيف في الزاي هو أفصح القراءتين في العربية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشِيَ﴾ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَخَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى: قل لفرعون: هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضي ربك وذلك الدين القيم ﴿فخشى﴾ يقول: فتحشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه.

وقوله: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: فأرى موسى فرعون الآية الكبرى، يعني الدلالة الكبرى على أنه الله رسول أرسله إليه، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء

ل لناظرين، وعصاه إذا تحوّلت ثعباناً مبيّناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، عن محمد بن سيف أبي رجاء، هكذا هو في كتابي، وأظنه عن نوح بن قيس، عن محمد بن سيف، قال: سمعت الحسن يقول في هذه الآية: ﴿فَأَرَاهُ الْكُتُبَى﴾ قال: يده وعصاه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَأَرَاهُ الْكُتُبَى﴾ قال: عصاه ويده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَأَرَاهُ الْكُتُبَى﴾ قال: رأى يد موسى وعصاه، وهما آيتان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ قال: عصاه ويده.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ قال: العصا والحية.

وقوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ يقول: فكذب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه، وخشيته إياه.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ يقول: ثم ولى معرضاً عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده ﴿يسعى﴾ يقول: يعمل في معصية الله، وفيما يسخطه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. قوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ قال: يعمل بالفساد.

وقوله: ﴿فَحَشْرَ فَنَادَى﴾ يقول: فجمع قومه وأتباعه. فنَادَى فِيهِمْ ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ الذي كلُّ ربِّ دوني، وكذب الأحمق. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَحَشْرَ فَنَادَى﴾ قال: صرخ وحشر قومه، فننادى فيهم، فلما اجتمعوا قال: أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ أَنتُمْ أَنشَأْتُمْ خَلَاقًا مِّمَّنْ أَنشَأْتُمْ بَنِيهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ فعاقبه الله ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ يقول عقوبة الآخرة من كلمتيه، وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر، وسئل عن هذا، فقال: كان بينهما أربعون سنة، بين قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، قال: هما كلمتاه، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قيل له: من ذكره؟ قال: أبو حُصَيْن، ف قيل له: عن أبي الضَّحَى، عن ابن عباس؟ قال: نعم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: أما الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وأما الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضَّاح، عن عبد الكريم الجَزْرِيِّ، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: هو قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وكان بينهما أربعون سنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عَوَانة، عن إسماعيل الأسدي، عن الشعبي، بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن زكريا، عن عامر ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: هما كلمتاه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ و﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾: فذلك قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، والآخرة في قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: أخبرني من سمع مجاهداً يقول: كان بين قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وبين قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ أربعون سنة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ أما الأولى فحين قال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وأما الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، فأخذه الله بكلمتيه كليهما، فأغرقه في اليم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: اختلفوا فيها، فمنهم من قال: نكال الآخرة من كلمتيه، والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

وقال آخرون: عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، عجل الله له الغرق، مع ما أعد له من العذاب في الآخرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة الجعفي، قال: كان بين كلمتي فرعون أربعين سنة، قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن ثوير، عن مجاهد، قال: مكث فرعون في قومه بعدما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ أربعين سنة.

وقال آخرون: بل عني بذلك: فأخذه الله نكال الدنيا والآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هُوْدَة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: الدنيا والآخرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ قال: عقوبة الدنيا والآخرة، وهو قول قتادة.

وقال آخرون: الأولى عصيانه ربه وكفره به، والآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** قال: الأولى تكذيبه وعصيانه، والآخرة قوله: **﴿أَنَا رَبُّكُمْ الأعلى﴾**، ثم قرأ: **﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأعلى﴾**، فهي الكلمة الآخرة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنه أخذه بأول عمله وآخره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** قال: أول عمله وآخره.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** قال: أول أعماله وآخرها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور. عن معمر، عن الكلبي: **﴿أَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** قال: نكال الآخرة من المعصية والأولى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قوله: **﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** قال: عمله للآخرة والأولى.

وقوله: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾** يقول تعالى ذكره: إن في العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا، وفي أخذه إياه، نكال الآخرة والأولى: عظة ومعتبراً لمن يخاف الله. ويخشى عقابه، وأخرج نكال الآخرة مصدراً من قوله **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾** لأن قوله: **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾** نكل به، فجعل **﴿نَكَالَ الآخِرَةِ﴾** مصدراً من معناه، لا من لفظه.

وقوله: **﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾** يقول تعالى ذكره للمكذبين بالبعث من قريش، القائلين **﴿أَيْنَذَا كُنَّا عِظْماً نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾**: أأنتم أيها الناس أشد خلقاً، أم السماء بناها ربكم؟ فإن من بنى السماء فرفعها سقفاً، هيّن عليه خلقكم وخلق أمثالكم، وإحياءكم بعد مماتكم. وليس خلقكم بعد مماتكم بأشد من خلق السماء. وعُني بقوله: **﴿بَنَاهَا﴾**: رَفَعَهَا، فجعلها للأرض سقفاً.

وقوله: **﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾** يقول تعالى ذكره: فسوى السماء، فلا شيء أرفع من شيء، ولا شيء أخفض من شيء، ولكن جميعها مستوي الارتفاع والامتداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ يقول: رفع بناءها فسَوَّاهَا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ قال: رفع بناءها بغير عمد.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ يقول: بُنِيَانَهَا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُغَمَهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْحَيَّالَ أَرْسَلْنَا ﴿٣٢﴾﴾

وقوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأظلم ليل السماء، فأضاف الليل إلى السماء، لأن الليل غروب الشمس، وغروبها وطلوعها فيها، فأضيف إليها لَمَّا كان فيها، كما قيل نجوم الليل، إذ كان فيه الطلوع والغروب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول: أظلم ليلها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول: أظلم ليلها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: أظلم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: أظلم ليلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: أظلم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: الظلمة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول: أظلم ليلها.

حدثنا محمد بن سنان القزازي، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم عن عكرمة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: أظلم ليلها.

وقوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ يقول: وأخرج ضياءها، يعني: أبرز نهارها فأظهره، ونور ضحاهها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ نورها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ يقول: نور ضياءها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قال: نهارها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قال: ضوء النهار.

وقوله: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فقال بعضهم: دُجيت الأرض من بعد خلق السماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خَلَقَ الأَرْضَ بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ يعني: أن الله

خلق السموات والأرض، فلما فرغ من السموات قبل أن يخلق أقوات الأرض فيها، بعد خلق السماء، وأرسى الجبال، يعني بذلك دُخوها الأقوات، ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار، فذلك قوله: ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ألم تسمع أنه قال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دُحيت الأرض تحت البيت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن بكير بن الأحنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، ومنه دُحيت الأرض.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والأرض مع ذلك دحاهما، وقالوا: الأرض خُلقت ودحيت قبل السماء، وذلك أن الله قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ قالوا: فأخبر الله أنه سَوَّى السموات بعد أن خلق ما في الأرض جميعاً، قالوا فإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لقوله: ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ إلا ما ذكرنا، من أنه مع ذلك دحاهما، قالوا: وذلك كقول الله عز وجل: ﴿عُنُقٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ بمعنى: مع ذلك زنيم، وكما يقال للرجل: أنت أحمق، وأنت بعد هذا لثيم الحسب، بمعنى: مع هذا، وكما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أي من قبل الذكر، واستشهد بقول الهذلي:

حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَيَغْضُ الشَّرَّ أَهْوُونَ مِنْ بَغْضِ^(١)
وزعموا أن خراشاً نجا قبل عُرْوَة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن خَصِيف، عن مجاهد ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ قال: مع ذلك دحاهما.

حدثني ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، أنه قال: «وَالأَرْضُ عِنْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا».

(١) البيت لأبي خراش الهذلي (شرح التبريزي على الحماسة ٤٣/٢) من قصيدة له قالها في أخيه عروة وابنه خراش بن أبي خراش، وكان قوم من العرب أسروهما، فقتلوا عروة، ونجا خراش. وقد ذهب المؤلف إلى أن (بعد) في البيت بمعنى (مع) وكان الشاعر يقول: حمدت إلهي على نجاة خراش، مع ما أصبت به من قتل عروة أخي. وانظر (ديوان الهذليين ١٥٧/٢).

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا علي بن معبد، قال: ثنا محمد بن سلمة، عن خصيف، عن مجاهد **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** قال: مع ذلك دحاهما.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن السدي، في قوله: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** قال: مع ذلك دحاهما.

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدر فيها أقواتها، ولم يذُحها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، لأنه جل ثناؤه قال: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**، والمعروف من معنى «بعُد» أنه خلاف معنى «قَبْل»، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاهما، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمد يُقال منه: دحا يدحو دحواً، ودَحَيْتُ أَذْجِي دَحِيًّا لَغْتَانٍ وَمِنْهُ قَوْلُ أُمِّيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ:

دَا رَ دَحَاهَا ثُمَّ أَعْمَرْنَا بِهَا وَأَقَامَ بِالْأُخْرَى الَّتِي هِيَ أَمْجَدٌ^(١)
وقول أوس بن حجر في نعت غيث:

يَنْفِي الْحَصَى عَنْ جَدِيدِ الأَرْضِ مُبْتَرِكٌ كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاجِي^(٢)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**: أي بسطها.

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه ٦٣ عن تفسير الطبري) وفي «اللسان» دحا الدحو: البسط. دحا الأرض يدحوها دحواً: بسطها. ودحيت الشيء أدحاه: بسطته، لغة في دحوته، حكاهما اللحياني. وقال أبو عبيدة في «معجم القرآن» (١٨٤) دحاهما: بسطها. تقول: دحوت ودحيت أهـ.

(٢) البيت في «اللسان» دحا وفي الشطر الأول منه: «ينزع جلد الحصى أجش مبترك» وهو في وصف غيث. يقال: دحالمطر الحصى عن وجه الأرض دحواً: نزعه، والمطر الداحي: الذي ينزع الحصى عن وجه الأرض، والأجش: الذي في صوته خشونة. والمبترك: المعتمد على الشيء، الملح عليه والفاحص: الذي يفحص الأرض وينبشها ويحفرها والداحي: الذي يلعب بالمداحي، وهي أحجار أمثال القرصة، كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها تلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها، وإن لم يقع غلب والدحو هو رمي اللاعب بالحجر والجوز وغيره وتسمى الحفرة أحدية - والبيت شاهد كالذي قبله. والبيت متنازع في نسبه بين أوس وعبيد بن الأبرص. وهو في دوان أوس (ص - ٣) وفي ديوان عبيد (٣٥).

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا زَوَاد، عن أَبِي حمزة، عن السديّ ﴿دَحَاهَا﴾ قال: بسطها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان: دحاهها: بسطها.

وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿دَحَاهَا﴾ قال: حرثها شقّها وقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وقرأ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا...﴾ حتى بلغ ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، وقال حين شقّها أنبت هذا منها، وقرأ: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّدُوعِ﴾.

وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ يقول: فَجَرَّ فِيهَا الْأَنْهَارَ. ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ يقول: أنبت نباتها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما خلق الله فيها من النبات، وماءها: ما فَجَرَّ فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ.

وقوله: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ يقول: والجبال أثبتتها فيها، وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فيها، وذلك أن معنى الكلام: والجبال أرساها فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾: أي أثبتها لا تميّد بأهلها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ، عن عليّ قال: لما خلق الله الأرض قَمَصَتْ وَقَالَتْ: تَخْلُقْ عَلَيَّ أَدَمَ وَذَرَيْتَهُ يُلْقُونَ عَلَيَّ نَتْنَهُمْ، ويعملون عليّ بالخطايا فأرساها الله، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، فكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُجِرَ يَخْتَلِجُ لِحْمَهَا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٣٢) فَإِذَا سَاءَتِ الطَّامَةُ انْكَرَى (٣٤) يَوْمَ يَذُكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبَرَزَتِ الْوَيْدُ لِمَنْ بَرَى (٣٦)

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أنه خلق هذه الأشياء، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها، متفعة لنا، ومتاعاً إلى حين.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت التي تطم على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها، وقيل: إنها اسم من أسماء يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده.

حدثني محمد بن عُمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مغول، عن القاسم بن الوليد، في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ قال: سبق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يقول: إذا جاءت الطاممة يوم يتذكر الإنسان ما عمل في الدنيا من خير وشر، وذلك سعيه ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ يقول: وأظهرت الجحيم، وهي نار الله لمن يراها. يقول: لأبصار الناظرين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فأما من عتا على ربه، وعصاه واستكبر عن عبادته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿طَغَى﴾ قال: عصى.

قوله: ﴿وَأَتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول: وأثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعد الله فيها لأولياته، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يقول: فإن نار الله التي اسمها الجحيم، هي منزله ومأواه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ يقول: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يقول: فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة.

وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٧﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرهَا ﴿٤٨﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٩﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ خَشِئَهَا ﴿٥٠﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزْعَجُونَ إِلَّا عَائِدَةٌ تَرْجِعُهَا ﴿٥١﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يسألك يا محمد هؤلاء المكذبون بالبعث عن الساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم أيانَ مرساها، متى قيامها وظهورها؟ وكان الفراء يقول: إن قال قائل: إنما الإرساء للسفينة، والجبال الراسية وما أشبههن، فكيف وصفَ الساعة بالإرساء؟ قلت: هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست، ورسوها: قيامها قال: وليس قيامها كقيام القائم، إنما هي كقولك: قد قام العدل، وقام الحق: أي ظهر وثبت.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول الله لنبيه: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ يقول: في أي شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. وذكر أن رسول الله ﷺ كان يكثر ذكر الساعة، حتى نزلت هذه الآية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن طارق بن شهاب، قال: كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟... إلى ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ قال: الساعة.

وقوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ يقول: إلى ربك منتهى علمها، أي إليه ينتهي علم الساعة، لا يعلم وقت قيامها غيره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد: إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه، ولم تكلف علمَ وقت قيامها، يقول: فدع ما لم تكلف علمه، واعمل بما أمرت به، من إنذار من أمرت بإنذاره.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا﴾ فكان أبو جعفر القاري وابن محيـصن يقرآن: «مُنذِرٌ» بالثنوين، بمعنى: أنه منذرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا وقرأ ذلك سائر قراء المدينة ومكة والكوفة والبصرة بإضافة مُنذِرٍ إلى من.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهم قراءتان معروفتان، فبأيهما قرأ القاريء فمصيب. وقوله: ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ يقول جل ثناؤه: كأن هؤلاء المكذبين بالساعة، يوم يرون أن الساعة قد قامت، من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحا تلك العشية والعرب تقول: آتيتك العشية أو غداتها، وآتيتك الغداة أو عشيتها، فيجعلون معنى الغداة، بمعنى أول النهار، والعشية: آخر النهار، فكذلك قوله: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ إنما معناها إلا آخر يوم أو أوله، وينشد هذا البيت:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهِلَالِ أَوْ سِرَارِهَا^(١)
يعني: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

آخر تفسير سورة النازعات

(١) البيت لبعض بني عقيل، أنشده الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٧) عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، يقول القائل: وهل للعشي ضحى، إنما الضحى لصدر النهار؟ فهذا بين ظاهر من كلام العرب، أن يقولوا: آتيتك العشية أو غداتها، أو آتيتك الغداة أو عشيتها؛ تكون العشية في معنى: آخر، والغداة في معنى أول، أنشدني بعض بني عقيل:

نَحْنُ صَبَحْنَا.....

البيت، أراد: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية، فهذا أشد من آتيتك الغداة أو عشيتها هـ.

(٨٠) سورة عبس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ يَذَّكَّرُ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَسَنَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿عَبَسَ﴾: قَبَضَ وجهه تَكَرُّها، ﴿وَتَوَلَّى﴾ يقول: وأعرض ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ يقول: لأن جاءه الأعمى. وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يطول الألف ويمدّها من ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ فيقول: «أَنْ جَاءَهُ»، وكأنّ معنى الكلام كان عنده: «أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى عبس وتولى؟ كما قرأ من قرأ: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ بمدّ الألف من «أَنْ» وقصرها. وذكّر أن الأعمى الذي ذكره الله في هذه الآية، هو ابن أم مكتوم، عوتب النبي ﷺ بسببه. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا أبي، عن هشام بن عروة مما عرضه عليه عروة، عن عائشة قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم، قالت: أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي ﷺ يُعْرِضُ عنه، ويُقْبِلُ على الآخر، ويقول: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُهُ بِأَسْأ؟» فيقول: لا ففي هذا أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدى لهم كثيراً، ويُعْرِضُ عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له عبد الله بن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم حَفَقَ برأسه، ثم أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿١﴾، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له: «ما حاجتُك، هل تُريدُ من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لك حاجة في شيء؟» وذلك لما أنزل الله: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتغْنَى فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن هشام، عن أبيه، قال: نزلت في ابن أم مكتوم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: رجل من بني فهر، يقال له ابن أم مكتوم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: عبد الله بن زائدة، وهو ابن أم مكتوم، وجاءه يستقره، وهو يناجي أمية بن خلف، رجل من عليّة قريش، فأعرض عنه نبيّ الله ﷺ، فأنزل الله فيه ما تسمعون ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ «ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة، في غزوتين غزاهما يصلي بأهلها».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء، وعليه درع له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبيّ ﷺ وهو يكلم أبيّ بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله عليه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، فكان النبيّ ﷺ بعد ذلك يكرمه. قال أنس: فرأيت يوم القادسية عليه درع، ومعه راية سوداء.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ تصدى رسول الله ﷺ لرجل من مشركي قريش كثير المال، ورجا أن يؤمن، وجاء رجل من الأنصار أعمى، يقال له عبد الله بن أم مكتوم، فجعل يسأل نبيّ الله ﷺ، فكرهه نبيّ الله ﷺ وتولى عنه، وأقبل على الغنيّ، فوعظ الله نبيّه، فأكرمه نبيّ الله ﷺ، واستخلفه على المدينة مرّتين، في غزوتين غزاهما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: جاء ابن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ وقائده يبصر، وهو لا يبصر، قال: ورسول الله ﷺ يشير إلى قائده يكفّ، وابن أم مكتوم يدفعه ولا يبصر قال: حتى عبس رسول الله ﷺ، فعاتبه الله في ذلك، فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ

كَلَعَلَهُ يَزْكِي ﴿... إلى قوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله ﷺ كَتَمَ من الوحي شيئاً، كَتَمَ هذا عن نفسه قال: وكان يتصدى لهذا الشريف في جاهليته، رجاء أن يسلم، وكان عن هذا يتلهى.

وقوله: ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَهُ يَزْكِي﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وما يدريك يا محمد، لعل هذا الأعمى الذي عَبَسْتَ في وجهه يَزْكِي: يقول: يتطهر من ذنوبه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَعَلَهُ يَزْكِي﴾: يُسَلِّم.

وقوله: ﴿أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَفَعَهُ الذَّكْرَى﴾ يقول: أو يتذكر فتنفعه الذكرى: يعني يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ، والقراءة على رفع: «فِتْنَفَعُهُ» عطفاً به على قوله: ﴿يَذْكُرُ﴾، وقد روي عن عاصم النصب فيه والرفع، والنصب على أن تجعله جواباً بالفاء للعل، كما قال الشاعر:

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولَاتِهَا يُدِلُّنَا اللَّئِمَةَ مِنْ لَمَاتِهَا
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفَرَاتِهَا وَتُنْقَعُ الْعُلَّةُ مِنْ غَلَاتِهَا^(١)
«وتنقع» يروي بالرفع والنصب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَعْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنِ اسْتَعْنَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَكْفِي ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: أما من استغنى بماله، فأنت له تتعرض، رجاء أن يسلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان «أَمَّا مَنِ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» قال: نزلت في العباس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَعْنَى﴾ قال: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي» يقول: وأي شيء عليك أن لا يتطهر

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز، قد سبق الاستشهاد بالثلاثة الأولى في الجزء (٢/٧٤).

من كفره فيسلم؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ يقول: وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعيًا، وهو يخشى الله ويتقيه، ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ يقول: فأنت عنه تُغْرِض، وتَشَاغَلُ عنه بغيره وتَعَاغَلُ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكِّرُهُ﴾ (١١) ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٢) ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ (١٣) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦) ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَلْفُورُهُ﴾ (١٧).

يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا﴾ ما الأمر كما تفعل يا محمد، من أن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى، وتتصدى لمن استغنى ﴿إِنَّمَا تَذَكِّرُهُ﴾ يقول: إن هذه العظة وهذه السورة ﴿تذكرة﴾ يقول: عظة وعبرة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ يقول: فمن شاء من عباد الله ذكره، يقول: ذكر تنزيل الله ووحيه، والهاء في قوله «إِنَّمَا» للسورة، وفي قوله «ذَكَرَهُ» للتنزيل والوحي ﴿فِي صُحُفٍ﴾ يقول إنها تذكرة ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ يعني في اللوح المحفوظ، وهو المرفوع المطهر عند الله.

وقوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يقول: الصحف المكرمة بأيدي سَفَرَةٍ، جمع سافر.

واختلف أهل التأويل فيهم ما هم؟ فقال بعضهم: هم كتّبة.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يقول: كتّبة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قال: الكتّبة.

وقال آخرون: هم القراء.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قال: هم القراء.

وقال آخرون: هم الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿بِأَيْدِي سَفَرَةِ كِرَامِ بَرْزَةِ﴾** يعني الملائكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿بِأَيْدِي سَفَرَةِ كِرَامِ بَرْزَةِ﴾** قال: السَّفَرَةُ: الذين يُحصون الأعمال.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: هم الملائكة الذين يَسْفرون بين الله ورسله بالوحي. وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سَفَرْتُ بين القوم: إذا أصلحت بينهم ومنه قول الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السُّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أُنْشِي بِغِيْشٍ إِنْ مَشَيْتُ^(١)

وإذا وُجِهَ التأويل إلى ما قلنا، احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكتّبة، والذي قاله القائلون هم الفُرّاء، لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب، وتُسَفر بين الله وبين رسله.

وقوله: **﴿كِرَامِ بَرْزَةِ﴾** والبَرْزَةُ: جمع بَرَزَ، كما الكَفَرَةُ جمع كافر، والسَّحَرَةُ جمع ساحر، غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا: رجل بَرَزَ، وامرأة بَرَزَةٌ، وإذا جمعوا ردّوه إلى جمع فاعل، كما قالوا: رجل سَرِيٌّ، ثم قالوا في جمعه: قوم سَرَاة، وكان القياس في واحده أن يكون سارياً. وقد حُكي سماعاً من بعض العرب: قوم خَيْرَةَ بَرْزَةَ، وواحد الخَيْرَةُ: خَيْرٌ، والبَرْزَةُ: بَرَزَ.

وقوله: **﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾** يقول تعالى ذكره: لعن الإنسان الكافر ما أكفره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا عبد الحميد الجُماني، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: ما كان في القرآن **﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾** أو فُعل بالإنسان، وإنما عني به الكافر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾** بلغني أنه الكافر.

(١) البيت: من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٨) قال: وقوله «بأيدي سفرة»، وهم الملائكة، واحدهم سافر: والعرب تقول: سفرت بني القوم: إذا أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة، إذ نزلت بوحي الله وتأديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم. وقال الشاعر:

«وَمَا أَدْعُ السُّفَارَةَ...»

البيت: ا هـ. وفي «اللسان» سفر: وفي التنزيل: «بأيدي سفرة» قال المفسرون السفرة: يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بن آدم، واحدهم: سافر، مثل كاتب وكتبة ا هـ.

وفي قوله: ﴿أَكْفَرَهُ﴾ وجهان. أحدهما: التعجب من كفره، مع إحسان الله إليه، وأياديه عنده. والآخر: ما الذي أكفره، أي أي شيء أكفره؟

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مِنَ أَيِّ شَيْءٍ عَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ وَأَقَرَّهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَسْرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: من أي شيء خلق الإنسان الكافر ربّه حتى يتكبر. ويتعظّم عن طاعة ربه، والإقرار بتوحيده ثم بين جلّ ثناؤه الذي منه خلقه، فقال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ أحوالاً: نطفة تارة، ثم علقه أخرى، ثم مضّعة، إلى أن أتت عليه أحواله، وهو في رحم أمه ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يقول: ثم يسّره للسبيل، يعني للطريق.

واختلف أهل التاويل في السبيل الذي يسّره لها، فقال بعضهم: هو خروجه من بطن أمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يعني بذلك: خروجه من بطن أمه يسّره له.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال: سبيل الرّجيم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السديّ، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال: خروجه من بطن أمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال: خروجه من بطن أمه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال: أخرجه من بطن أمه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: طريق الحقّ والباطل، يبيّنه له وأعملناه، وسهلنا له العمل به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال: هو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ قال: علي نحو ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: سبيل الشقاء والسعادة، وهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن؛ في قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ قال: سبيل الخير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ قال: هذه للإسلام الذي يسره له، وأعلمه به، والسبيل سبيل الإسلام.

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب. قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه، وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ يقول: ثم قبض رُوحه، فأماته بعد ذلك. يعني بقوله: ﴿أَقْبَرَهُ﴾: صيره ذا قبر، والقابر: هو الدافن المَيِّت بيده، كما قال الأعشى:

لَوْ أَسْتَدَدْتَ مَيِّتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرٍ^(١)
والمُقْبِر: هو الله، الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته، فصيره ذا قبر. والعرب تقول فيما

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ١٣٩) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما. وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٥) قال: فأقبره: أمر بأن يقبر... والذي يدفن بيده هو القابر. قال الأعشى:

«لَوْ أَسْتَدَدْتَ مَيِّتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرٍ»

البيت. ا هـ. وفي «اللسان» قبر وقبره يقبره ويقبره (كيعفر ويدخل): دفنه وأقبره: جعل له قبراً، وأقبر: إذا أمر إنساناً بحفر قبر. قال أبو عبيدة: قالت بنو تميم للحجاج، وكان قتل صالح ابن عبد الرحمن أقبرنا صالحاً؛ أي ائذن لنا في أن نقبره؛ فقال لهم: دونكموه. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾. أي جعله مقبوراً، ممن يقبر، ولم يجعله من يلقى للطير والسباع ولا ممن يلقى في النواويس، كأن القبر مما أكرم به المسلم ا هـ.

ذُكِرَ لِي: بَتَّزْتُ ذَنْبَ الْبَعِيرِ، وَاللَّهُ أَبْتَرَهُ وَعَضَّبْتُ قَرْنَ الشَّوْرِ وَاللَّهُ أَعْضَبَهُ وَطَرَدْتُ عَنِي فُلَانًا، وَاللَّهُ أَطْرَدَهُ، صَيَّرَهُ طَرِيدًا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ يقول: ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه، يقال: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ، بِمَعْنَى: أَحْيَاهُ، وَنَشَرَ الْمَيِّتَ بِمَعْنَى حَيَّيْهُ هُوَ بِنَفْسِهِ وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ:

حَتَّى يَسْقُولَ النَّاسُ وَمَا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِمَيِّتِ النَّاشِرِ^(١)

وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدى حقَّ الله عليه، في نفسه وماله، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾: لم يؤدِّ ما فرض عليه من الفرائض ربُّه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ قال: لا يقضي أحد أبداً ما افترض عليه. وقال الحارث: كل ما افترض عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا مَبْنِيَّ اللَّهُ مَبْنِيَّ (٢٥) ثُمَّ سَقَمْنَا الْأَرْضَ سَقَمًا (٢٦) فَأَلْبَسْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبًّا وَقَضًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَمَدَائِقَ غَلًّا (٣٠)

يقول تعالى ذكره: فلينظر هذا الإنسان الكافر المنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره؟ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ وشرابه، قال: إلى ما أكله ومشربه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: آية لهم.

(١) وهذا البيت أيضاً للأعشى، من تلك القصيدة (ص ١٤١) وبعد البيت السابق بلا فاصل بينهما. وهو من شواهد أبي عبيدة في «معاني القرآن» (الورقة ١٨٥) قال أنشره أحياه، وأشر الميت (بالرفع على الفاعلية): حيي نفسه: وقال الأعشى:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بكسر الألف من «أنا»، على وجه الاستئناف، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «أنا» بفتح الألف، بمعنى: فليُنظر الإنسان إلى أنا، فيجعل «أنا» في موضع خفض، على نية تكرير الخافض، وقد يجوز أن يكون رفعاً إذا فُتحت، بنية طعامه أنا صببنا الماء صباً.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان معروفتان: فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالاً، وصببناه عليها صباً ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ يقول: ثم فتحنا الأرض، فصَدَعْنَاهَا بالنبات ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: يعني حبّ الزرع، وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب، كالحنطة والشعير وغير ذلك ﴿وَعِنْبًا﴾ يقول: وكرم عنب. ﴿وَقَضْبًا﴾ يعني بالقَضْب: الرُّطْبَة، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقَضْبًا﴾ يقول: الفِصْفِصَة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقَضْبًا﴾ قال: والقضب: الفَصَافِص. قال أبو جعفر رحمه الله: الفِصْفِصَة: الرُّطْبَة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَقَضْبًا﴾ يعني الرطبة.

حدثنا بشر، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَقَضْبًا﴾ قال: القضب: العَلْف.

وقوله: ﴿وَرَيْثُونًا﴾ وهو الزيتون الذي منه الزيت ﴿وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ وقد بينا أن الحديقة البستان المحوَّط عليه. وقوله: ﴿غُلْبًا﴾ يعني: غلاظاً. ويعني بقوله: ﴿غُلْبًا﴾ أشجاراً في بساتين غلاظ. والغلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة من الرجال ومنه قول الفرزدق:

عَوَى فَأَسَارَ أَغْلَبَ ضَيْعَمِيًّا فَوَيْلَ ابْنِ الْمَرَاغَةِ مَا اسْتَسَارَا؟^(١)

(١) البيت للفرزدق يهجو جريراً (ديوان الفرزدق ٤٤٣) وفي «اللسان»: غلب والغلب: غلظ العنق وعظمها، وهو أغلب غليظ الرقبة، وهم يصفون أبدأ السادة بغلظ الرقبة وطولها، وقد يستعمل ذلك في غير الحيوان كقولهم حديقة غلباء: أي عظيمة متكاثفة ملتفة. وفي التنزيل: ﴿وحدائق غلبا﴾. وأسد أغلب: غليظ الرقبة. والضيغم والضيغمي: الشديد العض، من الضغم وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٥) حدائق غلباً: يقال: نخلة وشجرة غلباء: إذا كانت غليظة أ هـ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، على اختلاف منهم في البيان عنه، فقال بعضهم: هو ما التفّ من الشجر واجتمع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ قال: الحدائق: ما التفّ واجتمع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ قال: طيبة.

وقال آخرون: الحدائق: نبت الشجر كله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عصام، عن أبيه: الحدائق: نبت الشجر كلها.

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ قال: الشجر يُستظلّ به في الجنة.

وقال آخرون: بل الغلب: الطوال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ يقول: طوالاً.

وقال آخرون: هو النخل الكرام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ والغلب: النخل الكرام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ قال: النخل الكرام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾:

عظام النخل العظيمة الجذع، قال: والغلب من الرجال: العظام الرقاب، يقال: هو أغلب الرقبة: عظيمها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة ﴿حَدَائِقُ غُلْبًا﴾ قال: عظام الأوساط.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لِّكُرِّهِمْ وَلَا تَلْمِزُهُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِيهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلِيهِ وَبَيْتِهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ صَالِحَةٌ مُّشْتَبِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا عَمْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْفَعُهَا قُرَّةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْعَجْرَةُ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره: وفاكهة: ما يأكله الناس من ثمار الأشجار، والأب: ما تأكله البهائم من العُشب والنبات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن ﴿وَفَاكِهَةً﴾ قال: ما يأكل ابن آدم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَفَاكِهَةً﴾ قال: ما أكل الناس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَفَاكِهَةً﴾ قال: أما الفاكهة فلکم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَفَاكِهَةً﴾ قال: الفاكهة لنا.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا حميد، قال: قال أنس بن مالك: قرأ عمر: عَبَسَ وَتَوَلَّى حتى أتى على هذه الآية: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد علمنا ما الفاكهة، فما الأب؟ ثم أحسبه «شك الطبري» قال: إن هذا لهو التكلف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد عرفنا

الفاكهة، فما الأب؟ قال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن موسى بن أنس، عن أنس، قال: قرأ عمر: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ ومعه عصا في يده، فقال: ما الأب؟ ثم قال: بحسبنا ما قد علمنا، وألقى العصا من يده.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن خليد بن جعفر، عن أبي إياس معاوية بن قرة، عن أنس، عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن هذا هو التكلف.

قال: وحدثني قتادة، عن أنس، عن عمر بنحو هذا الحديث كله.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: عدّ سبعاً، جعل رزقه في سبعة، وجعله من سبعة، وقال في آخر ذلك: الأب ما أنبت الأرض، مما لا يأكل الناس.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأب: نبت الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبّير، قال: عدّ ابن عباس، وقال: الأب: ما أنبت الأرض للأنعام، وهذا لفظ حديث أبي كريب. وقال أبو السائب في حديثه، قال: ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأب: الكلاً والمرعى كله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، قال: الأب النبت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أو غيره، عن مجاهد، قال: الأب: المرعى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد ﴿وَأَبًّا﴾: المرعى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن ﴿وَأَبًّا﴾ قال: الأب: ما تأكل الأنعام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَبَا﴾ قال: الأب: ما أكلت الأنعام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أما الأب: فلأنعامكم نعم من الله متظاهرة.

حدثنا ابن بشر، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَبَا﴾ قال: الأب: العشب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، وكتادة، في قوله: ﴿وَأَبَا﴾ قال: هو ما تأكله الدواب.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأَبَا﴾ يعني: المرعى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَبَا﴾ قال: الأب لأنعامنا، قال: والأب: ما ترعى. وقرأ: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس وعمرو بن الحارث، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال الله: ﴿وَقَضْباً وَرَيْثُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ كل هذا قد علمناه، فما الأب؟ ثم ضرب بيده، ثم قال: لعمر إن هذا لهو التكلف، واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب. قال عمر: وما يتبين فعليكم به، وما لا فدهوه.

وقال آخرون: الأب: الثمار الرطبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَبَا﴾ يقول: الثمار الرطبة.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ﴾ يقول: أنبتنا هذه الأشياء التي يأكلها بنو آدم متاعاً لكم أيها الناس، ومنفعة تتمعون بها، وتتفعمون، والتي يأكلها الأنعام لأنعامكم، وأصل الأنعام الإبل، ثم تستعمل في كل راعية. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ قال: متاعاً لكم الفاكهة، ولأنعامكم العشب.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ ذكر أنها اسم من أسماء القيامة، وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاح فلان لصوت فلان: إذا استمع له، إلا أن هذا يقال منه: هو مُصِيخ له، ولعل الصوت هو الصاخ، فإن يكون ذلك كذلك، فينبغي أن يكون قيل ذلك لشفخة الصور. ذكر من قال: هو اسم من أسماء القيامة:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ قال: هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله، وحذره عباده.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يقول: فإذا جاءت الصاخة، في هذا اليوم الذي يفِرُّ فيه المرء من أخيه. ويعني بقوله: يفِرُّ من أخيه: يفِرُّ عن أخيه ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعني زوجته التي كانت زوجته في الدنيا ﴿وَبَنِيهِ﴾ حذراً من مطالبتهم إياه، بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم.

وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾: يفِرُّ عن أخيه لثلا يراه، وما ينزل به، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ يعني من الرجل وأخيه وأمه وأبيه، وسائر من ذكر في هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة إذا جاءت الصاخة يوم القيامة ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يقول: أمر يغنيه، ويشغله عن شأن غيره، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أفضى إلى كلِّ إنسان ما يشغله عن الناس.

حدثنا أبو عمارة المَرْوَزِيّ الحسين بن حُرَيْث، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني سائلتك عن حديث أخبرني أنت به، قال: «إِنَّ كَأَنَّ عِنْدِي مِنْهُ عَلْمٌ» قالت: يا نبي الله، كيف يُخْشَرُ الرجال؟ قال: «خُفَاءَ عُرَاةٍ». ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله كيف يُخْشَرُ النساء؟ قال: «كَذَلِكَ خُفَاءَ عُرَاةٍ». قالت: واسوءتاه من يوم القيامة قال: «وَعَنْ ذَلِكَ تَسْأَلِينِي، إِنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ لَا يَضْرُكُكَ كَانَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ أَمْ لَا»، قالت: أي آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» قال: شأن قد شغله عن صاحبه.

وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذٍ مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضي الله عنهم. يقال: أسفر وجه فلان: إذا حَسُنَ، ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء، وكلّ مضيء فهو مُسْفِرٌ وأما سَفَرٌ بغير ألف، فإنما يقال للمرأة إذا أَلْتَتْ نقابها عن وجهها أو برقعها، يقال: قد سَفَرَت المرأة عن وجهها، إذا فعلت ذلك، فهي سافرة ومنه قول تَوْبَةَ بن الحَمِيرٍ:

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبْرَقَعَتْ فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورَهَا^(١)

يعني بقوله «سفورها»: إلقاءها برقعها عن وجهها.

﴿ضَاحِكَةٌ﴾ يقول: ضاحكة من السرور بما أعطهاها الله من النعيم والكرامة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ لما ترجو من الزيادة. وينحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ يقول: مشرقة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ قال: هؤلاء أهل الجنة.

وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ووجوه وهي وجوه الكفار يومئذٍ عليها غبرة. ذكر أن البهائم التي يصيرها الله تراباً يومئذٍ بعد القضاء بينها، يحول ذلك التراب غَبْرَةً في وجوه أهل الكفر ﴿تَرَهَّقُهَا قَتْرَةٌ﴾ يقول: يغطي تلك الوجوه قَتْرَةٌ، وهي الغَبْرَةُ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) البيت لتوبة من الحمير صاحب ليلى الأخيلية. وفي «اللسان» سفر سفر الصبح وأسفر: أضاء، وأسفر القوم: أصبحوا وأسفر وجهه حسناً وأسفر: أشرق. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ قال الفراء: أي مشرقة مضيئة، وقد أسفر الوجه ذكرها داود الأنطاكي في كتابه تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق (٩٦ - ٩٧) و«الأغاني» (٢٠٤/١١، ٢٥٠) قال أبو الفرج: كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلى الأخيلية، خرجت إليه في برقع، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم، فكثروا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحذره، فركض فرسه فنجأ، وذلك قوله:

«وكسنت إذا ما جئت ليلى...»

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَرْهَقْهَا قَتْرَةٌ﴾ يقول: تغشاها ذلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَرْهَقْهَا قَتْرَةٌ﴾ قال: هذه وجوه أهل النار قال: والقَتْرَةُ من العَبْرَةِ، قال: وهما واحد قال: فأما في الدنيا فإن القترة: ما ارتفع، فلحق بالسماء، ورفعته الريح، تسميه العرب القترة، وما كان أسفل في الأرض فهو الخبرة.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله، كانوا في الدنيا الفجرة في دينهم، لا يباليون ما أتوا به من معاصي الله، وركبوا من محارمه، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده.

آخر تفسير سورة عبس

(٨١) سورة التكوير مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إذا الشمس ذهب ضوءها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن الحرith، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ثني أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واحترقت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحش، وماجوا بعضهم في بعض ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: اختلطت ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أهملها أهلها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة، إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتتهم.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يقول: أظلمت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: ذهبت.

حدثني محمد بن عمارة، حدثني عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي

يحيى، عن مجاهد ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: اضمحلت وذهبت.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: ذهب ضوءها فلا ضوء لها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: عُورَتْ، وهي بالفارسية، كور تكور.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أما تكوير الشمس: فذهابها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كُورَتْ كوراً بالفارسية.
وقال آخرون: معنى ذلك: رُمي بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام بن عليّ، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: نُكِّسَتْ.

حدثني محمد بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح مثله.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا بدل بن المحبر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت إسماعيل، سمع أبا صالح في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: أَلْقَيْتَ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن ربيع بن خيثم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: رُمي بها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم، مثله.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال ﴿كُوِّرَتْ﴾ كما قال الله جلّ ثناؤه والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وتكوير الكارة، وهي جمع الشيايب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها. فعلى التأويل الذي تأولناه وبينناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل، وجه

صحيح، وذلك أنها إذا كُورَتْ ورُمي بها، ذهب ضوءها.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ يقول: وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت، وأصل الانكدار: الانصباب، كما قال العجاج:

أَبْصَرَ خِرْبَانَ قَضَاءٍ فَاثْكَدَرَ^(١)

يعني بقوله: انكدر: انصب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ قال: تناثرت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم، مثله.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ قال: تناثرت.

حدثني محمد بن موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح، في قوله ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ قال: انتشرت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ قال: تساقطت وتهافتت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ قال: رمي بها من السماء إلى الأرض.

وقال آخرون: انكدرت: تغيرت.

(١) البيت: للعجاج الراجز (ديوانه ١٧) وقبله:

تَقْضَى الْبِازِي إِذَا الْبِازِي كَسَرَ

وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١٨٥ قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ يقال: انكدر فلان: انصب، قال العجاج:

«أَبْصَرَ خِرْبَانَ قَضَاءٍ فَاثْكَدَرَ...»

البيت: والخربان: جمع خرب بالتحريك: ذكر الحباري، وقيل: هو الحباري كلها. يريد أن البازي قد انقض من أعلى الجو، لأنه رأى أسراب الحباري على الأرض، فانقض ليصيدها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ يقول: تغيرت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يقول: وإذا الجبال سيرها الله، فكانت سرايا، وهباء منبأ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ قال: ذهب.

قوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ والعشار: جمع عشاء، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم، فكيف غيرها؟ وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن الحرث، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ثني أبي بن كعب ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: إذا أهملها أهلها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: خلا منها أهلها لم تحلب ولم تُصَرَّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: لم تحلب ولم تُصَرَّ، وتخلي منها أربابها.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: سُيِّت: تُرِكَت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: عِشَار الإبل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هودة، قال: ثنا عوف، عن الحسن ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: سبها أهلها فلم تصر، ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾** قال: عشار الإبل سئيت.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾** يقول: لا راعي لها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا الْأَنْفُسُ زُجِرَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُبِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الْصُخُفُ نُسِرَتْ ۝١٠﴾

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾** فقال بعضهم: معنى ذلك: ماتت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن مسلم الطوسي، قال: ثنا عباد بن العوام، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾** قال: حَشِرُ البهائم: موتها، وحشر كل شيء: الموت، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن ربيع بن خيثم **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾** قال: أتى عليها أمر الله، قال سفيان، قال أبي، فذكرته لعكرمة، فقال: قال ابن عباس: حَشَرُهَا: موتها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم، بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وإذا الوحوش اختلطت.

نكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن حريث، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال: ثنا أبي بن كعب **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾** قال: اختلطت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: جُمعت.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾** هذه

الخلاتق موافية يوم القيامة، فيقضي الله فيها ما يشاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى حشرت: جمعت، فأميتت لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع ومنه قول الله ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يعني: مجموعة.

وقوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وإذا البحار اشتعلت ناراً وحميت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن حريث، قال: ثنا الفضل بن موسى، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ثنا أبي بن كعب ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي تأجج ناراً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن داود، عن سعيد بن المسيب، قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ مخففة.

حدثني حوثة بن محمد المنقري، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا مجالد، قال: أخبرني شيخ من بجيلة عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث عليها ريحاً دبوراً، فتنفخه حتى يصير ناراً، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: إنها توقد يوم القيامة، زعموا ذلك التسجير في كلام العرب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، في قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: بمنزلة التنور المسجور ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ مثله.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: أوقدت.

وقال آخرون: معنى ذلك: فاضت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن ربيع بن خيثم **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: فاضت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن ربيع، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي، في قوله: **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: مُلِثت، ألا ترى أنه قال: **﴿وَالْبَيْحِرِ الْمَسْجُورِ﴾**.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** يقول: فُجِّرَتْ.

وقال آخرون: بل عني بذلك أنه ذهب ماؤها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: غار ماؤها فذهب.

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسين، في هذا الحرف **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: ييست.

حدثنا الحسين بن محمد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، بمثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** قال: ييست.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: مُلِثت حتى فاضت، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر، فقال: وإذا البحار فجرت والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء: ماء مسجور ومنه قول لبيد:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مَتَّجَاوِرًا قُلَامُهَا^(١)
 ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء المدينة والكوفة: ﴿سُجِّرَتْ﴾: بتشديد الجيم. وقرأ ذلك بعض قراء البصرة: بتخفيف الجيم. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: ألحق كل إنسان بشكله، وقرن بين الضرباء والأمثال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن عمر رضي الله عنه ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ قال: هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة، ويدخلان به النار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ قال: هما الرجلان يعملان العمل، فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾، قال: ضرباءهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ قال: هما الرجلان يعملان العمل، يدخلان به الجنة أو النار.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير يقول: سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب، قال: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ قال: أزواج في الجنة، وأزواج في النار.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن قول الله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ قال: يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار.

(١) البيت للبيد في معلقة (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي) وقد مر استشهاده المؤلف به في الجزء (٧١/١٦)، فارجع إليه ثمة.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا محمد بن الصباح الدَّولابي، عن الوليد، عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ والنعمان عن عمر وقال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الضُّرْبَاءُ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: هم الضُّرْبَاءُ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: أَلْحَقَ كُلَّ أَمْرٍ بِشِيعَتِهِ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الأمثال من الناس جُمع بينهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: لحق كل إنسان بشيعته، اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: يحشر المرء مع صاحب عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع، قال: يجيء المرء مع صاحب عمله.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن الأرواح رَدَّتْ إِلَى الْأَجْسَادِ فزُوِّجَتْ بِهَا: أَي جَعَلَتْ لَهَا زَوْجاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو، عن عكرمة ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الأرواح تَرَجَعُ إِلَى الْأَجْسَادِ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي أنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: زُوِّجَتْ الْأَجْسَادُ فَرُدَّتْ الْأَرُوحُ فِي الْأَجْسَادِ.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن عكرمة ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ

رُوجَتْ ﴿ قَالَ: رَدَّتْ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ.

حدثني الحسن بن زريق الطهوي، قال: ثنا أسباط، عن أبيه، عن عكرمة، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلية، قال: أخبرنا داود، عن الشعبي، في قوله: ﴿وَإِذَا
الْأَنْفُسُ رُوجَتْ﴾ قال: رُوجَتْ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ.

وأولى التأويلين في ذلك بالصحة، الذي تأوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلة التي
اعتل بها، وذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، وقوله: ﴿اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ وذلك لا شك الأمثال والأشكال، في الخير والشر، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْأَنْفُسُ
رُوجَتْ﴾ بالقرناء والأمثال في الخير والشر.

وحدثني مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا عبد
العزیز بن مسلم القسملی عن الربیع بن أنس، عن أبي العالية في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾
قال: سيأتي أولها والناس ينظرون، وسيأتي آخرها إذا النفوس رُوجت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو
الضحى مسلم بن صبيح: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟ بمعنى: سألت الموءودة
الوائدين: بأي ذنب قتلوها. ذكر الرواية بذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، في قوله: ﴿وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾؟ قال: طلبت بدمائها.

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن الأعمش، قال: قال أبو
الضحى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ﴾؟ قال: سألت قتلها.

ولو قرأ قارئ ممن قرأ «سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» كان له وجه، وكان يكون معنى ذلك معنى
من قرأ «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» غير أنه إذا كان حكاية جاز فيه الوجهان، كما يقال: قال عبد الله بأي
ذنب ضرب كما قال عترة:

السَّائِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَبْهُمَا وَالسَّادِرِينَ إِذَا لَقِيَتْهُمَا دَمِي^(١)

(١) البيت لعترة، وهذه الرواية مختلفة عن روايته التي رواها المؤلف في الجزء (٢٩/٢٠٨) وهي: «والناذرين إذا
لم ألقهما دمي». بنفي الفعل، وهي كذلك في (شرح الزوزني والتبريزي للمعلقات، ومختار الشعر الجاهلي
بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ٣٨٠). أما رواية بيت الشاهد في هذا الموضع فمصدرها الفراء في «معاني
القرآن» (الورقة ٣٥٩) فهكذا أنشد البيت الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ =

وذلك أنهما كانا يقولان: إذا لقينا عنترة لنقتلته. فحكى عنترة قولهما في شعره وكذلك قول الآخر:

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا غَرَبَانَا^(١)
بمعنى: أخبرانا أنهما، ولكنه جرى الكلام على مذهب الحكاية. وقرأ ذلك بعض عامة قراء الأمصار: «وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» بمعنى: سُئِلَتِ الْمَوْءِدَةُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، ومعنى قُتِلَتْ: قُتِلَتْ، غير أن ذلك رد إلى الخبر على وجه الحكاية على نحو القول الماضي قبل، وقد يتوجه معنى ذلك إلى أن يكون: وإذا الموءودة سئلت قتلتها ووائدها، بأي ذنب قتلوها؟ ثم رد ذلك إلى ما لم يسم فاعله، فقيل: بأي ذنب قُتِلَتْ.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب: قراءة من قرأ ذلك «سُئِلَتْ» بضم السين «بأي ذنب قُتِلَتْ» على وجه الخبر، لإجماع الحجة من القراء عليه. والموءودة: المدفونة حية، وكذلك كانت العرب تفعل بيناتها ومنه قول الفرزدق بن غالب:

وَمِمَّا أَلْذِي أَخِيَا الْوَيْيِدَ وَغَالِبَ وَعَمْرُو، وَمِمَّا حَامِلُونَ وَدَائِعُ^(٢)
يقال: وأده فهو يئده وأدأ، ووأده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

= وقد نقلنا كلامه في توجيهها تحت الشاهد الآتي:

«رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ.....»

البيتين». ومعنى الرويتين في الحقيقة يتولى إلى شيء واحد وإن اختلف اللفظ بين الإثبات والنفي.
(١) البيتان من شواهد القراء في «معاني القرآن» (٣٥٩) قال بإسناده عن ابن عباس: إنه قرأ: «وإذا الموءودة سألت بأي ذنب قُتِلَتْ» وقال: هي التي تسأل (بفتح التاء) ولا تسأل (التاء مضمومة) وقد يجوز أن تقرأ: أي ذنب قُتِلَتْ؟ التاء الأخيرة تاء الفاعل مفتوحة، والفعل مبني للفاعل كما نقول في الكلام: عبد الله بأي ذنب ضرب، وبأي ذنب ضربت؟ وقد مر له نظائر من الحكاية، من ذلك قول عنترة:

السَّائِمِي عَرَضِي وَلَمْ أَشْتُمَّهُمَا وَالسَّادِرِينَ إِذَا لَقِيَتْهُمَا دَمِي

والمعنى: أنهما كان يقولان: إذا لقينا عنترة لنقتلته، فجرى الكلام في شعره على هذا المعنى واللفظ مختلف: وكذلك قوله:

«رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ.....»

البيتان» والمعنى: أخبرنا أنهما... الخ ولكنه جرى على مذهب القول، كما تقول: قال عبد الله: إنه ذاهب، وإني ذاهب، والذهاب له في الوجهين جميعاً ومن قرأ: «وإذا الموءودة سئلت»: ففيه وجهان: سئلت هي: فقيل لها بأي ذنب قُتِلَتْ؟ ثم يجوز قُتِلَتْ، كما جاز في المسألة الأولى. ويكون «سئلت»: سئل عنها واقدها، كأنك قلت: طلبت منهم، فقيل: أين أولادكم؟ وكيف قتلتموهم. وكل الوجوه حسن بين، إلا أن الأكثر «سئلت» فهو أحياها إلى اهـ.

(٢) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي ٥١٧) ولكنه ملفق من البيتين الخامس والسابع في القصيدة وهما:

= ٥ - (وَمِمَّا أَلْذِي أَخِيَا الْوَيْيِدَ وَغَالِبَ) وَعَمْرُو وَمِمَّا حَامِلُونَ وَالْأَقَارِعُ

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾**: هي في بعض القراءات: «سَأَلْتُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» لا بذنب، كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاب الله ذلك عليهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي ﷺ فقال: إني وأدت ثمان بنات في الجاهلية، قال: «فَأَعْتَقِي عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾** قال: كانت العرب من أفعال الناس لذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن ربيع بن خيثم بمثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾** قال: البنات التي كانت طوائف العرب يقتلونهن، وقرأ: **﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾**.

وقوله: **﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾** يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نُشِرَتْ لهم، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب، من الحسنات والسيئات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾** صحيفتك يا بن آدم، تملئ ما فيها، ثم تُطوى، ثم تُنشر عليك يوم القيامة.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة **﴿نُشِرَتْ﴾** بتخفيف الشين، وكذلك قرأه أيضاً بعض الكوفيين، وقرأ ذلك بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة، بتشديد الشين. واعتل

٩ - نَمُونِي فَأَشْرَفْتُ الْعَلَايَةَ فَوَقَّكُم (بُحُورٌ وَمِنَّا حَامِلُونَ وَذَافِعٌ)

والبيت أورده المؤلف بهذه الصورة شاهداً عند قوله تعالى: **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾**؟ وأنشد أبو عبيدة عند الآية شاهداً آخر للفرزدق أيضاً، وهو:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَّعَ الْوَائِدَا تِ أَحْيَا الرَّيْبِيْدَ فَلَمْ يُرَوِّدِ

قال وهو صعصعة بن ناجية جده.

من اعتلّ منهم لقراءته ذلك كذلك، بقول الله: ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّتَشْرَةً﴾ ولم يقل منشورة، وإنما حسن التشديد فيه، لأنه خبر عن جماعة، كما يقال: هذه كباش مُدْبِحة، ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخففة، فقيل مذبوحه، فكذلك قوله منشورة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُنْفِئُ بِالْقَنَسِ ﴿١٥﴾ الْخَوَارِ الْكُنَسِ ﴿١٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وإذا السماء نُزعت وجُدبت، ثم طُويت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كُشِطَتْ﴾ قال: جُدبت.

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «كُشِطَتْ» بالقاف، والقَشِطُ والكَشِطُ: بمعنى واحد، وذلك تحويل من العرب الكاف قافاً، لتقارب مخرجيهما، كما قيل للكافور قافور، وللقسط: كُسط، وذلك كثير في كلامهم، إذا تقارب مخرج الحرفين، أبدلوا من كل واحد منهما صاحبه، كقولهم للأثافي: أثافي، وثوب فُرْقَبِي وفُرْقَبِي.

وقوله ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الجحيم أوقد عليها فأحسيت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: سعرها غضب الله، وخطايا بني آدم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة ﴿سُعِّرَتْ﴾ بتشديد عينها، بمعنى أوقد عليها مرة بعد مرة، وقرأته عامة قراء الكوفة بالتخفيف. والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الجنة قُربت وأُنزيت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي: أنه قال: هل تدرون ما الخنس؟ هي النجوم تجري بالليل، وتخس بالنهار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم، أنه سمع الحسن يُسأل، فقيل: يا أبا سعيد ما الجوّاري الكُنُس؟ قال: النجوم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هُوذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن بكر بن عبد الله، في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: هي النجوم الدراري، التي تجري تستقبل المشرق.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: هي النجوم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: يعني النجوم، تكنس بالنهار، وتبدو بالليل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: هي النجوم تبدو بالليل وتخس بالنهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: هي النجوم تخس بالنهار، والجوار الكنس: سيرهن إذا غبن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: الخنس والجوّاري الكنس: النجوم الخنس، إنها تخس متأخر عن مطلعها، هي متأخر كل عام لها في كل عام تأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخس عنه. والكنس: تكنس بالنهار فلا تُرى. قال: والجوّاري تجري بعد، فهذا الخنس الجوّاري الكنس.

وقال آخرون: هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها.

نكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا هشيم بن بشير، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق السَّبَّيعِي، عن أبي ميسرة، عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأبي ميسرة: ما الجوّاري الكنس؟ قال: فقال بقر الوحش قال: فقال: وأنا أرى ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عبد الله، في قوله: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ قال: بقر الوحش.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو ابن شرحبيل، قال: قال ابن مسعود: يا عمرو ما الجواري الكنس، أو ما تراها؟ قال عمرو: أراها البقر، قال عبد الله: وأنا أراها البقر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: سألت عنها عبد الله، فذكر نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا جرير بن حازم، قال: ثنا الحجاج بن المنذر، قال: سألت أبا الشعثاء جابر بن زيد، عن الجواري الكنس، قال: هي البقر إذا كنت كوانسها.

قال يونس: قال لي عبد الله بن وهب: هي البقر إذا فرّت من الذئب، فذلك الذي أراد بقوله: كنت كوانسها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال جرير، وحدثني الصلت بن راشد، عن مجاهد مثل ذلك.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ﴿الجَوَارِ الْكُنْسِ﴾ قال: هي بقر الوحش.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، قال: سئل مجاهد ونحن عند إبراهيم، عن قوله ﴿الجَوَارِ الْكُنْسِ﴾ قال: لا أدري، فانتهره إبراهيم وقال: لِمَ لا تدري؟ فقال: إنهم يروون عن علي رضي الله عنه، وكنا نسمع أنها البقر، فقال إبراهيم: هي البقر. الجواري الكنس: جحرة بقر الوحش التي تأوي إليها، والخنس الجواري: البقر.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها ما سمعت، قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئاً، وناس يقولون: إنها النجوم قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على علي رضي الله عنه، هذا كما رَوَوْا عن علي رضي الله عنه، أنه ضمن الأسفل الأعلى، والأعلى الأسفل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، قال: سئل مجاهد عن الجواري الكنس قال: لا أدري، يزعمون أنها البقر قال: فقال إبراهيم: ما لا تدري هي البقر قال: يذكرون عن علي رضي الله عنه أنها النجوم، قال: يكذبون على علي عليه السلام.

وقال آخرون: هي الظباء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ﴾ يعني: الظباء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد بن جبير ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ قال: الظباء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: كنا نقول: «أظنه قال»: الظباء، حتى زعم سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عنها، فأعاد عليه قراءتها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿الْخُنَّسِ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ﴾ يعني الظباء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحياناً: أي تغيب، وتجري أحياناً وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانها، والمكانس عند العرب، هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها مكنس وكناس، كما قال الأعمش:

فَلَمَّا لَجِشْنَا الْحَيَّ أَتْلَعَ أُسُّ كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ الْمَكَائِسِ رَبْرُبٌ^(١)
فهذه جمع مكنس، وكما قال في الكناس طرفة بن العبد:

كَأَنَّ كِنَاسِي ضَالَّةٌ يَكُفِّفَانَهَا وَأَطْرَقِيسِي تَحْتَ صُلْبٍ مَوْئِدٍ^(٢)

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين ٢٠١) من قصيدة يهجو بها الحارث بن وعلة، والبيت هو التاسع فيها وفيه «فلما أدركت الحي» أي لحفته. وأتلع: رفع رأسه. والأنس: جمع آنسة، كركع جمع راکعة، وهي الطيبة النفس. والمكانس: جمع مكنس، وهو مدخل الطي أو البقرة الوحشية. في أصل شجرة تسكن فيه من الحر. والربرب: القطيع من البقر الوحشي. يقول: فلما بلغت الحي تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تناولت أعناقهن ومددنها، كأنهن قطع من البقر الوحشي المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب. ومحل الشاهد في قوله المكانس فإنها جمع مكنس، وهو الكناس أيضاً كما فسرناه.

(٢) البيت من معلقة طرفة «مختار الشعر الجاهلي» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ٣١٢ قال شارحه: الكناس: بيت يتخذة الوحش في أصل شجرة. والثور يتخذ كناسين: لظل الغداة، وفيء العشى، والضال: هو السدر البري. ويكتفانها: يكونان في ناحيتها. والأط: العطف. والمؤيد: المقوى شبه إبطها في السعة بيتين من بيوت الوحش في أصل ضالة. وشبه أضلاعها. بقسى معطوفة تحت صلب قوي. وسعة الإبط أبعد لها من

وأما الدلالة على أن الكِنَاس قد يكون للطِّباء، فقول أوس بن حَجَر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّلْمَةَ أَنْزَلَ مُزْنَةً وَعُفْرُ الطَّيِّبِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمَّعٌ^(١)
فالكِنَاس في كلام العرب ما وصفت، وغير مُنكر أن يُستعار ذلك في المواضع التي تكون بها
النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم
دون البقر، ولا البقر دون الطِّباء، فالصواب أن يُعمَ بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً،
والجري أخرى، والخنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ (١٧) وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ
ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠)

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا عسس، يقول: وأقسم بالليل إذا عسس.

واختلف أهل التأويل في قوله ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ فقال بعضهم: عنى بقوله: ﴿إِذَا
عَسَّسَ﴾: إذا أدير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:
﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ يقول: إذا أدير.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن
ابن عباس، قوله ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ يعني: إذا أدير.

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكريّ، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي

= العثار ا هـ. وقال الفراء في «معاني القرآن» عند قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ قال: وهي
النجوم تخنس في مجراها: ترجع وتكنس: تستتر كما تكنس الطِّباء في المغار، وهو الكناس ا هـ.

(١) البيت لأوس بن حجر التيمي كما قال المؤلف وكما في «اللسان» قمع. والكناس والمكنس: بيت يتخذهُ الطَّيِّبِ
أو الثور الوحشي في أصل شجرة ليتقى به حر الشمس، وقد تقدم. وتقمع، يقال قمعت الطَّيِّبِ قمعاً،
وتقمعت: لسعتها القمعة (بالتحريك، وهي ذباب أزرق عظيم يدخل في أنف الدواب، فيؤذيها، والجمع قمع
ومقامع) ودخلت في أنفها، فحركت رأسها عن ذلك. وتقمع الحمار: حرك رأسه من القمعة، ليطرده النعرة
عن وجهه أو من أنفه، قال أوس بن حجر:

«ألم تر أن الله أرسل مزنة...

البيت» أي تحرك رؤوسها من القمع. ا هـ. والبيت شاهد على أن الكناس يكون للطِّباء، كما يكون لبقر
الوحش ا هـ.

خالد، عن رجل عن أبي ظبيان، قال: كنت أتبع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو خارج نحو المشرق، فاستقبل الفجر، فقرأ هذه الآية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، قال: خرج علي عليه السلام مما يلي باب السوق، وقد طلع الصبح أو الفجر، فقرأ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أين السائل عن الوتر؟ نعم ساعة الوتر هذه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ قال: إقباله، ويقال: إدباره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أدبر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ قال: إذا أدبر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أدبر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مسعر، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، قال: خرج علي عليه السلام بعد ما أذن المؤذن بالصبح، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أين السائل عن الوتر؟ قال: نعم ساعة الوتر هذه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ قال: عسس: تولى، وقال: تنفس الصبح من هاهنا، وأشار إلى المشرق طلاع الفجر. وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أقبل بظلامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي عبد الرحمن، قال: إذا غشي الناس.

حدثنا الحسين بن علي الصدائي، قال: ثني أبي، عن الفضيل، عن عطية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ قال: أشار بيده إلى المغرب.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك

لقوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فدل ذلك على أن القسم بالليل مدبراً، وبالنهـار مقبلاً، والعرب تقول: عسعس الليل، وسعسع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير ومن ذلك قول رُؤبة بن العجاج:

يا هئذ ما أسرع ما تسفسعا ولو رجا تبع الصبا تتبعا^(١)

فهذه لغة من قال: سعسع وأما لغة من قال: عسعس، فقول علقمة بن قُرط:

حتى إذا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا^(٢)

يعني أدبر. وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب، يزعم أن عسعس: دنا من أوله وأظلم. وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتاً:

عسعس حتى لو يشاء إذنا كأن له من ضؤيه مقبس^(٣)

يقول: لو يشاء إذ دنا، ولكنه أدغم الذال في الدال، قال الفراء: فكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع.

وقوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يقول: وضوء النهار إذا أقبل وتبين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) البيتان لرؤبة ديوانه ٨٨، و «اللسان» سجع قال: وسعسع الشيخ وغيره وتسعسع: قارب الخطر، واضطرب من الكبر أو الهرم. قال رؤبة يذكر امرأة تخاطب صاحبة لها: «قالت ولم تأل به أن يسععا.

«يا هئذ ما أسرع ما تسفسعا.....»

البيتين». أخبرت صاحبها عنه أنه قد أدبر وفتى إلا أقله. والسعسعة: الفناء ونحوه. ومنه: تسعسع الشهر: إذا ذهب أهـ.

(٢) البيتان لعلقمة بن قُرط. قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٥) «والليل إذا عسعس» قال بعضهم: إذا أفلت (كذا) بهاؤه. وقال بعضهم: إذا ولي، ألا تراه قال: «والصبح إذا تنفس». وقال علقمة بن قُرط:

«حتى إذا الصبح.....»

البيتين» أهـ.

(٣) البيت مما أنشده أبو البلاد النحوي، وأخذه عنه الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٠) قال: وقوله «والليل إذا عسعس»: اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر. وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم، وكان أبو البلاد النحوي ينشد فيه:

«عسعس حتى.....»

البيت». يريد إذ دنا، ثم يلقى همزة، ويدغم الذال في الدال. وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع أهـ. قلت: وإذا لم تصح رواية البيت ثبت أن عسعس بمعنى أدبر، فيكون معناه كمعنى سعسع. وعلى هذا قال المؤلف: إن العرب تقول: عسعس الليل، وسعسع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير. قلت: وهو الصواب أهـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿وَالصُّنْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال: إذا نشأ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالصُّنْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: إذا أضاء وأقبل.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لتنزِيل رسول كريم، يعني جبريل، نزله على محمد بن عبد الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أنه كان يقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: جبريل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أنه كان يقول ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ قال: هو جبريل.

وقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ذي قوَّة، يعني جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يقول: هو مكين عند رب العرش العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (١١) ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْسُوفٍ﴾ (١٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْيُسْبِينِ﴾ (١٣) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ يَصِينُ﴾ (١٤) ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٥) ﴿فَأَنَّى تَذَهَبُونَ﴾ (١٦)

يقول تعالى ذكره: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ يعني جبريل عليه السلام، مطاع في السماء تطيعه الملائكة ﴿أَمِينٍ﴾ يقول: أمين عند الله على وحيه ورسالته، وغير ذلك مما ائتمنه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا عمر بن شبيب المسلمي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ قال: جبريل عليه السلام، أمين على أن يدخل سبعين سُرَادِقاً من نور بغير إذن.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا عمر بن شبيب، قال: ثنا إسماعيل بن أبي

خالد، قال: لا أعلمه إلا عن أبي صالح، مثله.

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الأقطع، قال: ثنا أبي عمر بن خالد، عن معقل بن عبيد الله الجَزْرِيّ، قال: قال ميمون بن مهران في قوله: ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ قال: ذاكم جبريل عليه السلام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ قال: يعني جبريل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ﴾ مطاع عند الله ﴿ثُمَّ أَمِينٍ﴾.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ يعني جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما صاحبكم أيها الناس محمد بمجنون، فيتكلم عن جنة، ويهذي هذيان المجانين، بل جاء بالحق، وصدق المرسلين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي، قال: ثنا أبي عمرو بن خالد، عن معقل بن عبد الله الجَزْرِيّ، قال: قال ميمون بن مهران: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ قال: ذاكم محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه أي محمد جبريل ﷺ في صورته بالناحية التي تبين الأشياء، فترى من قبلها، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قبل المشرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ الأعلى. قال: بأفق من نحو «أجباد».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ قال: كنا نحدث أن الأفق حيث تطلع الشمس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾

كنا نحدّث أنه الأفق الذي يجيء منه النهار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ قال: رأى جبريل بالأفق المبين.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن الوليد بن العيزار، قال: سمعت أبا الأحوص يقول في قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ قال: رأى جبريل له ست مئة جناح في صورته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر، قال: ما رأى جبريل النبي ﷺ في صورته إلا مرة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له دخية، فأتاه يوم رآه في صورته قد سدّ الأفق كله عليه سندس أخضر معلق الدرّ، فذلك قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ وذكر أن هذه الآية في: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ في جبريل، إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ يعني النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد، بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علّمه الله، وأنزل إليه من كتابه. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين: ﴿بِظَنِينٍ﴾ بالطاء، بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء.

ذكر من قال ذلك بالضاد، وتأوله على ما وصفنا من التأويل من أهل التأويل:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن زرّ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ قال: الظنّين: المتهم. وفي قراءة تكم: ﴿بِضَنِينٍ﴾ والضنين: البخيل، والغيب: القرآن.

حدثنا بشر، قال: ثنا خالد بن عبد الله الواسطي، قال: ثنا مغيرة، عن إبراهيم ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ببخيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال: ما يضرّ عليكم بما يعلم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال: إن هذا القرآن غيب، فأعطاه الله محمداً، فبذله وعلّمه ودعا إليه، والله ما ضنّ به

رسول الله ﷺ .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: في قراءتنا بمتهم، ومن قرأها «بِظَنِينٍ» يقول: بيخيل .

حدثنا مهران، عن سفيان «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: بيخيل .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» الغيب: القرآن، لم يضمن به على أحد من الناس أذاه وبلغه، بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله ﷺ، فأذى جبريل ما استودعه الله إلى محمد، وأدى محمد ما استودعه الله وجبريل إلى العباد، ليس أحد منهم ضنّ، ولا كتم، ولا تحرّص .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» يعني النبي ﷺ .

ذكر من قال ذلك بالظاء، وتاؤله على ما ذكرنا من أهل التاويل:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس، أنه قرأ: «بِظَنِينٍ» قال: ليس بمتهم .

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي المعلى، عن سعيد بن جبير: أنه كان يقرأ هذا الحرف «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» فقلت لسعيد بن جبير: ما الظنين؟ قال: ليس بمتهم .

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي المعلى، عن سعيد بن جبير أنه قرأ «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قلت: وما الظنين: قال المتهم .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» يقول: ليس بمتهم على ما جاء به، وليس يظنّ بما أوتي .

حدثنا بشر، قال: ثنا خالد بن عبد الله الواسطي، قال: ثنا المغيرة، عن إبراهيم «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: بمتهم .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: الغيب: القرآن . . . وفي قراءتنا «بِظَنِينٍ» متهم .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «بِظَنِينٍ» قال: ليس على ما أنزل الله بمتهم.

وقد تأول ذلك بعض أهل العربية أن معناه: وما هو على الغيب بضعيف، ولكنه محتَمِل له مطيق، ووجهه إلى قول العرب للرجل الضعيف: هو ظَنُون.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة، وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك «بِضَنِينٍ» بالضاد، لأن ذلك كله في خطوطها.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله: وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتعلموه.

وقوله: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» يقول تعالى ذكره: وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون مطرود، ولكنه كلام الله ووحيه.

وقوله: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» يقول تعالى ذكره: فأين تذهبون عن هذا القرآن، وتعطلون عنه؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» يقول: فأين تعطلون عن كتابي وطاعتي.

وقيل: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» ولم يقل: فألى أين تذهبون، كما يقال: ذهبت الشام، وذهبت السوق. وحكي عن العرب سماعاً: انطلق به العَوْر، على معنى إلقاء الصفة، وقد ينشد لبعض بني عَقِيل:

تَصِيحُ بِنَا حَنِيفَةً إِذْ رَأَتْنَا وَأَيُّ الْأَرْضِ تَذْهَبُ لِلصُّيَاحِ^(١)

(١) البيت لبعض بني عقيل. قال الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٠) وقوله «فأين تذهبون»؟ العرب تقول: إلى أين تذهب؟ وأين تذهب؟ ويقولون: ذهبت الشام، وذهبت السوق، وانطلقت الشام، وانطلقت السوق، وخرجت الشام. سمعنا في هذه الأحرف الثلاثة: خرجت، وانطلقت، وذهبت. وقال الكسائي: سمعت العرب تقول: انطلقت به العور، فتنصب على معنى إلقاء الصفة (حرف الجر عند الكوفيين) وأنشدني بعض بني عقيل:

«تصيح بنا حنيفة.....»

البيت» يريد إلى أي الأرض تذهب؟ واستجازوا في هؤلاء الأحرف إلقاء «إلى» لكثرة استعمالهم إياها. قلت:

بمعنى: إلى أي الأرض تذهب؟ واستجيز إلغاء الصفة في ذلك للاستعمال.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنْ﴾ هذا القرآن، وقوله: ﴿هُوَ﴾ من ذكر القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول: إلا تذكرة وعظة للعالمين من الجن والإنس ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فجعل ذلك تعالى ذكره، ذكراً لمن شاء من العالمين أن يستقيم، ولم يجعله ذكراً لجميعهم، فاللام في قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ إبدال من اللام في للعالمين. وكان معنى الكلام: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحق فيتبعه، ويؤمن به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال: يتبع الحق.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحق، إلا أن يشاء الله ذلك وذكر أن السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، لما نزلت ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، فنزلت: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

التحويون منعوا نصب اسم المكان على الظرفية: إذا كان خاصاً له صورة وحدود محصورة، وأوجبوا الجر فيه بحرف الجر، واستثنوا هذه الأحرف التي ذكرها القراء إذ ورد السماع بها عن العرب بدون حرف الجر. وهو كما قال.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

آخر تفسير سورة (إذا الشمس كورت)

(٨٢) سورة الانفطار مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَّتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (٣) ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْظِرَتْ﴾ (٤) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٥)

يقول تعالى ذكره: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾: انشَظَّتْ، وإذا كواكبها انشَظَّتْ منها فتساقطت، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ يقول: فُجِّرَ الله بعضها في بعض، فملاً جميعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في بعض ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ يقول: بعضها في بعض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ فُجِّرَ عذبها في مالحتها، ومالحتها في عذبها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ قال: فُجِّرَ بعضها في بعض، فذهب ماؤها. وقال الكلبي: ملكت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْظِرَتْ﴾ يقول: وإذا القبور أُثِيرت، فاستخرج من فيها من الموتى أحياء. يقال: بعثر فلان حوض فلان: إذا جعل أسفله أعلاه، يقال: بعثره وبعثره: لغتان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْظِرَتْ﴾ يقول: بُحِثت.

وقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: علمت كل نفس ما قدمت

لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخرت وراءه من شيء سئء فعل به.
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: ثني عن القُرَظِيّ، أنه قال في: ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: ما قَدَّمْتُ مما عملت، وأما ما أَخَّرْتُ فالسنة يَسُنُّهَا الرجل، يعمل بها من بعده.

وقال آخرون: عُني بذلك: ما قَدَّمْتُ من الفرائض التي أدتها، وما أَخَّرْتُ من الفرائض التي ضيعتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ﴾ قال: ما افترض عليها ﴿وَمَا أَخَّرْتُ﴾ قال: مما افترض عليها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: تعلم ما قَدَّمْتُ من طاعة الله، وما أَخَّرْتُ مما أَمَرْتُ به من حق الله عليه لم تعمل به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: ما قَدَّمْتُ من خير، وأَخَّرْتُ من حق الله عليها لم تعمل به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، ﴿مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: ما قَدَّمْتُ من طاعة الله وما أَخَّرْتُ من حق الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: ما قَدَّمْتُ: عملت، وما أَخَّرْتُ: تركت وضيّعت، وأَخَّرْتُ من العمل الصالح الذي دعاها الله إليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما قَدَّمْتُ من خير أو شرّ، وأَخَّرْتُ من خير أو شرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: ذكروا عنده هذه الآية ﴿عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: أنا مما أَخَّرَ الْحِجَاجَ.

وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه، لأن كلَّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قَدَّمَهُ، وأن

ما ضيَّع من حقِّ الله عليه وفرطَ فيه فلم يعمله، فهو مما قد قَدَّم من شرِّ، وليس ذلك مما أُخِّر من العمل، لأن العمل هو ما عمله، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدَّمها، فلذلك قلنا: ما أُخِّر: هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر، أي شيء غرَّك بربك الكريم، غرَّ الإنسان به عدوه المسلط عليه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ شيء ما غرَّ ابن آدم هذا العدو الشيطان.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ يقول: الذي خلقك أيها الإنسان فسوى خلقك ﴿فَعَدَلَكَ﴾.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والشام والبصرة: «فَعَدَلَكَ» بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها وكأن من قرأ ذلك بالتشديد، وجَّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدلاً المخلوق مقوماً، وكأن الذين قرؤوه بالتخفيف، وجَّهوا معنى الكلام إلى صرفك، وأمالك إلى أي صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباتة.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قِراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إلي أن أقرأ به، قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول «في» للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك وذكرنا أن قارئ ذلك تأولوه، جاءت الرواية عن أهل التأويل أنهم قالوه. ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن إسماعيل، في قوله: ﴿مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ قال: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ قال: خنزيراً أو حماراً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ قال: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير.

حدثني محمد بن سنان القرّاز، قال: ثنا مطهر بن الهيثم، قال: ثنا موسى بن علي بن أبي رباح اللّخمي، قال: ثنا أبي، عن جدي، أن النبي ﷺ قال له: «ما وُلِدَ لَكَ؟» قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لي، إما غلام، وإما جارية، قال: «فَمَنْ يُشْبِهُ؟» قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه، وإما أمه فقال النبي ﷺ عندها: «مَهْ، لَا تَقُولُنَّ هَكَذَا، إِنَّ النُّطْقَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّجْمِ أَخْضَرَ اللَّهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ، أَمَا قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبِّكَ قَالَ: سَلَكَكَ».

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١١١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١٢﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١٣﴾ يَعْلَمُونَ مَا فَعَلْتُمْ ﴿١١٤﴾ إِنَّ الْأَنْزَارَ لَهِيَ يَعْمِرُ ﴿١١٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون، من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: بالحساب.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: بيوم الحساب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: يوم شدة، يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ يقول: وإن عليكم رُقباء حافِظين يحفظون أعمالكم، ويُحصونها عليكم ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يقول: كراما على الله كاتبين، يكتبون أعمالكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: قال بعض أصحابنا، عن أيوب، في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ قال: يكتبون ما تقولون وما تَعْتُونَ.

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شر، يحصون ذلك عليكم.

وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يقول جل ثناؤه: إن الذين برؤا بأداء فرائض الله، واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَجِيمٍ﴾ (١٤) يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّيبِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سِتًّا وَالْآمِرُ تَوْمِينٌ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ﴾ الذين كفروا بربههم ﴿لَفِي حَجِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول جل ثناؤه: يَصَلُّى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة، يوم يُدان العباد بالأعمال، فيُجازُونَ بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ من أسماء يوم القيامة، عَظْمَةُ الله، وحَدْرُهُ عباده.

وقوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبداً فغائبين عنها، ولكنهم فيها مخلدون ماكثون، وكذلك الأبرار في النعيم، وذلك نحو قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وما أدراك يا محمد، أي وما أشعرك ما يوم الدين؟ يقول: أي شيء يوم الحساب والمجازاة، معظماً شأنه جل ذكره، بقله ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ تعظيماً ليوم القيامة، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم.
 وقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول: ثم أي شيء أشعرك يوم المجازاة والحساب يا محمد، تعظيماً لأمره ثم فسّر جل ثناؤه بعض شأنه فقال: ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾: يقول: ذلك اليوم، يوم لا تملك نفس، يقول: يوم لا تُغني نفس عن نفس شيئاً، فتدفع عنها بليّة نزلت بها، ولا تنفعها بنافعة، وقد كانت في الدنيا تحميها، وتدفع عنها من بغاها سوءاً، فبطل ذلك يومئذٍ، لأن الأمر صار لله الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات، وحصل الملك للملك الجبار، وذلك قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يقول: والأمر كله يومئذٍ، يعني الدين لله دون سائر خلقه، ليس لأحد من خلقه معه يومئذٍ أمر ولا نهي. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ قال: ليس ثم أحد يومئذٍ يقضي شيئاً، ولا يصنع شيئاً إلا رب العالمين.
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ والأمر والله اليوم لله، ولكنه يومئذٍ لا ينازعه أحد.
 واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة بنصب ﴿يَوْمٌ﴾ إذ كانت إضافته غير محضة. وقرأه بعض قراء البصرة بضم ﴿يَوْمٌ﴾ ورفعها رداً على اليوم الأول، والرفع فيه أفصح في كلام العرب، وذلك أن اليوم مضاف إلى يفعل، والعرب إذا أضافت اليوم إلى تفعل أو يفعل أو أفعل رفعوه فقالوا: هذا يوم أفعل كذا، وإذا أضافته إلى فعل ماضٍ نصبوه ومنه قول الشاعر:

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصُّبَا وَقُلْتُ أَلْمَا تَضْحُ وَالشَّيْبُ وَارِعٌ؟^(١)

آخر تفسير سورة إذا السماء انقطرت

(١) البيت للنايعة الذبياني. وقد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (١٤١/٧) وقد شرحناه، فارجع إليه ثمة. وقد أنشده الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٠) قال عند قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ﴾ اجتمع القراء على نصب «يوم لا تملك» والرفع جائز لو قرئ به، زعم الكسائي أن العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا «اليوم» إلى يفعل، وأفعل ونفعل فيقولون: يوم نفعل ذلك، وأفعل ذلك، ونفعل ذلك، فإذا قالوا: هذا يوم فعلت، فأضافوا «يوم» إلى «فعلت»، وإلى «إذ» أثروا النصب. وأنشدوا:

«عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ...»

البيت». ويجوز في الباء والثاء، ما يجوز في فعلت (يريد صيغتي المضارع يفعل، وتفعل)، والأكثر: ما قرئ الكسائي اهـ.

(٨٣) سورة المطففين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوا بِهِمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطْفَفُونَ، يعني: للذين ينقصون الناس، وَيُخْسِرُونَهُمْ حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل الثُّرُّ، والمطفف: المقلل حقَّ صاحب الحقِّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حَسَبَة أو عدد: هم سواء كَطَفَّ الصَّاع، يعني بذلك: كقرب الممتلىء منه ناقص عن الملاء. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله، قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة لِيُوفُونَ الكيل، قال: وما يمنعهم من أن يوفوا الكيل، وقد قال الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل.

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش، قال: ثنا سلم بن قتيبة، عن قسام الصيرفي، عن عكرمة قال: أشهد أن كلَّ كِيَالٍ ووزَانٍ في النار، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس منهم أحد يزن كما يترن^(١)، ولا يكيل كما يكتال، وقد قال الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

وقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من

(١) يترن: أي يأخذ الشيء لنفسه وزناً.

الناس ما لهم قبلهم من حقّ، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيأ و«على» و«من» في هذا الموضوع يتعاقبان غير أنه إذا قيل: اكتلت منك، يراد: استوفيت منك.

وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ يقول: وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم. ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا: وزنتك حقت، وكلتك طعامك، بمعنى: وزنت لك وكلت لك. ومن وجّه الكلام إلى هذا المعنى، جعل الوقف على هم، وجعل هم في موضع نصب. وكان عيسى بن عمر فيما ذكر عنه يجعلهما حرفين، ويقف على كالوا، وعلى وزنوا، ثم يبتدىء: هم يُخسرون. فمن وجّه الكلام إلى هذا المعنى، جعل هم في موضع رفع، وجعل كالوا ووزنوا مكتفيين بأنفسهما.

والصواب في ذلك عندي: الوقف على هم، لأن كالوا ووزنوا لو كانا مكتفيين، وكانت هم كلاماً مستأنفاً، كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما، إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر ذلك، إذا لم يكن متصلاً به شيء من كنايات المفعول، فكتابتهم ذلك في هذا الموضع بغير ألف أوضح الدليل على أن قوله: ﴿هُم﴾ إنما هو كناية أسماء المفعول بهم. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا، على ما بينا.

وقوله: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يقول: ينقصونهم. وقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس في مكابيلهم وموازينهم، أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم، ليوم عظيم شأنه، هائل أمره، فظيع هوله؟.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيوم يقوم تفسير عن اليوم الأول المخفوض، ولكنه لما لم يعد عليه اللام، ردّ إلى مبعوثون، فكأنه قال: ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس؟ وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض، لأنها إضافة غير محضة، ولو خفض ردأ على اليوم الأول لم يكن لحناً، ولو رفع جاز، كما قال الشاعر:

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ صَاحِحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الرِّمَانَ فَشَلَّتِ^(١)

وذكر أن الناس يقومون لرب العالمين يوم القيامة، حتى يُلجِمَهُم العرق، فبعض يقول: مقدار ثلاث مئة عام، وبعض يقول: مقدار أربعين عاماً.

(١) البيت لكثير عزة. وقد استشهد به المؤلف في الجزء (٣: ١٩٤) وأشده الفراء في معاني القرآن (٣٦١) قال: وقوله: «يوم يقوم الناس»: هو تفسير اليوم المخفوض، لما ألقى اللام من الثاني رده إلى «مبعوثون» يوم يقوم الناس، فلو خفضت يوم بالرد على البيت الأول، كان صواباً وقد يكون في موضع خفض، إلا أنها أضيفت إلى «يفعل» فصبحت إذ أضيفت إلى غير مخفوض ولو رفع على ذلك يوم يقوم كما قال الشاعر: «وكننت كذي رجلين...». اهـ. وانظر ديوان كثير طبع الجزائر (١: ٤٦).

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سعيد الكندي، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يقوم أحدكم في رُشحه إلى أنصاف أذنيه».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: يغيب أحدهم في رُشحه إلى أنصاف أذنيه.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا ابن عون، عن نافع، قال: قال ابن عمر: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يقوم أحدهم في رُشحه إلى أنصاف أذنيه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَظْمَةِ اللَّهِ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لَيَلْجِمُهُمْ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَظْمَةِ الرَّحْمَنِ»، ثم ذكر مثله.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يَقُومُونَ حَتَّى يَبْلُغَ الرَّشْحُ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ».

حدثنا أحمد بن محمد بن حبيب، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا أبي، عن صالح، قال: ثنا نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ فِي رُشْحِهِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة بن سعيد، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: يقومون مئة سنة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لَيَلْجِمُ الرَّجُلَ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن المشنى وابن وكيع، قالوا: ثنا يحيى، عن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَقُومَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

حدثني محمد بن إبراهيم السُّلَيْمِيُّ المعروف بابن صدران، قال: ثنا يعقوب بن إسحاق، قال: ثنا عبد السلام بن عجلان، قال: ثنا يزيد المدني، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال لبشير الغفاري: «كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ ثَلَاثِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، لَا يَأْتِيهِمْ خَيْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ؟» قال بشير: المستعان الله يا رسول الله، قال: «إِذَا أَنْتَ أَوْتَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسُوءِ الْحِسَابِ».

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن مسعود في قوله: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قال: يمكثون أربعين عاماً رافعي رؤوسهم إلى السماء، لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق كلَّ برِّ وفاجر، قال: فينادي مناد: أليس عدلاً من ربكم أن خلقكم ثم صوركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره، أن يولِّي كلَّ عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ قالوا: بلى. ثم ذكر الحديث بطوله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن سكين، قال: حدث عبد الله، وهو عند عمر «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاماً، شاخصة أبصارهم إلى السماء، حفاة عراة يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشر أربعين عاماً، ثم ذكر نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قال: دُكِرَ لَنَا أَنَّ كَعْباً كَانَ يَقُولُ: يَقُومُونَ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران وسعيد، عن قتادة «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قال: كان كعب يقول: يقومون مقدار ثلاث مئة سنة.

قال قتادة: وحدثنا العلاء بن زياد العدوي، قال: بلغني أن يوم القيامة يُقْصَرُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ كِلَاحِدَى صَلَاتِهِ الْمَكْتُوبَةِ.

قال: ثنا مهران، قال: ثنا العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قال: «يَقُومُ الرَّجُلُ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ﴿يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.

قال يعقوب، قال إسماعيل: قلت لابن عون: ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث؟ قال: نعم إن شاء الله.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثني عمي، قال: أخبرني مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: ﴿يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه إلى نصف أذنيه، **القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سِعِينُ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلِي بِوَيْدِكَ الْمَكِيدِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الذِّكْرِ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: كلا، أي ليس الأمر كما يظن هؤلاء الكفار، أنهم غير مبعوثين ولا معذبين، إن كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ وهي الأرض السابعة السفلى، وهو «فَعِيلٌ» من السَّجَن، كما قيل: رجل سَكَّير من السكر، وفَسِق من الفسق.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: مثل الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن مغيث بن سمي: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ قال: في الأرض السابعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن مغيث بن سمي، قال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ قال: الأرض السفلى، قال: إبليس مَوْتَق بالحدديد والسلاسل في الأرض السفلى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: كنا جلوساً إلى كعب أنا وربيع بن خيثم وخالد بن عُرْغرة، ورهط من أصحابنا، فأقبل ابن عباس، فجلس إلى جنب كعب، فقال: يا كعب، أخبرني عن سَجِّين، فقال كعب: أما سَجِّين: فإنها الأرض السابعة السفلى، وفيها أرواح الكفار تحت حد إبليس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي

سَجِينٌ: ذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقُولُ: هِيَ الْأَرْضُ السُّفْلَى، فِيهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ، وَأَعْمَالُهُمْ أَعْمَالُ السُّوءِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فِي سَجِينٍ﴾** قال: في أسفل الأرض السابعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** يقول: أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿فِي سَجِينٍ﴾** قال: عملهم في الأرض السابعة لا يصعد.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا مطرف بن مازن: قاضي اليمن، عن معمر، عن قتادة قال: **﴿سَجِينٍ﴾**: الأرض السابعة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لَفِي سَجِينٍ﴾** يقول: في الأرض السفلى.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** قال: الأرض السابعة السفلى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** قال: يقال سجين: الأرض السافلة، وسجين: بالسماء الدنيا.

وقال آخرون: بل ذلك حد إبليس.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر، قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأخبار، فقال له ابن عباس: حدثني عن قول الله: **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** . . . الآية، قال كعب: إن روح الفاجر يُضْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَأْتِي السَّمَاءَ أَنْ تَقْبَلَهَا، وَيُهْبَطُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَأْتِي الْأَرْضَ أَنْ تَقْبَلَهَا، فَتَهْبَطُ فَتَدْخُلُ تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا

إلى سجين، وهو حدّ إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت حدّ إبليس رَقٌّ، فيرقم ويختتم، ويوضع تحت حدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** قال: تحت حدّ إبليس.

وقال آخرون: هو جبّ في جهنم مفتوح، ورووا في ذلك خبراً عن رسول الله ﷺ.

حدثنا به إسحاق بن وهب الواسطي، قال: ثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي، قال: ثنا نصر بن حزيمة الواسطي، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: **«الْفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَعْطَى، وَأَمَّا سَجِينٌ فَمَفْتُوحٌ»**.

وقال بعض أهل العربية: ذكروا أن سجين: الصخرة التي تحت الأرض، قال: ويَرَى أن سجين صفة من صفاتها، لأنه لو كان لها اسماً لم يجز، قال: وإن قلت أجريته لأنني ذهبت بالصخرة إلى أنها الحجر الذي فيه الكتاب كان وجهاً.

وإنما اخترت القول الذي اخترت في معنى قوله: **﴿سَجِينٍ﴾** لما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، قال: ثنا الأعمش، قال: ثنا المنهال بن عمرو، عن زاذان أبي عمرو، عن البراء، قال: **﴿سَجِينٍ﴾**: الأرض السفلى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، عن الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء، أن رسول الله ﷺ، قال: **«وذكر نفس الفاجر، وأنه يُصْعَدُ بها إلى السماء، قال: فَيُصْعَدُونَ بها فلا يَمْرُونَ بها على ملاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: ما هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ قال: فَيَقُولُونَ فَلَانٌ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ التي كَانَ يُسَمَّى بها في الدنيا حتى يَنْتَهوا بها إلى السماء الدنيا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فلا يُفْتَحُ لَهُ»** ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿لا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ فَيَقُولَ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»**.

حدثنا نصر بن علي، قال: ثنا يحيى بن سليم، قال: ثنا ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** قال: سجين: صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها.

وقوله: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأي شيء أدراك يا محمد، أي شيء ذلك الكتاب ثم بين ذلك تعالى ذكره، فقال: **﴿هُوَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾**، وعن بالمرقوم: المكتوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿في كتاب مَرْقُومٍ﴾ قال: كتاب مكتوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنِ كِتَابِ مَرْقُومٍ﴾ قال: رقم لهم بشر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: ﴿كِتَابِ مَرْقُومٍ﴾ قال: المرقوم: المكتوب.

وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين بهذه الآيات، الذين يكذبون بيوم الدين، يقول: الذين يكذبون بيوم الحساب والمجازاة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ قال أهل الشرك يكذبون بالدين، وقرأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ...﴾ إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٣) إِذَا نُكِّلَ عَلَيْهِ مَا لَمْ نَسْأَلِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره: وما يكذب بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ اعتدى على الله في قوله، فخالف أمره، ﴿أثيم﴾ بربه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ قال الله: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: أي بيوم الدين، إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ في قوله، أثيم بربه. ﴿إِذَا تُنْفِثُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يقول تعالى ذكره: إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ حُجُجُنَا وَأَدَلَّتْنَا الَّتِي بَيَّنَّاها فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: قال: هذا ما سطره الأولون فكتبوه، من الأحاديث والأخبار.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره مكذباً لهم في قلوبهم ذلك: كلا، ما ذلك كذلك، ولكنه ران على قلوبهم يقول: غلب على قلوبهم وعمرها، وأحاطت بها الذنوب فغطتها يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي تَرِينُ عليه رَيْنًا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله ومنه قول أبي زبيد الطائي:

ثُمَّ لَمَّا رَأَهُ رَأَتْ بِهِ الْحَمَّ زُ وَأَنْ لَا تَرِيئَهُ بِأَتَقَاءِ^(١)
يعني تربيته بمخافة، يقول: سكر فهو لا يتبته ومنه قول الراجز:

لَمْ تَزَوْ حَتَّى هَجَّرْتَ وَرِيْنَ بِي وَرِيْنَ بِالسَّاقِي الَّذِي أُمْسَى مَعِي^(٢)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو خالد، عن ابن عجلان، عن القَعْقَاعِ بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَدْنَبَ الْعَبْدُ نِكْتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ عَادَتْ حَتَّى تَغْطُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: ثنا ابن عجلان، عن القَعْقَاعِ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ دُنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَتْ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلُو قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

حدثني علي بن سهيل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن عجلان، عن القَعْقَاعِ بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَدْنَبَ دُنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

حدثني أبو صالح الضَّرَّارِيُّ محمد بن إسماعيل، قال: أخبرني طارق بن عبد العزيز، عن

(١) هذا الإسناد جاء في الأصل مرتين: مرة هنا، ومرة في الذي قبله.

البيت لأبي زيد الطائي. قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن»: «كلا بل ران على قلوبهم»: غلب على قلبه. والخمر تزين على عقل السكران. والموت يرين على الميت. قال أبو زيد
«ثُمَّ لَمَّا رَأَهُ...»

البيت. وفي «اللسان» ران الرين: الطبع والدنس. والرين: الصدأ الذي يعلو السيف والمرأة. وفي التنزيل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي غلب وطبع وختم. وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسواد القلب أ هـ.

(٢) البيت مما رواه ابن الأعرابي عن العرب ولم ينسبه. وفي «اللسان» ران قال أبو عبيد: كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك، ورائك، ورائك عليك. ورائت نفسه عثت. ورين به: مات ورين به رينا: وقع في غم؛ وقيل: رين به: انتقطع به، وهو نحو ذلك، أنشد ابن الأعرابي:

صَحْنِيَتْ حَتَّى أَظْهَرْتُ وَرِيْنَ بِي وَرِيْنَ بِالسَّاقِي الَّذِي كَانَ مَعِي

ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ حَظِيئَةً كَانَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ وَنَزَعَ صَقَلَتْ قَلْبُهُ، وَذَلِكَ الرَّأُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال أبو صالح: كذا قال: صقلت، وقال غيره: سَقَلْتُ.

حدثني علي بن سهل الرملي، قال: ثنا الوليد، عن حُلَيْد، عن الحسن، قال: وقرأ ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: الذنب على الذنب حتى يموت قلبه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: العبد يعمل بالذنوب، فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغطي القلب.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، قال: أَرَانَا مجاهد بيده، قال، كانوا يرون القلب في مثل هذا، يعني الكف، فإذا أذنب العبد ذنباً ضمّ منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضمّ أصبعاً أخرى، فإذا أذنب ضمّ أصبعاً أخرى، حتى ضمّ أصابعه كلها، ثم يطبع عليه بطابع، قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرّين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: القلب مثل الكف، فإذا أذنب الذنب قبض أصبعاً، حتى يقبض أصابعه كلها، وإن أصحابنا يرون أنه الران.

حدثنا أبو كريب مرّة أخرى بإسناده عن مجاهد، قال: القلب مثل الكف، وإذا أذنب انقبض، وقبض أصبعه، فإذا أذنب انقبض، حتى ينقبض كله، ثم يطبع عليه، فكانوا يرون أن ذلك هو الران ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: الخطايا حتى غمرته.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: يطبع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،

عن ابن عباس، قوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: طبع على قلوبهم ما كسبوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن طلحة، عن عطاء ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: عَشِيَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَوَتْ بِهَا، فَلَا يَفْزَعُونَ، وَلَا يَتَحَاشُونَ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الحسن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: هو الذنب حتى يموت القلب.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: الران: الطبع يطبع القلب مثل الراحة، فيذنب الذنب، فيصير هكذا، وعقد سفيان الخنصر، ثم يذنب الذنب فيصير هكذا، وقبض سفيان كفه، فِطْبَعُ عَلَيْهِ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أعمال السوء، إي والله ذنب على ذنب، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: هذا الذنب على الذنب، حتى يَرِينَ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْوَدُ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: غلب على قلوبهم دُؤُوبِهِمْ، فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا مَعَهَا خَيْرٌ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، حتى تَغْشَى الذُّنُوبُ عَلَيْهِ. قال مجاهد: وهي مثل الآية التي في سورة البقرة ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُعَادُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذَّبون بيوم الدين، من أن لهم عند الله رُزْفَةٌ، إنهم يومئذٍ عن ربهم لمحجوبون، فلا يرونه، ولا يرون شيئاً من كرامته يصل إليهم.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن خلود، عن قتادة ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ هو لا ينظر إليهم، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقيق بن الوليد، قال: ثنا جرير، قال: ثنا عمران أبو الحسن الدماري، عن ابن أبي مليكة أنه كان يقول في هذه الآية ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ قال: المئان، والمختال، والذي يقطع أموال الناس بيمينه بالباطل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمار الرازي، قال: ثنا أبو معمر المنقري، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية، أو كلاماً هذا معناه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويحتمل أن يكون مراداً به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مراداً به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله ﷺ قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته، إذ كان الخبر عاماً، لا دلالة على خصوصه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إنهم لو أوردوا الجحيم، فمشوئون فيها، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ثم يقال لهؤلاء المكذبين بيوم الدين: هذا العذاب الذي أنتم فيه اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تخبرون أنكم ذائقوه، فتكذبون به، وتتكرونه، فذوقوه الآن، فقد صليتم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ بِشَهَادَةِ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ والأبرار: جمع برّ، وهم الذين برّوا

الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئاً حتى الذرّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشام، عن شيخ، عن الحسن، قال: سئل عن الأبرار، قال: الذين لا يؤذون الذرّ.

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي، قال: ثنا الفريابي، عن السري بن يحيى، عن الحسن، قال: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ.

وقوله: ﴿لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى عليين، فقال بعضهم: هي السماء السابعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: سألت ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن العليين، فقال كعب: هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العتكي، عن قتادة، في قوله ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ قال: في السماء العليا.

حدثني علي بن الحسين الأزدي، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، في قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ قال: في السماء السابعة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلِيُونُ﴾ قال: السماء السابعة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿لَفِي عَلِيَيْنَ﴾: في السماء عند الله.

وقال آخرون: بل العليون: قائمة العرش اليمنى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ ذكر لنا أن كعباً كان يقول: هي قائمة العرش اليمنى.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا مُطَرِّف بن مازن، قاضي اليمن، عن معمر، عز. قتادة، في قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾ قال: عليون: قائمة العرش اليمنى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فِي عَلِيِّينَ﴾** قال: فوق السماء السابعة، عند قائمة العرش اليمنى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمي، عن حفص، عن شمر، عن عطية، قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فسأله، فقال: حدثني عن قول الله **﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَلِيِّينَ . . .﴾** الآية، فقال كعب: إن الروح المؤمنة إذا قُبِضَتْ، صُعد بها، ففُتِحَتْ لها أبواب السماء، وتلقَّتها الملائكة بالبُشْرَى، ثم عَرَجُوا معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لها من عند العرش فيرَقِّم رَقِّ، ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة، وتشهد الملائكة المقربون.

وقال آخرون: بل عُني بالعليين: الجَنَّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله **﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَلِيِّينَ﴾** قال: الجنة.

وقال آخرون: عند سِدْرَةِ المنتهى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني جعفر بن محمد البزوري من أهل الكوفة، قال: ثنا يعلى بن عبيد، عن الأجلح، عن الضحاك قال: إذا قبض رُوح العبد المؤمن عُرِج به إلى السماء، فتنتقلق معه المقربون إلى السماء الثانية، قال الأجلح: قلت: وما المقربون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية، فتنتقلق معه المقربون إلى السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى تنتهي به إلى سِدْرَةِ المنتهى. قال الأجلح: قلت للضحاك: لِمَ تسمى سِدْرَةُ المنتهى؟ قال: لأنه يَنْتَهِي إليها كل شيء من أمر الله لا يعدوها، فتقول: ربِّ عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيبعث الله إليهم بصَكِّ مختوم يؤمِّنه من العذاب، فذلك قول الله: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَلِيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابَ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾**.

وقال آخرون: بل عُني بالعليين: في السماء عند الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَلِيِّينَ﴾** يقول: أعمالهم في كتاب عند الله في السماء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار في عليين

والصواب أن يقال في ذلك، كما قال جلّ ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّزّ منتهاه، ولا علم عندنا بغايته، غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد الله، مُعَجِّبَةً من عليّين: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما عليون؟.

وقوله: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن كتاب الأبرار لفي عليّين، كتاب مرقوم: أي مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة، والفوز بالجنة، كما قد ذكرناه قبل عن كعب الأحبار والضحاك بن مزاحم، وكما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ رُقِمَ.

وقوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يقول: يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبرّ من عباده من النار، وفوزه بالجنة، المقربون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: كلّ أهل السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من ملائكة الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: يشهده مقربو أهل كلّ سماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: الملائكة.

وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين برّوا باتقاء الله، وأداء فرائضه، لفي نعيم دائم، لا يزول يوم القيامة، وذلك نعيمهم في الجنان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُظَاهَرُونَ ﴿١٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٢٤﴾ يُسْفُونَ مِنْ لَحْمِهِمْ مَنْحَاطُومٍ ﴿١٢٥﴾ حَتَّىٰ مَسَّكَمْ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿عَلَى الْأَرْئِكِ يَنْظُرُونَ﴾: على السرر في الحجال، من اللؤلؤ والياقوت، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم، والخبرة في الجنان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلَى الْأَرْئِكِ﴾ قال: من اللؤلؤ والياقوت.

قال: ثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن خُصَّين، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿الْأَرْئِكِ﴾: السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ.

وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: تعرف في الأبرار الذين وصف الله صفتهم نضرة النعيم، يعني حسنه وبريقه وتلاؤه.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿تَعْرِفُ﴾ فقرأته عامة قراء الأمصار سوى أبي جعفر القاريء ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ بفتح التاء من تعرف على وجه الخطاب ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بنصب نضرة. وقرأ ذلك أبو جعفر: «يُعْرِفُ» بضم التاء على وجه ما لم يسم فاعله، في وجوههم نضرة النعيم، برفع نضرة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ما عليه قراء الأمصار، وذلك فتح التاء من ﴿تَعْرِفُ﴾، ونصب ﴿نَضْرَةَ﴾.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ يقول: يُسْقَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنْ خَمْرٍ صِرْفٍ لَا غَشَّ فِيهَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ قال: من الخمر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ يعني بالرحيق: الخمر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ قال: خمر.

أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعت المرأة من نسائك تقول: طيب كذا وكذا خلطه مسك.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أيوب، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن ذكره، عن علقمة، في قوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قال: خلطه مسك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله **﴿مختم﴾** قال: ممزوج **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: طعمه وريحه.

قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن يزيد بن معاوية، عن علقمة **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: طعمه وريحه مسك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن آخر شراهم يُختم بمسك يجعل فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** يقول: الخمر: خُتِمَ بالمسك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم، المسك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: عاقبته مسك، قوم تُمَرِّج لهم بالكافور، وتختم بالمسك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: عاقبته مسك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال طيب الله لهم الخمر، فوجدوا فيها في آخر شيء منها، ريح المسك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا حاتم بن وردان، قال: ثنا أبو حمزة، عن إبراهيم والحسن في هذه الآية: **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾** قال: عاقبته مسك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن جابر عن عبد

الرحمن بن سابط، عن أبي الدرداء ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فالشراب أبيض مثل الفضة، يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها.

وقال آخرون: عُنِيَ بقوله: ﴿مَخْتُومٌ﴾ مُطَيَّنٌ ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ طينه مسك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَخْتُومٌ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قال: طينه مسك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَخْتُومٌ﴾ الخمر ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: ختامه عند الله مسك، وختامها اليوم في الدنيا طين.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح، إن ريحها في آخر شربهم، يختم لها بريح المسك.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة، لأنه لا وجه للمختم في كلام العرب إلا الطبع، والفراغ كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره، فإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة، يفهم إذا كان شرابهم جارياً جري الماء في الأنهار، ولم يكن معتقاً في الدنان، فيطين عليها وتختم، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر، وهو العاقبة والمشروب آخراً، وهو الذي ختم به الشراب. وأما الختم بمعنى المزج، فلا نعلمه مسموعاً من كلام العرب.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ سوى الكسائي، فإنه كان يقرؤه: «خَاتَمُهُ مِسْكٌ».

والصواب من القول عندنا في ذلك: ما عليه قراء الأمصار، وهو ﴿خِتَامُهُ﴾، لإجماع الحجة من القراء عليه، والختام والخاتم، وإن اختلفا في اللفظ، فإنهما متقاربان في المعنى، غير أن الخاتم اسم، والختام مصدر ومنه قول الفرزدق:

فَيْثَنَ بِجَائِبِي مُصْرَعَاتٍ وَيَسُّكُ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخَتَامِ^(١)

(١) البيت للفرزدق (ديوانه بطبعة الصاوي ٨٣٦) من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، روى الفراء في «معاني القرآن» عند قوله تعالى: ﴿خِتَامَهُ مِسْكٌ﴾ بإسناد له إلى علي بن أبي طالب أنه قرأ «خاتم مسك». وبإسناد آخر له عن علقمة وقيس: خاتم مسك. وقال أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل لي خاتم مسكاً تريد آخره. والخاتم والختام: متقاربان في المعنى، إلا أن الخاتم الاسم، والختام المصدر. وقال الفرزدق: =

ونظير ذلك قولهم: هو كريم الطبايع والطبايع.

وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي هذا التعميم الذي وصف جل ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار في القيامة، فليتنافس المتنافسون. والتنافس: أن يتفيس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه، وهو مأخوذ من الشيء النفيس، وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتشتهيه، وكان معناه في ذلك: فليجد الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَرَأَاهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَنَّا يَشِرُّ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ويزاج هذا الرحيق من تسنيم والتسنيم: التفعيل من قول القائل: ستمتهم العين تسنيماً: إذا أجريتها عليهم من فوقهم، فكان معناه في هذا الموضع: ويزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم. وقد كان مجاهد والكلبي يقولان في ذلك كذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَسْنِيمٍ﴾ قال: تسنيم: يعلو.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي، في قوله: ﴿تَسْنِيمٍ﴾ قال: تسنيم ينصب عليهم من فوقهم، وهو شراب المقربين.

وأما سائر أهل التأويل، فقالوا: هو عين يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين، وأما المقربون، فيشربونها صِرْفاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: عين في الجنة يشربها المقربون، وتمزج لأصحاب اليمين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن

مُرَّة، عن مسروق، عن عبد الله ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: يشربه المقرَّبون صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مالك بن الحارث، عن مسروق، ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: عين في الجنة يشربها المقرَّبون صرفاً، وتُمزج لأصحاب اليمين.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرَّة، عن مسروق ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: يشرب بها المقرَّبون صرفاً، وتُمزج لأصحاب اليمين.

حدثني طلحة بن يحيى اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مالك بن الحارث، في قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: في الجنة عين يشرب منها المقرَّبون صرفاً، وتُمزج لسائر أهل الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ صرفاً، ويمزج فيها لمن دونهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مالك بن الحارث، في قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: التسنيم: عين في الجنة يشربها المقرَّبون صرفاً، وتُمزج لسائر أهل الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: عين يشرب بها المقرَّبون، ويمزج فيها لمن دونهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ عيناً من ماء الجنة، تُمزج به الخمر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليَّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمِرْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: خفايا أخفاها الله لأهل الجنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن إسماعيل، عن أبي صالح، في

قوله: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: هو أشرف شراب في الجنة، هو للمقربين صرف، وهو لأهل الجنة مزاج.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ شراب شريف، عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش، وهي مزاج هذه الخمر: يعني مزاج الرحيق.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ شراب اسمه تسنيم، وهو من أشرف الشراب.

فتأويل الكلام: ومزاج الرحيق من عين تُسَمُّ عليهم من فوقهم، فتنصب عليهم ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الله صرفاً، وتمزج لأهل الجنة.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿عَيْنًا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: إن شئت جعلت نصبه على يُسْقُونَ عَيْنًا، وإن شئت جعلته مدحاً، فيقطع من أول الكلام، فكأنك تقول: أعني عينا.

وقال بعض نحويي الكوفة: نصب العين على وجهين: أحدهما: أن يُنَوَى من تسنيم عين، فإذا نَوَّنت نصبت، كما قال: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾، وكما قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ﴾. والوجه الآخر: أن ينوى من ماء سُئِمَ عينا، كقولك: رفع عينا يشرب بها. قال: وإن لم يكن التسنيم اسماً للماء، فالعين نكرة، والتسنيم معرفة، وإن كان اسماً للماء، فالعين نكرة^(١) فخرجت نصباً. وقال آخر من البصريين: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ معرفة، ثم قال ﴿عَيْنًا﴾ فجاءت نكرة، فنصبها صفة لها. وقال آخر نصبت بمعنى: من ماء يَتَسَمُّ عينا.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن التسنيم اسم معرفة، والعين نكرة، فنصبت لذلك إذ كانت صفة له. وإنما قلنا: ذلك هو الصواب لما قد قدمنا من الرواية عن أهل التأويل، أن التسنيم هو العين، فكان معلوماً بذلك أن العين إذ كانت منصوبة وهي نكرة، أن التسنيم معرفة.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اكتسبوا المآثم، فكفروا بالله في الدنيا، كانوا فيها من الذين أقروا بوحداية الله، وصدقوا به، يضحكون، استهزاء منهم بهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) عبارة الفراء: وإن لم يكن التسنيم اسماً للماء، فالعين نكرة والتسنيم معرفة إن كان اسماً للماء والعين الخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ في الدنيا، يقولون: والله إن هؤلاء لكذبة، وما هم على شيء، استهزاء بهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون يقول: كان بعضهم يغمز بعضاً بالمؤمن، استهزاء به وسخرية.

وقوله: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ يقول: وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ قال: معجبين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ قال: انقلب ناعماً، قال: هذا في الدنيا، ثم أعقب النار في الآخرة.

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يفرّق بين معنى فاكهين وفكهين، فيقول: معنى فاكهين ناعمين، وفكهين: مَرِحِينَ. وكان غيره يقول: ذلك بمعنى واحد، وإنما هو بمنزلة طامع وطمع، وباخل وبخل.

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون، عن محجة الحق، وسبيل القصد ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وما بُعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون، حافظين عليهم أعمالهم يقول: إنما كُلفوا الإيمان بالله، والعمل بطاعته، ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم، أعمالهم ويتفقدونها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ هَلْ تَرَىٰ الْكُفَّارَ

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله في الدنيا ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾ فيها ﴿يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ يقول: على سررهم التي في الجبال ينظرون إليهم، وهم في الجنة، والكفار في النار يُعَذَّبُونَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ قال: يعني السرر المرفوعة عليها الجبال. وكان ابن عباس يقول: إن السور الذي بين الجنة والنار يُفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار، والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ذكر لنا أن كعباً كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا، اطلع من بعض الكوى، قال الله جل ثناؤه: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَى فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: أي في وسط النار. وذكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال كعب: إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ كان ابن عباس يقول: السور بين أهل الجنة والنار، فيفتح لأهل الجنة أبواب، فينظرون وهم على السرر إلى أهل النار كيف يعذبون، فيضحكون منهم، ويكون ذلك مما يقر الله به أعينهم أن ينظروا إلى عدوهم كيف ينتقم الله منهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ قال: يُجاء بالكفار، حتى ينظروا إلى أهل الجنة في الجنة، على سرر، فحين ينظرون إليهم تغلق دونهم الأبواب، ويضحك أهل الجنة منهم، فهو قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هل أثيب الكفار وجزوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخرتهم منهم، وضحكهم بهم، بضحك المؤمنين

منهم في الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم في النار يعدّبون.

و ﴿تُؤَبُّ﴾ فعل من الثواب والجزاء، يقال منه: تَوَّبَ فلان فلاناً على صنيعه، وأثابه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال: جزي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان: ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ حين كانوا يسخرون.

آخر تفسير سورة ويل للمطففين

(٨٤) سورة الانشقاق، مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدعت وتقطعت فكانت أبواباً.

وقوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ يقول: وسمعت السموات في تصدعها وتشققها لربها، وأطاعت له في أمره إياها. والعرب تقول: أذِنَ لك في هذا الأمر أذناً بمعنى: استمع لك، ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ: «ما أذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كأذنيه لِنبيِّ يتغنَّى بالقرآن» يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنَّى بالقرآن ومنه قول الشاعر:

صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا^(١)

وأصل قولهم في الطاعة: سمع له من الاستماع، يقال منه: سمعت لك، بمعنى سمعت قولك وأطعت، فيما قلت وأمرت. وينحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال: سمعت لربها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله:

(١) البيت لقعن بن أم صاحب «اللسان» أذن وأورد قبله بيتاً آخر، وهو:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً مِثْنَى وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ ذُكُّوا

وأذن له أذناً: استمع، والشاهد عليه بيت قعن بن يمان. وفي الحديث: ما أذن الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنَّى بالقرآن: أي يتلوه بجهر فيه وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٦) وأذنت لربها: أذنت استمعت.

﴿وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ قال: سمعت أوطاعت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ قال: سمعت.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ قال: سمعت وأطاعت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾: أي سمعت وأطاعت.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ قال: سمعت وأطاعت.

وقوله: ﴿وَحَقَّتْ﴾ يقول: وَحَقَّقَ اللهُ عَلَيْهَا الاستماع بالانشقاق، والانتهاه إلى طاعته في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَحَقَّتْ﴾ قال: حُقِّقَتْ لطاعة ربها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد بن جبیر: ﴿وَحَقَّتْ﴾ وَحَقَّ لَهَا.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وَإِذَا الْأَرْضُ بُسِطَتْ، فزيدت في سعتها كالذي:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن حسين، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى، وَجِبْرِيلُ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ مَا رَأَى قَبْلَهَا، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، فَيَقُولُ: صَدَقَ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، قَالَ: وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مُدَّتْ﴾ قال: يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ يقول جل ثناؤه: وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلت منهم إلى الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ قال: أخرجت ما فيها من الموتى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ قال: أخرجت أثقالها وما فيها.

وقوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ يقول: وسمعت الأرض في إلقاءها ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء، أمر ربها وأطاعت ﴿وَحَقَّتْ﴾ يقول: وحققتها الله للاستماع لأمره في ذلك، والانتهاه إلى طاعته.

واختلف أهل العربية في موقع جواب قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، فقال بعض نحويي البصرة: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ على معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ بِهِ﴾ إذا السماء انشقت، على التقديم والتأخير.

وقال بعض نحويي الكوفة: قال بعض المفسرين: جواب ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ قوله: ﴿وَأَذْنَتْ﴾ قال: ونرى أنه رأي ارتأه المفسر، وشبهه بقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لأننا لم نسمع جواباً بالواو في إذا مبتدأة، ولا كلام قبلها، ولا في إذا، إذا ابتدئت قال: وإنما تجيب العرب بالواو في قوله: حتى إذا كان، وفلما أن كان، لم يجاوزوا ذلك قال: والجواب في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وفي ﴿إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ كالمتروك، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن معناه، فعرّف، وإن شئت كان جوابه: يا أيها الإنسان، كقول القائل: إذا كان كذا وكذا، فيا أيها الناس ترون ما عملتم من خير أو شرّ، تجعل يا أيها الإنسان هو الجواب، وتضمّر فيه الفاء، وقد فسّر جواب ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فيما يلقي الإنسان من ثواب وعقاب، فكأن المعنى: ترى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جوابه محذوف، ترك استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه. ومعنى الكلام: إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير أو شرّ، وقد بين ذلك

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ والآيات بعدها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ (١) فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِحَسَنَةٍ (٢) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَعِيدًا (٣) وَتُنْفَخُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٤) ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملاً فملاقيه به: خيراً كان عملك ذلك أو شراً يقول: فليكن عملك مما يُنجيك من سُخطه، ويوجب لك رضاه، ولا يكن مما يُسخطه عليك فتهلك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوّة إلا بالله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ قال: عامل له عملاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسمعت يقول في ذلك ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ قال: عامل إلى ربك عملاً، قال: كدحاً: العمل. وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِحَسَنَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَعِيدًا﴾ بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازي على حسنها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الواحد بن حمزة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَاباً سَعِيداً» قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أَنْ يَنْظُرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَاباً يَسِيراً»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحسَابُ اليسير؟ قال: «يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَأْتِيهِ عَائِشَةٌ هَلَكٌ».

حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: ثنا مسلم، عن الحرث بن الخزيم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: من نُوقِشَ الحسَاب، أو من حوسب عَذْب، قال: ثم قالت: إنما الحسَابُ اليسير: عَرَضَ على الله وهو يراهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْبٌ»، فقلت: أليس الله يقول: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً»؟ قال: «لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْبٌ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا روح بن عبادة، قال: ثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مُعَذَّباً»، فقلت: أليس يقول الله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً»؟ قال: «ذَلِكَ الْعَرَضُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذْبٌ»، وقال بيده على أصبعه كأنه ينكته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً» قال: الحسَابُ اليسير: الذي يغفر ذنوبه، ويتقبل حسناته، ويسير الحسَاب: الذي يعفى عنه، وقرأ: «وَيَعَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ»، وقرأ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، قال: ثني ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: يا رسول الله ﷺ: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً»؟ قال: «ذَلِكَ الْعَرَضُ يَأْتِيهِ عَائِشَةٌ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكٌ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عثمان بن عمرو وأبو داود، قال: ثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ عَذْبٌ»، قالت: فقلت: أليس الله يقول: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً»؟ قال: «ذَلِكَ الْعَرَضُ يَأْتِيهِ عَائِشَةٌ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذْبٌ».

إن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ﴾ والمحاسبة لا تكون لا من اثنين، والله القائم بأعمالهم، ولا أحد له قَبْلَ ربه طَلِبَةٌ فيحاسبه؟ قيل: إن ذلك تقرير من الله للعبد بذنوبه، وإقرار من العبد بها، وبما أحصاه كتاب عمله، فذلك المحاسبة على ما وصفنا، ولذلك قيل: يحاسب.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن أبي يونس القشيري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» قالت: فقلت: يا رسول الله «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً» فقال: «ذَلِكَ الْعَرُضُ، لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ».

وقوله: ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ يقول: وينصرف هذا المحاسب حساباً يسيراً إلى أهله في الجنة مسروراً. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ قال: إلى أهل أعد الله لهم الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٣﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً ﴿١٤﴾ وَيَصِلُ مَصِيراً ﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُوراً ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَنْ يَحُورَ ﴿١٧﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِيَدَيْهِ نَصِيراً ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحياناً، أنهم يُؤْتُونَ كِتَابَهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ، وأحياناً أنهم يُؤْتَوْنَهَا مِنْ وِرَاءِ ظُهُورِهِمْ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ قال: يجعل يده من وراء ظهره.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾ يقول: فسوف ينادي بالهلاك، وهو أن يقول: واثبورا، واويلاه، وهو من قولهم: دعا فلان لهفه: إذا قال: والهفاه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكرنا معنى الثبور فيما مضى بشواهد، وما فيه من الرواية.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَدْعُو نُبُورًا﴾ قال: يدعو بالهلاك.

وقوله: ﴿وَيُضَلِّي سَعِيرًا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء مكة والمدينة والشام: «وَيُضَلِّي» بضم الياء وتشديد اللام، بمعنى: أن الله يصليهم تصلياً بعد تصلياً، وإنضاجاً بعد إنضاجاً، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك، بقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿وَيُضَلِّي﴾ بفتح الياء وتخفيف اللام، بمعنى: أنهم يصلونها ويردونها، فيحترقون فيها، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك، بقول الله: ﴿يُضَلُّونَهَا﴾ و﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنه كان في أهله في الدنيا مسروراً، لما فيه من خلافه أمر الله، وركوبه معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: أي في الدنيا.

وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظن في الدنيا أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم، لأنه لم يكن يرجو ثواباً، ولم يكن يخشى عقاباً يقال منه: حار فلان عن هذا الأمر: إذا رجع عنه، ومنه الخير الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ» يعني بذلك: من الرجوع إلى الكفر، بعد الإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ يقول: يُبعث.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ بلى ﴿قال: أن لا يرجع إلينا.﴾

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: أن لا معاذ له ولا رجعة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ قال: أن لن يتقلب: يقول: أن لن يبعث.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ قال: يرجع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ قال: أن لن يتقلب.

وقوله: ﴿بلى﴾ يقول تعالى ذكره: بلى لَيَحُورَنَّ وَلَيَرَّجَعَنَّ إلى ربه حياً، كما كان قبل مماته.

وقوله: ﴿إِنَّ رِيَّةَ كَانٍ بِهِ بَصِيرًا﴾ يقول جل ثناؤه: إن رب هذا الذي ظن أن لن يحور، كان به بصيراً، إذ هو في الدنيا، بما كان يعمل فيها من المعاصي، وما إليه يصير أمره في الآخرة، عالم بذلك كله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَا أَسْئِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْحَمْرِ إِذَا أَشَقَ ۝١٨ لَرَّكَنَ طَبَقًا عَنِ ۝١٩ طَوْقٍ ۝٢٠ فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢١ وَإِذَا قُرئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢٢﴾

وهذا قَسَمَ أَسْمَ ربنا بالشفق، والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس في قول بعضهم.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هو الحمرة كما قلنا، وممن قال ذلك جماعة من أهل العراق. وقال آخرون: هو النهار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا العوام بن حوشب، قال: قلت لمجاهد: الشفق، قال: لا تقل الشفق، إن الشفق من الشمس، ولكن قل: حمرة الأفق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: الشَّقَق، قال: النهار كله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ﴾ قال: النهار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: الشَّقَق: هو اسم للحمرة والبياض، وقالوا: هو من الأضداد.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الله أقسم بالنهار مدبراً، والليل مقبلاً. وأما الشَّقَق الذي تحلُّ به صلاة العشاء، فإنه للحمرة عندنا، للعلة التي قد بيَّناها في كتابنا كتاب الصلاة.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: والليل وما جمع، مما سكن وهدأ فيه من ذي روح كان يطير، أو يدب نهاراً، يقال منه: وسَّقْتُهُ أسِقُهُ وسَقاً، ومنه: طعام موسوق، وهو المجموع في غرائر أو وعاء، ومنه الوسوق، وهو الطعام المجمع الكثير، مما يكال أو يوزن، يقال: هو ستون صاعاً، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: وما جَمَعَ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جَمَعَ. وقال ابن عباس:

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدَنَّ سَائِقًا^(١)

(١) هذا بيت من مشطور الرجز، أنشده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٦) قال: «وما وسق» ما علاه لم يتمتع منه شيء، فإذا جلت الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض، فاجتمعت له، فقد وسقها؛ قال الشاعر:

مستوسقات لو وجدن سائقاً

وفي «الكامل» للمبرد (طبعة الحلبي ٩٥٧) حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، قال: رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله، ويطلب منه الاحتجاج باللغة، فسأله عن قول الله جل ثناؤه: «الليل وما وسق»، فقال ابن عباس: وما جمع، فقال: أتعرف ذلك العرب؟ قال ابن عباس: أما سمعت قول الراجز:

إِنَّ لَنَا قَلَائِباً حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدَنَّ سَائِقًا =

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: سألت حفص الحسن عن قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الجارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع، يقول: ما أوى فيه من دابة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما لف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما أظلم عليه، وما أدخل فيه. وقال ابن عباس: مُسْتَوَسِقَاتٍ لَوْ يَجِدَنَّ حَادِيَا

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: وما جمع من نجم أو دابة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع، مجتمع فيه الأشياء التي يجمعها الله، التي تأوي إليه، وأشياء تكون في الليل لا تكون في النهار، ما جمع مما فيه ما يأوي إليه، فهو مما جمع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: ما لف عليه.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

قال المبرد: هذا قول ابن عباس، وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح. قلت: وبناء عليه يكون هذان البيتان معروفين في عصر ابن عباس ونافع بن الأزرق. وتكون نسبتها إلى العجاج في ملحق ديوانه وفي إحدى روايات (اللسان: وشق) غير صحيحة والنون في يجدن أو وجد راجعة إلى الأبل وإن من الخطأ أن يقال: تجدن بالتاء في أول الفعل إلا إذا كان لجمع مؤنث للمخاطبات، وقد وقع خطأ تجدن في «اللسان» وفي ديوان العجاج (٨٤) وخلاصة ما تقدم أن هذا الرجز عرفه ابن عباس وأنشده احتجاجاً على ما سأله عنه نافع. ولا بد إذن من حمل عبارة: وقال ابن عباس «مستوسقات» التي وردت في ثلاثة مواضع في الطبري على إرادة: وأنشد ابن عباس: لأن ما ورد في التفسير مسوق ضمن روايات لبعض المفسرين، وفيه تسمح في التعبير.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** قال: وما دخل فيه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾**: وما جمع.

قال: ثنا وكيع، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس **﴿وَمَا وَسَقَ﴾**: وما جمع، ألم تسمع قول الشاعر:

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَمْ يَجِدْنَ سَائِقًا

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** قال: ما حاز إذا جاء الليل.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما ساق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن أحمد المرزوقي، قال: ثنا علي بن الحسن، قال: ثنا حسين، قال: سمعت عكرمة وسئل **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** قال: ما ساق من ظلمة، فإذا كان الليل، ذهب كل شيء إلى مأواه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن عكرمة **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** يقول: ما ساق من ظلمة، إذا جاء الليل ساق كل شيء إلى مأواه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** قال: ما ساق معه من ظلمة إذا أقبل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** يعني: وما ساق الليل من شيء جمعه النجوم، ويقال: والليل وما جمع.

وقوله: **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** يقول: وبالقمر إذا تم واستوى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** يقول: إذا استوى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا اجتمع واستوى.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا استوى.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، قال: سألت حفص الحسن، عن قوله: **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا اجتمع، إذا امتلأ.

حدثني أبو كدينة، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد، في قوله: **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: لثلاث عشرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا استوى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾**: إذا استوى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إِذَا اتَّسَقَ﴾**: إذا استدار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾**: إذا استوى.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا اجتمع فاستوى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾** قال: إذا استوى.

وقوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» اختلفت القراء في قراءته، فقرأه عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه، وابن عباس وعامة قراء مكة والكوفة: «لَتَرْكَبُنَّ» بفتح التاء والباء. واختلف قارئو ذلك كذلك في معناه، فقال بعضهم: لتركبن يا محمد أنت حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقرأ: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» يعني نبيكم ﷺ حالاً بعد حال.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن رجل حدثه، عن ابن عباس في «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: منزلاً بعد منزل.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» يقول: حالاً بعد حال.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» يعني: منزلاً بعد منزل، ويقال: أمرأ بعد أمر، وحالاً بعد حال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: سمعت مجاهداً، عن ابن عباس «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: محمد ﷺ.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة في قوله «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هُوَذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: سألت حفص الحسن عن قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: منزلاً عن منزل، وحالاً عن حال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شريك، عن موسى بن أبي عائشة، قال: سألت مرة عن قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً عن حال.

قال: ثنا وكيع، عن نصر، عن عكرمة، قال: حالاً بعد حال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قال: لتركبن الأمور حالاً بعد حال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» يقول: حالاً بعد حال، ومنتزلاً عن منزل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» منزلاً بعد منزل، وحالاً بعد حال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قال: أمراً بعد أمر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قال: أمراً بعد أمر.

وقال آخرون ممن قرأ هذه المقالة، وقرأ هذه القراءة عني بذلك: لتركبن أنت يا محمد سماء بعد سماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن وأبو العالية «لَتَرْكَبَنَّ» يعني محمداً ﷺ ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ السموات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن أبي الضحى، عن مسروق «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» قال: أنت يا محمد سماء عن سماء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن الشعبي، قال: سماء بعد سماء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، عن علقمة، عن عبد الله، قال: سماء فوق سماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لتركبن الآخرة بعد الأولى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: الآخرة بعد الأولى.

وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة: إنما عني بذلك أنها تتغير ضرباً من التغيير، وتُشَقَّقُ بالغمام مرّة، وتحمرّ أخرى، فتصير وُرْدَةً كالدهان، وتكون أخرى كالمهل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن مرّة، عن ابن مسعود «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: السماء مرّة كالدهان، ومرّة تُشَقَّقُ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: سمعت أبا الزرقاء الهمداني، وليس بأبي الزرقاء الذي يحدث في المسح على الجوربين، قال: سمعت مرّة الهمداني، قال: سمعت عبد الله يقول في هذه الآية: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: السماء.

حدثني عليّ بن سعيد الكندي، قال: ثنا عليّ بن غراب، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله في قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: هي السماء تغبرّ وتحمرّ وتُشَقَّقُ.

حدثنا أبو السائب، قال: ثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، في قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: هي السماء تُشَقَّقُ، ثم تحمرّ، ثم تنظر قال: وقال ابن عباس: حالاً بعد حال.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قرأ عبد الله هذا الحرف: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: السماء حالاً بعد حال، ومنزلة بعد منزلة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: هي السماء.

حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي فروة، عن مرّة، عن ابن مسعود أنه قرأها نصباً، قال: هي السماء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: هي السماء تغير لوناً بعد لون.

وقرأ ذلك عامة قرءاء المدينة وبعض الكوفيين: «لَتَرْكَبُنَّ» بالتاء، وبضم الياء، على وجه

الخطاب للناس كافة، أنهم يركبون أحوال الشدة حالاً بعد حال. وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء، ويضم الباء، على وجه الخبر عن الناس كافة، أنهم يفعلون ذلك.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ بالتاء ويفتح الباء، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة. وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا، فالصواب من التأويل قول من قال: «لَتَرْكَبُنَّ» أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد. والمراد بذلك، وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً، جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.

وإنما قلنا: عُني بذلك ما ذكرنا، أن الكلام قبل قوله: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ» جرى بخطاب الجميع، وكذلك بعده، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده.

وقوله: «طَبَقاً عَن طَبَقٍ» من قول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر شديد.

وقوله: «فَمَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا يقرّون بالبعث بعد الموت، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقاً عن طبق، مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده. وقد:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله «فَمَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: قال: وبهذا الحديث، وبهذا الأمر.

وقوله: «وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ» يقول تعالى ذكره: وإذا قُرِئَ عليهم كتاب ربهم لا يخضعون ولا يستكثنون وقد بينا معنى السجود قبل بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَتَشْرَهُمْ بِعَذَابِ الْبُورِ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ» يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا يكذبون بآيات الله وتنزيله.

وقوله: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» يقول تعالى ذكره: والله أعلم بما تُوعيه صدور هؤلاء المشركين، من التكذيب بكتاب الله ورسوله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يُوعُونَ﴾ قال: يكتمون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال: المرء يُوعِي متاعه وماله هذا في هذا، وهذا في هذا، هكذا يعرف الله ما يوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشر، فالقلوب وعاء هذه الأعمال كلها، الخير والشر، يعلم ما يسرون وما يعلنون، ولقد وَعَى لكم ما لا يدري أحد ما هو من القرآن وغير ذلك، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال، بعض هذه الخبث ما يفسدها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿يُوعُونَ﴾ قال في صدورهم.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: يقول جل ثناؤه: فبشر يا محمد هؤلاء المكذبين بآيات الله، بعذاب أليم لهم عند الله موجع ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: إلا الذين تابوا منهم وصدقوا، وأقروا بتوحيده، ونبوة نبيه محمد ﷺ، وبالبعث بعد الممات. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وأدوا فرائض الله، واجتنبوا ركوب ما حرّم الله عليهم ركوبه.

وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثواب غير محسوب ولا منقوص. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول: غير منقوص.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يعني: غير محسوب.

آخر تفسير سورة إذا السماء انشقت

(٨٥) سورة البروج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل جلاله وتقدسست أسماؤه:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) وَاللَّيْلِ الْمُنِيرِ (٢) وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ (٣) قُلْ أَصْحَابُ الْأَعْدَادِ (٤) وَالنَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ (٥)

قال أبو جعفر رحمه الله: قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أقسم الله جل ثناؤه بالسماء ذات البروج.

واختلف أهل التأويل في معنى البروج في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بذلك: والسماء ذات القصور. قالوا: والبروج: القصور.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال ابن عباس: قصور في السماء، قال غيره: بل هي الكواكب.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿الْبُرُوجِ﴾ يزعمون أنها قصور في السماء، ويقال: هي الكواكب. وقال آخرون: عني بذلك: والسماء ذات النجوم، وقالوا: نجومها: بروجها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال: البروج: النجوم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال: النجوم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وبروجها: نجومها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والسماء ذات الرمل والماء.

نكر من قال ذلك:

حدثني الحسن بن قزعة، قال: ثنا حصين بن نمير، عن سفيان بن حسين، في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال: ذات الرمل والماء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج: جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، وهي منازل مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجاً، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلاث، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً، ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كل برج منها شهر.

وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأقسم باليوم الذي وعده عبادي، لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير وإسحاق الرازي، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ».

قال: ثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، مثله.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا يونس، قال أنبائي عمار، قال: قال أبو هريرة: «الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ». قال يونس، وكذلك الحسن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يعني: يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ قال: القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **«الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ»** يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن عبيد، عن عمار بن أبي عمار، مولى بني هاشم، عن أبي هريرة **«وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ»** يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: **«الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ»**.

حدثنا محمد بن عوف، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ»**.

وقوله: **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»**: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقسم بشاهد، قالوا: وهو يوم الجمعة، ومشهود، قالوا: وهو يوم عرفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: أخبرنا ابن عليه، قال: أخبرنا يونس، قال: أنبأني عمار، قال: قال أبو هريرة: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة قال يونس، وكذلك قال الحسن.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت حارثة بن مضرب، يحدث عن علي رضي الله عنه، أنه قال في هذه الآية: **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»** قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»** قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة ويقال: الشاهد: الإنسان، والمشهود: يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»**: يومان عظيمان من أيام الدنيا، كنا نحدث أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»** قال: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه: **«وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»** قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **«وَشَاهِدٍ»** يوم

الجمعة، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يوم عرفة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَشَاهِدِ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمَشْهُودٍ: يَوْمَ عَرَفَةَ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير وإسحاق الرازي، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المَشْهُودُ: يَوْمَ عَرَفَةَ، والشَّاهِدُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

حدثنا سهل بن موسى، قال: ثنا ابن أبي فديك، عن ابن حرملة، عن سعيد: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سَيِّدَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمَ عَرَفَةَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيد، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «المَشْهُودُ: يَوْمَ عَرَفَةَ، والشَّاهِدُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُؤَاقِفُهَا مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُهُ مِنْ شَرِّ إِلَّا أَعَادَهُ».

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ضمضم بن زُرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَيَوْمَ الْجُمُعَةِ خَيْرَةٌ لَنَا».

حدثني سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، قال: سيد الأيام يوم الجمعة، وهو شاهد.
وقال آخرون: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن شبك، قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿وَشَاهِدِ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة قال: لا، ولكن الشاهد: محمد، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ

النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن أبي الضحى، عن الحسن بن علي، قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة.

حدثني سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن حزملة، عن سعيد بن المسيب: «وَمَشْهُودٌ»: يوم القيامة.

وقال آخرون: الشاهد: الإنسان، والمشهود: يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أسباط، عن عبد الملك، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» قال: الشاهد: ابن آدم، والمشهود يوم القيامة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» قال: الإنسان، وقوله «وَمَشْهُودٍ» قال: يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، قال: الشاهد: الإنسان، والمشهود: يوم القيامة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، في قوله: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» قال: شاهد: ابن آدم، ومشهود: يوم القيامة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وَشَاهِدٍ» يعني الإنسان «وَمَشْهُودٍ» يوم القيامة، قال الله: وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ.

وقال آخرون: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم الجمعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم الجمعة، فذلك قوله: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا».

وقال آخرون: الشاهد الله، والمشهود: يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله

﴿وَشَاهِدٍ﴾ يقول الله ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يقول: يوم القيامة.

وقال آخرون: الشاهد: يوم الأضحى، والمشهود: يوم الجمعة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن شبك، قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذبح، ويوم الجمعة.

وقال آخرون: الشاهد: يوم الأضحى، والمشهود، يوم عرفة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة.

وقال آخرون: المشهود: يوم الجمعة، ورووا ذلك عن رسول الله ﷺ. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثني عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ».

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنى مما يستحق أن يقال له ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ يقول: لئن أصحاب الأخدود. وكان بعضهم يقول: معنى قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ خبر من الله عن النار أنها قتلتهم.

وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم؟ فقال بعضهم: قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر عن ابن أبي زري، قال: لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم، بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال بعضهم لبعض: أي الأحكام تجري في المجوس، وإنهم ليسوا بأهل كتاب، وليسوا من مشركي العرب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قد كانوا أهل كتاب، وقد كانت الخمر أحلت لهم، فشربها

ملك من ملوكهم، حتى ثمل منها، فتناول أخته فوق عليها، فلما ذهب عنه السكر قال لها: ويحك فما المخرج مما ابتليت به؟ فقالت: اخطب الناس، فقل: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقام خطيباً، فقال: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول، ما أتانا به نبي، ولا وجدناه في كتاب الله، فرجع إليها نادماً، فقال لها: ويحك إن الناس قد أبوا عليّ أن يقرّوا بذلك، فقالت: ابسط عليهم السيّاط، ففعل، فبسط عليهم السيّاط، فأبوا أن يقرّوا، فرجع إليها نادماً، فقال: إنهم أبوا أن يقرّوا، فقالت: اخطبهم فإن أبوا فجرد فيهم السيف، ففعل، فأبى عليه الناس، فقال لها: قد أبى عليّ الناس، فقالت: خذ لهم الأخدود، ثم اعرض عليها أهل مملكتك، فمن أقرّ، وإلاً فاقدفه في النار، ففعل، ثم عرض عليها أهل مملكته، فمن لم يقرّ منهم قذفه في النار، فأنزل الله فيهم: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ إلى أن يؤمّنوا بالله العزيز الحميد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات حرّقوهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ قال: حدثنا أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول: هم ناس بمذارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها، فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم اقتتلوا الثانية، فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم أخذ بعضهم على بعض عهداً ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذاً ثم إن رجلاً من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى خير، توقدون ناراً ثم تعرضونا عليها، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون، ومن لا، اقتحم النار فاسترحتم منه قال: فأججوا ناراً وعرضوا عليها، فجعلوا يقتحمونها صناديدهم، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت، فقال لها طفل في حجرها: يا أمّاه، امضي ولا تناققي، قصّ الله عليكم نبأهم وحدثهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ قال: يعني القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ قال: هم ناس من بني إسرائيل، خذوا أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيها ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ

الأخْدُوْدِ ﴿ قَالَ: كَانَ شَقُوْقٌ فِي الْأَرْضِ بَنَجْرَانَ، كَانُوا يَعَذَّبُونَ فِيهَا النَّاسَ.

حُدِّثْتُ عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿قَتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُوْدِ﴾ يزعمون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجلاً ونساء، فخذوا لهم أخدوداً، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: تكفرون أو نقدفكم في النار.

حَدَّثَنِي محمد بن معمر، قال: ثنا حرمي بن عمارة، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ سَاجِرٌ، فَآتَى السَّاجِرُ الْمَلِكَ، فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجْلِي، فَادْفَعْ لِي غُلَامًا أَعْلَمُهُ السُّحْرَ قَالَ: فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ السُّحْرَ، قَالَ: فَكَانَ الْغُلَامُ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاجِرِ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاجِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ قَالَ: فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا مَرَّ بِالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ، فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ، فَأُعْجِبَ بِكَلَامِهِ، فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا أَتَى السَّاجِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاجِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي السَّاجِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لَا تَدْعُهُمْ يَجُوزُونَ فَقَالَ الْغُلَامُ: الْآنَ أَعْلَمُ أَمْرَ السَّاجِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجْرًا، قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاجِرِ فَأِنِّي أَرْمِي بِحَجْرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ. قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَارَ النَّاسُ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ قَالَ: وَأَتَاهُ الْغُلَامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلَامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ قَالَ: وَكَانَ الْغُلَامُ، يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَسَائِرَ الْأَذْوَاءِ وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلَامًا يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَسَائِرَ الْأَذْوَاءِ، فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايَا قَالَ: ثُمَّ أَنَاهُ فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الْهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ يَشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيكَ قَالَ: فَأَمَرَ الْأَعْمَى، فَدَعَا اللَّهَ فَشَفَاهُ، فَعَدَدَ الْأَعْمَى إِلَى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَدَابِ فَقَالَ: لَتَدُلَّنِّي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا، قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَدَعَا الْغُلَامَ فَقَالَ: ازْجِعْ عَن دِينِكَ، قَالَ: فَأَبَى الْغُلَامُ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَدَابِ قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ، فَقَالَ: ازْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى قَالَ: فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْضَ، قَالَ: وَأَخَذَ الْأَعْمَى فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ: فَأَبَى الْأَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ

لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ: فَأَبَى قَالَ: فَقَالَ: أَذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَذَهَبْهُوهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ. وَجَاءَ الْعُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيُّنَ أَصْحَابِكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ قَالَ: فَادْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَغَرِّقُوهُ قَالَ: فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْعُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَاكْتَفَأَتْ بِهِمُ السُّفِينَةُ. وَجَاءَ الْعُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ الْمَلِكُ: أَيُّنَ أَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: دَعَوْتُ اللَّهَ فَكَفَانِيَهُمْ، قَالَ: لَأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَضَعَّ مَا أَمْرُكَ، قَالَ: فَقَالَ الْعُلَامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اضْلُبْنِي، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَازِمْنِي وَقُلْ: بِاسْمِ رَبِّ الْعُلَامِ، فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ قَالَ: وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَوَضَعَهُ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِاسْمِ رَبِّ الْعُلَامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْعُلَامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ، وَمَاتَ الْعُلَامُ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّا يَرْبُ الْعُلَامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَقْوَاهِ السُّكَّكِ فَأُخِذَتْ، وَحَدَّ الْأَخْدُودَ وَضَرَمَ فِيهِ النَّيْرَانَ، وَأَخَذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا وَإِلَّا فَالْقُوهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: فَكَانُوا يُلْقَوْنَهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَفْتَحُجُّمْ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَتَكَصَّتْ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا صَبِيُّهَا يَا أُمَّهُ، امْضِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ.

وقال آخرون: بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ.

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

حُدِّثْتُ عَنْ عَمَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، اعْتَزَلُوا النَّاسَ فِي الْفِتْرِ، وَإِنْ جَبَّارًا، مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي دِينِهِ، فَأَبَوْا، فَخَدَّ أَخْدُودًا، وَأَوْقَدَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَيْرَهُمْ بَيْنَ الدُّخُولِ فِي دِينِهِ، وَبَيْنَ إِلْقَائِهِمْ فِي النَّارِ، فَاخْتَارُوا إِلْقَاءَهُمْ فِي النَّارِ، عَلَى الرَّجُوعِ عَنْ دِينِهِمْ، فَالْقَوْا فِي النَّارِ، فَجَعَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَلْفَوْا فِي النَّارِ مِنَ الْحَرِّ، بِأَنْ قَبِضَ أَرْوَاحَهُمْ، قَبْلَ أَنْ تَمْسَهُمُ النَّارُ، وَخَرَجَتْ النَّارُ إِلَى مَنْ عَلَى شَفِيرِ الْأَخْدُودِ مِنَ الْكُفَّارِ فَأَحْرَقَتْهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ فِي الدُّنْيَا.

وَاخْتَلَفَ فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الْقِسْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَوَابُهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: وقع القسم هاهنا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وقال بعض نحوِّي البصرة: موضع قسمها والله أعلم، على قتل أصحاب الأخدود، أضمر اللام كما قال: **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** يريد: إن شاء الله: لقد أفلح من زكَّاهَا، فألقى اللام، وإن شئت قلت على التقديم، كأنه قال: قتل أصحاب الأخدود، والسماء ذات البروج.

وقال بعض نحويي الكوفة: يقال في التفسير: إن جواب القسم في قوله: **﴿قَتَلَ﴾** كما كان قسم **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾** في قوله: **﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾** هذا في التفسير قالوا: ولم نجد العرب تدع القسم بغير لام يستقبل بها أو «لا» أو «إن» أو «ما»، فإن يكن ذلك كذلك، فكأنه مما ترك فيه الجواب، ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر، كما قيل: يا أيها الإنسان، في كثير من الكلام.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته.

وأولى التأويلين بقوله: **﴿قَتَلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ﴾**: لُجُنْ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ الَّذِينَ أَلْقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأَخْدُودِ.

وإنما قلت: ذلك أولى التأويلين بالصواب للذي ذكرنا عن الربيع من العلة، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم، ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا لم يكن لقوله **﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾** معنى مفهوم، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم، لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة والأخدود: الحفرة تحفر في الأرض.

وقوله: **﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾** فقوله النار: رد على الأخدود، ولذلك خفضت، وإنما جاز ردها عليه وهي غيره، لأنها كانت فيه، فكأنها إذ كانت فيه هو، فجرى الكلام عليه لمعرفة المخاطبين به بمعناه وكأنه قيل: قتل أصحاب النار ذاتِ الْوَقُودِ. ويعني بقوله: **﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾** ذات الحطب الجزل، وذلك إذا فتحت الواو، فأما الوقود بضم الواو، فهو الاتقاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ نُرِيتُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۗ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: النار ذات الوقود، إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها، يعني على النار، فقال عليها، والمعنى أنهم قعود على حافة الأخدود، فقيل: على النار، والمعنى: لتفسير الأخدود، لمعرفة السامعين معناه: وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ يعني بذلك المؤمنین.

وهذا التأويل الذي تأوله قتادة على مذهب من قال: قُتِلَ أصحاب الأخدود من أهل الإيمان. وقد دللنا على أن الصواب من تأويل ذلك غير هذا القول الذي وجه تأويله قتادة قبل.

وقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يعني: حضور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يعني بذلك الكفار.

وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنین على المؤمنین والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وقال: إلا أن يؤمنوا بالله، لأن المعنى إلا إيمانهم بالله، فلذلك حسن في موضعه يؤمنوا، إذ كان الإيمان لهم صفة. ﴿العَزِيزِ﴾ يقول: الشديد في انتقامه ممن انتقم منه ﴿الحَمِيدِ﴾ يقول: المحمود بإحسانه إلى خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُتِبَتْ لَهُمْ سَاءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره: الذي له سلطان السموات والأرضين وما فيهن ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله على فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم جزاءهم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول: إن الذين ابتلوا المؤمنین والمؤمنات بالله بتعذيبهم، وإحراقهم بالنار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: حرّقوا المؤمنین والمؤمنات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ قال: عَذَّبُوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال: حرّقوهم بالنار.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول: حرّقوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ حرّقوهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يقول: ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم، الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا، كما:

حدثت عن عمار، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾
﴿إِنْ يَطَّشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين أقرؤا بتوحيد الله، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بطاعة الله، وأتَمروا لأمره، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا، وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم.

وقوله: ﴿إِنْ يَطَّشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه، وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد ﷺ، أن يجلّ بهم من عذابه ونقمته، نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به، وتكذيبهم رسوله، وقتلهم المؤمنين والمؤمنات منهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (١٣) ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (١٤) ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) ﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ (١٧) ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (١٨) ﴿

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن الله أبدى خلقه، فهو يبديء، بمعنى: يحدث خلقه ابتداءً، ثم يميتهم، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم، كهيتهم. قبل مماتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ يعني: الخلق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ قال: يُبْدِي الخلق حين خلقه، ويعيده يوم القيامة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه هو يبديء العذاب ويعيده.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ قال: يبديء العذاب ويعيده.

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، وأشبههما بظاهر ما دلّ عليه التنزيل، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أنه يُبْدِي العذاب لأهل الكفر به ويعيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا، فأبداً ذلك لهم في الدنيا، وهو يعيده لهم في الآخرة.

وإنما قلت: هذا أولى التأويلين بالصواب، لأن الله أتبع ذلك قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ فكان للبيان عن معنى شدة بطشه الذي قد ذكره قبله، أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحاً وصحة، قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ فين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدة عقابه.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له. وبتحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿الْعَفُورُ الْوَدُودُ﴾ يقول: الحبيب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿الْعَفُورُ الْوَدُودُ﴾ قال الرحيم.

وقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ذو العرش الكريم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ يقول: الكريم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿الْمَجِيدُ﴾ فقراءته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعا، رداً على قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ على أنه من صفة الله تعالى ذكره. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة خفضاً، على أنه من صفة العرش.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ يقول: هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأتاب منها، معاقب من أصرّ عليها وأقام، لا يمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له ملك السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: هل جاءك يا محمد حديث الجنود، الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم يقول: قد أتاك ذلك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك، لما نالوك به من مكروه، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتي، كما لم يثن الذين أرسلوا إلى هؤلاء، فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك، كالذي كان من هؤلاء الجنود، ثم بين جل ثناؤه عن الجنود من هم؟ فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ يقول: فرعون، فاجتزىء بذكره، إذ كان رئيس جنده، من ذكر جنده وتباعه. وإنما معنى الكلام: هل أتاك حديث الجنود فرعون وقومه وثمود وخفض فرعون رداً على الجنود، على الترجمة عنهم، وإنما فتح لأنه لا يجرى وثمود.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ﴾ (١٩) ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠) ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء القوم الذين يكذبون بوعيد الله، أنهم لم يأتهم أبناء من قبلهم من الأمم المكذبة رسل الله، كفرعون وقومه، وثمود وأشكالهم، وما أحل الله بهم من النقم، بتكذيبهم الرسل، ولكنهم في تكذيب بوحي الله وتنزيله، إيثاراً منهم لأهوائهم، وأتباعاً منهم لسنن آبائهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بأعمالهم، مُخَصِّصٌ لها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميعها.

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ يقول، تكذيباً منه جل ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعراً وسجع: ما ذلك كذلك، بل هو قرآن كريم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ يقول: قرآن كريم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ قال: كريم.

وقوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم، مثبت في لوح محفوظ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ فقرأ ذلك من أهل الحجاز، أبو جعفر القاري، وابن كثير. ومن قرأه من قراء الكوفة عاصم والأعمش وحمزة والكسائي، ومن البصريين أبو عمرو ﴿مَحْفُوظٌ﴾ خفضاً على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ. وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل في لوح محفوظ من الزيادة فيه، والنقصان منه، عما أثبتته الله فيه. وقرأ ذلك من المكيين ابن مَحْنِصِن، ومن المدنيين نافع «مَحْفُوظٌ» رفعا، رداً على القرآن، على أنه من نعتة وصفته. وكان معنى ذلك على قراءتهما: بل هو قرآن مجيد، محفوظ من التغيير والتبديل في لوح.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان في قِراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القاري فمصيب. وإذا كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القاري فتأويل القراءة التي يقرؤها على ما بيننا. وقد:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فِي لَوْحٍ﴾ قال: في أم الكتاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ عند الله .
وقال آخرون: إنما قيل محفوظ، لأنه من جبهة إسرافيل .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن علي، قال: سمعت قرّة بن سليمان، قال: ثنا حرب بن سريج، قال:
ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾
قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ في جبهة
إسرافيل .

آخر تفسير سورة البروج

(٨٦) سورة الطارق، مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِذْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ حَلَقٌ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ نَعَسٍ ذَاقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُمْ عَلَىٰ رُجُومٍ لِقَاؤُهُ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلاً من النجوم المضيئة، ويخفى نهاراً، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قال: السماء وما يطرق فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقِ﴾ قال: طارق يطرق بليل، ويخفى بالنهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَالطَّارِقِ﴾ قال: ظهور النجوم، يقول: يطرقك ليلاً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿الطَّارِقِ﴾ النجم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ يقول تعالى ذكره لئيبه محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذي أقسمت به؟ ثم بين ذلك جل ثناؤه، فقال: هو النجم الثاقب، يعني: يتوقد ضياؤه ويتوهج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في

قوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ يعني: المضيء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال: هي الكواكب المضيئة، وثقوبه: إذا أضاء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال: الذي يثقب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال: الذي يتوهج.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ثقوبه: ضوءه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: المضيء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال: كانت العرب تسمي الثريا النجم، ويقال: إن الثاقب النجم الذي يقال له زحل. والثاقب أيضاً: الذي قد ارتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر: إذا هو لحق ببطن السماء ارتفاعاً: قد ثَقِبَ، والعرب تقول: أثقِب نارك: أي أضئها.

وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه من قراء المدينة أبو جعفر، ومن قراء الكوفة حمزة ﴿لَمَّا عَلَيْهَا﴾ بتشديد الميم. وذكر عن الحسن أنه قرأ ذلك كذلك.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا أبو عبيد، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن الحسن أنه كان يقرؤها: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ مشددة، ويقول: إلاً عليها حافظ، وهكذا كل شيء في القرآن بالثقل.

وقرأ ذلك من أهل المدينة نافع، ومن أهل البصرة أبو عمرو: ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف، بمعنى: إن كل نفس لعلها حافظ. وعلى أن اللام جواب «إن» و«ما» التي بعدها صلة. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد.

والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك: التخفيف، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب، أن يكون معروفاً من كلام

العرب، غير أن الفراء كان يقول: لا نعرف جهة التثقيب في ذلك، ونرى أنها لغة من هذيل، يجعلون إلا مع إن المخففة لَمَّا، ولا يجاوزون ذلك، كأنه قال: ما كل نفس إلا عليها حافظ، فإن كان صحيحاً ما ذكر الفراء، من أنها لغة هذيل، فالقراءة بها جائزة صحيحة، وإن كان الاختيار أيضاً إذا صحَّ ذلك عندنا، القراءة الأخرى، وهي التخفيف، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، ولا ينبغي أن يترك الأعراف إلى الأتكر. وقد:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا أبو عبيد، قال: ثنا معاذ، عن ابن عون، قال: قرأت عند ابن سيرين: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» فأنكره، وقال: سبحان الله، سبحان الله.

فتأويل الكلام: إذن: إن كل نفس لعلها حافظ من ربها، يحفظ عملها، وَيَخَصِي عَلَيْهَا تكسب من خير أو شر. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» قال: كل نفس عليها حفظة من الملائكة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»: حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا توفيته يا بن آدم قبضت إلى ربك.

وقوله: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ» يقول تعالى ذكره: فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات، المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته، «مِمَّ خُلِقَ» يقول: من أي شيء خلقه ربه؟ ثم أخبر جل ثناؤه عما خلقه منه، فقال: «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» يعني: من ماء مدفوق، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل، وهو بمعنى المفعول، ويقال: إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب، سكان الحجاز إذا كان في مذهب النعت، كقولهم: هذا سرّ كاتم، وهم ناصب، ونحو ذلك.

وقوله: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» يقول: يخرج من بين ذلك، ومعنى الكلام منهما، كما يقال: سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير، بمعنى: يخرج منهما.

واختلف أهل التأويل في معنى الترائب وموضعها، فقال بعضهم: الترائب: موضع القلادة من صدر المرأة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن سلمة بن سابور، عن عطية العوفي، عن ابن عباس «الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» قال: الترائب: موضع القلادة.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: من بين ثدي المرأة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، قال: سُئِلَ عِكْرِمَةَ عَنِ التَّرَائِبِ، فَقَالَ: هَذِهِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ.

حدثني ابن المثنى، قال: ثني سلم بن قتيبة، قال: ثني عبد الله بن الثُّعْمَانِ الحُدَانِي أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرِمَةَ يَقُولُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قَالَ: صُلْبُ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبُ الْمَرْأَةِ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: الترائب: الصدر.

قال: ثنا ابن يمان، عن مسعر، عن الحكم، عن أبي عياض، قال: التَّرَائِبُ: الصدر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قَالَ: التَّرَائِبُ: الصدر، وهذا الصُّلْبُ، وَأَشَارَ إِلَى ظَهْرِهِ.

وقال آخرون: الترائب: ما بين المَنْكِبَيْنِ وَالصُّدْرِ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن ثَوْبَرٍ، عن مجاهد، قوله: ﴿التَّرَائِبُ﴾ ما بين المنكبين والصدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿التَّرَائِبُ﴾ قَالَ: أَسْفَلَ مِنَ التَّرَائِبِ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: الصُّلْبُ لِلرَّجُلِ، وَالتَّرَائِبُ لِلْمَرْأَةِ، وَالتَّرَائِبُ فَوْقَ الثَّدْيَيْنِ.

وقال آخرون: هو اليدان والرجلان والعينان.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قَالَ: فَالتَّرَائِبُ أَطْرَافُ الرَّجُلِ وَاليَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالعَيْنَانِ، فَتِلْكَ التَّرَائِبُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي رَوْق، عن الضحاك **﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** قال: الترائب: اليدان والرجلان.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال غيره: الترائب: ماء المرأة وصلب الرجل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾**: عيناه ويداها ورجلاه.

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** يقول: يخرج من بين صلب الرجل ونحره.

وقال آخرون: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: **﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** قال: الترائب: الأضلاع التي أسفل الصلب.

وقال آخرون: هي عصارة القلب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني الليث أن معمر بن أبي حبيبة المديني حدثه، أنه بلغه في قول الله: **﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** قال: هو عَصَاة القلب، ومنه يكون الولد.

والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: هو موضع القِلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم، قال المثقَّب العبدى:

وَمِنْ ذَهَبٍ يُسْنُّ عَلَى تَرِيْبٍ كَلَوْنِ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ^(١)

(١) هذا البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٦) قال: الترائب: معلق الحلى على الصدر؛ قال المثقَّب العبدى: «ومن ذهب يسن على تريب» ولم ينشد عجزه. ا هـ. ويسن: أي يصفل أو يلمع. والتريب كالترائب، وأحداها: تريبة؛ قال في «اللسان» تريب وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب: موضع القِلادة من الصدر؛ وقيل: التريبتان: الضلعان اللتان تليان الترقوتين، وأنشد:

وقال آخر:

وَالزُّغْمَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا
شَرِيقاً بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّخْرُ^(١)
وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق، فجعلكم بشراً سوتياً، بعد أن كنتم ماء مدفوقاً، على رجعه لقادر.

واختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ على ما هي عائدة، فقال بعضهم: هي عائدة على الماء. وقالوا: معنى الكلام: إن الله على رد النطفة في الموضع التي خرجت منه ﴿لِقَادِرٌ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن عكرمة، في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: إنه على رده في ضلّبه لقادر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: للصلب.

حدثني عبید بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: على أن يرد الماء في الإحليل.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ الوشاء، قال: ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم، عن ورقاء، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن عبد الله بن أبي بكر، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: على ردّ النطفة في الإحليل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: في الإحليل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ قال: رده في الإحليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه.

= وَمِنْ ذُقِبِ يَلُوحُ عَلَى تَرِيْبٍ كَلَوْنِ الْعَاجِ لَيْسَ لَهُ غُضُوءٌ

ثم قال: وفي الحديث ذكر التربة، وهي أعلى صدر الإنسان تحت الدفن. وجمعه: التراب الهـ.

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (٥١/٢٨) على مثل ما استشهد به عليه هنا، فراجعه ثمة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إن شئت رددته كما خلقته من ماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه على حبس ذلك الماء لقادر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: على رجوع ذلك الماء لقادر، حتى لا يخرج، كما قدر على أن يخلق منه ما خلق، قادر على أن يرجعه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه قادر على رجوع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك قال: سمعته يقول في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يقول: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة.

وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ من ذكر الإنسان.

وقال آخرون ممن زعم أن الهاء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال معنى ذلك: إن الله على رد الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حياً، كهيئته قبل مماته لقادر.

وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فكان في إتباعه قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نبأ من أنباء القيامة، دلالة على أن السابق قبلها أيضاً منه، ومنه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر، يوم تبلى السرائر فاليوم من صفة الرجوع، لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.

وعني بقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تُخْبَرُ سرائر العباد، فيظهر منها يومئذ ما كان في

الدنيا مستخفياً عن أعين العباد، من الفرائض التي كان الله أكرمه إياها، وكلفه العمل بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عن عبد الله بن صالح، عن يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، في قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ قال: ذلك الصوم والصلاة وغُسل الجنابة، وهو السرائر ولو شاء أن يقول: قد صُمْتُ وليس بصائم، وقد صليتُ ولم يصل، وقد اغتسلت ولم يغتسل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ إن هذه السرائر مختبرة، فأسيروا خيراً وأعلنوه إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ قال: تُخْتَبَر.

وقوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فما للإنسان الكافر يومئذ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله، وأليم نكاله، ولا ناصر ينصره، فيستنقذه ممن ناله بمكروه، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوّة من عشيرته، يمتنع بهم ممن أراده بسوء، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ينصره من الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ قال: من قوّة يمتنع بها، ولا ناصر ينصره من الله.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن سفيان الثوري، في قوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ قال: القوّة: العشيرة، والناصر: الحليف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْمُنْتَعِجِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِالْمَرْدِ ۝ وَالَّذِينَ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ زُرْقًا ۝﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ تزجع بالغيوم وأرزاق العباد كل عام ومنه قول المتنخل في صفة سيف:

أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَشُوبٌ إِذَا مَا نَاحَ فِي مُخْتَفَلٍ يَخْتَلِي^(١)
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: السحاب فيه المطر.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: ذات السحاب فيه المطر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ يعني بالرجع: القطر والرزق كل عام.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: ترجع بأرزاق الناس كل عام قال أبو رجاء: سُئِلَ عَنْهَا عَكْرِمَةُ، فَقَالَ: رَجَعَتْ بِالْمَطْرِ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: السحاب يمطر، ثم يرجع بالمطر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

(١) هذا البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٨٦) قال: «ذات الراجع»: الماء. قال المتنخل يصف السيف:

«أبيض كالرجع.... البيت»

وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٤) وقوله «والسما ذات الرجع». تبتدىء بالمطر، ثم ترجع به في كل عام. وفي «اللسان» راجع والرجع، والرجعة: الغدير يتردد فيه الماء، قال المتنخل الهذلي يصف السيف:

أبيض كالرجع.....

البيت. وفي التنزيل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ويقال: ذات النفع. وقال ثعلب: تبتدىء بالمطر، ثم ترجع به كل عام. وقال غيره: ذات المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر هـ. وفي «اللسان» ناخ ناخ الشيء ثوخاً: ساخ وناخت قدمه في الوحل تثوخ وتبيخ: خاضت وغابت فيه قال المتنخل الهذلي يصف سيفاً:

«أبيض ض.....»

البيت». أراد بالأبيض: السيف والرجع: الغدير، شبه السيف به في بياضه. والرسوب: الذي يرسب في اللحم. والمحتفل أعظم موضع في الجسد. ويختلى: بقطع. وناخ وساخ: ذهب في الأرض سفلاً. وانظر ديوان الهذليين (١٢/٢ - ١٣).

قال: ترجع بأرزاق العباد كل عام، لولا ذلك هلكوا وهلكت مواشيهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: ترجع بالغيث كل عام.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ يعني: المطر.

وقال آخرون: يعني بذلك: أن شمسها وقمرها يغيب ويطلع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: شمسها وقمرها ونجومها يأتين من ها هنا.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض ذات الصدع بالنبات. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خُصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال: ذات النبات.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يقول: صدعها إخراج النبات في كل عام.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال: هذه تصدع عما تحتها قال أبو رجاء: وسئل عنها عكرمة، فقال: هذه تصدع عن الرزق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، عن ابن أبي نجیح، قال مجاهد: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ مثل المأزم مأزم مئى.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال: الصدع: مثل المأزم، غير الأودية وغير الجُرْف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ تصدع عن الثمار وعن النبات، كما رأيتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾** قال: تصدع عن النبات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾** وقرأ: **﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾** إلى آخر الآية، قال: صدعها للحرث.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: **﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾**: النبات.

وقوله: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾** يقول تعالى ذكره: إن هذا القول وهذا الخبر لقول فضل: لقول يفصل بين الحق والباطل ببيانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عنه، فقال بعضهم: لقول حق. وقال بعضهم: لقول حُكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾** يقول: حق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾**: أي حُكم.

وقوله: **﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾** يقول: وما هو باللعب ولا الباطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾** يقول: بالباطل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾** قال: باللعب.

وقوله: **﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾** يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرًا.

وقوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يقول: وأمكر مكرًا ومكره جل ثناؤه بهم: إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به.

وقوله: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فمهّل يا محمد الكافرين ولا تعجل عليهم ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْدَاءً﴾ يقول: أمهلهم أنا قليلاً، وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْدَاءً﴾ يقول: قريباً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْدَاءً﴾ الرويد: القليل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْدَاءً﴾ قال: مهّلهم، فلا تعجل عليهم تَرْكُهُمْ، حتى لما أراد الانتصار منهم، أمره بجهادهم وقتالهم، والغلظة عليهم.

آخر تفسير سورة والسماء والطارق

(٨٧) سورة الأعلى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْوَى ﴿٤﴾ فَعَمَلَهُ غَتَاةً أَحْوَى ﴿٥﴾ فَسُقَّرْتِكَ فَلَا تَكْوَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال بعضهم: معناه: عظم ربك الأعلى، لا رب أعلى منه وأعظم. وكان بعضهم إذا قرأ ذلك قال: سبحان ربي الأعلى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عمر أنه كان يقرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: سبحان ربي الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ قال: وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن عبد خير، قال: سمعت علياً رضي الله عنه قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِتَوَمِّ الْقِيَامَةِ﴾ فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوَمِّتِ﴾؟ يقول: سبحانك اللهم وبلى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن داود، عن زياد بن عبد الله، قال: سمعت ابن عباس يقرأ في صلاة المغرب ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ سبحان ربي الأعلى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: نَزَّهَ يا محمد اسم ربك الأعلى، أن تسمي به شيئاً سواه، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون، من تسميتهم آلهمم بعضها اللات، وبعضها العزى.

وقال غيرهم: بل معنى ذلك: نَزَّهَ الله عما يقول فيه المشركون كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. وقالوا: معنى ذلك: سبح ربك الأعلى قالوا: وليس الاسم معنياً.

وقال آخرون: نَزَّهَ تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه، أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذل قالوا: وإنما عُني بالاسم: التسمية، ولكن وُضع الاسم مكان المصدر.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: صلّ بذكر ربك يا محمد، يعني بذلك: صلّ وأنت له ذاكراً، ومنه وَجِلْ خائف.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معناه: نَزَّهَ اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا: سبحان ربِّي الأعلى، فبيّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوماً: عظم اسم ربك، ونَزَّهَهُ.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ يقول: الذي خلق الأشياء فسوى خلقها، وعدلها والتسوية التعديل.

وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: والذي قدر خلقه فهدى.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عُني بقوله: ﴿فَهَدَى﴾، فقال بعضهم: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر، والبهائم للمراتع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال: هدى الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هدى الذكور لمأتى الإناث. وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عمّ بقوله ﴿فَهَدَى﴾ الخير عن هدايته خلقه، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى

الإناث، فالخبر على عمومه، حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دالٌّ على خصوصه. واجتمعت قرآء الأمصار على تشديد الدال من قَدْر، غير الكسائي فإنه خَفَّفَهَا. والصواب في ذلك التشديد، لإجماع الحجة عليه.

وقوله: **﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾** يقول: والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام، من صنوف النبات وأنواع الحشيش. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن مكرم، قال: ثنا الحفري، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين **﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾** قال: النبات.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾**. الآية، نبت كما رأيتم، بين أصفر وأحمر وأبيض.

وقوله: **﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾** يقول تعالى ذكره: فجعل ذلك المرعى غُثَاءً، وهو ما جفَّ من النبات ويبس، فطارت به الريح وإنما عُنِيَ به هاهنا أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً إلى الحُوَّة، وهي السواد، من بعد البياض أو الخُضرة، من شدة اليبس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: **﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾** يقول: هشيماً متغيراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: **﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾** قال: غُثَاءُ السيل أحوى، قال: أسود.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾** قال: يعود ييساً بعد خُضرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾** قال: كان بقللاً ونباتاً أخضر، ثم هاج فيبس، فصار غُثَاءً أَحْوَى، تذهب به الرياح والسيول.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخَّر الذي معناه التقديم، وأن معنى

الكلام: والذي أخرج المرعى أحوى: أي أخضر إلى السواد، فجعله غشاء بعد ذلك، ويعتدل لقوله ذلك بقول ذي الرمة:

حَوَاءٌ قَرَحَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَّتْ فِيهَا الذُّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ^(١)

وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات، قد تسميه العرب أسود، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه، أو تأخيره، فإما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير.

وقوله: «سَنْقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» يقول تعالى ذكره: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه، إلا ما شاء الله.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله «فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» فقال بعضهم: هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا القرآن، ويحفظه عليه، ونهي منه أن يعجل بقراءته، كما قال جل ثناؤه: «لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُتَّعَجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ».

(١) البيت لذي الرمة (ديوانه ٥٧٣) وأنشده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٦) قال: «فجعله غشاء أحوى» هيجه حتى يبس، فجعله أسود من احتراقه. غشاء: هشياً. وهو في موضع آخر: من شدة خضرته وكثرة مائه يقال له أحوى؛ قال ذو الرمة:

«قَرَحَاءُ حَوَاءٌ.....»

البيت». وفي «اللسان» قرح: وروضة قرحاء: في وسطها نوراً أبيض. قال ذو الرمة يصف روضة:

«حَوَاءٌ قَرَحَاءُ.....»

البيت». وقيل القرحاء: التي بدانتها: وفي «اللسان»: شرط وروضة أشراطية مطرت بالشرطين، قال ذو الرمة يصف روضة

«قَرَحَاءُ حَوَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ.....»

يعني روضة مطرت بنوء الشرطين (وهما نجمان من برج الحمل، يقال لهما قرن الحمل). «اللسان» شرط. قال: وإنما قال: قرحاء، لأن في وسطها نواراة بيضاء، وقال حواء: لخضرة نباتها. وفي «اللسان» ذهب والذهبية، بالكسر: المطرة. وقيل: المطرة الضعيفة. وقيل الجود (بالفتح). والجمع ذهب. قال ذو الرمة يصف روضة:

«حَوَاءٌ قَرَحَاءُ.....»

البيت» ١ هـ وفي اللسان: برعم: البرعم والبرعوم والبرعمة والبرعومة (بضم أولها) كله كم ثمر الشجر والنور. وقيل زهرة الشجرة، ونور النبات، قبل أن يتفتح. وبرعمت الشجرة فهي مبرعمة. وبرعمت: أخرجت برعمتها. قال: وفسر مؤرج قول ذي الرمة:

فسيها الذهباب وحفتها البراعيم

فقال: هي رمال فيها دارات تثبت البقل ١ هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ قال: كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى.

فقال قائلو هذه المقالة: معنى الاستثناء في هذا الموضع على النسيان، ومعنى الكلام: فلا تنسى، إلا ما شاء الله أن تنساه، ولا تذكره، قالوا: ذلك هو ما نسخه الله من القرآن، فرفع حكمه وتلاوته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ كان ﷺ لا ينسى شيئاً ﴿إلا ما شاء الله﴾.

وقال آخرون: معنى النسيان في هذا الموضع: الترك وقالوا: معنى الكلام: سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيء منه، إلا ما شاء الله أن تترك العمل به، مما ننسخه.

وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك: لم يشأ الله أن تنسى شيئاً، وهو كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاء. قال: وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا أن أشاء أن أمنعك، والنية أن لا تمنعه، ولا تشاء شيئاً. قال: وعلى هذا مجازي الأيمان، يستثنى فيها، ونية الحالف: اللمام.

والقول الذي هو أولى بالصواب عندي، قول من قال: معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفع. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك، ما أظهرته وأعلنته ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ يقول: وما يخفى منه فلم تظهره، مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك، سرها وعلانيتها يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغير الذي أذن لك به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ (٨) فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ (٩) سَيَذُكَّرُ مِنْ خَيْرٍ (١٠) وَنَحْنُهَا الْأَشْفَى (١١) الَّذِي يَصِلُ أَثَارُ الذِّكْرِ (١٢) ثُمَّ لَا يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)﴾

يقول تعالى ذكره: ونسهلك يا محمد لعمل الخير، وهو اليُسْرَى واليُسْرَى: هو الفعلى من اليسر.

وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: فذكر عباد الله يا محمد عظمتهم، وعظمتهم، وحذرهم عقوبته ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ يقول: إن نفعت الذكرى الذين قد آيستكم من إيمانهم، فلا تنفعهم الذكرى. وقوله ﴿فَذَكِّرْ﴾ أمر من الله لنبيه ﷺ بتذكير جميع الناس، ثم قال: إن نفعت الذكرى هؤلاء الذين قد آيستكم من إيمانهم.

وقوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ يقول جل ثناؤه: سيذكر يا محمد إذا ذكرت الذين أمرتك بتذكيرهم من يخشى الله، ويخاف عقابه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ يقول: ويتجنب الذكرى ﴿الْأَشْقَى﴾ يعني: أشقى الفريقين ﴿الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وهم الذين لم تنفعهم الذكرى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ فاتقوا الله، ما خشي الله عبد قط إلا ذكره ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ فلا والله لا يتكذب عبد هذا الذكر زهداً فيه ويغضاً لأهله، إلا شقي بين الشقاء.

وقوله: ﴿الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ يقول: الذي يرد نار جهنم، وهي النار الكبرى، ويعني بالكبرى لشدة الحر والألم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ يقول: ثم لا يموت في النار الكبرى ولا يحيا، وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقه، فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. وقيل: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه.

وقال آخرون: قيل ذلك، لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة، قالوا: لا هو حي، ولا هو ميت، فخطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤَكِّدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَمِنَ الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُوفِ يَارْهِيمَ وَمُوسَى ۝﴾

يقول تعالى ذكره: قد نجح وأدرك طلبته من تطهر من الكفر ومعاصي الله، وعمل بما أمره الله به، فأدى فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ يقول: من تزكّى من الشرك.

حدثنا محمد بن المشني، قال: ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: ثنا هشام، عن الحسن، في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: من كان عمله زاكياً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: يعمل ورِعاً.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر العدنّي، عن الحكم، عن عكرمة، في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ من قال: لا إله إلا الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد أفلح من أدى زكاة ماله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عليّ بن الأقرم، عن أبي الأحوص ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: من استطاع أن يرضخ فليفعل، ثم ليقيم فليصل.

حدثنا محمد بن عمارة الرازي، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن عليّ بن الأقرم، عن أبي الأحوص ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: من رَضَخ^(١).

حدثنا محمد بن عمارة، قال: ثنا عثمان بن سعيد بن مرة، قال: ثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة، فليقدّم بين يدي صلاته زكاته، فإن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فمن استطاع أن يقدّم بين يدي صلاته زكاةً فليفعل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ تزكّى رجل من ماله، وأرضى خالقه.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زكاة الفطر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة، قال:

(١) يقال: رضخ له بشيء من ماله: إذا أعطاه شيئاً يسيراً.

دخلت على أبي العالية، فقال لي: إذا عَدَوْتَ غَدًا إِلَى الْعِيدِ فَمَرِّ بِِي، قَالَ: فَمَرَرْتُ بِهِ، فَقَالَ: هَلْ طَعِمْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفْضُتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَاءِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا فَعَلْتَ بِزَكَاتِكَ؟ قُلْتُ: قَدْ وَجَّهْتُهَا، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُكَ لِهَذَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَزُونَ صَدَقَةَ أَفْضَلِ مِنْهَا، وَمِنْ سِقَايَةِ الْمَاءِ.

وقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وحَّد الله.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ يقول: وحَّد الله سبحانه وتعالى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وذكر الله ودعاه ورجب إليه.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: وذكر الله فوحَّده، ودعاه ورجب إليه، لأن كل ذلك من ذكر الله، ولم يخص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع.

وقوله: ﴿فَصَلَّى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عني به: فصلى الصلوات الخمس.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَصَلَّى﴾ يقول: صَلَّى الصلوات الخمس.

وقال آخرون: عني به: صلاة العيد يوم الفطر.

وقال آخرون: بل عني به: وذكر اسم ربه فدعا وقالوا: الصلاة ها هنا: الدعاء.

والصواب من القول أن يقال: عني بقوله: ﴿فَصَلَّى﴾: الصلوات، وذكر الله فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء.

وقوله: ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول للناس: بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَبْقَى﴾ يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفد ولا تفتنى. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فاختار

الناس العاجلة إلا من عصم الله. وقوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ في الخير ﴿وَأَبْقَى﴾ في البقاء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن عَرْفَجَةَ الثَّقَفِيِّ، قال: استقرأت ابن مسعود ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ترك القراءة، وأقبل على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزُويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء، إلا أبا عمرو، فإنه قرأه بالياء، وقال: يعني الأشقياء.

والذي لا أوتر عليه في قراءة ذلك التاء، لإجماع الحجة من القراء عليه. وذكر أن ذلك في قراءة أبي: ﴿بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ﴾ فذلك أيضاً شاهد لصحة القراءة بالتاء.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ اختلف أهل التأويل في الذي أشير إليه بقوله هذا، فقال بعضهم: أشير به إلى الآيات التي في «سبح اسم ربك الأعلى».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ يقول: الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى. وقال آخرون: قصة هذه السورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ قال: قصة هذه السورة لفي الصحف الأولى. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن هذا الذي قصَّ الله تعالى في هذه السورة ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ قال: إن هذا الذي قصَّ الله في هذه السورة، لفي الصحف الأولى ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ في الصحف الأولى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ قال: تتابعت كتب الله كما تسمعون، أن الآخرة خير وأبقى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ قال: في الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى: أن الآخرة خير من الأولى.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى﴾: لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره، لأن هذا إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره. وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة، وإنما عُني بها: كتب إبراهيم وموسى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي الخلد، قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثمانية عشرة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين.

آخر تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى

(٨٨) سورة الغاشية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَفَلَّى تَارًا ﴿٤﴾ غَامِيَةً ﴿٥﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنِي عَائِيَةً ﴿٦﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٧﴾ لَا يُسْمَعُونَ وَلَا يُعْطَى مِنْ حُجٍّ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يعني: قصتها وخبرها. واختلف أهل التأويل في معنى الغاشية، فقال بعضهم: هي القيامة تغشى الناس بالأهوال..

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿الْغَاشِيَةَ﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قال: الغاشية: الساعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قال: الساعة. وقال آخرون: بل الغاشية: النار تغشى وجوه الكفرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد، في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قال: غاشية النار.

... والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ولم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولأنه عنى غاشية النار، وكلتاها غاشية، هذه تغشى

الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه، والشواظ والثحاس، فلا قول في ذلك أصح من أن يقال كما قال جل ثناؤه، ويعتم الخبر بذلك كما عمه.
وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذٍ، وهي وجوه أهل الكفر به.
خاشعة: يقول: ذليلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾: أي ذليلة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿خَاشِعَةٌ﴾ قال: خاشعة في النار.

وقوله: ﴿عَامِلَةٌ﴾ يعني: عاملة في النار. وقوله: ﴿نَاصِبَةٌ﴾ يقول: ناصبة فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فإنها تعمل وتَنْصَبُ في النار.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، قرأ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قال: عاملة ناصبة في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قال: لا أحد أنصب ولا أشد من أهل النار.

وقوله: ﴿تَضَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ترد هذه الوجوه ناراً حامية قد حَمِيَتْ واشتد حرها.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿تَضَلَّى﴾ بفتح التاء، بمعنى: تَضَلَّى الوجوه. وقرأ ذلك أبو عمرو: ﴿تُضَلَّى﴾ بضم التاء اعتباراً بقوله: ﴿تُسْقَى مِنْ هَيْنِ آيَةٍ﴾،

والقول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ يقول: تُسْقَى أصحاب هذه الوجوه من شَرَابِ عَيْنِ قَدَأْتِي حَرَّهَا، فبلغ غايته في شدة الحرِّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ قال: هي التي قد أطال آيِيَّهَا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليَّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ قال: أنى طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا.

حدثني به يعقوب مرّة أخرى، فقال: منذ يوم خلق الله السموات والأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ قال: قد بلغت إناها، وحن شربها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ يقول: قد أنى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ قال: من عين أنى حرّها: يقول: قد بلغ حرّها.

وقال بعضهم: عُني بقوله: ﴿مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ من عين حاضرة.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ﴾ قال: آية: حاضرة.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ يقول: ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة، طعام إلا ما يطعمونه من ضريع. والضريع عند العرب: نبت يُقال له الشُّبْرُق، وتسميه أهل الحجاز الضَّرِيْع إذا يبس، ويسميه غيرهم: الشُّبْرُق، وهو سمّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: الضريع: الشُّبْرُق.

حدثني محمد بن عُبَيْدة المحاربي، قال: ثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال محمد: ثنا، وقال عباد: أخبرنا محمد بن سليمان، عن عبد الرحمن الأصبهاني، عن عكرمة في قوله: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: الشُّبْرُق.

حدثني يعقوب، قال: ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، قال: ثنا نجدة، رجل من عبد القيس عن عكرمة، في قوله: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: هي شجرة ذات شوكة، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشُّبْرُق، فإذا هاج العود سمّتها الضُّرِيع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: الشُّبْرُق.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: **﴿ضَرِيعٍ﴾** قال: الشُّبْرُق اليابس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعمر، عن قتادة **﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: هو الشُّبْرُق إذا يبس يسمى الضريع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** يقول: من شرّ الطعام، وأبشعه وأخبثه.

حدثني محمد بن عبيد، قال: ثنا شريك بن عبد الله، في قوله: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: الشُّبْرُق.

وقال آخرون: الضُّرِيع: الحجارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يمان، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: **﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾** قال: الحجارة.

وقال آخرون: الضُّرِيع: شجر من نار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ يقول: شجر من نار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ قال: الضريح: الشوك من النار. قال: وأما في الدنيا فإن الضريح: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، تدعوه العرب الضريح، وهو في الآخرة شوك من نار.

وقوله: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: لا يُسْمِنُ هذا الضريح يوم القيامة أَكَلْتَهُ من أهل النار، ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: وَلَا يُشْبِعُهُمْ من جوع يصيبهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ حَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْزُومَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارُكٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَادُكٌ مَسْنُونَةٌ ﴿١٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَاعِمَةٌ﴾ يقول: هي ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته، وهم أهل الإيمان بالله.

وقوله: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ يقول: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية. وقيل: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: لثواب سعيها في الآخرة راضية.

وقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وهي بستان. عالية: يعني رفيعة.

وقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ يقول: لا تسمع هذه الوجوه، المعنى لأهلها، فيها في الجنة العالية لاغية. يعني باللاغية: كلمة لغو. واللغو: الباطل، فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية، كما قيل لصاحب الدرع: دارع، ولصاحب الفرس: فارس، ولقاتل الشعر شاعر وكما قال الحطيطية:

أَعْرَزْتُ نَبِيَّ وَرَعَمْتُ أَنْ كَ لَا يَبْنَ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ^(١)

يعني: صاحب لبن، وصاحب تمر. وزعم بعض الكوفيين أن معنى ذلك: لا تسمع فيها حافلة على الكذب، ولذلك قيل لاغية ولهذا الذي قاله مذهب ووجه، لولا أن أهل التأويل من

(١) البيت للحطيطية. وقد سبق استشهاد المؤلف به في الجزأين (٢٣/١٩، ٢٧، ٢٣) فارجع إليهما.

الصحابة والتابعين على خلفه، وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ﴾ يقول: لا تسمع أذى ولا باطلاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ﴾ قال: شتماً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ﴾: لا تسمع فيها باطلاً، ولا شتماً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن قتادة، مثله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة وبعض قراء المدينة وهو أبو جعفر ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ بفتح التاء، بمعنى: لا تسمع الوجوه. وقرأ ذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ بضم التاء، بمعنى ما لم يسم فاعله، ويؤنث تسمع، لتأنيث لأغية. وقرأ ابن محيصن بالضم أيضاً، غير أنه كان يقرؤها بالياء، على وجه التذكير.

والصواب من القول في ذلك عندي، أن كل ذلك قراءات معروفة صحاح المعاني، فأبي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يقول: في الجنة العالية عين جارية في غير أخدود.

وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ والسُرر: جمع سرير، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما حوَّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره.

وقيل: غني بقول مرفوعة: موضونة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ يعني: موضونة، كقوله: سُرر مصفوفة، بعضها فوق بعض.

وقوله: ﴿وَأَنْكُوبٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ وهي جمع كوب، وهي الأباريق التي لا آذان لها. وقد بينا ذلك فيما مضى، وذكرنا ما فيه من الرواية، بما أغنى عن إعادته. وعني بقوله: ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: أنها

موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب، وجدوها مملأى من الشراب.

وقوله: ﴿وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ يعني بالنمارق: الوسائد والمرافق والنمارق: واحدها نَمْرُقَةٌ، بضم النون. وقد حُكي عن بعض كلب سماعاً نَمْرُقَةً، بكسر النون والراء. وقيل: مصفوفة لأن بعضها بجانب بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ يقول: المرافق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ يعني بالنمارق: المجالس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ والنمارق: الوسائد.

وقوله: ﴿وَزَّرَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها طنافس وبُسط كثيرة مبثوثة مفروشة، والواحدة: زَرَبِيَّةٌ، وهي الطَّنْفَسَةُ التي لها خمل رقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن سفيان، قال: ثنا توبة العنبري، عن عكرمة بن خالد، عن عبد الله بن عمار، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي على عَبْرَتِي، وهو الزرابي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَزَّرَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ﴾: المبسوطة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره لمُنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة، من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها، وسخرها لهم ودلّلها، وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جل ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل، فيعتبرون بها، ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على

خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما نعت الله ما في الجنة، عَجِبَ من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ فكانت الإبل من عيش العرب ومن حوْلهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عمن سمع شريحاً يقول: اخرجوا بنا نُنظر إلى الإبل كيف خُلقت.

وقوله: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يقول جل ثناؤه: أفلا ينظرون أيضاً إلى السماء كيف رفعها الذي أخبركم أنه مُعدٌ لأوليائه ما وصف، ولأعدائه ما ذكر، فيعلموا أن قُدْرته القدرة التي لا يُعجزه فعل شيء أراد فعله.

وقوله: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ يقول: وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبه لا تسقط، فتنبسط في الأرض، ولكنها جعلها بقدرته منتصبه جامدة، لا تبرح مكانها، ولا تزول عن موضعها. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ تصاعد إلى الجبل الصَّيْخود عامة يومك، فإذا أفضيت إلى أعلاه، أفضيت إلى عيون متفجرة، وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله، نعمة من الله، وبلغه الأجل.

وقوله: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ يقول: وإلى الأرض كيف بُسطت، يقال: جبل مُسَطَّحٌ إذا كان في أعلاه استواء. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أي بُسطت، يقول: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَعَذَابُ اللَّهِ أَلَمٌ أَلَمٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسْمَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي، وبلغهم رسالتي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكراً، لتذكرهم نعمتي عندهم،

وتعرفهم اللازم لهم، وتعظمهم.

وقوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ يقول: لست عليهم بمسلط، ولا أنت بجبار، تحملهم على ما تريد. يقول: كلهم إليّ، ودعهم لي وحكمي فيهم يقال: قد تسيطر فلان على قومه: إذا تسلط عليهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ يقول: لست عليهم بجبار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾: أي كل إليّ عبادي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِمُسَيِّرٍ﴾ قال: جبار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ قال: لست عليهم بمسلط أن تكرههم على الإيمان، قال: ثم جاء بعد هذا: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وقال ﴿اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ وارضدوهم لا يخرجوا في البلاد ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال: فنسخت ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ قال: جاء اقتله أو يسلم قال: والتذكرة كما هي لم تنسخ. وقرأ: ﴿فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي الزبير محمد بن مسلم، قال: سمعت جابر ابن عبد الله، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول، فذكر مثله، إلا أنه قال: قال أبو الزبير: ثم قرأ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾.

حدثنا يوسف بن موسى القَطَّان، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ مثله.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ يتوجّه لوجهين: أحدهما: فذكر قومك يا محمد، إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر، فيكون قوله «إلا» استثناء من الذين كان التذكير عليهم، وإن لم يذكروا، كما يقال: مضى فلان، فدعا إلا من لا تُرْجَى إجابته، بمعنى: فدعا الناس إلا من لا تُرْجَى إجابته. والوجه الثاني: أن يجعل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ منقطعاً عما قبله، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر، يعذبه الله، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن، فإذا حسنت معه كان منقطعاً، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلاً صحيحاً، كقول القائل: سار القوم إلا زيداً، ولا يصلح دخول إن ها هنا لأنه استثناء صحيح.

وقوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: هو عذاب جهنم، يقول: فيعذبه الله العذاب الأكبر على كفره في الدنيا، وعذاب جهنم في الآخرة.

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُغْلِمُ بذلك نبيه محمداً ﷺ أنه المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ قال: حسابه على الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يقول: إن إلى الله الإياب، وعليه الحساب.

آخر تفسير سورة الغاشية

(٧٩) سورة الفجر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥)

هذا قسم أقسم ربنا جل ثناؤه بالفجر، وهو فجر الصبح.

واختلف أهل التأويل في الذي عني بذلك، فقال بعضهم: عني به النهار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأغر المنقرئ، عن خليفة بن الحصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال: النهار. وقال آخرون: عني به صلاة الصبح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعيد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ يعني: صلاة الفجر. وقال آخرون: هو فجر الصبح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَبة، قال: أخبرنا عاصم الأحول، عن عكرمة، في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال: الفجر: فجر الصبح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن قيس، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزبير أنه قال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال: الفجر: قسم أقسم الله به.

وقوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ اختلف أهل التأويل في هذه الليالي العشر أي ليال هي؟ فقال

بعضهم: هي ليالي عشر ذي الحجة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن زرارة، عن ابن عباس، قال: إن الليالي العشر التي أقسم الله بها، هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: عشر الأضحى قال: ويقال: العشر: أول السنة من المحرم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن قيس، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزبير ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: أول ذي الحجة إلى يوم النحر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا عوف، قال: ثنا زرارة بن أوفى، قال: قال ابن عباس: إن الليالي العشر اللاتي أقسم الله بهن: هن الليالي الأول من ذي الحجة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسروق ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: عشر ذي الحجة، وهي التي وعد الله موسى ﷺ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا عاصم الأحول، عن عكرمة ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: عشر ذي الحجة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأغر المنقرتي، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: عشر الأضحى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: عشر ذي الحجة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: كنا نحدث أنها عشر الأضحى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، قال: ليس عمل في ليال من ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر، وهي عشر موسى التي أتمها الله له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن مسروق، قال: ليال العشر، قال: هي أفضل أيام السنة.

حُدِّثَ عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ يعني: عشر الأضحى.

حَدَّثَنِي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: أول ذي الحجة وقال: هي عشر المحرم من أوله.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن أبي زياد القُطَوَانِيّ:

حَدَّثَنِي قال: ثنا زيد بن حباب، قال: أخبرني عياش بن عتبة، قال: ثنا جُبَيْر بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: «وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ»، قال: عشر الأضحى».

وقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عُني به من الوتر بقوله: ﴿وَالْوَتْرِ﴾ فقال بعضهم: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابن بشار، قال: ثنا ابن عديّ وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن زُرَّارَةَ بن أوفى، عن ابن عباس، قال: الوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم الذبيح.

حَدَّثَنِي يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا عوف، قال: ثنا زُرَّارَةَ بن أوفى، قال: قال ابن عباس: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

حَدَّثَنَا ابن بشار، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا همام، عن قتادة، قال: قال عكرمة، عن ابن عباس: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، عن عكرمة ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

وَحَدَّثَنَا به مرّة أخرى، فقال: الشفع: أيام النحر، وسائر الحديث مثله.

حَدَّثَنِي يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا عاصم الأحول، عن عكرمة في قوله: ﴿وَالشَّفْعِ﴾ قال: يوم النحر ﴿وَالْوَتْرِ﴾ قال: يوم عرفة.

حَدَّثَنَا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن الضحاك **﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قال: أقسم الله بهنّ لما يعلم من فضلهنّ على سائر الأيام، وخير هذين اليومين لما يعلم من فضلهما على سائر هذه الليالي. **﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قال: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان عكرمة يقول: الشفع: يوم الأضحى، والوتر: يوم عرفة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال عكرمة: عرفة وثر، والنحر شفع، عرفة يوم التاسع، والنحر يوم العاشر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَالشَّفْعِ﴾** يوم النحر **﴿وَالْوَتْرِ﴾** يوم عرفة.

وقال آخرون: الشفع: اليومان بعد يوم النحر، والوتر: اليوم الثالث.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قال: الشفع: يومان بعد يوم النحر، والوتر: يوم النفر الآخر، يقول الله: **﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾**.

وقال آخرون: الشفع: الخلق كله، والوتر: الله.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قال: الله وتر وأنتم شفع، ويقال الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** قال: كلّ خلق الله شفع، السماء والأرض، والبرّ والبحر، والجنّ والإنس، والشمس والقمر، والله الوتر وحده.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال مجاهد، في قوله: **﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾** قال: الكفر والإيمان: والسعادة والشقاوة، والهدى

والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجن والإنس، والوتر: الله قال: وقال في الشفع والوتر مثل ذلك.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: خلق الله من كل شيء زوجين، والله وتر واحد صمد.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: الشفع: الزوج، والوتر: الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان عن جابر، عن مجاهد **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: الوتر: الله، وما خلق الله من شيء فهو شفع. وقال آخرون: عُني بذلك الخلق، وذلك أن الخلق كله شفع ووتر.

قال: ثنا ابن ثور، عن مغمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: الخلق كله شفع ووتر، وأقسم بالخلق.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن في ذلك: الخلق كله شفع **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: كان أبي يقول: كل شيء خلق الله شفع ووتر، فأقسم بما خلق، وأقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون.

وقال آخرون: بل ذلك: الصلاة المكتوبة، منها الشفع كصلاة الفجر والظهر، ومنها الوتر كصلاة المغرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: كان عمران بن حصين يقول: **«الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»**: الصلاة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال عمران: هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس **«وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»** قال: ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة.

وقد رفع حديث عمران بن حصين بعضهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن عليّ، قال: **ثني أبي**، قال: **ثني خالد بن قيس**، عن **قتادة**، عن **عمران بن عَصام**، عن **عمران بن حصين**، عن **النبي ﷺ** في **الشفع والوتر**، قال: «**هِيَ الصَّلَاةُ مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ**».

حدثنا ابن بشار، قال: **ثنا عفان بن مسلم**، قال: **ثنا همام**، عن **قتادة**، أنه **سُئِلَ** عن **الشفع والوتر**، فقال: **أخبرني عمران بن عَصام الضُّبَعِيُّ**، عن **شيخ من أهل البصرة**، عن **عمران بن حصين**، عن **النبي ﷺ**، قال: «**هِيَ الصَّلَاةُ مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ**».

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: **ثنا عبید الله بن موسى**، قال: **أخبرنا همام بن يحيى**، عن **عمران بن عَصام**، عن **شيخ من أهل البصرة**، عن **عمران بن حصين**: أن **رسول الله ﷺ** قال في هذه الآية «**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**» قال: «**هِيَ الصَّلَاةُ مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ**».

حدثنا بشر، قال: **ثنا يزيد**، قال: **ثنا سعيد**، عن **قتادة** «**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**» إن من الصلاة شفعا، وإن منها وترأ.

حدثنا ابن بشار، قال: **ثنا عفان بن مسلم**، قال: **ثنا همام**، عن **قتادة**، أنه **سُئِلَ** عن **الشفع والوتر**، فقال: **قال الحسن**: هو **العدد**.

وروي عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن **أبي الزبير**.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطَوَانِيّ، قال: **ثنا زيد بن حُباب**، قال: **أخبرني عِيَّاش بن عَقِيبة**، قال: **ثني جبیر بن نعيم**، عن **أبي الزبير**، عن **جابر**: أن **رسول الله ﷺ** قال: «**الشَّفْعُ: الْيَوْمَانِ، وَالْوَتْرُ: الْيَوْمُ الْوَاحِدُ**».

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن **الله تعالى** ذكره **أقسم بالشفع والوتر**، ولم يخصص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به، مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا، لعموم قسمه بذلك.

واختلفت القراء في قراءة قوله: «وَالْوَتْرِ» فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض قراء الكوفة بكسر الواو.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مستفيضتان معروفتان في قراء الأماص، ولغتان مشهورتان في العرب، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يقول: والليل إذا سار فذهب، يقال منه: سرى فلان ليلاً يسري: إذا سار.

وقال بعضهم: عني بقوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ليلة جَمَعَ، وهي ليلة المزدلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن قيس، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزبير ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ حتى يُذْهِبَ بعضه بعضاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يقول: إذا ذهب.

حدثني محمد بن عُمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: إذا سار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: والليل إذا سار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يقول: إذا سار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: إذا سار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: الليل إذا يسير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: ليلة جمع.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الشام والعراق ﴿يَسْرِ﴾ بغير ياء. وقرأ ذلك جماعة من القراء بإثبات الياء وحذف الياء في ذلك أعجب إلينا، ليوفق بين رؤوس الآي إذ كانت بالراء. والعرب ربما أسقطت الياء في موضع الرفع مثل هذا، اكتفاء بكسرة ما قبلها منها، من ذلك قول الشاعر:

لَيْسَ تَخْفَى يَسَارَتِي قَدَرَ يَوْمٍ . وَلَقَدْ تَخَفْتُ شِيمَتِي إِعْسَارِي^(١)
 وقوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هل فيما أقسمت به من هذه
 الأمور مَنَعٌ لذي حِجْرٍ. وإنما عني بذلك: إن في هذا القسم مكتفى لمن عقل عن ربه، مما هو
 أغلظ منه في الأقسام. فأما معنى قوله: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾: فإنه لذي حِجْرٍ وذو عقل يقال للرجل إذا
 كان مالكاً نفسه قاهراً لها ضابطاً: إنه لذو حِجْرٍ، ومنه قولهم: حَجَّرَ الحاكم على فلان. وبنحو
 الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا قابوس بن أبي ظبيان،
 عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي النُهَى والعقل.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله
 ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لأولي النُهَى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن
 ابن عباس: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: ذو الحِجْر والنُهَى والعقل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن
 ابن عباس ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي عقل، لذي نُهَى.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأغر المنقرّي، عن خليفة بن الحصين، عن أبي نصر،
 عن ابن عباس ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي لُب، لذي حِجْرٍ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن
 مجاهد، قوله ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي عقل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن
 مجاهد: لذي عقل لذي رأي.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٥) قال: قوله «والليل إذا يسر»: ذكروا أنها ليلة المزدلفة. وقد
 قرأ الفراء «يسرى» بإثبات الياء، و«يسر» بحذفها. وحذفها أحب إلي، لمشاكلتها رؤوس الآيات، ولأن العرب
 قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها، أنشدني بعضهم:

كَمَا كَفَّ مَا تُلِيْتُ دِزْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُغَطِّ بِالسَّيْفِ الدِّمَا

وأنشدني آخر:

«ليس تخفى يسارتي..... البيت»

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي لب، أو نُهَى.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا خلف بن خليفة، عن هلال بن خَبَاب، عن مجاهد، في قوله ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي عقل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي جلم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي حِجَى وقال الحسن: لذي لُب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ لذي حِجَى، لذي عقل ولُب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال: لذي عقل، وقرأ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لأولي الألباب﴾، وهم الذين عاتبهم الله، وقال: العقل واللُب واحد، إلا أنه يفترق في كلام العرب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٦٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ بِثَلَاثًا فِي الْبِلَادِ ﴿٦٣﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ خَلَقُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٦٤﴾ وَرَمَعُونَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ألم تنظري يا محمد بعين قلبك، فترى كيف فعل ربك بعاد؟.

واختلف أهل التأويل في تاويل قوله: ﴿إِرْمَ﴾ فقال بعضهم: هي اسم بلدة، ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُيِّت بذلك، فقال بعضهم: عُيِّت به الإسكندرية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبي صخر، عن القُرظي، أنه سمعه يقول: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ الإسكندرية.

قال أبو جعفر، وقال آخرون: هي دِمَشق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي من أهل البصرة، قال: ثنا عبيد الله بن عبد المجيد، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري **﴿بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾** قال: دمشق. وقال آخرون: عني بقوله: **﴿إِرْمَ﴾**: أمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد قوله: **﴿إِرْمَ﴾** قال: أمة. وقال آخرون: معنى ذلك: القديمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إِرْمَ﴾** قال: القديمة. وقال آخرون: تلك قبيلة من عاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾** قال: كنا نحدث أن إرم قبيلة من عاد، بيت مملكة عاد. **حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿إِرْمَ﴾** قال: قبيلة من عاد، كان يقال لهم: إرم، جد عاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ﴾** يقول الله: بعاد إرم، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. وقال آخرون **﴿إِرْمَ﴾**: الهالك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ﴾** يعني بالإرم: الهالك ألا ترى أنك تقول: أرم بنو فلان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بِعَادِ إِرَمَ﴾ الهلاك ألا ترى أنك تقول: أَرِمَ بنو فلان: أي هَلَكُوا.

والصواب من القول في ذلك: أن يُقال: إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها، فلذلك رَدَّت على عاد للإتباع لها، ولم يُجر من أجل ذلك، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضاً، كما لا يُجرى أسماء القبائل، كتميم وبكر، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة. وأما اسم عاد فلم يجر، إذ كان اسماً أعجمياً.

فأما ما ذُكر عن مجاهد، أنه قال: عُني بذلك القديمة، فقول لا معنى له، لأن ذلك لو كان معناه لكان مخفوضاً بالتونين، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة.

وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها، كما يقال: ألم تر ما فعل ربك بتميم نeshل؟ فيترك إجراء نeshل، وهي قبيلة، فترك إجرائها لذلك، وهي في موضع خفض بالرد على تميم، ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمرو زبيد وحاتم طيء وأعشى همدان، ولكنها اسم قبيلة منها، فيما أرى، كما قال قتادة، والله أعلم، فلذلك أجمعت القراء فيها على ترك الإضافة، وترك الإجراء.

وقوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: ذات الطول، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل: رجل مُعَمَّد، وقالوا: كانوا طوال الأجسام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ يعني: طولهم مثل العماد.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: كان لهم جسم في السماء.

وقال بعضهم: بل قيل لهم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لأنهم كانوا أهل عمَد، ينتجعون الغيوث، وينتقلون إلى الكلا حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْعِمَادِ﴾ قال: أهل عمود لا يقيمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ لَا يَقِيمُونَ، سِيَارَةَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: كانوا أهل عمود.

وقال آخرون: بل قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم، فشيد عمده، ورفع بناءه.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال: عاد قوم هود، بنوها وعملوها حين كانوا في الأحقاف، قال: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ مثل تلك الأعمال في البلاد. قال: وكذلك في الأحقاف في حضرموت، ثم كانت عاد قال: وثم أحقاف الرمل كما قال الله بالأحقاف من الرمل، رمال أمثال الجبال، تكون مظلة مجوفة.

وقال آخرون: قيل ذلك لهم لشدة أبدانهم وقواهم.

نكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ يعني: الشدة والقوة.

وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل: قول من قال: عُني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سياره، لأن المعروف في كلام العرب من العماد، ما عمد به الخيام من الخشب، والسواري التي يحمل عليها البناء، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجه أهل التأويل قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إلى أنه عُني به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خيامهم، فأما عماد البنیان، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه، ما وُجد إلى ذلك سبيل، دون الأتكر.

وقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد، يعني: مثل عاد، والهاء عائدة على عاد. وجائز أن تكون عائدة على إرم، لما قد بينا قبل أنها قبيلة. وإنما عُني بقوله: لم يخلق مثلها في العظم والبطش والأيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾: ذكر أنهم كانوا اثني عشر ذراعاً طولاً في السماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد، لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد، وقالوا: التي لم يخلق مثلها من صفة ذات العماد، والهاء التي في مثلها إنما هي من ذكر ذات العماد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله، فذكر نحوه.

وهذا قول لا وجه له، لأن العماد واحد مذكر، والتي للأثني، ولا يوصف المذكر بالتي، ولو كان ذلك من صفة العماد لقييل: الذي لم يخلق مثله في البلاد، وإن جعلت التي لإرم، وجعلت الهاء عائدة في قوله: ﴿مِثْلُهَا﴾ عليها وقيل: هي دمشق أو إسكندرية، فإن بلاد عاد هي التي وصفها الله في كتابه فقال: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف: هي جمع حِقف، وهو ما انعطف من الرمل وانحنى، وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال، بل ذلك الشجر من بلاد حضرموت، وما والاها.

وقوله: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يقول: وبثمود الذي خرقوا الصخر ودخلوه، فاتخذوه بيوتاً، كما قال جل ثناؤه ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوباً: إذا دخلها وقطعها ومنه قول نابغة:

أَتَاكَ أَبُو لَيْسَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الصَّلَاةِ عَمِيمٍ^(١)
يعني بقوله: يجوب: يدخل ويقطع. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يقول: فخرقوها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يعني: ثمود قوم صالح، كانوا ينجتون من الجبال بيوتاً.

(١) في «اللسان» أرم الأرم: القطع، وأرمتهم الشنة أرمًا: قطعتهم، وبناء عليه يكون الفعل الذي عبر به المؤلف هنا مبنياً للمجهول: أي أبادهم الدهر.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد في قوله: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ قال: جابوا الجبال، فجعلوها بيوتاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: جابوها ونحتوها بيوتاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ قال: نَقَبُوا الصخر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يقول: قَدُوا الحجارة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: ضربوا البيوت والمسكن في الصخر في الجبال، حتى جعلوا فيها مساكن، جابوا: جَوَّبُوا، تجوَّبوا البيوت في الجبال قال قائل:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَائِدٌ كَمَا بَادَ حَيٌّ مِنْ سُنَيْقٍ وَمَارِدٍ^(١)
هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلِّ صَلَاةٍ صَعْدَةً بِأَيْدٍ شِدَادٍ أَيْدَاتِ السَّوَاعِدِ^(٢)
وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضاً بفراعون صاحب الأوتاد.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ولم قيل له ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذي يقوون له أمره، وقالوا: الأوتاد في هذا الموضع: الجنود.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يُوتد في أيديهم وأرجلهم أوتاداً من حديد، يعلقهم بها.

(١) البيت لأبي ليلى النابغة الجعدي وفي «اللسان» جوب وجاب الشيء جوباً واجتابه: خرقه، وجاب الصخرة جوباً: نقبها. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ قال الفراء: جابوا: خرَقُوا الصخر فاتخذوه بيوتاً. ونحو ذلك قال الزجاج، واعتبره بقوله: «وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين». وجاب يجوب جوباً: قطع وخرق اهـ.

(٢) هذان البيتان لا أعرف قائلهما، ولست على ثقة من بعض ألفاظهما، ولعل قوله: «صلاة صعدة» محرف عن «صعاء صلة»: والصعاء: الأكمة يصعب ارتقاؤها والصلة: الأرض اليابسة، جمعها، صلال.

وقال آخرون: بل قيل له ذلك لأنه كان يُؤتد الناس بالأوتاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: كان يؤتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذكر لنا أنها كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها، من أوتاد وحيال.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: ذي البناء كانت مظال يلعب له تحتها، وأوتاداً تضرب له.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ثابت البناني، عن أبي رافع، قال: أوتد فرعون لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحاً عظيمة حتى ماتت.
وقال آخرون: بل ذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن محمود، عن سعيد بن جبير ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: كان يجعل رجلاً ها هنا، ورجلاً ها هنا، ويداً ها هنا، ويداً ها هنا بالأوتاد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: كان يؤتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذب الناس عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن رجل، عن سعيد بن جبير ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال: كان له منارات يعذبهم عليها.

وأولى هذه الأقوال عندني بالصواب، قول من قال: عُني بذلك: الأوتاد التي تُوتد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك، لأنه إما أن يكون كان يعذب الناس بها، كما قال أبو رافع وسعيد بن جبير، وإما أن يكون كان يلعب له بها.

وقوله: ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ﴿الَّذِينَ﴾ عاداً وشمود وفرعون وجنده. ويعني بقوله: ﴿طَعَوْا﴾: تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم، وعتوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفر به وقوله ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: التي كانوا فيها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ (١٢) فَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره: فأكثروا في البلاد المعاصي، وركوب ما حرم الله عليهم ﴿فَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنزل بهم يا محمد ربك عذابه، وأحل بهم نعمته، بما أفسدوا في البلاد، وطعوا على الله فيها. وقيل: فصَّبَ عليهم ربك سوط عذاب. وإنما كانت نِقْمًا تنزل بهم، إما ربحاً تُدمرهم، وإما رجفاً يُدمم عليهم، وإما عَزَقاً يُهلكهم، من غير ضرب بسوط ولا عصا، لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن، الجلد بالسياط، فكثرت استعمال القوم الخبير عن شدة العذاب الذي يعذب به الرجل منهم، أن يقولوا: ضُرب فلان حتى بالسياط، إلى أن صار ذلك مثلاً، فاستعملوه في كل معذب بنوع من العذاب شديد، وقالوا: صبَّ عليه سوط عذاب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال: ما عذبوا به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال: العذاب الذي عذبهم به سماه: سوط عذاب.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يقول تعالى ذكره لنيبه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قصصهم، ولضربائهم من أهل الكفر، لبالمِرصاد يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، ليكردهم فيها إذا وردوا يوم القيامة.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى قوله: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ بحيث يرى

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمِرْصَادٍ﴾ يقول: يرى ويسمع.

وقال آخرون: يعني بذلك أنه بمَرصد لأهل الظلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن المبارك بن مجاهد، عن جُوَيْر، عن الضحاك في هذه الآية، قال: إذا كان يوم القيامة، يأمر الرب بكُرسِيه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: وعزتي وجلالي، لا يتجاوزني اليوم ذو مَظْلِمَة، فذلك قوله: لَبَلَمِرْصَادٍ.

قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، قال: بلغني أن على جهنم ثلاث قناطر: قنطرة عليها الأمانة، إذا مرّوا بها تقول: يا رب هذا أمين، يا رب هذا خائن وقنطرة عليها الرِّجْم، إذا مرّوا بها تقول: يا رب هذا واصل، يا رب هذا قاطع وقنطرة عليها الرب ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمِرْصَادٍ﴾.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمِرْصَادٍ﴾ يعني: جهنم عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرحمة، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمِرْصَادٍ﴾ قال: ميزصاد عمل بني آدم.

وقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال، وأفضل عليه، ﴿وَوَعَّمَهُ﴾ بما أوسع عليه من فضله ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك، ويسرّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَوَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وحق له.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ (١٢) ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْبَيْتَةَ﴾ (١٧) ﴿وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (١٨) ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرْتِيبَ أْكُلًا لَمًّا﴾ (١٩)

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يقول: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾

رِزْقُهُ ﴿ يَقُولُ: فَضِيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَتَّرَهُ، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ يقول: فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَمَّا إِذَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ ما أسرع كفر ابن آدم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ قال: ضَيَّقَهُ.

واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ فقرأت عامة قراء الأمصار ذلك بالتخفيف، فَقَدَرَ: بمعنى ففقر، خلا أبي جعفر القاريء، فإنه قرأ ذلك بالتشديد: «فَقَدَّرَ». وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: قَدَّر، بمعنى يعطيه ما يكفيه، ويقول: لو فعل ذلك به ما قال ربي أهانني.

والصواب من قراءة ذلك عندنا بالتخفيف، لإجماع النحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿كَلَّا﴾ في هذا الموضع، وما الذي أنكر بذلك، فقال بعضهم: أنكر جل ثناؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله، وسبب إهانته من أهان قلة ماله.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ ما أسرع ما كفر ابن آدم يقول الله جل ثناؤه: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت بمعصيتي.

وقال آخرون: بل أنكر جل ثناؤه حمد الإنسان ربه على نعمه دون فقره، وشكواه الفاقة. وقالوا: معنى الكلام: كَلَّا، أي لم يكن ينبغي أن يكون هكذا، ولكن كان ينبغي أن يحمده على الأمرين جميعاً، على الغنى والفقر.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن قتادة، لدلالة قوله ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ والآيات التي بعدها، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، وسائر المعاني التي عدد، وفي إيابته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان، الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم، وفي تبيينه ذلك عقيب قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾

إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٠٠﴾
بيان واضح عن الذي أنكر من قوله ما وصفنا.

وقوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب، فقال: بل لستم تكرمون اليتيم، فلذلك أهنتكم ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

واختلفت القرآء في قراءة ذلك، فقرأه من أهل المدينة أبو جعفر وعامة قرآء الكوفة ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ بالثاء أيضاً وفتحها، وإثبات الألف فيها، بمعنى: ولا يحض بعضكم بعضاً على طعام المسكين. وقرأ ذلك بعض قرآء مكة وعامة قرآء المدينة، بالثاء وفتحها وحذف الألف: ﴿وَلَا تَحُضُّونَ﴾ بمعنى: ولا تأمرون بإطعام المسكين. وقرأ ذلك عامة قرآء البصرة: ﴿يَحُضُّونَ﴾ بالياء وحذف الألف، بمعنى: ولا يكرم القائلون إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ربي أكرمني، وإذا قدر عليه رزقه ربي أهانني اليتيم، ﴿وَلَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ وكذلك يقرأ الذين ذكرنا من أهل البصرة «يُكْرِمُونَ» وسائر الحروف معها بالياء، على وجه الخبر عن الذين ذكرت. وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ: «تُحَاضُّونَ» بالثاء وضمها وإثبات الألف، بمعنى: ولا تحافظون.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن هذه قراءات معروفات في قراءة الأمصار، أعني القراءات الثلاث صحيحات المعاني، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وتأكلون أيها الناس الميراث أكلاً لماً، يعني: أكلاً شديداً، لا تتركون منه شيئاً، وهو من قولهم: لمت ما على الجوان أجمع، فأنا ألمه لماً: إذا أكلت ما عليه، فأتيت على جميعه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشي، قال: ثنا الأنصاري، عن أشعث، عن الحسن ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا﴾ قال: الميراث.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ﴾ أي الميراث. وكذلك في قوله: ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا﴾ يقول: تأكلون أكلاً شديداً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ قال: نصيبه ونصيب صاحبه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ قال: اللّم: السفّ، لفّ كل شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾: أي شديداً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ يقول: أكلاً شديداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ قال: الأكل اللّم: الذي يأكل كل شيء يجده ولا يسأل، فأكل الذي له، والذي لصاحبه. كانوا لا يُورَثون النساء، ولا يُورَثون الصغار، وقرأ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: أي لا تورثونهن أيضاً ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ يأكل ميراثه، وكل شيء لا يسأل عنه، ولا يدري أحلال أو حرام.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾. يقول: سفّاً.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة البستيّ، عن زهير، عن سالم، قال: قد سمعت بكر بن عبد الله يقول في هذه الآية: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ قال: اللّم: الاعتداء في الميراث، يأكل ميراثه وميراث غيره.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ وَجَاءَ رُكُودُ الْمَلَائِكِ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ وَيَأْتِيَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَلَذُّونَ الْإِنْسَانَ وَآن لَّهُ الذِّكْرُونَ ٢٣﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حباً كثيراً شديداً من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ رُزْقاً جَمَامَهُ وَصَغَنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَحَيِّمِ^(١)
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ يقول: شديداً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ فيحبون كثرة المال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ قال: الجَمّ: الكثير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي حباً شديداً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾: يحبون كثرة المال.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ قال: الجَمّ: الشديد.

ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿كَلَامًا﴾: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن ندمهم على أفعالهم السيئة في الدنيا، وتلهّفهم على ما سلف منهم حين لا يتفعهم الندم، فقال جلّ ثناؤه: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يعني: إذا رجّت وزُلزلت زلزلة، وحرّكت تحريكاً بعد تحريك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله

(١) البيت من معلقة زهير «مختار الشعر الجاهلي» (٢٢٩) قال شارحه وردن الماء: أتينه وحللت عليه. وجمامه: جمع جم، وهو ما تجمع وكثر. وزرقة الماء: من شدة صفاء لونه، لأنه لم يورد قبلهن ولم يحرك ووضع العصى: كناية عن النزول بالمكان، والإقامة فيه هـ. وفي «اللسان» جم الجم والجم محرتكاً: الكثير من كل شيء. ومال جم كثيراً. وفي التنزيل العزيز: ﴿ويحبون المال حبا جمًّا﴾ أي كثيراً. وكذلك فسره أبو عبيدة. وقيل: الجَمّ: الكثير المجتمع؛ جم يجم كيجلس ويقعد والضم أعلى، جموماً هـ.

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يقول: تحريكها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حرملة بن عمران، أنه سمع عمر مولى عُفْرَةَ يقول: إذا سمعت الله يقول كلا، فإنما يقول: كذبت.

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صففاً بعد صفت، كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وعبد الوهاب، قالوا: ثنا عوف، عن أبي الجهنال، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد، جنهم وإنسهم. فإذا كان ذلك اليوم قيضت^(١) هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض، ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض فزعوا منهم، فيقولون: أفيكم ربنا: فيفزعون من قولهم، ويقولون: سبحان ربنا ليس فينا، وهو آت ثم تقاض السماء الثانية، ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم، فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا ليس فينا، وهو آت ثم تقاض السموات سماء سماء، كلما قيضت سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التي تحتها، ومن جميع أهل الأرض بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض، فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك، حتى تقاض السماء السابعة، فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ست سموات، ومن جميع أهل الأرض بضعف، فيجيء الله فيهم والأمم جيئ صفوف، وينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، ومما رزقناهم ينفقون؟ فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، فيقومون فيسرحون إلى الجنة فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُتُق من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان تبصران، ولسان فصيح، فيقول: إني وكُلت منكم بثلاثة: بكل جبار عنيد، فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيحبس

(١) في «اللسان» قيض وذكر طرفاً من حديث ابن عباس هذا، قال: قيضت: أي نقضت. يقال: قضت البناء فانقاض وقيل: معناه: شقت، من قاض الفرخ البيض، فانقاضت.

بهم في جهنم، ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حب السمسم، فيحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثالثة، قال عوف، قال أبو المنهال: حسبته أنه يقول: وكلت بأصحاب التصاوير، فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيحبس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة، نُشرت الصحف، ووضعت الموازين، ودُعي الخلائق للحساب.

حدثني موسى بن عبد الرحمن قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَذْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، وذلك قول الله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِبَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُؤَفَّقُونَ مَوْقِعًا وَاحِدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عَامًا لَا يُنْظَرُ إِلَيْكُمْ وَلَا يُفْضَى بَيْنَكُمْ. قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَتَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدَّمْعُ، ثُمَّ تَذْمَعُونَ دَمًا، وَتَبْكُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْأَذْقَانُ، أَوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضْجُونَ، ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيُفْضِي بَيْنَنَا، فَيَقُولُونَ مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَيْبِكُمْ؟ جَعَلَ اللَّهُ تَرْبَتَهُ، وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا، فَيُؤْتِي آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُطَلِّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَأْبَى، ثُمَّ يَسْتَفْرِوْنَ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا، كُلَّمَا جَاءُوا نَبِيًّا أَبِي» قال رسول الله ﷺ: «حتى يأتوني، فإذا جاءوني خَرَجْتُ حَتَّى آتِيَ الْفَحْصُ». قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحص؟ قال: «فَدَامَ الْعَرْشِ، فَأَجْرٌ سَاجِدًا، فَلَا أَرَأَى سَاجِدًا حَتَّى يَنْعَثَ اللَّهُ إِلَيَّ مَلَكًا، فَيَأْخُذُ بَعْضِدِي، فَيَرْفَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِي: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَا سَأَلْتُكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ، شَفَعْنِي فِي خَلْقِكَ فَأَقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ: قَدْ شَفَعْتُكَ، أَنَا أَيْبُكُمْ فَأَقْضِي بَيْنَكُمْ». قال رسول الله ﷺ: «فَأَنْصَرَفُ حَتَّى أَقِفَ مَعَ النَّاسِ، فَبَيْنَا نَحْنُ وَقُوفٌ، سَمِعْنَا جَسًا مِنَ السَّمَاءِ

شديداً، فهأننا، فنزل أهل السماء الدنيا بمثلني من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرفت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلني من نزل من الملائكة، وبمثلني من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرفت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم نزل أهل السموات على قدر ذلك من الضعيف، حتى نزل الجبار في ظلل من العمام والملائكة، ولهم رَجَلٌ من تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت سبحان رب العرش ذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يُميت الخلاق ولا يموت سُبُوحٌ قُدُوسٌ رب الملائكة والروح قُدُوسٌ قُدُوسٌ، سبحان ربنا الأعلى سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة سبحانه أبداً أبداً يخمِلُ عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات إلى حُجْرِهِمْ، والعرش على منابيحهم، فوضع الله عرشه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي بِنْدَاءٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ، فيقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت منذ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع كلامكم، وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي صُحُفُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. ثم يأمر الله جهنم فتخرج منها عنقاً ساطعاً مظلماً، ثم يقول الله: ﴿أَلَمْ آهَضْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ... إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَأَمْتَارُوا النَّيِّمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فيتميز الناس ويخفون، وهي التي يقول الله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا، الْيَوْمَ...﴾ الآية، فيفضي الله بين خلقه، الجن والإنس والبهائم، فإنه ليقيّد يومئذ للجماة من ذات القرون، حتى إذا لم يبق تبعّة عند واجدة لأخرى، قال الله: كُونُوا تُرَاباً، فعند ذلك يقول الكافر: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً، ثم يفضي الله سبحانه بين الجن والإنس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: صفوف الملائكة.

وقوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاء الله يومئذ بجهنم، كما:

حدثنا الحسن بن عرفة قال: ثنا مروان الفزاري، عن العلاء بن خالد الأسدي، عن شقيق بن سلمة، قال: قال عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال: جيء بها تُقَادُ بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال: يُجَاءُ بها يوم القيامة تُقَادُ بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: جنّيته: الجنة والنار قال: هذا حين ينزل من عرشه إلى كرسيه، لحساب خلقه، وقرأ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال: جيء بها مزومة.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه في الدنيا في طاعة الله، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ يقول: من أي وجه له التذكير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى؟﴾ يقول: وكيف له؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٦) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَعْدُبُ عِبَادَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥) ﴿وَلَا يُؤْتِيهِمْ نَاقَةٌ أَحَدٌ﴾ (٢٤) ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَبَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠).

وقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن تلهّف ابن آدم يوم القيامة، وتندمه على تفريطه في الصّالِحَات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد، في نعيم لا انقطاع له: يا ليتني قدمت لحياتي في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه، التي لا موت بعدها، ما ينجيني من غضب الله، ويوجب لي رضوانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هُوَذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ قال: علم الله أنه صادق، هناك حياة طويلة لا موت فيها آخر ما عليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: هُنَاكُمُ وَاللَّهِ الْحَيَاةُ الطَّوِيلَةُ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدُمْتُ لِحَيَاتِي﴾ قال: الآخرة.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ أجمعت القراء قرآء الأمصار في قراءة ذلك على على كسر الذال من يعذب، والثاء من يوثق، خلا الكسائي، فإنه قرأ ذلك بفتح الذال والثاء، اعتلالاً منه بخبر رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قرأه كذلك، واهي الإسناد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، قال: ثني من أقرأه النبي ﷺ: «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا».

والصواب من القول في ذلك عندنا: ما عليه قرآء الأمصار، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القراء عليه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: فيومئذ لا يعذب بعذاب الله أحد في الدنيا، ولا يوثق كوثاقه يومئذ أحد في الدنيا. وكذلك تأويله قارئو ذلك كذلك من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ ولا يوثق كوثاق الله أحد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ قال: قد علم الله أن في الدنيا عذاباً ووثاقاً، فقال: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد في الدنيا، ولا يوثق وثاقه أحد في الدنيا.

وأما الذي قرأ ذلك بالفتح، فإنه وجه تأويله إلى: فيومئذ لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق أحد في الدنيا كوثاقه يومئذ. وقد تأول ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين: فيومئذ لا يعذب عذاب الكافر أحد ولا يوثق وثاق الكافر أحد. وقال: كيف يجوز الكسر، ولا معذب يومئذ سوى الله وهذا من التأويل غلط. لأن أهل التأويل تأولوه بخلاف ذلك. مع إجماع الحجة من القراء على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل، وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك، إلا ذهبه عن وجه صحته في التأويل.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الملائكة لأوليائه يوم القيامة: يا أيها النفس المطمئنة، يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به، في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصذقت بذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يقول: المصدقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن، في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدقة بما قال.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: المصدقة الموقنة بأن الله ربها، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: النفس التي أيقنت أن الله ربها، وضربت جأشاً لأمره وطاعته.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: أيقنت بأن الله ربها، وضربت لأمره جأشاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: المنية المحببة التي قد أيقنت أن الله ربها، وضربت لأمره جأشاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: أيقنت بأن الله ربها، وضربت لأمره جأشاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: المخبة والمطمئنة إلى الله.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: التي قد أيقنت بأن الله ربها، وضربت لأمره جأشاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: المخبة.

حدثني سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾** قال: التي أيقنت بقاء الله، وضربت له جأشاً.

وذكر أن ذلك في قراءة أبي: **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْأَمِينَةُ﴾**. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، عن هارون القاري، قال: ثنا هلال، عن أبي شيخ الهنائي في قراءة أبي: **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْأَمِينَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾** وقال الكلبي: إن الأمانة في هذا الموضع، يعني به المؤمنة.

وقيل: إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشراً برضا ربه عنه، وإعداده ما أعد له من الكرامة عنده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن جعفر، عن سعيد، قال: قرئت: **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ازْجِعي إلى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾** عند النبي ﷺ، فقال أبو بكر: إن هذا لحسن، فقال رسول الله ﷺ: **﴿أما إنَّ المَلَكَ سَيَقُولُهَا لك عِنْدَ المَوْتِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح **﴿ازْجِعي إلى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾** قال: هذا عند الموت **﴿فاذْخُلِي في عِبَادِي﴾** قال هذا يوم القيامة.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، في قوله: **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾** قال: بُشِّرَتْ بالجنة عند الموت، ويوم الجمع، وعند البعث.

وقوله: **﴿ازْجِعي إلى رَبِّكَ﴾** اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: هذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيل الملائكة لنفس المؤمن عند البعث، تأمرها أن ترجع في جسد صاحبها قالوا: وعُني بالرد هاهنا صاحبها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ازْجِعي إلى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾** قال: تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول

في قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد، فيأتون الله كما خلقهم أول مرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن عكرمة في هذه الآية: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ إلى الجسد.

وقال آخرون: بل يقال ذلك لها عند الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ قال: هذا عند الموت ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ قال: هذا يوم القيامة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك، أن ذلك إنما يقال لهم عند ردة الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فادخلي في عبادي الصالحين، وادخلي جنتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ قال: ادخلي في عبادي الصالحين ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: فادخلي في طاعتي وادخلي جنتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن نعيم بن ضمضم، عن محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ قال: في طاعتي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ قال: في رحمتي.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ إلى: فادخلي في حزبي.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأول ذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بالإيمان، والمصدقة بالثواب والبعث ارجعي، تقول لهم الملائكة: إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى ما أعد الله لك من الثواب قال: وقد يكون أن تقول لهم شبه هذا القول: ينوون ارجعوا

من الدنيا إلى هذا المرجع قال: وأنت تقول للرجل: ممن أنت؟ فيقول: مُضْرِي، فتقول: كن تميمياً أو قيسياً، أي أنت من أحد هذين، فتكون كن صلة، كذلك الرجوع يكون صلة، لأنه قد صار إلى القيامة، فكان الأمر بمعنى الخبر، كأنه قال: أيتها النفس، أنت راضية مرضية.

وقد روي عن بعض السلف أنه كان يقرأ ذلك: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي».

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن أبان بن أبي عياش، عن سليمان بن قَتَّة، عن ابن عباس، أنه قرأها: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي» على التوحيد.

حدثني خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، عن هارون القاري، قال: ثني هلال، عن أبي الشيخ الهنائي: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي». وفي قول الكلبي: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي، وَادْخُلِي فِي جَنَّتِي» يعني: الروح ترجع في الجسد.

والصواب من القراءة في ذلك فادْخُلِي فِي عَبْدِي بمعنى: فادْخُلِي فِي عِبَادِي الصالحين. لإجماع الحجة من القراء عليه.

آخر تفسير سورة والفجر

(٩٠) سورة البلد مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة، وكذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: مكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: الحرام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: البلد مكة.

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: مكة.

وقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: بمكة يقول جَلُّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وأنت يا محمد حِلٌّ بهذا البلد، يعني بمكة يقول: أنت به حلال تصنع فيه مِنْ قَتْلِ مَنْ أَرَدْتَ قَتْلَهُ، وَأَسْرِ مَنْ أَرَدْتَ أَسْرَهُ، مُطْلَقٌ ذَلِكَ لَكَ يُقَالُ مِنْهُ: هُوَ حِلٌّ، وَهُوَ حَلَالٌ، وَهُوَ حَرْمٌ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَهُوَ مُحَلٌّ، وَهُوَ مُحْرَمٌ، وَأَحْلَلْنَا، وَأَحْرَمْنَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني بذلك: نبي الله ﷺ، أحلَّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحيي من شاء فقتل يومئذ ابن خَطْلٍ صَبْرًا وَهُوَ آخِذٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَلَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْتُلَ فِيهَا حَرَامًا حَرَّمَهُ اللَّهُ، فَأَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مَا صَنَعَ بِأَهْلِ مَكَّةَ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي تَحْرِيمِ الْحَرَمِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يعني بالناس أهل القبلة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: ما صنعت فأنت في حِلٍّ من أمر القتال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أحلَّ لرسول الله ﷺ ما صنع فيه ساعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أحلَّ له أن يصنع فيه ما شاء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أَحَلَّتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قال: اصنع فيها ما شئت.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد، في قول الله ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أنت حِلٌّ مما صنعت فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أحلَّ الله لك يا محمد ما صنعت في هذا البلد من شيء، يعني مكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** قال: لا تؤاخذ بما عملت فيه، وليس عليك فيه ما على الناس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** يقول: بريء عن الحرج والإثم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** يقول: أنت به حلّ لست بأنتم.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** قال: لم يكن بها أحد حلاً غير النبي ﷺ، كلّ من كان بها حراماً، لم يحلّ لهم أن يقاتلوا فيها، ولا يستحلّوا حرمه، فأحله الله لرسوله، فقاتل المشركين فيه.

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الملك، عن عطاء **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** قال: إن الله حرّم مكة، لم تحلّ لنبئٍ إلا نبيكم ساعة من نهار.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله: **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** يعني محمداً، يقول: أنت حلّ بالحرم، فاقتل إن شئت، أو دع.

وقوله: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** يقول تعالى ذكره: فأقسم بوالد وبولده الذي ولد.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك من الوالد وما ولد، فقال بعضهم: غني بالوالد كلّ والد، وما ولد: كلّ عاقر لم يلد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن شريك، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** قال: الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** قال: العاقر، والتي تلد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن النضر بن عربي، عن عكرمة **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** قال: العاقر، والتي تلد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** قال: هو الوالد وولده.

وقال آخرون: عُني بذلك: آدم وولده.

نكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: الوالد: آدم، وما ولد: ولده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: ولده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: آدم وما ولد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: آدم وما ولد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن ابن أبي خالد، عن أبي صالح في قول الله **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: آدم وما ولد.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: الوالد: آدم، وما ولد: ولده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قوله: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: آدم وما ولد.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: آدم وما ولد.

وقال آخرون: عُني بذلك: إبراهيم وما ولد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت أبا عمران الجوني يقرأ: **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾** قال: إبراهيم وما ولد.

والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكلّ والد وولده، لأن الله عمّ كلّ والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمّه.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وهذا هو جواب القسم.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: وقع ها هنا القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونصب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يقول: في نصب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، أنه قال في هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يقول: في شدة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ حين خُلِقَ في مشقة لا يُلقى ابن آدم إلا مكابداً أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ قال: يكابد أمر الدنيا والآخرة.

وقال بعضهم: خُلِقَ خَلْقاً لم نُخْلَقْ خَلْقَهُ شيئاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن علي بن رفاعه، قال: سمعت الحسن يقول: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم.

قال: ثنا وكيع، عن علي بن رفاعه، قال: سمعت سعيد بن أبي الحسن يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة.

قال: ثنا وكيع، عن النضر، عن عكرمة قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في شدة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في شدة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: في شدة

معيشته، وحمله وحياته، ونبات أسنانه.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد ﴿الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: شدة خروج أسنانه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: شدة.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه خُلِقَ منتصباً معتدل القامة.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: في انتصاب، ويقال: في شدة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي بن عمار، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمار، عن عكرمة، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: في انتصاب، يعني القامة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: منتصباً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، جميعاً عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن شداد، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: معتدلاً بالقامة، قال أبو صالح: معتدلاً في القامة.

حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: قائماً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿فِي كَبِدٍ﴾ خُلِقَ منتصباً على رجلين، لم تخلق دابة على خلقه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن مجاهد ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾ قال: في صعد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنه خُلِقَ في السماء.

نكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في السماء، يسمى ذلك الكَبَد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يُكابِدُ الأمور ويُعالجها، فقوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه: في شدة.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد ومنه قول ليبيد بن ربيعة:

عَيْنِ هَلْ أَبْكَيتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنا وَقَامَ الْخُصُومِ فِي كَبَدٍ^(١)
وقوله: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يُفِيدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ذكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشد، وكان شديداً، فقال جل ثناؤه: أَيْحَسِبُ هَذَا الْقَوِيَّ بِجَلْدِهِ وَقَوْتَهُ، أَنْ لَنْ يَفْهَرَهُ أَحَدٌ وَيَغْلِبَهُ، فَاللهُ غَالِبُهُ وَقَاهِرُهُ.

وقوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾ يقول هذا الجليد الشديد: أهلكت مالا كثيراً، في عداوة محمد ﷺ، فأنفقت ذلك فيه، وهو كاذب في قوله ذلك وهو فعل من التلبد، وهو الكثير، بعضه على بعض، يقال منه: لَبَدَ بِالْأَرْضِ يَلْبُدُ: إِذَا لَصِقَ بِهَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مَالاً لُبْدًا﴾ يعني باللبد: المال الكثير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مَالاً لُبْدًا﴾ قال: كثيراً.

(١) البيت لليبيد يرثي أخاه أريد وقد هلك على دين الجاهلية. قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٧) «خلقنا الإنسان في كبد». في شدة. قال ليبيد:

«عَيْنِ هَلْ أَبْكَيتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنا وَقَامَ الْخُصُومِ فِي كَبَدٍ»

البيت». وفي «اللسان» كلبد الرجل يكابد الليل: إذا ركب هوله وصعوبته. ويقال: كابدت ظلمة هذه الليلة مكابدة شديدة. وقال ليبيد:

«عَيْنِ هَلْ أَبْكَيتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنا وَقَامَ الْخُصُومِ فِي كَبَدٍ»

البيت». أي في شدة وعناء. ويقال: تكبدت الأمر: قصدته اهـ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾. قال: مالا كثيرا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾: أي كثيرا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَالاً لُبْدًا﴾ قال: اللبد: الكثير.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: ﴿مَالاً لُبْدًا﴾ بتخفيف الباء. وقرأه أبو جعفر بتشديدها. والصواب بتخفيفها، لإجماع الحجة عليه.

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أيظن هذا القائل ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾ أن لم يره أحد في حال إنفاقه ما يزعم أنه أنفقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ابن آدم إنك مسئول عن هذا المال، من أين اكتسبته، وأين أنفقته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ يُطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسَعٍ ﴿١٤﴾ بَيْنَمَا ذَا مَقَرَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ يَسْتَكْبِحُ ذَا مَقَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم نجعل لهذا القائل ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾ عينين يبصر بهما حُجَجَ الله عليه، ولساناً يعبر به عن نفسه ما أراد، وشفتين، نعمة منا بذلك عليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ نَعَم من الله متظاهرة، يقررک بها كيماً تشكره.

وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهديناه الطريقين، ونجد: طريق في ارتفاع. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عني بذلك: نجد الخير، ونجد الشر، كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشرّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله، مثله.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن منذر، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم، قال: ليسا بالثديين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمران جميعاً، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: نجد الخير، ونجد الشرّ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا هشام بن عبد الملك، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عاصم، قال: سمعت أبا وائل يقول: كان عبد الله يقول في: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: نجد الخير، ونجد الشرّ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يقول: الهدى والضلالة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يقول: سبيل الخير والشرّ.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشرّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن الربيع بن خثيم، عن أبي بردة، قال: مرّ بنا الربيع بن خثيم، فسألناه عن هذه الآية: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ فقال: أما إنهما ليسا بالثديين.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الخير والشرّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: سبيل الخير والشرّ.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ نجد الخير، ونجد الشر.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا يونس، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدٌ خَيْرٌ، وَنَجْدٌ شَرٌّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟».

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا عطية أبو وهب، قال: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدُ الْخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا هشام عبد الملك، قال: ثنا شعبة، عن حبيب، عن الحسن، عن النبي ﷺ، نحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ: نَجْدُ الْخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ، نَجْدُ الْخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قاطع طريق الخير والشر. وقرأ قول الله: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهديناه الثديين: سبيلي اللبن الذي يتغذى به، وينبت عليه لحمه وجسمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا عيسى بن عقال، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: هما الثديان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن المبارك بن مجاهد، عن جُوَيْر، عن الضحاك، قال: الثديان.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُني بذلك طريق الخير والشر، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا والثديان، وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نِعَمه، فكذلك قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينَ﴾.

وقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يركب العقبة، فيقطعها ويجوزها. وذكر أن العقبة: جبل في جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المشنى، قال: ثنا يحيى بن كثير، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قول الله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: عَقَبَةٌ في جهنم.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عمر، في قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ جبل من جهنم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: جهنم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ إنها فحمة شديدة، فاقتموها بطاعة الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: للنار عقبة دون الجسر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن شعيب بن زُرعة، عن حنش، عن كعب، أنه قال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: هو سبعون درجة في جهنم.

وأفرد قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ بذكر «لا» مرة واحدة، والعرب لا تكاد تفردوا في كلام في

مثل هذا الموضع، حتى يكرروها مع كلام آخر، كما قال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَوْنَ﴾. وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع، استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه، من إعادتها مرة أخرى، وذلك قوله إذ فُسِّرَ اقتحام العقبة، فقال: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ثم كان من الذين آمنوا، ففسر ذلك بأشياء ثلاثة، فكان كأنه في أول الكلام، قال: فلا فَعَلَ ذَا ولا ذَا ولا ذَا. وتأول ذلك ابن زيد، بمعنى: أفلا، ومن تأوله كذلك، لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن في الكلام متروكاً. ذكر الخبر بذلك عن ابن زيد:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؟﴾.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؟﴾ يقول تعالى ذكره: وأي شيء أشعرك يا محمد ما العقبة؟.

ثم بين جل ثناؤه له، ما العقبة، وما النجاة منها، وما وجه اقتحامها؟ فقال: اقتحامها وقطعها فك رقية من الرق، وأسر العبودة، كما:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكَ رَقَبَةٍ﴾ قال: ذكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة، إلا كانت فداءه من النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكَ رَقَبَةٍ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ سئل عن الرقاب أيها أعظم أجراً؟ قال: «أكثرها ثمناً».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عن أبي نجيع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ، عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ وَأَيُّمَا امْرَأَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَتْ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا، عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهَا مِنَ النَّارِ».

قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَهِيَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾

ثم أخبر عن اقتحامها فقال: فَكْ رَقَبَةَ أَوْ أَطْعَمَ.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء البصرة، عن ابن أبي إسحاق، ومن الكوفيين: الكسائي: «فَكْ رَقَبَةَ أَوْ أَطْعَمَ». وكان أبو عمرو بن العلاء يحتج فيما بلغني فيه بقوله: ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا كَأَن مَعْنَاهُ: كَانَ عِنْدَهُ، فَلَا فَكْ رَقَبَةَ، وَلَا أَطْعَمَ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام «فَكْ رَقَبَةَ» على الإضافة «أَوْ إِطْعَامًا» على وجه المصدر.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وتأويل مفهوم، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. فقراءته إذا قرئ على وجه الفعل وتأويله: فلا اقتحم العقبة، لا فَكْ رَقَبَةَ، وَلَا أَطْعَمَ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ» على التعجب والتعظيم. وهذه القراءة أحسن مخرجاً في العربية، لأن الإطعام اسم، وقوله: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» فعل، والعرب تؤثر رد الأسماء على الأسماء مثلها، والأفعال على الأفعال، ولو كان مجيء التنزيل ثم إن كان من الذين آمنوا، كان أحسن، وأشبهه بالإطعام والفك من ثم كان، ولذلك قلت: «فَكْ رَقَبَةَ أَوْ أَطْعَمَ» أوجه في العربية من الآخر، وإن كان للآخر وجه معروف، ووجه «أَنْ» تضم أن ثم تلقى، كما قال طرفة بن العبد:

أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي^(١)

بمعنى: أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاجِرِي أَنْ أَحْضَرَ الْوَعَى. وفي قوله: «أَنْ» أشهد الدلالة البنية على أنها معطوفة على أن أخرى مثلها، قد تقدمت قبلها، فذلك وجه جوازه. وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا الوجه كان قوله: «فَكْ رَقَبَةَ أَوْ إِطْعَامًا» تفسيراً لقوله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ» كأنه قيل: وما أدراك ما العقبة؟ هي فك رقبته «أَوْ إِطْعَامًا فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةٍ» كما قال جل ثناؤه: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْبَةُ»، ثم قال: «نَارَ حَامِيَةٍ» مفسراً لقوله: «فَأَمُّ هَاوِيَةٍ»، ثم قال: وما أدراك ما الهاوية؟ هي نار حامية.

وقوله: «أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةٍ» يقول: أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَجَاعَةٍ، وَالسَّاعِبِ: الْجَائِعِ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ٣١٧ قال: أحضر: رواه البصريون برفع الراء، ورواه الكوفيون بنصبها، على تقدير (أن) في غير المواضع الشعرة المعروفة. والوعى: الحرب. وأصله: أصوات المحاربين. يقول: أيها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب، وحصول اللذات، هل تخلدني في الدنيا إذا كفت عنها أهـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس «أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ»: يوم مجاعة.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني خالد بن حيان الرقي أبو يزيد، عن جعفر بن برقان، عن عكرمة في قول الله: «أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ» قال: ذي مجاعة.

حدثني محمد بن عمر، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ﴾ قال: الجوع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ» يقول: يوم يُسْتَهَى فيه الطعام.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عثمان الثقفي، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ﴾ قال: مجاعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةَ﴾ قال: مجاعة.

وقوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يقول: أو أَطْعَمَ في يوم مجاعة صغيراً لا أب له من قرابته، وهو اليتيم ذو المقربة وعني بذِي المقربة: ذا القرابة، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قال: ذا قرابة.

وقوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك: ذو اللصوق بالتراب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المشني، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، قال: أخبرني المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي ليس له مأوى إلا التراب.

حدثنا مُطَرِّف بن محمد الضبي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا شعبة، عن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا ابن المشي، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي لا يُواريه إلا التراب.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو عاصم، عن شعبة، عن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي ليس له مأوى إلا التراب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثني جرير، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي ليس له مأوى إلا التراب.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: المسكين المطروح في التراب.

حدثني أبو حصين قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عَبَّئِر، عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: الذي لا يقيه من التراب شيء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حصين والمغيرة كلاهما، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: هو اللازق بالتراب من شدة الفقر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن أبي قيس، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: التراب الملقى على الطريق على الكُنَاسَة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا طَلْق بن غنم، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: هو المسكين الملقى بالطريق بالتراب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حصين، عن مجاهد ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: المطروح في الأرض، الذي لا يقيه شيء دون التراب.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: هو المُلْزَق بالأرض، لا يقيه شيء من التراب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حصين وعثمان بن المغيرة، عن مجاهد عن ابن عباس ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال الذي ليس له شيء يقيه من التراب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذَا مَثْرَبٌ﴾ قال: ساقط في التراب.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن جعفر بن برقان، قال: سمع عكرمة ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ قال: الملتزق بالأرض من الحاجة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ قال: التراب اللاصق بالأرض.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: المُلْقَى في الطريق الذي ليس له بيت إلا التراب.

وقال آخرون: بل هو المحتاج، كان لاصقاً بالتراب، أو غير لاصق وقالوا: إنما هو من قولهم: تَرَبَّ الرجل: إذا افتقر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ يقول: شديد الحاجة.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن عكرمة، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ قال: هو المحارَف الذي لا مال له.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ قال: ذا حاجة، التراب: المحتاج.

وقال آخرون: بل هو ذو العيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضرّ وشدة الحاجة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ يقول: مسكين ذو بنين وعيال، ليس بينك وبينه قرابة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ قال: ذا عيال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَثْرَبٍ﴾ كنا

نَحَدَّثُ أَنَّ التُّرْبَ هُوَ ذُو الْعِيَالِ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ .

حُدِّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَثْرَبَةٍ ﴾ ذَا عِيَالٍ لَاصِقِينَ بِالْأَرْضِ ، مِنَ الْمَسْكِنَةِ وَالْجَهْدِ .

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : عُيِّي بِهِ : أَوْ مَسْكِينًا قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ مَعَانِيهِ . وَأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ مَثْرَبَةٍ ﴾ إِنَّمَا هِيَ «مَفْعَلَةٌ» مِنْ تَرَبَّ الرَّجُلُ : إِذَا أَصَابَهُ التُّرَابُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَّةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢١﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ثم كان هذا الذي قال : ﴿أَفَلَنْكُنَّ مَا لَا لُبَدَاءَ﴾ من الذين آمنوا بالله ورسوله ، فيؤمن معهم كما آمنوا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول : وممن أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على ما نأبهم في ذات الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يقول : وأوصى بعضهم بعضاً بالمرحمة ، كما :

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ قال : مَرْحَمَةُ النَّاسِ .

وقوله : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَّةِ﴾ يقول : الذين فعلوا هذا الأفعال التي ذكرتها ، من فكِّ الرقاب ، وإطعام اليتيم ، وغير ذلك ، أصحاب اليمين ، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول : والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرُّسل وغير ذلك ﴿هُم أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يقول : هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال . وقد بينا معنى المشأمة ، ولم قيل لليسار المشأمة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله : ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره : عليهم نار جهنم يوم القيامة مُطَبَّقَةٌ يقال منه : أَوْصَدْتُ وَأَصَدْتُ . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ قال : مُطَبَّقَةٌ .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **«عَلَيْهِمْ مُّؤْصَدَةٌ»** قال: مطبقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **«عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ»**: أي مطبقة أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: **«مُؤْصَدَةٌ»**: مغلقة عليهم.

آخر تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد

(٩١) سورة الشمس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدمت أسماؤه:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ (١) ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّتْهَا﴾ (٢) ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّتْهَا﴾ (٣) ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا بَسَّتْهَا﴾ (٤) ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَتْهَا﴾ (٥) ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَبَقْتَهَا﴾ (٦) ﴿وَالنَّفْسَ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَالْمَمْنَعَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿حَدَّثْنَا بَشَرًا﴾ (٩)

قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالشمس وضحاها ومعنى الكلام: أقسم بالشمس، وبضحى الشمس.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَضُحَاهَا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: والشمس والنهار، وكان يقول: الضحى: هو النهار كله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قال: هذا النهار.

وقال آخرون: معنى ذلك: وضوئها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قال: ضوئها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار.

وقوله: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والقمر إذا تبع الشمس، وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس، تلاها القمر طالماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** قال: يتلو النهار.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن قيس بن سعد، عن مجاهد، قوله: **﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** يعني: الشمس إذا تبعها القمر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** قال: تبعها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُوي الهلال.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** قال: إذا تلاها ليلة الهلال.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾** قال: هذا قسم، والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأول، وتتلوه النصف الآخر، فأما النصف الأول فهو يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، فإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها، وتليه هي.

وقوله: **﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾** يقول: والنهار إذا جَلَّاهَا، قال: إذا أضاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾** قال: إذا غشيها النهار.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جَلَّاهَا الظلمة، ويجعل الهاء والألف من جَلَّاهَا كناية عن الظلمة، ويقول: إنما جاز الكناية عنها، ولم يجر لها ذكر قبل، لأن معناها معروف، كما يعرف معنى قول القائل: أصبحت باردة، وأمست باردة، وهبت شمالاً، فكنى عن مؤنثات لم يجر لها ذكر، إذ كان معروفاً معناهن.

والصواب عندنا في ذلك: ما قاله أهل العلم الذين حكينا قولهم، لأنهم أعلم بذلك، وإن كان للذي قاله من ذكرنا قوله من أهل العربية وجه.

وقوله: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾** يقول تعالى ذكره: والليل إذا يغشى الشمس، حتى تغيب

تظلم الآفاق. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: إذا غشَّها الليل.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: والسماء ومنّ بناها، يعني: ومنّ خلقها، وبنائه إياها: تصيره إياها للأرض سقفاً. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ وبنائها: خَلَّفَهَا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قال: الله بنى السماء.

وقيل: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ وهو جلّ ثناؤه بانيها، فوضع «ما» موضع «منّ»، كما قال ووالدٍ وما ولد، فوضع «ما» في موضع «منّ»، ومعناه، ومن ولد، لأنه قَسَمَ أقسم بآدم وولده، وكذلك: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ وإنما هو: فانكحوا منّ طاب لكم. وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر، كأنه قال: والسماء وبنائها، ووالد وولادته.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وهذه أيضاً نظير التي قبلها، ومعنى الكلام: والأرض ومنّ طحها. ومعنى قوله: ﴿طَحَاهَا﴾: بسطها يميناً وشمالاً، ومن كلّ جانب.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿طَحَاهَا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: والأرض وما خلق فيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ يقول: ما خلق فيها.

وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا عيسى وحدثني

الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ قال: دحاها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ قال: بَسَطَهَا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ يقول: قسمها.

وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ نفسه، لأنه هو الذي سوى النفس وخلقها، فعَدَّلَ خلقها، فوضع «ما» موضع «مَنْ»، وقد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضاً المصدر، فيكون تأويله: ونفس وتسويتها، فيكون القسم بالنفس وتساويتها.

وقوله: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شرٍّ أو طاعة، أو معصية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يقول: بَيَّنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يقول: بَيَّنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: علَّمَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: عَرَّفَهَا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: فَبَيَّنَّ لَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.

وحدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک

يقول في قوله: ﴿فَالْتَمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، بين لها الطاعة والمعصية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فَالْتَمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: أعلمها المعصية والطاعة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك بن مزاحم ﴿فَالْتَمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: الطاعة والمعصية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله جعل فيها ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَالْتَمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: جعل فيها فجورها وتقواها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل، قالوا: ثنا عزة بن ثابت، قال: ثنا يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الدبلي، قال: قال لي عمران بن حصين: رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه، أشيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون، مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففرغت منه فرعاً شديداً، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلَقَهُ، ومِلْكُ يده، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. قال: سَدَدَكَ اللهُ، إنما سألتك «أظنه أنا» لأخْبَرَ عَقْلَكَ. إن رجلاً من مُزَيْنَةَ أو جُهَيْنَةَ، أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون: أشيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قدرٍ سبق، أو فيما يستقبلون، مما أتاهم به نبيهم عليه السلام، وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «فِي شَيْءٍ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ» قال: ففيم نعمل؟ قال: «مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِإِخْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾»

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّعَهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّعَهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ اعْبَتَّ لَهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّعَهَا﴾ يقول: قد أفلح من زكى الله نفسه، فكثرت تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصلح من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** يقول: قد أفلح من زكّى الله نفسه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** قالوا: من أصلحها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير، ولم يذكر عكرمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** من عمل خيراً زكّاه بطاعة الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** قال: قد أفلح من زكّى نفسه بعمل صالح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** يقول: قد أفلح من زكى الله نفسه. وهذا هو موضع القسم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قد وقع القسم ها هنا **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾**.

وقد ذكرت ما تقول أهل العربية في ذلك فيما مضى من نظائره قبل.

وقوله: **﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾** يقول تعالى ذكره: وقد خاب في طلبته، فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح **﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾** يعني: من دسّس الله نفسه فأخملها، ووضع منها، بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله. وقيل: دسّاه وهي دسّسها، فقلبت إحدى سيناتها ياء، كما قال العجاج:

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَز^(١)

يريد: تَقْضُض. وتظنّيت هذا الأمر، بمعنى: تظننت، والعرب تفعل ذلك كثيراً، فتبدل في الحرف المشدّد بعض حروفه، ياء أحياناً، وواو أحياناً ومنه قول الآخر:

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في الجزء (٢٤٣/٩) فارجع إليه.

يَذْهَبُ بِي فِي الشُّعْرِ كُلِّ قَنْ حَتَّى يَرُدَّ عَنِّي التَّظَنِّي^(١)
يريد: التظنن: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ يقول: وقد خاب من دسَّى الله نفسه فأضله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ يعني: تكذيبها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ قال أحدهما: أغواها، وقال الآخر: أضلها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ قال: أضلها، وقال سعيد: من أغواها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ قال: أغواها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ قال: أئمها وأفجرها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يقول: وقد خاب من دسَّى الله نفسه.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ يقول: كذبت ثمود بطغيانها، يعني: بعذابها الذي وعدهموه صالح عليه السلام، فكان ذلك العذاب طاعياً طغى عليهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن كان فيه اختلاف بين أهل التأويل. ذكر من قال القول الذي قلنا في ذلك:

(١) في هذا الرجز شاهد على أن التظني أصله التظنن أبدلت النون الثانية ياء، وهو كثير في كلام العرب. وقيل البيتين ثلاثة أبيات، وهي:

إني وإن كنت حديث السن وكان في العين نُبُو عَنِّي فإِنَّ شَيْطَانِي أَمِيرُ الْجِنِّ

حدثني سعيد بن عمرو السُّكُونِيّ، قال: ثنا الوليد بن سَلَمَةَ الْفِلَسْطِينِيّ، قال: ثنا يزيد بن سمرة المَدْحَجِيّ عن عطاء الخُرَّاسَانِيّ، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ قال: اسم العذاب الذي جاءها، الطَّغْوَى، فقال: كَذَّبَتْ ثُمودُ بعدابها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾: أي بالطغيان.

وقال آخرون: كَذَّبَتْ ثُمودُ بمعصيتهم الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ قال: معصيتها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ قال: بطغيانهم وبمعصيتهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك بأجمعها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب وابن لَهَيْعَةَ، عن عُمارة بن غزيرة، عن محمد بن رفاعَةَ الْقُرْظِيّ، عن محمد بن كعب، أنه قال: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ قال: بأجمعها.

حدثني ابن عبد الرحيم الْبَرْقِيّ، قال: ثنا ابن أبي مَرْزِيمٍ، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، قال: ثنا عُمارة بن غزيرة، عن محمد بن رفاعَةَ الْقُرْظِيّ، عن محمد بن كعب، مثله.

وقيل ﴿طَغْوَاهَا﴾ بمعنى: طغيانهم، وهما مصدران، للتوفيق بين رؤوس الآي، إذ كانت الطَّغْوَى أشبه بسائر رؤوس الآيات في هذه السورة، وذلك نظير قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ﴾ بمعنى: وآخر دعائهم.

وقوله: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ يقول: إذ ثار أشقى ثُمود، وهو قُدَار بن سالف، كما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا الطُّفَاوِيّ، عن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعَةَ، قال: خطب رسول الله ﷺ، فذكر في خطبته الناقة، والذي عَقَرَهَا، فقال: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا: انْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيْعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ يعني أحييمر ثمود.

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: صالحاً رسول الله ﷺ، فقال لثمود صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ احذروا ناقة الله وسقياها، وإنما حذرهم سقيا الناقة، لأنه كان تقدم إليهم عن أمر الله، أن للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر، غير يوم الناقة، على ما قد بينت فيما مضى قبل، وكما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ قسم الله الذي قسم لها من هذا الماء.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ يقول: فكذبوا صالحاً في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شرب الناقة يوماً، ولهم شرب يوم معلوم، وأن الله يجعل بهم نقمته، إن هم عقروها، كما وصفهم جل ثناؤه فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر. وإذا كان ذلك كذلك، جاز تقديم التكذيب قبل العقر، والعقر قبل التكذيب، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداءه قبل السبب وبعده، كقول القائل: أعطيت فأحسن، وأحسن فأعطيت، لأن الإعطاء: هو الإحسان، ومن الإحسان الإعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب، جاز تقديم أي ذلك شاء المتكلم. وقد زعم بعضهم أن قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كلمة مكتفية بنفسها، وأن قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جواب لقوله: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ كأنه قيل: إذ انبعث أشقاها فعقرها، فقال: وكيف؟ قيل ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وقد كان القوم قبل قتل الناقة مسلمين، لها شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر. قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك، أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قتلها قاتلها، وعقرها من عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم، فقال جل ثناؤه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

وقوله: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فدمر عليهم ربهم بذنوبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحاً، وعقرهم ناقته ﴿فَسَوَّاهَا﴾ يقول: فسوى الدمدة عليهم جميعهم، فلم يفلت منهم أحد، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ذكر لنا أن أحييمر ثمود أبي أن يعقرها، حتى بايعه صغيروهم وكبيرهم، وذكرهم وأثامهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسوَّاهَا.

حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا قتيبة، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت الحسن يقول: لما عقروا الناقة طلبوا فصيلها، فصار في قارة الجبل، فقطع الله قلوبهم.

وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: لا يخاف تبعه فقدمته عليهم.

نكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لا يخاف الله من أحد تبعه.

حدثني إبراهيم بن المستمّر، قال: ثنا عثمان بن عمرو، قال: ثنا عمر بن مرثد، عن الحسن، في قوله: وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا قال: ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعه مما صنع بهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عمرو بن منبه، هكذا هو في كتابي، سمعت الحسن قرأ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: ذلك الرب صنع ذلك بهم، ولم يخف تبعه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لا يخاف تبعهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ يقول: لا يخاف أن يتبع بشيء مما صنع بهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال محمد بن عمرو في حديثه، قال: الله ﴿لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. وقال الحارث في حديثه: الله لا يخاف عقباها.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا يعقوب، قال: ثنا رزين بن إبراهيم، عن أبي سليمان، قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول في قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لا يخاف الله التبعة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخف الذي عقرها عقباها: أي عقبى فَعَلْتِهِ التي فعل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا أبو رزق، قال: ثنا الضحاك ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لم يخف الذي عقرها عقباها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لم يخف الذي عقرها عقباها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السديّ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: الذي لا يخاف الذي صنع، عُقْبَى ما صنع.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والشام: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ بالفاء، وكذلك ذلك في مصاحفهم، وقرأته عامة قراء العراق في المصيرين بالواو ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ وكذلك هو في مصاحفهم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان، غير مختلفي المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلفت القراء في إمالة ما كان من ذوات الواو في هذه السورة وغيرها، كقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا وَمَا طَحَّاهَا﴾ ونحو ذلك، فكان يفتح ذلك كله عامة قراء الكوفة، ويُميلون ما كان من ذوات الياء، غير عاصم والكسائي، فإن عاصماً كان يفتح جميع ذلك، ما كان منه من ذوات الواو وذوات الياء، لا يُضجِعُ منه شيئاً. وكان الكسائي يكسر ذلك كله. وكان أبو عمرو ينظر إلى اتساق رؤوس الآي، فإن كانت متسقة على شيء واحد، أمال جميعها. وأما عامة قراء المدينة، فإنهم لا يميلون شيئاً من ذلك الإمالة الشديدة، ولا يفتحونه الفتح الشديد، ولكن بين ذلك وأفصح ذلك وأحسنه: أن ينظر إلى ابتداء السورة، فإن كانت رؤوسها بالياء، أُجري جميعها بالإمالة غير الفاحشة، وإن كانت رؤوسها بالواو، فتحت وجرى جميعها بالفتح غير الفاحش، وإذا انفرد نوع من ذلك في موضع، أميل ذوات الياء الإمالة المعتدلة، وفتح ذوات الواو الفتح المتوسط، وإن أميلت هذه، وفتحت هذه لم يكن لحناً، غير أن الفصح من الكلام هو الذي وصفنا صفته.

آخر تفسير سورة الشمس وضحاها

(٩٢) سورة الليل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (٢) ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣) ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ (٤) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاقْتَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْإِنْتَى﴾ (٦) ﴿فَسَتِيرُهُ لِنَسْرَى﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ حَسَلَ وَأَسْتَعَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَّبَ بِالْمُنَى﴾ (٩) ﴿فَسَتِيرُهُ لِنَسْرَى﴾ (١٠) ﴿﴾

يقول تعالى ذكره مُقسِماً بالليل إذا غَشَى النهار بظلمته، فأذهب ضوءه، وجاءت ظلمته: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ النهار ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وهذا أيضاً قسم، أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار، ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإيتانه إياها عياناً. وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لِعِظَمِ شأنه عنده، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ قال: آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلاق.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يحتمل الوجهين اللذين وصفت في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وهو أن يجعل «ما» بمعنى «مَنْ»، فيكون ذلك قسماً من الله جل ثناؤه بخالق الذَّكَرِ وَالْأُنثَى، وهو ذلك الخلق، وأن تجعل «ما» مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسماً بخلقه الذَّكَرِ وَالْأُنثَى.

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك ﴿وَالذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾ ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ. ذكر الخبر بذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: في قراءة عبد الله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا هشام بن عبد الملك^(١)، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني المغيرة، قال: سمعت إبراهيم يقول: أتى علقمة الشام، فقعده إلى أبي الدرداء، فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: كيف كان عبد الله يقرأ هذه الآية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ فقلت: «وَالذِّكْرِ وَالْأُنثَى» قال: فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضئوني وقد سمعتها من رسول الله ﷺ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا حاتم بن وردان، قال: ثنا أبو حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة قال: أتينا الشام، فدخلت على أبي الدرداء، فسألني فقال: كيف سمعت ابن مسعود يقرأ هذه الآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ قال: قلت: «وَالذِّكْرِ وَالْأُنثَى» قال: كفاك، سمعتها من رسول الله ﷺ يقرؤها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية وحدثني إسحاق بن شاهين الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله عن داود، عن عامر، عن علقمة، قال: قدمت الشام، فلقيت أبا الدرداء، فقال: من أين أنت؟ فقلت من أهل العراق؟ قال: من أيها؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: هل تقرأه قراءة ابن أم عبد؟ قلت: نعم، قال: اقرأ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ قال: فقرأت: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرِ وَالْأُنثَى» قال: فضحك، ثم قال: هكذا سمعت من رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن علقمة، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قدمت الشام، فأتى أبو الدرداء، فقال: فيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: فأشاروا إلي، قال: قلت أنا، قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرِ وَالْأُنثَى» قال: وأنا هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول: فهؤلاء يريدوني على أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ فلا أنا أتابعهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ قال: في بعض الحروف: «وَالذِّكْرِ وَالْأُنثَى».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

(١) هو هشام بن عبد الملك البزني المتوفى سنة ٢٥١ هـ. أو هشام بن عبد الملك الباهلي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ. ولم أجد لهما ثالثاً في خلاصة الخرجي.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن الحسن أنه كان يقرؤها ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يقول: والذي خلق الذكر والأنثى قال هارون قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعدي: سبحان ما سبحت له.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن ميسم الضبي، عن إبراهيم بن يزيد بن أبي عمران، عن علقمة بن قيس أبي شبل: أنه أتى الشام، فدخل المسجد فصلى فيه، ثم قام إلى حلقة فجلس فيها قال: فجاء رجل إليّ، فعرفت فيه تحوش القول وهيبتهم له، فجلس إلى جنبي، فقلت: الحمد لله إنني لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتي، فإذا ذلك الرجل أبو الدرداء، قال: وما ذاك؟ فقال علقمة: دعوت الله أن يرزقني جليساً صالحاً، فأرجو أن يكون أنت، قال: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة، أو من أهل العراق من الكوفة. قال أبو الدرداء: ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة، يعني ابن مسعود، أو لم يكن فيكم من أجير على لسان النبي ﷺ من الشيطان الرجيم، يعني عمّار بن ياسر، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، أو أحد غيره، يعني حذيفة بن اليمان، ثم قال: أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ؟ قال: فقلت: أنا، قال: اقرأ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ قال علقمة: فقرأت: الذكر والأنثى، فقال أبو الدرداء: والذي لا إله إلا هو، كذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فوه إلى فيّ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني عنها.

وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ يقول: إن عملكم لمختلف أيها الناس، لأن منكم الكافر بربه، والعاصي له في أمره ونهيه، والمؤمن به، والمطيع له في أمره ونهيه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ يقول: لمختلف.

وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ جواب القسم، والكلام: والليل إذا يغشى إن سعيكم لشتى، وكذا قال أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: وقع القسم هاهنا ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى واتقى ومنكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله، واتقى الله واجتنب محارمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ قال: أعطى ما عنده واتقى، قال: اتقى ربه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ من الفضل ﴿وَاتَّقَى﴾: اتقى ربه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَى﴾ محارم الله التي نهى عنها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ يقول: من ذكر الله، واتقى الله.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وصدق بالخلف من الله، على إعطائه ما أعطى من ماله فيما أعطى فيه مما أمره الله بإعطائه فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: وصدق بالخلف من الله.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ يقول: وصدق بالخلف من الله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ بالخلف.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ، قال: أخبرنا بشر بن الحكم الأحمسيّ، عن سعيد بن الصلت، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: أيقن بالخلف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن عكرمة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: بالخلف.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن عكرمة **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: بأن الله سيخلف له.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي هاشم المكي، عن مجاهد **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال بالخلف.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس: **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: بالخلف.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن نَضْر بن عربي، عن عكرمة، قال: بالخلف. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وصدق بأن الله واحد لا شريك له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمر بن عليّ المُقَدَّمي، قال: ثنا أشعث السجستاني، قال: ثنا مسعر وحدثنا أبو كُرَيْب قال: ثنا وكيع، عن مسعر عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: بلا إله إلا الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن مثل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، مثله. **حدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾**: بلا إله إلا الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾**: يقول: صدق بلا إله إلا الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وصدق بالجنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: بالجنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن محبوب، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله .
وقال آخرون: بل معناه: وصدق بموعود الله .

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: بموعود الله على نفسه، فعمل بذلك الموعود الذي وعده الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** قال: صدق المؤمن بموعود الله الحسن .

وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وأولاهها بالصواب عندي: قول من قال: **عُنِيَ** به التصديق بالخلف من الله على نفقته .

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله ذكر قبله مُنْفَقاً أنفق طالباً بنفقته الخلف منها، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقبيه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف إذ كانت نفقته على الوجه الذي يرضاه، مع أن الخبر عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك ورد. ذكر الخبر الوارد بذلك:

حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة، قال: ثنا عبد الملك بن عمرو، قال: ثنا عباد بن راشد، عن قتادة قال: **ثني خُلَيْدُ الْعَصْرِيِّ، عن أبي الدرداء، قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ عَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ، إِلَّا وَجَنِبَهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلْفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلْفاً**» فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . .﴾** إلى قوله **﴿لِلْعَصْرِ﴾** .

وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ذكر الخبر بذلك:

حدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: كان أبو بكر الصديق يُعْتَقُ على الإسلام بمكة، فكان يُعْتَقُ عَجَائِزَ ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: **أَيُّ بَيْتِي، أَرَأَيْكَ تُعْتَقُ أَنَا سِوَا ضِعْفَاءَ، فَلَوْ أَنَّكَ أَعْتَقْتَ رَجَالاً جُلْدَاءَ يَقُومُونَ مَعَكَ، وَيَمْنَعُونَكَ، وَيُدْفَعُونَ عَنكَ، فَقَالَ: أَيُّ أَيْتِي، إِنَّمَا أُرِيدُ «أُظْهِرُ قَالَ»: مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ:** فحدثني بعض أهل بيتي، أن هذه الآية أنزلت فيه: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾** .

وقوله: ﴿فَسْتَيْسِرُ لِّلْيُسْرَى﴾ يقول: فسهيته للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليجب له به في الآخرة الجنة.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَغْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربه، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته، بالزيادة فيما حوَّله من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَغْنَى﴾ قال: بخل بما عنده، واستغنى في نفسه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَغْنَى﴾ وأما من بخل بالفضل، واستغنى عن ربه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَغْنَى﴾ يقول: من أغناه الله، فبخل بالزكاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَغْنَى﴾: وأما من بخل بحق الله عليه، واستغنى في نفسه عن ربه.

وأما قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو اختلافهم في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ وأما نحن فنقول: معناه: وكذب بالخلف، كما:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾: وكذب بالخلف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ بالخلف من الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وكذب بموعود الله الذي وعد، قال الله: ﴿فَسْتَيْسِرُ لِّلْيُسْرَى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وكذب الكافر بموعود الله الحسن.

وقال آخرون: معناه: وكذب بتوحيد الله.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾: وكذب بلا إله إلا الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ بلا إله إلا الله.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وكذب بالجنة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: بالجنة.

وقوله: ﴿فَسْتَيْسِرُ لِّلْعُسْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: فسنيته في الدنيا للخلة العسرى؛ وهو من قولهم: قد يسرت غنم فلان: إذا ولدت وتهيأت للولادة، وكما قال الشاعر:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزُوعَمَانِ وَإِنَّمَا يَسْوَدَانِنَا أَنْ يَسْرَتْ غَتْمَاهُمَا^(١)

وقيل: ﴿فَسْتَيْسِرُ لِّلْعُسْرَى﴾ ولا تيسر في العسرى للذي تقدم في أول الكلام من قوله: ﴿فَسْتَيْسِرُ لِّلْيُسْرَى﴾ وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشر، جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعاً والعسرى التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يسره لها: العمل بما يكرهه ولا يرضاه. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. ذكر الخبر بذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى وأبو كريب، قالوا: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فنكت الأرض، ثم رفع رأسه فقال: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتبت مقعده من الجنة ومقعده من النار». قلنا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا فكلُّ مُيسرٍ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسْتَيْسِرُ لِّلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ يَجْهَلُ وَاسْتَفْتَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسْتَيْسِرُ لِّلْعُسْرَى﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زائدة بن قدامة، عن منصور، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: كنا في جنازة في البقيع، فأتانا رسول الله ﷺ فجلس وجلسنا معه، ومعه عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «ما منكم من نفسٍ منقوسةٍ إلا قد كتبت مدخلها»، فقال القول: يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا،

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت في الجزء (٥٦/٢٩) وقد شرحناه، فارجع إليه.

فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، فقال: «بَلِ اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يُيَسِّرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يُيَسِّرُ لِلشَّقَاءِ»، ثم قرأ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ، عن النبي ﷺ بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور والأعمش: أنهما سمعا سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ، عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة، فأخذ عوداً فجعل ينكت في الأرض، فقال: «ما مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: «اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور والأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فتناول شيئاً من الأرض بيده، فقال: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» قالوا: يا نبي الله، أفلا نتكل؟ قال: «لا اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ لِمَا خَلِقَ لَهُ»، ثم قرأ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى». ﴿١٠﴾. الآيتين.

قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن عبد الملك بن سمره بن أبي زائدة، عن الثّوّال بن سبرة، قال: قال النبي ﷺ: «ما مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ إِلَّا قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا مَا هِيَ لِأَقِيَّتِهِ» وأعرابي عند النبي ﷺ مُرتاد، فقال الأعرابي: فما جاء بي أضرب من وادي كذا وكذا، إن كان قد فرغ من الأمر؟ فنكت النبي ﷺ في الأرض، حتى ظنّ القوم أنه ودّ أنه لم يكن تكلم بشيء منه، فقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خَلِقَ لَهُ، فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يَسِّرْهُ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ، وَمَنْ يَرِدْ بِهِ شَرّاً يَسِّرْهُ لِسَبِيلِ الشَّرِّ»، فلقيت عمرو بن مرة، فعرضت عليه هذا الحديث، فقال: قال النبي ﷺ، وزاد فيه: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حصين، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، قال: لما نزلت هذه الآية: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ قال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه، أو في شيء قد فرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ: سَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى، وَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثني عمرو بن عبد الملك الطائي، قال: ثنا محمد بن عبيدة، قال: ثنا الجراح، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الحجاج بن أرطاة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سليمان الأعمش، رفع الحديث إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وبیده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «ما ينكم من أحدٍ ولا من النَّاسِ، إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ»، قلنا: يا رسول الله أفلا نتوكل؟ قال لهم: «اعْمَلُوا فِكْلٌ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثم قال: «أما سَمِعْتُمُ اللَّهَ فِي كِتَابِهِ يَقُولُ: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾: للشر من الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله، أنعمل لأمر قد فرغ منه، أو لأمر نأتفنه؟ فقال ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيسَّرٌ لِعَمَلِهِ».

حدثني يونس، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب، قال: سألت غلامان شابان النبي ﷺ، فقالا: يا رسول الله، أنعمل فيما جئت به الأقدام، وجزت به المقادير، أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بَلْ فِيمَا جَعْتُمْ بِهِ الْأَقْلَامَ، وَجَزْتُمْ بِهِ الْمَقَادِيرَ» قالوا: ففيم العمل إذن؟ قال: «اعْمَلُوا، فِكْلٌ عَامِلٍ لِعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ»، قالوا: فالآن نجد ونعمل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (١٧) ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ (١٨) ﴿فَأَنْذَرْنَاكَ نَارًا تَلْقَى﴾ (١٩) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (٢٠) ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٢١) ﴿وَسَيَحْمِلُنَّ أَلَاقِي﴾ (٢٢) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتْرَكِ﴾ (٢٣).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾: أي شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، ماله يوم القيامة ﴿إِذَا﴾ هو ﴿تَرَدَّى﴾.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ فقال بعضهم: تأويله: إذا تردى في جهنم: أي سقط فيها فهوى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا الأشجعي، عن ابن أبي خالد، عن أبي صالح ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال: في جهنم. قال أبو كُرَيْب: قد سمع الأشجعي من إسماعيل ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ قال: إذا تردى في النار.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا مات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال: إذا مات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ قال: إذا مات.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: إذا مات.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إذا تردى في جهنم، لأن ذلك هو المعروف من التردّي فأما إذا أريد معنى الموت، فإنه يقال: رَدِيَ فلان، وقلما يقال: تردى.

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن علينا لبيان الحق من الباطل، والطاعة من المعصية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ يقول: على الله البيان، بيان حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.

وكان بعض أهل العربية يتأوله بمعنى: أنه من سلك الهدى فعلى الله سبيله، ويقول: وهو مثل قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ويقول: معنى ذلك: من أراد الله فهو على السبيل القاصد، وقال: يقال معناه: إن علينا للهدى والإضلال، كما قال: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ وهي تقي الحر والبرد.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ يقول: وإن لنا ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي منهما

من أردنا من خلقنا، ونحرمه من شئنا.

وإنما عتَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحب من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهيئه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة.

ثم قال جلّ ثناؤه: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ يقول تعالى ذكره: فأذرتكم أيها الناس ناراً تتوهج، وهي نار جهنم، يقول: احذروا أن تعصوا ربكم في الدنيا، وتكفروا به، فتضلونها في الآخرة. وقيل: تَلَظَّى، وإنما هي تَلَظَّى، وهي في موضع رفع، لأنه فعل مستقبل، ولو كان فعلاً ماضياً لقليل: فأذرتكم ناراً تَلَظَّتْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ قال: تَوَّهَج.

وقوله: ﴿لَا يَضْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يقول جلّ ثناؤه: لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلا الأشقى، ﴿الذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يقول: الذي كَذَّبَ بآيات ربه، وأعرض عنها، ولم يصدق بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا هشام بن الغاز، عن مكحول، عن أبي هريرة، قال: لتَدْخُلَنَّ الجنة إلا من يأبى، قالوا: يا أبا هريرة: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: فقراً: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

حدثني الحسن بن ناصح، قال: ثنا الحسن بن حبيب ومعاذ بن معاذ، قالوا: ثنا الأشعث، عن الحسن في قوله: ﴿لَا يَضْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ قال معاذ: الذي كَذَّبَ وتولى، ولم يقله الحسن، قال: المشرك.

وكان بعض أهل العربية يقول: لم يكن كذب برء ظاهر، ولكن قَصَرَ عما أمر به من الطاعة، فجعل تكديماً، كما تقول: لقي فلان العدو، فكذب إذا نكل ورجع. وذكر أنه سمع بعض العرب يقول: ليس لحدّهم مكذوبة، بمعنى: أنهم إذا لقوا صدقوا القتال، ولم يرجعوا قال: وكذلك قول الله: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

وقوله: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَتَقَى﴾ يقول: وَسَيُوقَى صِلِيَّ النار التي تَلَظَّى التقي، ووضع أفعل

موضع فعيل، كما قال طرفة:

تَمَسَّى رِجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ^(١)
وقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ يقول: الذي يعطي ماله في الدنيا في حقوق الله التي ألزمه إياها، ﴿يتزكى﴾: يعني: يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢١) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢٢)

كان بعض أهل العربية يوجه تاويل ذلك إلى: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى ﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ يعني: من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك، ويعطى ما يعطى، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه، أنعمها عليه، ولكن يؤتية في حقوق الله ابتغاء وجه الله. قال: وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن وقال: يجوز أن يكون بفعل في المكافأة مستقبلاً، فيكون معناه: ولم يُرد بما أنفق مكافأة من أحد، ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده، فكأنك قلت: وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها، قال: وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان معروفاً، واستشهدوا لذلك ببيت النابغة:

وَقَدْ خِيفْتُ حَتَّىٰ مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَىٰ وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ^(٢)

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٨) قال: لا يصلها إلا الأشقى. والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل» (يريد اسم الفاعل من الثلاثي وما كان بمعناه من الصفات المشبهة به). قال أبو عبيدة: قال طرفة:

تَمَسَّى رِجَالٌ

البيت ولم أجده في شعر طرفة، وهو من أبيات تقدمت الإشارة إليها في الجزء (١٤١/١٦) عند قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ وفي الجزء (٨١/٢١) بأنم مما في الموضع الأول فأرجع إليه فيهما.

(٢) البيت للنابغة الذبياني وقد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (٨١/٢) وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣٦٩) وقوله: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى» يقول: لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه. فإلا في هذا الموضع بمعنى:

«لَكُنْ»

وقد تضع العرب الحرف (الكلمة) في غير موضعه إذا كان المعنى معروفاً، وقد قال الشاعر:

«وَقَدْ خِيفْتُ»

البيت. والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعلي مخافتني اهـ.

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وهذا الذي قاله الذي حكينا قوله من أهل العربية، وزعم أنه مما يجوز هو الصحيح الذي جاءت به الآثار عن أهل التأويل وقالوا: نزلت في أبي بكر بعثته من أعتق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يقول: ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم، إنما عطيته لله.

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: ثنا هارون بن معروف. قال: ثنا بشر بن السري، قال: ثنا مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله عن أبيه، قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: أخبرني سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ قال: نزلت في أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاء ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم بلال، وعامر بن فهيرة.

وعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن هؤلاء، ينبغي أن يكون قوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ نصباً على الاستثناء من معنى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ لأن معنى الكلام: وما يؤتي الذي يؤتي من ماله ملتسماً من أحد ثوابه، إلا ابتغاء وجه ربه. وجائز أن يكون نصبه على مخالفة ما بعد إلا ما قبلها، كما قال النابغة:

ت. وَمَا بِالرُّبْعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأَيَّ مَا أُبَيِّنُهَا ت.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يقول: ولسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل، يتزكى بما يشبهه الله في الآخرة عوضاً مما أتى في الدنيا في سبيله، إذا لقي ربه تبارك وتعالى.

آخر تفسير سورة الليل إذا يغشى

سورة الضحى مكية (٩٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) وَأَتَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ حَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَالسُّورَةُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَتَوَّأَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

أقسم ربنا جل ثناؤه بالضحى، وهو النهار كله، وأحسب أنه من قولهم: ضحى فلان للشمس: إذا ظهر منه ومنه قوله: ﴿وَأَتَّيْلُ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾: أي لا يصيبك فيها الشمس. وقد ذكرت اختلاف أهل العلم في معناه، في قوله: ﴿وَالشُّنْسِ وَضُحَاهَا﴾ مع ذكرى اختيارنا فيه. وقيل: غني به وقت الضحى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالضُّحَى﴾ ساعة من ساعات النهار.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: والليل إذا أقبل بظلامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ يقول: والليل إذا أقبل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قول الله: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ قال: إذا لبس الناس، إذا جاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا ذهب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ يقول: إذا ذهب.

وقال آخرون: معناه: إذا استوى وسكن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع جميعاً، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال: إذا استوى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال: إذا استوى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ سكن بالخلق.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ يعني: استقراره وسكونه.

حدثني يونس، قال: أخبرني ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال: إذا سكن، قال: ذلك سجوه، كما يكون سكون البحر سجوه.

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً ومنه قول أعشى بني ثعلبة.

فَمَا ذُنُبُنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ
وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا^(١)

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه ١٥١) وقبه: أتوعدي في موضع «فما ذنبا». وجاش البحر: اضطرب ماؤه. وساج: ساكن لقلته مائه. والدعاميص: جمع دعموص، وهو دودة سوداء تكون في الغدران إذا قل ماؤها. والبيت من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، يقول له: فيم وعيدك إياي؟ أتوعدي لأن كان شرف ابن عمك عامر كالبجر، وكان شرفك في قومك ضعيفاً كالبحر الساكن القليل الماء، لا يوارى أصغر ما فيه من الديدان؟ والشاهد في قوله: «سجا» بمعنى سكن. قال في «اللسان»: قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾ معناه: سكن ودام. وقال الفراء: معناه: أظلم وركد في طوله كما قال: بحر ساج، وليل ساج: إذا ركد وأظلم. ومعنى ركد: سكن. وقال ابن الأعرابي سجا: امتد بظلامه. ومن البحر الساجي: قال الأعشى:

وقول الراجز:

يا حَبَّبًا الْقَمْرَاءَ وَاللَّيْلُ السَّاجِ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَاجِ^(١)
 وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وهذا جواب القسم، ومعناه: ما تركك يا محمد ربك
 وما أبغضك. وقيل: ﴿وَمَا قَلَى﴾ ومعناه: وما فلاك، اكتفاء بفهم السامع لمعناه، إذ كان قد تقدّم
 ذلك قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ فُعرف بذلك أن المخاطب به نبيّ الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
 أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في
 قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يقول: ما تركك ربك، وما أبغضك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
 وَمَا قَلَى﴾ قال: ما فلاك ربك وما أبغضك قال: والقالي: المبخض.

وذكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ تكذيباً من الله قريشاً في قيلهم لرسول الله،
 لما أبطأ عليه الوحي: قد ودّع محمداً ربّه وقلاه. ذكر الرواية بذلك:

حدثني عليّ بن عبد الله الدهان، قال: ثنا مفضل بن صالح، عن الأسود بن قيس
 العبديّ، عن ابن عبد الله، قال: لما أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقالت امرأة من أهله، أو
 من قومه: ودّع الشيطان محمداً، فأنزل الله عليه: ﴿وَالضُّحَى﴾... إلى قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
 وَمَا قَلَى﴾.

قال أبو جعفر: ابن عبد الله: هو جُنْدَب بن عبد الله البجليّ.

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني، ومحمد بن هارون القطان، قالوا: ثنا سفيان، عن
 الأسود بن قيس سمع جندبا البجليّ يقول: أبطأ جبريل على النبيّ ﷺ حتى قال المشركون: ودّع
 محمداً ربّه، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الأسود بن قيس، أنه

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز، نسبهما الزجاج إلى الحارثي. وليلة قمرء مقمرة مضيئة. والساجي: تقدم
 شرحه في الشاهد قبله. ويريد الطرق الملساء، التي ليس فيها ارتفاع وانخفاض، أو التي ليس فيها حجارة ولا
 حصى ليسهل سير الإبل فيها.

سمع جندباً البجلي قال: قالت امرأة لرسول الله ﷺ: ما أرى صاحبك إلا قد أبطأ عنك، فنزلت هذه الآية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن عبد الله يقول: إن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن قتادة، عن قتادة، قال: إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحي، فقال ناس من الناس، وهم يومئذ بمكة، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودَّعك، فأنزل الله ما تسمع: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ قال: أبطأ عليه جبريل، فقال المشركون: قد قلاه ربه وودَّعه، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ مكث جبريل عن محمد ﷺ، فقال المشركون: قد ودَّعه ربه وقلاه، فأنزل الله هذه الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ قال: لما نزل عليه القرآن، أبطأ عنه جبريل أياماً، فعُيِّر بذلك، فقال المشركون: ودَّعه ربه وقلاه، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ، فجزع جزعاً شديداً، وقالت خديجة: أرى ربك قد قلاك، مما نرى من جزعك، قال: فنزلت ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾... إلى آخرها.

وقوله: ﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة، وما أعد الله لك

فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها يقول: فلا تخزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ يقول تعالى ذكره: وسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى ترضى. وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء، فقال بعضهم: هو ما:

حدثني به موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا عمرو بن هاشم، قال: سمعت الأوزاعي يحدث، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، كَفَرًا كَفَرًا، فسَرَ بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا رَوَّاد بن الجراح، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن علي بن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال: ألف قصر من لؤلؤ، تراهن المسك، وفيهن ما يصلحهن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، وذلك يوم القيامة. وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني به عباد بن يعقوب، قال: ثنا الحكم بن ظهير، عن السدي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال: من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ يقول تعالى ذكره معذراً على نبيه محمد ﷺ نعمه عنده، ومذكراً آلاءه قبلك: ألم يجدك يا محمد ربك يتيماً فآوى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً تنزله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم. وقال السدي في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا بهران، عن السدي ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ قال: كان على أمر قومه أربعين عاماً. وقيل: عني بذلك: ووجدك في قوم ضالاً فهداك.

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقول: ووجدك فقيراً فأغناك، يقال منه: عال فلان يعيل عيلاً، وذلك إذا افتقر ومنه قول الشاعر:

فَمَا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِي الْعَنِيُّ مَتَى يَعْجِيلُ^(١)

يعني: متى يفتقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **«وَوَجَدَكَ عَائِلًا»** فقيراً. وذكر أنها في مصحف عبد الله: **«وَوَجَدَكَ عَدِيمًا فَأَوَى»**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **«أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى»** قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ، قبل أن يعثه الله سبحانه وتعالى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۗ﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾** يا محمد **﴿فَلَا تَهْجُرْ﴾** يقول: فلا تظلمه، فتذهب بحقه، استضعافاً منك له، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ﴾**: أي لا تظلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ﴾** قال: تُعْمِضُهُ وَتَحْقِرُهُ. وذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: **﴿فَلَا تَكْهَرْ﴾**.

وقوله: **﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾** يقول: وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهره، ولكن أطعمه واقض له حاجته **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾**: يقول: فاذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (٤/٢٣٩، ١٠/١٠٦) وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» قال: ووجدك عائلاً». ذا فقر. قال:

«وما يذري الفقير..... يعيل»

أي يفتقر ا هـ. وفي «اللسان» عيل عال يعيل عيلاً وعية وعبولا (بالضم والكسر) ومعياً: افتقر ا هـ.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: بالنبوة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا سعيد بن إياس الجريدي، عن أبي نضرة،
قال: كان المسلمون يرون أن من شُكِرَ النعم أن يحدث بها.

آخر تفسير سورة الضحى، ولله الحمد والشكر

(٩٤) سورة الشرح مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مذكّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضاً له بذلك على شكره على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: ﴿الَمْ تَشْرَحْ لَكَ﴾ يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: «وَحَلَّلْنَا عَنكَ وِفْرَكَ» ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر، قد أوهنه السفر، وأذهب لحمه: هو يُقَضُّ سَفْرًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال: ذنبك.

وقوله: ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال: أثقل ظهرك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾: كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلت، فغفرها الله له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال: كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلت، فغفرها الله له.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ يعني: الشرك الذي كان فيه.

حَدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال: شرح له صدره، وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن يُنبأ، فوضعه. وفي قوله: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال: أثقله وجهه، كما يُنْقَضُ البعير حِمْلُه الثقيل، حتى يصير نقضاً بعد أن كان سميئاً ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال: ذنبك الذي أنقض ظهرك: أثقل ظهرك، ووضعناه عنك، وخففنا عنك ما أثقل ظهرك.

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يقول: ورفعنا لك ذكرك، فلا أذكرُ إلا ذُكِرْتُ معي، وذلك قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وعمرو بن مالك، قالوا: ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: لا أذكرُ إلا ذُكِرْتُ معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال النبي ﷺ: «ابْدُؤُوا بِالْعُبُودَةِ، وَتَثُورُوا بِالرِّسَالَةِ» فقلت لمعمر، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده، فهو العبودة، ورسوله أن تقول: عبده ورسوله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا يتادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبُّكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قال: اللَّهُ أَعْلَمُ، قال: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتُ مَعِي».

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فَإِنَّ مَعَ الشدة التي أنت فيها، من جهاد هؤلاء المشركين، ومن أوله: ما أنت بسبيله، رجاء وفرجاً بأن يُظْفِرَكَ بهم، حتى ينقادوا للحق الذي جتتهم به طوعاً وكرهاً.

وروي عن النبي ﷺ أن هذه الآية لما نزلت، بَشَّرَ بها أصحابه وقال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ».

ذكر الخبر بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت يونس، قال: قال الحسن: لما نزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُوا أَتَاكُمْ الْيُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن يونس، عن الحسن، مثله، عن النبي ﷺ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، عن الحسن، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فَرِحاً وهو يضحك، وهو يقول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية، فقال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن معاوية بن قره أبي إياس، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود، قال: لو دخل العسر في جُحْر، لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن شعبة، عن رجل، عن عبد الله، بنحوه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال: يتبع اليسر العسر.

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فإذا فرغت من صلاتك، فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ يقول: في الدعاء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ يقول: فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة فسل الله، وارغب إليه، وانصب له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك إلى ربك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن تسلم، فانصب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من صلاتك ﴿فانصب﴾ في الدعاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من جهاد عدوك ﴿فانصب﴾ في عبادة ربك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: أمره إذا فرغ من غزوه، أن يجتهد في الدعاء والعبادة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال عن أبيه: فإذا فرغت من الجهاد، جهاد العرب، وانقطع جهادهم، فانصب لعبادة الله ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فإذا فرغت من أمر دنياك، فانصب في عبادة ربك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب، قال: فصل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: إذا فرغت من أمر دنياك فانصب، فصل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ قال: إذا فرغت من أمر الدنيا، وقمت إلى الصلاة، فاجعل رغبتك ونيتك له.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلاً، من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قرّبه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصّص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلاً، لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى.

وقوله: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهرا، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قال: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قال: اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قال: إذا قمت إلى الصلاة.

آخر تفسير سورة ألم نشرح

(٩٥) سورة التين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ (١) ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ (٢) ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣) ﴿لَقَدْ عَلَّمْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٥) ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦).

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ فقال بعضهم: وعني بالتين: التين الذي يؤكل، والزيتون: الزيتون الذي يُعصر.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا روح، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قول الله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ قال: تينكم هذا الذي يؤكل، وزيتونكم هذا الذي يُعصر.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة، قال: التين: هو التين، والزيتون: الذي تأكلون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ قال: تينكم وزيتونكم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة عن قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ قال: التين تينكم هذا، والزيتون: زيتونكم هذا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزُّيْتُونَ﴾ قال: التين الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، جميعاً عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: الفاكهة التي تأكل الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سلام بن سليم، عن خُصيف، عن مجاهد ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: هو تينكم وزيتونكم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يُعصر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ هو الذي ترون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾: التين تينكم، والزيتون زيتونكم هذا.

وقال آخرون: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا رَوْح، قال: ثنا عوف، عن يزيد أبي عبد الله، عن كعب أنه قال في قول الله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَالْتَيْنِ﴾ قال: الجبل الذي عليه دمشق ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾: الذي عليه بيت المقدس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ذكر لنا أن التين الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الذي عليه بيت المقدس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسألته عن قول الله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: التين: مسجد دمشق، والزيتون، مسجد إيلياء.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بكر، عن عكرمة ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: هم جبلان.

وقال آخرون: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد بيت المقدس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ يعني مجسد نوح الذي بني على الجودي، والزيتون: بيت المقدس قال: ويقال: التين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام.

والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تيناً، ولا جبل يقال له زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوزُ خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون.

وقوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: هو جبل موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه ومسجده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن قزعة، قال: قلت لابن عمر: إني أريد أن آتي بيت المقدس ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ فقال: لا تأت طور سينين، ما تريدون أن تدعوا أثر نبي إلا وطئتموه. قال قتادة ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾: مسجد موسى ﷺ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا روح، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ قال: جبل موسى.

قال: ثنا عوف، عن يزيد أبي عبدالله، عن كعب، في قوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ قال: جبل موسى ﷺ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ قال: هو الطور.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ قال: مسجد الطور.

وقال آخرون: الطور: هو كل جبل يُنبت. وقوله ﴿سَيْنِينَ﴾: حسن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى القرّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ قال: هو الحسن، وهي لغة الحبشة، يقولون للشيء الحسن: سينا سينا.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، قال: سُئل عكرمة، عن قوله ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ قال: طُور: جبل، وسينين: حَسَنٌ بالحبشية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الصباح بن محارب، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه المغرب، فقرأ في أول ركعة ﴿وَالَّتَيْنِ وَالرَّيْثُونَ وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ قال: هو جبل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ قال: سواء عليّ نبات السهل والجبل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ قال: الجبل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مُؤَمَّل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾: جبل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ الجبل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن النضر، عن عكرمة، قال: الطور: الجبل، والسينين: الحسن، كما ينبت في السهل، كذلك ينبت في الجبل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي، أما ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ فهو الجبل ذو الشجر.

وقال آخرون: هو الجبل، وقالوا: سينين: مبارك حسن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَطُورِ﴾: الجبل ﴿وسيين﴾ قال: المبارك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَطُورِ سِيَيْنِ﴾ قال: جبل مبارك بالشام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَطُورِ سِيَيْنِ﴾ قال: جبل بالشام، مبارك حسن.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سيين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سيين تعريف له، ولو كان نعتاً للطور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته، لغير علة تدعو إلى ذلك.

وقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يقول: وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله، أو يغزوهم. وقيل: الأمين، ومعناه: الآمن، كما قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيَحْكُ أَتْنِي حَلَفْتُ يَمِيناً لَا أُحُونَ أَمِينِي^(١)
يريد: آمني، وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

وإنما عُني بقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: مكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا رُوح، قال: ثنا عوف، عن يزيد أبي عبد الله، عن كعب، في قول الله ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: البلد الحرام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا رُوح، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: البلد الحرام.

(١) البيت من شواهد الفراء (٣٧١) قال: وقوله «وهذا البلد الأمين» مكة يريد الآمن والعرب تقول للآمن: الأمين. قال الشاعر:

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال مكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سَلَام بن سليم، عن خَصِيف، عن مجاهد: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحكم يحدث عن عكرمة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: قال: البلد الحرام.

قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة، عن قوله ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: مكة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: المسجد الحرام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وهذا جواب القسم، يقول تعالى ذكره: والذين والزيتون، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: وقع القسم هاهنا ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فقال بعضهم: معناه: في أعدل خلق، وأحسن صورة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أعدل خلق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أحسن صورة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ﴾ قال: خَلَقَ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أحسن صورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يقول: في أحسن صورة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: في أحسن صورة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: أحسن خَلَقَ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:
ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
قال: في أحسن خلق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يقول: في
أحسن صورة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن قتادة، هو والكلبي ﴿فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قالوا: في أحسن صورة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان، فبلغنا به استواء شبابه وجلده وقوته، وهو
أحسن ما يكون، وأعدل ما يكون وأقومه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة، في قوله:
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: الشاب القوي الجلد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** قال: شبابه أول ما نشأ. وقال آخرون: قيل ذلك لأنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** قال: خلق كل شيء منكباً على وجهه، إلا الإنسان. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها لأن قوله: **﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم. وقوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثم رددناه إلى أرذل العمر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: إلى أرذل العمر. **حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: إلى أرذل العمر. **حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** يقول: يرد إلى أرذل العمر، كبر حتى ذهب عقله، وهم نفر رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فسئل رسول الله ﷺ حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة، عن قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: رُدُّوا إلى أرذل العمر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل وعبد الرحمن، قالوا: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: إلى أرذل العمر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، مثله.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: رددناه إلى الهَرَم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الهَرَم.
حدثني يعقوب، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: الشيخ الهَرَم، لم يضره كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.
 وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: في شر صورة في صورة خنزير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: النار.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إلى النار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: في النار.

قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: إلى النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: قال الحسن: جهنم مأواه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن، في قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** قال: إلى النار.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الحَرْفَى، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبَر، فهو في أسفل

من سفلى: في إدار العمر وذهاب العقل.

وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك: لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجاً بذلك على مُنكري قدرته على البعث بعد الموت. ألا ترى أنه يقول: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ يعني: بعد هذه الحُجَج. ومحال أن يحتج على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني، بما كانوا له مُنكرين. وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرُونَ على دفعه، مما يعاينونه ويحسونه، أو يقرُونَ به، وإن لم يكونوا له مُحسِنين.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة مُنكرين، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجلد شاهدين، عُلم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له مُعانيين، من تصريفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخَرَف.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى هذا الاستثناء، فقال بعضهم: هو استثناء صحيح من قوله ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قالوا: وإنما جاز استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم جمع، من الهاء في قوله ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ وهي كناية الإنسان والإنسان في لفظ واحد، لأن الإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه في معنى الجمع، لأنه بمعنى الجنس، كما قيل: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ قالوا: وكذلك جاز أن يقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فيضاف أفعال إلى جماعة، وقالوا: ولو كان مقصوداً به قصد واحد بعينه، لم يجوز ذلك، كما لا يقال: هذا أفضل قائمين، ولكن يقال: هذا أفضل قائم

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن سعيد بن سابق، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، قال: كان يقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئاً.

فعلى هذا التأويل قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ لخاص من الناس، غير داخل فيهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لأنه مستثنى منهم.

وقال آخرون: بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد يدخلون في الذين رُدوا إلى أسفل سافلين، لأن أرذل العمر قد يرد إليه المؤمن والكافر. قالوا: وإنما استثنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من معنى مضمرة في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قالوا: ومعناه: ثم رددناه أسفل سافلين، فذهبت عقولهم وخرفوا، وانقطعت أعمالهم، فلم تثبت لهم بعد ذلك

حسنة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإن الذي كانوا يعملونه من الخير، في حال صحة عقولهم، وسلامة أبدانهم، جارٍ لهم بعد هَرَمِهِمْ وَخَرَفِهِمْ.

وقد يُحتمل أن يكون قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناءً منقطعاً، لأنه يحسن أن يقال: ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لهم أجر غير ممنون، بعد أن يرَدُّ أسفل سافلين. ذكر من قال معنى هذا القول:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال: فأَيُّما رجل كان يعمل عملاً صالحاً وهو قويٌّ شاب، فعجز عنه، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول: إذا كان يعمل بطاعة الله في شببته كلها، ثم كبر حتى ذهب عقله، كُتِبَ له مثل عمله الصالح، الذي كان يعمل في شببته، ولم يُؤاخَذ بشيء مما عمل في كبره، وذهاب عقله، من أجل أنه مؤمن، وكان يطيع الله في شببته.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: إلى أرذل العمر، فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر، كُتِبَ له كأحسن ما كان يعمل في شبابه وصحته، فهو قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه يكتب له من الأجر، مثل ما كان يعمل في الصحة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل، كُتِبَ له ما كان يعمل. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه يُكْتَبُ لهم حسناتهم. ويُتجاوز لهم عن سيئاتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** قال: هم الذين أدركهم الكبر، لا يؤاخذون بعمل عملوه في كبرهم، وهم هزَمَى لا يعقلون.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة، عن قوله: **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** قال: يوفيه الله أجره أو عمله، ولا يؤاخذة إذا رُدَّ إلى أرذل العمر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت الحكم يحدث، عن عكرمة **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** قال: الشيخ الهرم لم يضره كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** قال: من أدركه الهرم، وكان يعمل صالحاً، كان له مثل أجره إذا كان يعمل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رددناه أسفل سافلين في جهنم، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهم أجر غير ممنون، فعلى هذا التأويل: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مستثنون من الهاء في قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾**، وجاز استثناؤهم منها إذ كانت كناية للإنسان، وهو بمعنى الجمع، كما قال: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**: إلا من آمن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾**: في النار **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** قال الحسن: هي كقوله: **﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم، فلهم أجر غير ممنون بعد هَرَمِهِمْ، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ إلى أرذل العمر.

واختلفوا في تأويل قوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فقال بعضهم: معناه: لهم أجر غير منقوص.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول: غير منقوص.

وقال آخرون: بل معناه: غير محسوب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير محسوب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال: غير محسوب.

قال: ثنا سفيان، عن حماد، عن إبراهيم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال: غير محسوب.

وقد قيل: إن معنى ذلك: فلهم أجر غير مقطوع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: فلهم أجر غير منقوص، كما كان له أيام صحته وشبابه، وهو عندي من قولهم: جبل مئين: إذا كان ضعيفاً ومنه قول الشاعر:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ ما فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ^(١)
يعني: أنه ليس فيه نقص، ولا خطأ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنْ زَاءَ اسْتَمِعَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَيْكَ الرَّجْعُ ﴿٨﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ﴾ فقال بعضهم معناه: فمن يكذبك يا

(١) البيت: لجرير بن الخطفي الشاعر الإسلامي. وسبق الاستشهاد به في الجزء (٤/٢٥٤، ٦٢/٨) فارجع إليه في الجزء الرابع، فهو فيه أتم.

محمد بعد هذه الحجج التي احتججنا بها، بالدين، يعني: بطاعة الله، وما بعثك به من الحق، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: «ما» في معنى «مَنْ»، لأنه عني به ابن آدم، ومن بعث إليه النبي ﷺ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، قال: قلت لمجاهد: **﴿فَمَا يَكْذُبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾** عني به النبي ﷺ؟ قال: معاذ الله عني به الإنسان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سمع مجاهداً يقول: **﴿فَمَا يَكْذُبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾** قلت: يعني به: النبي ﷺ؟ قال: معاذ الله إنما يعني به الإنسان.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿فَمَا يَكْذُبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾** أعني به النبي ﷺ؟ قال: معاذ الله إنما عني به الإنسان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي **﴿فَمَا يَكْذُبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾**؟ إنما يعني الإنسان، يقول: خلقتك في أحسن تقويم، فما يكذبك أيها الإنسان بعد بالدين.

وقال آخرون: إنما عني بذلك رسول الله ﷺ، وقيل له: استيقن مع ما جاءك من الله من البيان، أن الله أحكم الحاكمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَمَا يَكْذُبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾** أي استيقن بعد ما جاءك من الله البيان **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾**؟.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى «ما» معنى «مَنْ». ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟ يعني: بطاعة الله، ومجازاته العباد على أعمالهم. وقد تأول ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ وكأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالشواب والعقاب، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا.

واختلفوا في معنى قوله: **﴿بالدين﴾** فقال بعضهم: بالحساب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود الطَّفَاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن النضر بن عربي، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ قال: الحساب. وقال آخرون: معناه: بحكم الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ يقول: ما يكذبك بحكم الله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الدين في هذا الموضع: الجزاء والحساب، وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب: الجزاء والحساب ومنه قولهم: كما تدين تُدان. ولا أعرف من معاني الدين «الحكم» في كلامهم، إلا أن يكون مراداً بذلك: فما يكذبك بعد بأمر الله الذي حكم به عليك أن تطيعه فيه؟ فيكون ذلك.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه، وفصل قضاؤه بين عباده؟ وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك فيما بلغنا قال: بلى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: سبحانك اللهم، وبلى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: كان قتادة إذا تلا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟﴾ قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، أحسبه كان يرفع ذلك وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟﴾ قال: بلى، وإذا تلا: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ قال: آمنت بالله، وبما أنزل.

آخر تفسير سورة التين

(٩٦) سورة الحلق، مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥) ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) ﴿إِنَّ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ (٧) ﴿إِنَّ إِلَهًا لِرَبِّكَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٨)

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ محمداً ﷺ يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، ثم بين الذي خلق فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يعني: من الدم، وقال: من علق والمراد به من علقه، لأنه ذهب إلى الجمع، كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب، وكذلك علقه وعلق. وإنما قال: من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع، وإن كان في لفظ واحد، فلذلك قيل: من علق.

وقوله: ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: خَلَقَهُ للكتابة والنخط، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قرأ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ قال: القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش.

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت في القرآن على رسول الله ﷺ.

نكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن عثمان البصري، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت النعمان بن راشد يقول عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت كان أول ما ابتدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان بغار جراء يتحسث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها،

حتى فجأه الحق، فأتاه فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله: «فَجَئْتُ لِرُكْبَتِي وَأَنَا قائمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرُّوعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَمَثَّلَ إِلَيَّ جِبْنَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فَرَأْتِ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: أَبَشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْرِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّنْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ تَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَتَّبِعِي فِيهَا جَذْعَ لَيْتِنِي أَكُونُ حَيًّا جِئْتُ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَجِءْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ، إِلَّا عُودِي، وَلَيْتَنِ أَدْرَكَنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ «اقْرَأْ»: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِبِنْعَمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ﴾، و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، و﴿الضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثني عروة أن عائشة أخبرته، وذكر نحوه، غير أنه لم يقل: ثم كان أول ما أنزل علي من القرآن... الكلام إلى آخره.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا سليمان الشيباني، قال: ثنا عبد الله بن شداد، قال: أتى جبريل محمداً، فقال: يا محمد اقرأ، فقال: «وما أقرأ؟» قال: فضمه، ثم قال: يا محمد اقرأ، قال: «وما أقرأ؟» قال: «باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». قال: فجاء إلى خديجة، فقال: «يا خديجة ما أراه إلا قد عرض لي»، قالت: كُلا، والله ما كان ربك يفعل ذلك بك، وما أتيت فاحشة قط قال: فأتت خديجة ورقة، فأخبرته الخبر، قال: لئن كنت صادقة إن زوجك لنبى، وليلقيين من أمته شدة، ولكن أدركته لأومنين به قال: ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قال إبراهيم: قال سفيان: حفظه لنا ابن إسحاق: إن أول شيء أنزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن الحكم النيسابوري، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن عروة، عن عائشة، أن أول سورة أنزلت من القرآن **﴿اقرأ باسم ربك﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، قال: أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**.

قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: فذكر نحوه.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: ثنا قرة، قال: أخبرنا أبو رجاء العطاردي، قال: كنا في المسجد الجامع، ومقرئنا أبو موسى الأشعري، كأني أنظر إليه بين بردين أبيضين قال أبو رجاء: عنه أخذت هذه السورة: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** وكانت أول سورة نزلت على محمد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: أول سورة نزلت من القرآن **﴿اقرأ باسم ربك﴾**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أول ما نزل من القرآن: **﴿اقرأ باسم ربك﴾** وزاد ابن مهدي: **﴿ون والقلم﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شعبة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: أول ما أنزل من القرآن **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**.

قال: ثنا وكيع، عن قرة بن خالد، عن أبي رجاء العطاردي، قال: إني لأنظر إلى أبي موسى وهو يقرأ القرآن في مسجد البصرة، وعليه بردان أبيضان، فأنا أخذت منه **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**، وهي أول سورة أنزلت على محمد ﷺ.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إن أول سورة أنزلت: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**. ثم **﴿ن والقلم﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقوله: **﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾** يقول تعالى ذكره: علم الإنسان الخط بالقلم، ولم يكن يعلمه، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ خَطًّا بِالْقَلَمِ.

وقوله: ﴿كَلَّامًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن يُتَعَمَّ عليه رُئُهُ بتسويته خَلَقَهُ، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كُفِّرُ له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك، ويطغى عليه، أن رآه استغنى.

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ يقول: إن الإنسان ليتجاوز حدّه، ويستكبر على ربه، فيكفر به، لأن رأى نفسه استغنت. وقيل: أن رآه استغنى لحاجة «رأى» إلى اسم وخبر، وكذلك تفعل العرب في كل فعل اقتضى الاسم والفعل، إذا أوقعه المخبر عن نفسه على نفسه، مكنياً عنها فيقول: متى تراك خارجاً؟ ومتى تحسبك سائراً؟ فإذا كان الفعل لا يقتضي إلا منصوباً واحداً، جعلوا موضع المكنى نفسه، فقالوا: قتلت نفسك، ولم يقولوا: قتلتك ولا قتلته.

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾: يقول: إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعُهُ، فذاق من أليم عقابه ما لا يقبل له به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۗ﴾

ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا بَلَّغْنَا: لئن رأيت محمداً يصلي، لأطأن رقبتك وكان فيما ذكر قد نهى رسول الله ﷺ أن يصلي، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: أرايت يا محمد أبا جهل الذي ينهاك أن تصلي عند المقام، وهو معرض عن الحق، مكذب به، يعجب جل ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجراءته على ربه، في نهيه محمداً عن الصلاة لربه، وهو مع أيديه عنده مكذب به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح. عن مجاهد. في قول الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ قال: أبو جهل، ينهى محمداً ﷺ إذا صلى.

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة **﴿أُرَائِتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾** نزلت في عدو الله أبي جهل ، وذلك لأنه قال : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه . فأنزل الله ما تسمعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قول الله : **﴿أُرَائِتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾** قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً ﷺ يصلي ، لأطأن على عنقه قال : وكان يقال : «لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل» .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فجاءه أبو جهل ، فنهاه أن يصلي ، فأنزل الله : **﴿أُرَائِتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾** . . . إلى قوله : **﴿كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾** .

القول في تاويل قوله تعالى :

﴿أُرَائِتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْيَبِ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ (١١) **﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾** (١٢)

يقول تعالى ذكره : **﴿أُرَائِتَ إِنْ كَانَ﴾** محمد **﴿عَلَى الْهُدَى﴾** يعني : على استقامة وسداد في صلاته لربه **﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾** أو أمر محمد هذا الذي ينهى عن الصلاة ، باتقاء الله ، وخوف عقابه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : **﴿أُرَائِتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾** قال محمد : كان على الهدى ، وأمر بالتقوى .

القول في تاويل قوله تعالى :

﴿أُرَائِتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٣)

يقول تعالى ذكره : **﴿أُرَائِتَ إِنْ كَذَّبَ﴾** أبو جهل بالحق الذي بعث به محمداً **﴿وَتَوَلَّى﴾** يقول : وأدبر عنه ، فلم يصدق به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة **﴿أُرَائِتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾** يعني : أبا جهل .

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الرَّيْبُ بِأَنَّ اللَّهَ بَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّرَبَّنَا لَسَمِعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَمِعَ الزَّيْنَابِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا طَبْعَهُ وَأَسْحَدُ أَقْرَبُ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه، والصلاة له، بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه. وقيل: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى، فكررت أرأيت مرات ثلاثاً على البذل. والمعنى: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، وهو مكذب متولٍ عن ربه، ألم يعلم بأن الله يراه.

وقوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ﴾ يقول: ليس كما قال: إنه يطأ عنق محمد، يقول: لا يقدر على ذلك، ولا يصل إليه.

وقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ﴾ يقول: لئن لم ينته أبو جهل عن محمد ﴿لَسَمِعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ يقول: لناخذن بمقدم رأسه، فلنضمنه ولنذلنه يقال منه: سَمَعْتُ بيده: إذا أخذت بيده. وقيل: إنما قيل ﴿لَسَمِعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ والمعنى: لنسودن وجهه، فاكتمى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه. وقيل: معنى ذلك: لناخذن بناصيته إلى النار، كما قال: ﴿فَيُبْذَرُ بِالنُّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾.

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فخفض ناصية ردأ على الناصية الأولى بالتكرير، ووصف الناصية بالكذب والخطيئة، والمعنى لصاحبها.

وقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره، من عشيرته وقومه، والنادي: هو المجلس.

وإنما قيل ذلك فيما بلغنا، لأن أبا جهل لما نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند المقام، انتهره رسول الله ﷺ، وأغلظ له، فقال أبو جهل: علام يتوعدني محمد وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ فقال الله جل ثناؤه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ لَسَمِعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾، فليدع حينئذ ناديه، فإنه إن دعا ناديه، دعونا الزينابية. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار، وقال أهل التأويل. ذكر الآثار المروية في ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحكم بن جميع، قال: ثنا علي بن مسهر، جميعاً عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنك عن هذا؟ وتوعدده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إنني

لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: ﴿فَلْيَذُغْ نَادِيَهُ سَنَدُغَ الرَّبَّانِيَّةِ﴾ قال ابن عباس: لو دعا نادية، أخذته زبانية العذاب من ساعته.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ . . . إلى قوله: ﴿كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ فقال: لقد علم أنني أكثر هذا الوادي نادياً، فغضب النبي ﷺ، فتكلم بشيء، قال داود: ولم أحفظه، فأنزل الله: ﴿فَلْيَذُغْ نَادِيَهُ سَنَدُغَ الرَّبَّانِيَّةِ﴾ فقال ابن عباس: فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن أبيه، قال: ثنا نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعَفَّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم، قال: فقال: واللَّاتِ وَالْعُزَّى لئن رأيتَه يصلي كذلك، لأطأن على رقبتَه، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبتَه، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه قال: فقيل له: مالك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَخُتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قال: وأنزل الله، لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ أَسْتَفْتَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني أبا جهل ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَذُغْ نَادِيَهُ﴾ يدعو قومه ﴿سَنَدُغَ الرَّبَّانِيَّةِ﴾ الملائكة ﴿كَلَّا لَا تُطْفِئُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ حتى بلغ هذه الآية: ﴿لَتَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَذُغْ نَادِيَهُ سَنَدُغَ الرَّبَّانِيَّةِ﴾، فجاء النبي ﷺ وهو يصلي، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: «قد اسود ما بيني وبينه من الكتاب». . . قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زكريا بن عدي، قال: ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، لآتينه حتى أطأ على عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا».

وبالذي قلنا في معنى النادي قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يقول: فليدع ناصره.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال: الملائكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل: الزبانية أرجلهم في الأرض، ورؤوسهم في السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة، في قوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال النبي ﷺ: «لَوْ فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال: الملائكة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: الزبانية، قال: الملائكة.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يقول أبو جهل، إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه، والصلاة له ﴿لَا تُطِغُهُ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك ﴿وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَأَقْتَرِبْ﴾ منه، بالتحجب إليه بطاعته، فإن أبا جهل لن يقدر على ضرك، ونحن نمنعك منه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ذكر لنا أنها نزلت في أبي جهل، قال: لئن رأيت محمداً يصلني لأطأ عنقه، فأنزل الله: ﴿كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ قال النبي ﷺ حين بلغه الذي قال أبو جهل، قال: «لو فعل لاخطفته الزبانية».

آخر تفسير سورة اقرأ باسم ربك، والحمد لله وحده

سورة القدر مكية (٩٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢) ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَرٌّ مِّنَ الْبَرِّ﴾ (٣) ﴿نَزَلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥)

يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وهي ليلة الحُكم التي يقضي الله فيها قضاء السنة وهو مصدر من قولهم: قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ هذا الأمر، فهو يَقْدُرُ قَدْرًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه.

حدثنا ابن المثنى قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، فذكر نحوه، وزاد فيه. وكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: ثنا المعتمر بن سليمان التيمي، قال: ثنا عمران أبو العوام، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، أنه قال في قول الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حُصَيْن، عن حكيم بن جُبَيْر، عن ابن

عباس، قال: نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فُرّق في السنين وتلا ابن عباس هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: نزل متفرقاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن داود، عن الشعبي، في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم، عن سعيد بن جبير: أنزل القرآن جملة واحدة، ثم أنزل ربنا في ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله، بعضه في إثر بعض، ثم قرأ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ليلة القدر: ليلة الحكم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: ليلة الحكم.

قال: ثنا وكيع. عن سفيان، عن محمد بن سُوقة، عن سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد فيهم، ولا ينقص منهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: قال رجل للحسن: وأنا أسمع: رأيت ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان، وإنها لليلة القدر، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، فيها يقضي الله كل أجل وعمل ورزق، إلى مثلها.

حدثنا أبو كريب. قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر. قال: ليلة القدر في كل رمضان.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد أي شيء ليلة القدر خير من ألف شهر.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: بلغني عن مجاهد ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر.

قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: عمل فيها خير من عمل ألف شهر.

وقال آخرون: معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني أبو الخطاب الجارودي سهيل، قال: ثنا سلم بن قتيبة، قال: ثنا القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنه: يا مسود وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل، فبايعت له، يعني معاوية بن أبي سفيان فقال: إن رسول الله ﷺ أري في منامه بني أمية يعلون منبره خليفة خليفة، فسق ذلك عليه، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني ملك بني أمية قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية، فإذا هو ألف شهر.

وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف

شهر، ليس فيها ليلة القدر. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معانٍ باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل.

وقوله: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح، في ليلة القدر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ يعني بإذن ربهم، من كل أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال: يُقْضَى فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا.

فعلى هذا القول انتهى الخبر، وموضع الوقف من كل أمر.

وقال آخرون: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ لا يَلْقَوْنَ مُؤْمِنًا وَلَا مُؤْمِنَةً إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن يحيى بن زياد الفراء، قال: ثني أبو بكر بن عياش، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ﴾ وهذه القراءة من قرأ بها وجه معنى من كل أمرىء: من كل ملك كان معناه عنده: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل ملك يُسَلِّمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا أَرَى الْقِرَاءَةَ بِهَا جَائِزَةً، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى خِلَافِهَا، وَأَنَّهَا خِلَافٌ لِمَا فِي مِصْحَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مِصْحَفٍ مِنْ مِصْحَافِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْلِهِ «أَمْرًا» يَاءً، وَإِذَا قُرِئَتْ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ لِحَقَّتْهَا هَمْزَةٌ، تَصِيرُ فِي الْخَطِّ يَاءً.

والصواب من القول في ذلك: القول الأول الذي ذكرناه قبل، على ما تأوله قتادة.

وقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سلام ليلة القدر من الشر كله من أولها إلى طلوع الفجر من ليلتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ قال: خير ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ﴾ أي هي

خير كلها إلى مطلع الفجر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد **﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** قال: من كل أمر سلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿سَلَامٌ هِيَ﴾** قال: ليس فيها شيء، هي خير كلها **﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾**.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا عبد الحميد الجُمَانِي، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، في قوله: **﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ﴾** قال: لا يحدث فيها أمر.

وعني بقوله: **﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾**: إلى مطلع الفجر.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: **﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي **﴿مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** بفتح اللام، بمعنى: حتى طلوع الفجر تقول العرب: طلعت الشمس طلوعاً ومَطْلَعاً. وقرأ ذلك يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي: **﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** بكسر اللام، توجيهاً منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر، وهم ينوون بذلك المصدر.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: فتح اللام لصحة معناه في العربية، وذلك أن المَطْلَع بالفتح هو الطلوع، والمطلع بالكسر: هو الموضع الذي تَطْلُع منه، ولا معنى للموضع الذي تطلع منه في هذا الموضع.

آخر تفسير سورة القدر

(٩٨) سورة البينة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ﴾ (١) رَسُولٌ
مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل، والمشركون من عبدة الأوثان ﴿منفكين﴾ يقول: منتهين، حتى يأتيهم هذا القرآن. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ قال: لم يكونوا ليبتئوها حتى يتبين لهم الحق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ قال: منتهين عما هم فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: أي هذا القرآن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ قال: لم يكونوا منتهين حتى يأتيهم ذلك المنفك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون، لم يكونوا تاركين صفة محمد في كتابهم، حتى بُعث، فلما بُعث تفرقوا فيه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البيئنة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه، رسول من الله. وقوله: ﴿مُتَّفَكِّينَ﴾ في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيثين أحدهما من الآخر، ولذلك صَلَّحَ بغير خبر ولو كان بمعنى ما زال، احتاج إلى خبر يكون تماماً له، واستؤنف قوله ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وهي نكرة على البيئنة، وهي معرفة، كما قيل: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ﴾ فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثه الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البيئنة، فقال: تلك البيئنة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يقول: يقرأ صحفاً مطهرة من الباطل ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ يقول: في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويشي عليه بأحسن الشاء.

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ يقول: وما تفرق اليهود والنصارى في أمر محمد ﷺ، فكذبوا به، إلا من بعد ما جاءتهم البيئنة، يعني: من بعد ما جاءت هؤلاء اليهود والنصارى ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ يعني: أن بيان أمر محمد، أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه يقول: فلما بعثه الله تفرقوا فيه، فكذب به بعضهم، وآمن بعضهم، وقد كانوا قبل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

يقول تعالى ذكره: وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين يقول: مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم ربهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عزيراً ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحودهم نبوة محمد ﷺ.

وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ قد مضى بياننا في معنى الحنيفية قبل، بشواهد المغنية عن إعادتها، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر قبل من الأخبار في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ يقول: حججاً مسلمين غير مشركين، يقول: ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيَحُجُّوا﴾ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ.﴾

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ والحنيفة: الختان، وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات، والخالات، والمناسك.

وقوله: ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقول: وليقيموا الصلاة، وليؤتوا الزكاة.

وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ يعني أن هذا الذي ذكر أنه أمر به هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هو الدين القِيَمَة، ويعني بالقِيَمَة: المستقيمة العادلة، وأضيف الدين إلى القِيَمَة، والدين هو القِيَم، وهو من نعته لاختلاف لفظيهما. وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر لنا: ﴿وَذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمَةُ﴾ وأثبت القِيَمَة، لأنها جعلت صفة للملة، كأنه قيل: وذلك الملة القِيَمَة، دون اليهودية والنصرانية. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ هو الدين الذي بعث الله به رسوله، وشرع لنفسه، ورضي به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كُتِبَ قِيَمَةٌ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ قال: هو واحد قِيَمَة: مستقيمة معتدلة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ إِنَّ الدِّينَ مَأْمُونًا وَعَمَلُوا الضَّلِيلَةَ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد ﷺ، فجحودوا نبوته، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين، لا يثين فيها ﴿أبدًا﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شر من برأه الله وخلقه والعرب لا تهمز البرية، وبترك الهمز فيها قرأتها قرآء الأمصار، غير شيء يُذكر عن نافع بن أبي نعيم، فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان

يهمزها، وذهب بها إلى قول الله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُبْرَأَهَا﴾ وأنها فعيلة من ذلك. وأما الذين لم يهمزوها، فإن لتركهم الهمز في ذلك وجهين: أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها، كما تركوه من المَلَك، وهو مفعول من ألك أو لأك، ومن يرى، وترى، ونرى، وهو يفعل من رأيت. والآخر: أن يكونوا وجَّهوها إلى أنها فعيلة من البرى وهو التراب. حكى عن العرب سماعاً: بفيك البرى، يعني به: التراب.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية. وقد:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن محمد بن علي ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فقال النبي ﷺ: «أنت يا علي وشيعتك» القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حَرَّأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَتَّىٰ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

يقول تعالى ذكره: ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة ﴿حَتَّىٰ تَجْرِي﴾: يعني بساتين إقامة لاظغن فيها، تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً، لا يخرجون عنها، ولا يموتون فيها ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخالصهم من عقابه في ذلك ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الخير الذي وصفته، ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة، لمن خشي ربه يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلايته، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وبالله التوفيق.

آخر تفسير سورة لم يكن

سورة الزلزلة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لقيام الساعة ﴿زُلْزَالَهَا﴾ فَرَجَّت رَجًا والزُّلزال: مصدر إذا كسرت الزاي، وإذا فتحت كان اسماً وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها، كما يقال: لأكرمك كرامتك، بمعنى: لأكرمك كرامة. وحسن ذلك في زلزالها، لموافقته رؤوس الآيات التي بعدها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، قال: ﴿زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ على عهد عبد الله، فقال لها عبد الله: مالك؟ أما إنها لو تكلمت قامت الساعة.

وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يقول: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى أحياء، والميت في بطن الأرض ثقل لها، وهو فوق ظهرها حياً ثقل عليها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان القرزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال: الموتى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال: يعني الموتى.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ من في القبور.

وقوله: **﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾** يقول تعالى ذكره: وقال الناس إذا زُلزلت الأرض لقيام الساعة: ما للأرض وما قصتها **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾**. كان ابن عباس يقول في ذلك ما:

حدثني ابن سنان القرّاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ قال: الكافر.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يقول: يومئذٍ تحدّث الأرض أخبارها. وتحديثها أخبارها، على القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود، أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليّ به، وأذن لي فيه.

وأما سعيد بن جبير، فإنه كان يقول في ذلك ما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل بن عبد الملك، قال: سمعت سعيد بن جبير يقرأ في المغرب مرّة: «يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا» ومرّة: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

فكان معنى تحدّث كان عند سعيد: تُنَبِّئُ، وتنبئها أخبارها: إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها. وهذا القول قول عندي صحيح المعنى، وتأويل الكلام على هذا المعنى: يومئذٍ تبين الأرض أخبارها بالزلزلة والرّجّة، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها، بوحي الله إليها، وإذنه لها بذلك، وذلك معنى قوله: **﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾**. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قال: أمرها، فألقت ما فيها وتخلّت.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قال: أمرها.

وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك: **﴿يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا﴾** وقيل: معنى ذلك أن الأرض تحدّث أخبارها من كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي، وما عملوا عليها من خير أو شرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** قال: ما عمل عليها من خير أو شر، بأن ربك أوحى لها، قال: أعلمها ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** قال: ما كان فيها، وعلى ظهرها من أعمال العباد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** قال: تخبر الناس بما عملوا عليها.

وقيل: **﴿عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾: أَوْحَى إِلَيْهَا.**

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن سنان القرزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿أَوْحَى لَهَا﴾** قال: أوحى إليها.

وقوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾** قيل: إن معنى هذه الكلمة التأخير بعد **﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾** قالوا: ووجه الكلام: يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها: **﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ**، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً. قالوا: ولكنه اعترض بين ذلك بهذه الكلمة. ومعنى قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾** عن موقف الحساب فرقاً متفرقين، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار.

وقوله: **﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾** يقول: يومئذ يصدر الناس أشتاتاً متفرقين، عن اليمين وعن الشمال، **﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ**، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله. وجزاء عمله، وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم، على معصيته إياه كانت في الدنيا، وكفره به.

وقوله: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾** يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك، وقيل: ومن يعمل، والخبر عنها في الآخرة، لفهم السامع معنى ذلك، لما قد تقدم من الدليل قبل، على أن معناه: فمن عمل ذلك دلالة قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾** على ذلك. ولكن لما كان مفهوماً معنى الكلام عند السامعين. وكان في قوله: **﴿يَعْمَلْ﴾** حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله، والزجر عن معاصيه، مع الذي ذكرت من دلالة

الكلام قبل ذلك، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضي فعله، وما لهم على ذلك، أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل. وينحو الذي قلنا من أن جميعهم يرون أعمالهم، قال: أهل التأويل

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ قال: ليس مؤمن ولا كافر عومل خيراً ولا شراً في الدنيا، إلا أتاه الله إياه. فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيردّ حسناته، ويعذب به سيئاته. وقيل في ذلك غير هذا القول، فقال بعضهم: أما المؤمن، فيعجل له عقوبة سيئاته في الدنيا، ويؤخر له ثواب حسناته، والكافر يعجل له ثواب حسناته، ويؤخر له عقوبة سيئاته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: حدثني محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن قتادة، قال: سمعت محمد بن كعب القُرظي، وهو يفسر هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قال: من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر ير ثوابه في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يخرج من الدنيا، وليس له عنده خير ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ من مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس عنده شيء.

حدثني محمود بن خدّاش، قال: ثنا محمد بن يزيد الواسطي، قال: ثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، قال: سألت محمد بن كعب القُرظي، عن هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر، ير ثوابها في نفسه وأهله وماله، حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن، ير عقوبتها في نفسه وأهله وماله، حتى يخرج وليس له شر.

حدثني أبو الخطاب الحسّاني، قال: ثنا الهيثم بن الربيع، قال: ثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يأكل مع النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرجع أبو بكر يده من الطعام، وقال: يا رسول الله اني أجد، بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا ممّا تكرهه فمما قيل ذرّ الشرّ، ويدخّر لك الله متاعيل الخير حتى توفاه يوم القيامة».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو بوب، قال: وجدنا في كتاب أبي قلابة، عن أبي إدريس: أن

أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ، فأُنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْصِرْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرجع أبو بكر يده من الطعام، وقال: إني لراء ما عملت، قال: لا أعلمه إلا قال: ما عملت من خير وشر، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ مَا تَرَى مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مَثَاقِيلُ ذُرِّ شَرِّ كَثِيرٍ، وَيَدْخِرُ اللَّهُ لَكَ مَثَاقِيلَ ذُرِّ الْخَيْرِ حَتَّى تُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا أيوب، قال: قرأت في كتاب أبي قلابة قال: نزلت ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْصِرْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وأبو بكر يأكل مع النبي ﷺ، فأمسك وقال: يا رسول الله، إني لراء ما عملت من خير وشر؟ فقال: «أرأيت ما رأيت مما تَكْرَهُ، فَهُوَ مِنْ مَثَاقِيلِ ذُرِّ الشَّرِّ، وَيَدْخِرُ مَثَاقِيلَ ذُرِّ الْخَيْرِ، حَتَّى تُعْطَوْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله، قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُليّة، عن داود، عن الشعبي، قال: قالت عائشة: يا رسول الله، إن عبد الله بن جدعان كان يصل الرحم، ويفعل ويفعل، هل ذلك نافعه؟ قال: «لا، إنه لم يقل يوماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويُطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر الشعبي، أن عائشة أم المؤمنين قالت: يا رسول الله، إن عبد الله بن جدعان، كان يصل الرحم، ويُقْرِئ الضيف، ويُفكّ العاني، فهل ذلك نافعه شيئاً؟ قال: «لا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر، عن علقمة، أن سلمة بن يزيد الجعفي، قال: يا رسول الله، إن أمناً هلكت في الجاهلية، كانت تصل الرحم، ويُقْرِئ الضيف، وتفعل وتفعل، فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «لا».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا داود، عن الشعبي، عن علقمة بن قيس، عن سلمة بن يزيد الجعفي، قال: ذهبت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن أمناً كانت في الجاهلية تقري الضيف، وتصل الرحم، هل ينفعها عملها ذلك شيئاً؟ قال: «لا».

حدثني محمد بن إبراهيم بن صدران وابن عبد الأعلى، قالوا: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة، عن سلمة بن يزيد، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن محمد بن كعب، أنه قال: أما المؤمن فيرى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيرى حسناته في الدنيا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا أبو نعامة، قال: ثنا عبد العزيز بن بشير الضبي جده سلمان بن عامر أن سلمان بن عامر جاء رسول الله ﷺ، فقال: إن أبي كان يصل الرحم، وفي بالذمة، ويكرم الضيف، قال: «ماتَ قَبْلَ الإسلام؟» قال: نعم، قال: «لَنْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ»، فولى، فقال رسول الله ﷺ: «عَلِيٌّ بِالسَّيْخِ»، فجاء، فقال رسول الله ﷺ: «إِنهَا لَنْ تَنْفَعَهُ، وَلَكِنَّهَا تَكُونُ فِي عَقِبِهِ، فَلَنْ تَحْزُوا أَبَدًا، وَلَنْ تَذَلُّوا أَبَدًا، وَلَنْ تَفْتَقِرُوا أَبَدًا».

حدثنا ابن المثنى وابن بشار، قالوا: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَةً يَثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُعْطِيهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا ليث، قال: ثنا المعلّى، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ إِلَّا وَقَعَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ ذُنْيَاهُ، أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ».

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أنزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قال: يبكي هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُحْطِئُونَ وَتَذُنُّونَ فَيَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، لَخَلَقَ اللَّهُ أُمَّةً يُحْطِئُونَ وَيُذُنُّونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

فهذه الأخبار عن رسول الله ﷺ تُنبئ عن أن المؤمن إنما يرى عقوبة سيئاته في الدنيا، وثواب حسناته في الآخرة، وأن الكافر يرى ثواب حسناته في الدنيا، وعقوبة سيئاته في الآخرة، وأن الكافر لا ينفعه في الآخرة ما سلف له من إحسان في الدنيا مع كفره.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن علي، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، قال: أدركت سبعين من أصحاب عبد الله، أصغرهم الحارث بن سويد، فسمعتة يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ إلى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: إن هذا إحصاء شديد.

وقيل: إن الذرة ذودة حمراء ليس لها وزن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن سنان القرّاز، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قال ابن سنان في حديثه: مثقال ذرة حمراء. وقال ابن وهب في حديثه: نملة حمراء. قال إسحاق، قال يزيد بن هارون: وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن.

آخر تفسير سورة إذا زلزلت الأرض

سورة العاديات مكية (١٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٢٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٣٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٤٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٥٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٦٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٧٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٨٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٠﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩١﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٢﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٣﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٤﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٥﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٦﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٧﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٨﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝٩٩﴾ وَالْمَدِينَةِ ضَبْحًا ۝١٠٠﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال بعضهم: عُني بالعاديات ضَبْحًا: الخيل التي تعدوها، وهي تحمحم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: الخيل، وزعم غير ابن عباس أنها الإبل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال ابن عباس: هو في القتال.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة في قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال الخيل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: سئل عكرمة، عن قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يضح.

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: ليس شيء من الدواب يضح غير الكلب والفرس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله الله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: الخيل تَضْبَحُ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الخيل، عَدَّتْ حَتَّى ضَبَّحَتْ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الخيل تعدو حتى تَضْبَحُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن قتادة مثل حديث بشر، عن يزيد.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سعيد، قال: سمعت سالمًا يقرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الخيل عدت ضبْحًا.

قال: ثنا وكيع، عن واصل، عن عطاء ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: الخيل.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان بن عيينة عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الخيل.

حدثني سعيد بن الربيع الرازي. قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: هي الخيل.

وقال آخرون: هي الإبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب. قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الإبل.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، مثله.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: ثني عمي يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** قال: هي الإبل إذا ضبحت تنفست.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن **﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن **﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** فقال: سألت عنها أهدأ قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال: تُفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام ليذر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبْحاً إنما العاديات ضبْحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** قال: الإبل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** قال: قال ابن مسعود: هو في الحج.

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، قال: هي الإبل، يعني **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾**.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾** قال: قال ابن مسعود: هي الإبل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبَح، وإنما تضبَح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبْحاً، والضَّبْح: هو ما قد ذكرنا قبل. وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، قال: قال علي رضي الله عنه: الضبْح من الخيل: الحنْحة، ومن الإبل: النفس.

قال: ثنا سفيان، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس يصف الضبيح: أخ أخ.

وقوله: **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** اختلف أهل التأويل، في ذلك، فقال بعضهم: هي الخيل تُوري النار بحوافرها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا أبو رجاء، قال: سئل عِكْرِمَةُ، عن قوله: **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** قال: أوزت وقدحت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** قال: هي الخيل وقال الكلبي: تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن واصل، عن عطاء **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** قال: أورت النار بحوافرها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** تُوري الحجارة بحوافرها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن الخيل هجنَ الحرب بين أصحابهنَّ ورُكبانهنَّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** قال: هجنَ الحرب بينهم وبين عدوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة **﴿فالمُوريات قَدْحاً﴾** قال: هجنَ الحرب بينهم وبين عدوهم.

وقال آخرون: بل عُني بذلك: الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: سألتني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن **﴿العاديات صُبْحاً فالمُوريات قَدْحاً﴾** فقلت له: الخيل تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مكر الرجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: المكر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح. عن مجاهد، في قول الله: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: مكر الرجال.

وقال آخرون: هي الألسنة

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن سيبك بن حرب، عن عكرمة قال: يُقال في هذه الآية ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: هي الألسنة.

وقال آخرون: هي الإبل حين تسير تُنْسَفُ بمناسمها الحصى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: إذا نَسَفَتِ الحصى بمناسمها، فضرَبَ الحصى بعضه بعضاً، فيخرج منه النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً فالخيل تُوري بحوافرها، والناس يورونها بالزُند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلاً، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب ولم يَضِعَ الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض فكلٌّ، ما أوزت النارَ قدحاً، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر.

وقوله: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فالمغيرات صبحاً على عدوها علانية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: سألتني رجل عن المغيرات صبحاً، فقال: الخيل تغير في سبيل الله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلية، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: سألت عكرمة، عن قوله ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: أغارت على العدو صباحاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: هي الخيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: هي الخيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: أغار القوم بعدما أصبحوا على عدوهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: أغارت حين أصبحت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ قال: أغار القوم حين أصبحوا.

وقال آخرون: عُني بذلك الإبل حين تدفع بركبانها من «جَمْع» يوم النحر إلى «مِنَى».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ حين يفيضون من جَمْع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله جلَّ ثناؤه أقسم بالمُغِيرَاتِ صُبْحًا، ولم يخص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكُلُّ مغيرة صُبْحًا، فداخله فيما أقسم به وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأبأها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا﴾ فـالمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: هذا قسم أقسم الله به. وفي قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: كلُّ هذا قسم، قال: ولم يكن أبي ينظر فيه إذا سُئل عنه، ولا يذكره، يريد به القسم.

وقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ نَفْعًا﴾ يقول تعالى ذكره: فرفعن بالوادي عُباراً والنَّشْعُ: الغبار، ويقال: إنه التراب. والهاء قوله «به» كناية اسم الموضع، وكنتى عنه، ولم يجر له ذكر، لأنه معلوم أن الغبار لا يثار إلا من موضع، فاستغنى بفهم السامعين بمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: الخيل. **حدثنا** أبو كُزَيْب، قال: ثنا وكيع، عن واصل، عن عطاء وابن زيد، قال: النقع: الغبار. **حدثنا** هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: هي أثار الغبار، يعني الخيل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا أبو رجاء، قال: سُئِلَ عكرمة، عن قوله **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: أثار التراب بحوافرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: أثار بحوافرها نَقَعَ التراب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: أثار به غباراً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال لي عليّ: إنما العاديات ضَبْحًا من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مَنَى **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾**: الأرض حين تطؤها بأخفافها وحوافرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله **﴿فَأَثَرُنْ بِهِ نَقْعًا﴾** قال: إذا سِرْنَ يَثْرِنَ التراب.

وقوله: **﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾** يقول تعالى ذكره: فوسطن بركبانهن جمع القوم، يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطته بالتشديد، وتوسطته: بمعنى واحد. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا أبو رجاء، قال: سُئِلَ عكرمة، عن قوله: **﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾** قال: جمع الكفار.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة **﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾** قال جمع القوم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: هو جمع القوم.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن واصل، عن عطاء ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: جمع العدو.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: جمع هؤلاء وهؤلاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فوسطن جمع القوم.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فوسطن بالقوم جمع العدو.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: وسطن به جمع القوم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ الجمع: الكتيبة.

وقال آخرون: بل عني بذلك ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ مزدلفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يعني: مزدلفة.

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يقول: إن الإنسان لكفور لربّه. والأرض الكنود: التي لا تُنبت شيئاً، قال الأعشى:

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثِ لَوْضَلِكِ إِنَّهَا كُنْدٌ لَوْضَلِ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ^(١)

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٩) قال: «إن الإنسان لربه لكنود»: لكفور. وكذلك الأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً. قال الأعشى:

وقيل: إنما سُميت كِنْدَةً: لقطعها أباهَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثني عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِيُّ، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: لكفور.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: لربه لكفور.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: لكفور.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن مهدي بن ميمون، عن شعيب بن الحَبَّابِ، عن الحسن البصري: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: هو الكفور الذي يَعْدُ المصائب، وينسى نِعَمَ ربه.

حدثنا وكيع، عن أبي جعفر، عن الربيع، قال: الكنود: الكفور.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال الحسن: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يقول: لوأم لربه يعدّ المصائب.

= البيت. وفي «اللسان» كند: كند يكند كنوداً: كفر التعمة. ورجل كناد (كشداد) وكنود. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قيل هو: الجحود، وهو أحسن. وقيل: هو الذي يأكل وحده، ويمنع رفته، ويضرب عبده. قال ابن سيده في التعليق على هذا الأخير: ولا أعرف له في اللغة أصلاً، ولا يسوغ أيضاً مع قوله «لربه». وقيل: لكنود: لكفور بالنعمة. وقال الحسن: لوأم لربه: يعد المصائب، وينسى النعم. وقال الزجاج لكفور. يعني بذلك الكافر. اهـ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن **﴿لَكُتُودٌ﴾** قال: لكفور.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُتُودٌ﴾** قال: لكفور.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا شعبة، عن سماك أنه قال: إنما سُميت كئدة: أنها قَطَعَتْ أباها **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُتُودٌ﴾** قال: لكفور.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُتُودٌ﴾** قال: **﴿لَكُفُورٌ، الَّذِي يَأْكُلُ وَخَدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رَفْدَهُ﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُتُودٌ﴾** قال: الكتود: الكفور، وقرأ: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُفُورٌ﴾**.

حدثنا الحسن بن علي بن عياش، قال: ثنا أبو المغيرة عبد القدوس، قال: ثنا حريز بن عثمان، قال: ثنا حمزة بن هانئ، عن أبي أمامة أنه كان يقول: الكتود: الذي ينزل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده.

حدثني محمد بن إسماعيل الصواري، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: أخبرنا أبو اليقظان، عن سفيان عن هشام، عن الحسن، في قوله **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُتُودٌ﴾** قال: لؤام لربه، يعدّ المصائب، وينسى النعم.

وقوله: **﴿وَرِئْتَهُ عَلَى ذَلِكَ لَشْهِيدٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله على كئوده ربّه لشهيد: يعني لشاهد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن قتادة **﴿وَرِئْتَهُ عَلَى ذَلِكَ لَشْهِيدٌ﴾** قال: يقول: إن الله على ذلك لشهيد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَرِئْتَهُ عَلَى ذَلِكَ لَشْهِيدٌ﴾** في بعض القراءات **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لَشْهِيدٌ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾** يقول: وإن الله عليه شهيد.

وقوله: **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** يقول تعالى ذكره: وإن الإنسان لحب المال لشديد. واختلف أهل العربية في وجه وصفه بالشدة لحب المال، فقال بعض البصريين: معنى ذلك: وإنه من أجل حب الخير لشديد: أي لبخيل قال: يقال للبخيل: شديد ومتشدد. واستشهدوا لقوله ذلك بيت طرفة بن العبد البكري:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الثُّفُوسَ وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ^(١)
وقال آخرون: معناه: وإنه لحب الخير لقوي.

وقال بعض نحويي الكوفة: كان موضع **﴿لِحُبِّ﴾** أن يكون بعد شديد، وأن يضاف شديد إليه، فيكون الكلام: وإنه لشديد حب الخير فلما تقدم الحب في الكلام، قيل: شديد، وحذف من آخره، لما جرى ذكره في أوله ولرؤوس الآيات، قال: ومثله في سورة إبراهيم: **﴿كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾** والعصوف لا يكون لليوم، إنما يكون للريح فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره، كأنه قال: في يوم عاصف الريح، والله أعلم وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** قال: الخير: الدنيا وقرأ: **﴿إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾** قال: فقلت له: إن ترك خيراً: المال؟ قال: نعم، وأبي شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراماً، ولكن الناس يعدونه خيراً، فسماه الله خيراً، لأن الناس يسمونه خيراً في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثاً، وسُمي القتال في سبيل الله سوءاً، وقرأ قول الله: **﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾** قال: لم يمسه قتال قال: وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءاً.

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري مختار الشعر الجاهلي (٣١٨) في معلقته. وفيه: «يعتام الكرام». قال شارحه: يعتام يختار. والعقيلة: الخيار من كل شيء. والفاحش: البخيل الحرير. يقول: أرى الموت يختار كرام الناس، وصفوة مال البخلاء، أي أنه يأخذ النفس الذي يرضى به، كما يأخذ الحفير، فلا يترك شيئاً أه. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١٨٩) «وإنه لحب الخير لشديد»: وأنه من أجل حب الخير لشديد: لبخيل، يقال للبخيل: شديد ومتشدد قال طرفة:

«أرى السموت يعتام النفوس...»

وتأويل الكلام: إن الإنسان لربه لكنود، وإنه لحب الخير لشديد، وإن الله على ذلك من أمره لشاهد. ولكن قوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قَدَمٌ، ومعناه التأخير، فجعل معترضاً بين قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، وبين قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال: هذا في مقادير الكلام، قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ يقول: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته، إذا أُثير ما في القبور، وأُخرج ما فيها من الموتى ويُبْحَث. وذكر أنها في مصحف عبد الله: «إذا بُحِث ما في القبور»، وكذلك تأوّل ذلك أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ بُحِث. وللعرب في ﴿بُعْثِرَ﴾ لغتان: تقول: بُعِثِر، ويُبْحَثِر، ومعناها واحد.

وقوله: ﴿وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يقول: ومُيِّزٌ ومُيِّنٌ، فأبرز ما في صدور الناس من خير وشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يقول: أُرْز.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يقول: مُيِّز.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ يقول: إن ربهم بأعمالهم، وما أسروا في صدورهم، وأضمروه فيها، وما أعلنوه بجوارحهم منها، عليهم لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ.

آخر تفسير سورة: والعاديات

(١٠١) سورة القارعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١) مَا الْقَارِعَةُ ٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوسِ ٥) فَأَمَّا مَنْ نَقَلَ مَوْرِسَهُ ٦) فَمَنْ فِي عَيْشِهِ رَاضٍ ٧) وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوْرِسُهُ ٨) فَأَمَّهُ كَابِتٌ ٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ١١) ﴿

يقول تعالى ذكره: ﴿الْقَارِعَةُ﴾: الساعة التي يقرع قلوب الناس هو لها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها، وذلك صبيحة لا ليل بعدها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ قال: هي الساعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ قال: هي الساعة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: سمعت أن القارعة والواقعة والحاقة: القيامة.

وقوله: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ يقول تعالى ذكره معظماً شأن القيامة والساعة التي يقرع العباد هولها: أي شيء القارعة؟ يعني بذلك: أي شيء الساعة التي يقرع الخلق هولها: أي ما أعظمها وأفظعها وأهولها.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ؟﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد أي شيء القارعة.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يقول تعالى ذكره: القارعة يوم يكون الناس كالفَرَاشِ، وهو الذي يتساقط في النار والسراج، ليس ببعوض ولا ذباب، ويعني بالمبثوث: المفروق. وكالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ قال: هذا شبهه الله.

وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: كخوغاء الجراد، يركب بعضه بعضاً، كذلك الناس يومئذ، يجول بعضهم في بعض.

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش والعِهْن: هو الألوان من الصوف. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ قال: الصوف المنفوش.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: هو الصوف.

وذكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ يقول: فأما من ثقلت موازين حسناته، يعني بالموازين: الوزن، والعرب تقول: لك عندي درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك ووزن دارك، يراد: حذاء دارك. قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ دَأْمِ مِرَّةٍ عِنْدِي لِكُلِّ مَخَاصِمٍ مِيزَانُهُ^(١)

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٣٧٤) قال: وقوله «فأما من ثقلت موازينه»: وزنه والعرب تقول: هل لك في دينار بميزان درهمك، ووزن درهمك؟ ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك. وقال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ دَأْمِ مِرَّةٍ

البيت. يريد عندي وزن كلامه ونقصه. ا. هـ. وفي «اللسان» وزن الميزان: المقدار أنشد ثعلب:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ دَأْمِ مِرَّةٍ

يعني بقوله: «لكلّ مخاصم ميزانه»: كلامه، وما يتقضى عليه حجته. وكان مجاهد يقول: ليس ميزان، إنما هو مثل ضرب.

حدثنا بذلك أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يقول: في عيشة قد رضيها في الجنة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يعني: في

الجنة.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يقول: وأما من خفّ وزن حسناته، فمأواه ومسكنه الهاوية، التي يهوي فيها على رأسه في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ

هَاوِيَةٌ﴾ وهي النار، هي مأواهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال:

مصيره إلى النار، هي الهاوية. قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى،

قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فإنه كان في غم الدنيا قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهبوا به إلى أمه الهاوية.

حدثني إسماعيل بن سيف العجلي، قال: ثنا علي بن مُسَهِر، قال: ثنا إسماعيل، عن

أبي صالح، في قوله ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال: يهؤون في النار على رؤوسهم.

حدثنا ابن سيف، قال: ثنا محمد بن سَوَّار، عن سعيد، عن قتادة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال:

يهوى في النار على رأسه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾

قال: الهاوية: النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها، ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ وهو مثلها، وإنما جعل النار أمَّه، لأنها صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها، بمنزلة أم له.

قوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَاهِيَةً﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد ما الهاوية، ثم بيَّن ما هي، فقال: ﴿هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، يعني بالحامية: التي قد حميت من الوقود عليها.

آخر تفسير سورة القارعة

سورة التكاثر مكية (١٠٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْهَا مِنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم، وعمما ينجيكم من سخطه عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضللاً.

وروى عن النبي ﷺ كلام يدل على أن معناه التكاثر بالمال. ذكر الخبر بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه أنه انتهى إلى النبي ﷺ، وهو يقرأ: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قال: «ابن آدم، ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب، قال: كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن: «لو أن لابن آدم واديين من مال، لتمنى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على

من تاب» حتى نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها.

وقوله ﷺ بِعَقِبِ قِراءته: ﴿أَلْهَاكُمُ﴾: ليس لك من مالك إلا كذا وكذا، ينبىء أن معنى ذلك عنده: ألهاكم التكاثر: المال.

وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيداً منه لهم وتهديداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن قيس، عن حجاج، عن المنهال، عن زرّ، عن عليّ، قال: كنا نشكّ في عذاب القبر، حتى نزلت هذه الآية: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾... إلى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في عذاب القبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عنبسة، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن زرّ، عن عليّ، قال: نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ في عذاب القبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن الحجاج، عن المنهال بن عمرو، عن زرّ، عن عليّ، قال: ما زلنا نشكّ في عذاب القبر، حتى نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: كلا: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ.

وقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: سوف تعلمون إذا زرتهم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غِبْ فعلكم، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ بالأموال، وكثرة العدد، سوف تعلمون إذا زرتهم المقابر، ما تلقون إذا أنتم زرتموها، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم بالتكاثر. وكّرر قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مرتين، لأن العرب إذا أرادت التخليط في التخويف والتهديد، كّرروا الكلمة مرتين. وروي عن الضحاك في ذلك ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: المؤمنون. وكذلك كان يقرؤها.

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس، لو تعلمون أيها الناس علماً يقيناً، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم، من قبوركم، ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتنم إلى عبادته، والانتهاه إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا إشفاقاً على أنفسكم من عقوبته. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ كنا نحدث أن علم اليقين، أن يعلم أن الله باعته بعد الموت.

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء الأمصار: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ بفتح التاء من ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ في الحرفين كليهما، وقرأ ذلك الكسائي بضم التاء من الأولى، وفتحها من الثانية.

والصواب عندنا في ذلك الفتح فيهما كليهما، لإجماع الحجة عليه. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لتروُنَّ أيها المشركون جهنم يوم القيامة، ثم لترونها عياناً لا تغيبون عنها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ يعني: أهل الشرك.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يقول: ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، من أين وصلتتم إليه، وفيم أصبتموه، وماذا عملتم به؟. واختلف أهل التأويل في ذلك النعيم ما هو؟ فقال بعضهم: هو الأمن والصحة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباد بن يعقوب، قال: ثنا محمد بن سليمان، عن ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حفص، عن ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن عبد الله، مثله.

حدثني علي بن سعيد الكندي، قال: ثنا محمد بن مروان، عن ليث، عن مجاهد ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، قال: بلغني في قوله: ﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبد الله، قال: سمعت الشعبي يقول: النعيم المسئول عنه يوم القيامة: الأمن والصحة.

قال: ثنا مهران، عن خالد الزيات، عن ابن أبي ليلى، عن عامر الشعبي، عن ابن مسعود، مثله.

قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿ثُمَّ لَسْتُمْ لَنْ يُؤْمِدَّ عَنِ النَّعِيمِ﴾** قال: الأمن والصحة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم لئسئلكم يومئذ عما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: **﴿ثُمَّ لَسْتُمْ لَنْ يُؤْمِدَّ عَنِ النَّعِيمِ﴾** قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**.

حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاکر، عن الحسن قال: كان يقول في قوله: **﴿ثُمَّ لَسْتُمْ لَنْ يُؤْمِدَّ عَنِ النَّعِيمِ﴾** قال: السمع والبصر، وصحة البدن.

وقال آخرون: هو العافية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباد بن يعقوب، قال: ثنا نوح بن دراج، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر **﴿ثُمَّ لَسْتُمْ لَنْ يُؤْمِدَّ عَنِ النَّعِيمِ﴾** قال: العافية.

وقال آخرون: بل عني بذلك: بعض ما يطعمه الإنسان، أو يشربه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن بكير بن عتيق، قال: رأيت سعيد بن جبيرة أبي بشرية عسل، فشربها، وقال: هذا النعيم الذي تسئلون عنه.

حدثني علي بن سهل الرملي، قال: ثنا الحسن بن بلال، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عمارة^(١) بن أبي عمار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي

(١) في الأصل: عمران بن أبي عمار. وفي الحديث الذي بعده: عمار بن أبي عمار، وهو الصواب، كما في خلاصة الخزرجي.

الله عنهما، فأطعمناهم رُطْباً، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْتَلَوْنَ عَنْهُ».

حدثنا جابر بن الكردبي، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبي ﷺ، فذكر نحوه.

حدثني الحسن بن عليّ الصُّدائي، قال: ثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: بينما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان، إذ جاء النبي ﷺ، فقال: «مَا أَجْلَسَكُمَا هَاهُنَا؟» قالا: الجوع، قال: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ»، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء، فجاء صاحبهم يحمل قربته، فقال: مَرَحَبًا، ما زار العبادَ شيءَ أفضلَ من شيءٍ زارني اليوم، فعلق قربته بكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذوق، فقال النبي ﷺ: «أَلَا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ»، فذبح لهم يومئذ، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «لَتُسْتَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعَ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ».

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ لأبي بكر وعمر: «انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الْأَنْصَارِيِّ»، فَأَتَوْهُ، فانطلق بهم إلى ظلِّ حديقته، فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة، فجاء بِقِنُوقِ، فقال رسول الله ﷺ: «فَهَلَا تَتَّقِينَ لَنَا مِنْ رُطْبِهِ؟» فقال: أردت أن تجيئوا من رطبه وبُسرهِ، فأكلوا وشربوا من الماء فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: «هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ، الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مَسْتَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذَا الظِّلُّ الْبَارِدُ، وَالرُّطْبُ الْبَارِدُ، عَلَيْهِ الْمَاءُ الْبَارِدُ».

حدثني صالح بن مسمار المروزي، قال: ثنا آدم بن أبي إياس، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ بنحوه، إلا أنه قال في حديثه: «ظِلُّ بَارِدٌ، وَرُطْبٌ بَارِدٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ».

حدثنا عليّ بن عيسى البزاز، قال: ثنا سعيد بن سليمان، عن حشرج بن نباة، قال: ثنا أبو بصيرة عن أبي عسيب، مولى رسول الله ﷺ، قال: مرَّ النبي ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أَطْعِمْنَا بُسْرًا»، فجاءه بِغِذْقٍ فَوَضَعَهُ فَأَكَلَ رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرِب، فقال: «لَتُسْتَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فأخذ عُمرُ العذوقَ، فضرب به الأرض، حتى تناثر البسر، ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن هذا؟ قال: «نَعَمْ».

إِلَّا مِنْ كِسْرَةٍ يَسُدُّ بِهَا جَوْعَةً، أَوْ جُحْرِ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ».

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقیة، عن حشرج بن نباتة، قال: حدثني أبو بصيرة، عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ، قال: قال مربي النبي ﷺ، فدعاني وخرجت ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فدخل حائطاً لبعض الأنصار، فأتي بيْسِرٍ عَذَقَ مِنْهُ، فوضع بين يديه، فأكل هو وأصحابه، ثم دعا بما بارد، فشرب، ثم قال: «لَتَسْتَلْنَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فقال عمر: عن هذا يوم القيامة؟ فقال: «نَعَمْ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ: خِزْقَةٍ كَفَّ بِهَا عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ جُحْرِ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن الجريدي، عن أبي بصيرة، قال: أكل رسول الله ﷺ وناس من أصحابه أكلة من خبز شعير لم يُنْخَلْ، بلحم سمين، ثم شربوا من جدول، فقال: «هذا كله من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة».

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمد بن محمود بن لبيد، قال: «لما نزلت ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله عن أي النعيم نُسأل وإنما هو الأسودان: الماء، والتمر، وسيوفنا على عواتقنا، والعدو حاضر، قال: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسين بن عليّ الصُدائي، قالوا: ثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار، قال: ثنا عبد الله بن العلاء أبو رَزِين الشامي، قال: ثنا الضحَّاك بن عَزْرَم، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْتَلُّ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصَحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرَوِّقَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا ليث، عن مجاهد، قال: قال أبو معمر: عبد الله بن سخبرة: ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً وإن أهونهم عيشاً الذي يأكل خبز البر، ويشرب ماء الفرات، ويستظل من الظل، وذلك من النعيم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن الحارث التميمي، عن ثابت البتاني، عن النبي ﷺ، قال: «النَّعِيمُ: الْمَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كِسْرَةٌ تَقْوِيهِ، وَمَاءٌ يُرْوِيهِ، وَتَوْبٌ يُؤَارِيهِ».

قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن عياش، عن بشر بن عبد الله بن بشار، قال: سمعت بعض أهل اليمن يقول: سمعت أبا أمامة يقول: النعيم المسئول عنه يوم القيامة: خبز البر، والماء العذب.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن بكير بن عتيق العامري، قال: أتيت سعيد بن جبير بشربة عسل، فقال: أما إن هذا النعيم الذي تُسأل عنه يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن بكير بن عتيق، عن سعيد بن جبير، أنه أتيت بشربة عسل، فقال: هذا من النعيم الذي تُسألون عنه.
وقال آخرون: ذلك كل ما التذّه الإنسان في الدنيا من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: عن كل شيء من لذة الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعمر، عن قتادة ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: إن الله تعالى ذكره سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه.

وكان الحسن وفتادة يقولان: ثلاث لا يُسئل عنهنّ ابن آدم، وما خلاهنّ فيه المسألة والحساب، إلا ما شاء الله: كُسوة يوارى بها سوءته، وكسرة يشدّ بها صلبه، وبيت يظله.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض.

آخر تفسير سورة الهاكم

﴿١٠٣﴾ سورة العصر مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُشْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فقال بعضهم: هو قَسَمَ أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر، فقال: العصر: هو الدهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قال: العصر: ساعة من ساعات النهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قال: هو العشيّ.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ﴿وَالْعَصْرِ﴾ اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُشْرٍ﴾ يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان. وكان عليّ رضي الله عنه يقرأ ذلك: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُشْرٍ، وإنه فيه إلى آخر الدهر».

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمر ذي مرّ، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقرأ هذا الحرف: «وَالْعَصْرِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ، إن الإنسان لفي خُشْرٍ، وإنه فيه إلى آخر الدهر».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُشْرٍ﴾ ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر».

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مِرَّةٍ، أن علياً رضي الله عنه قرأها: «وَالْعَصْرِ وَتَوَائِبِ الدَّهْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إلا من آمن.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: إلا الذين صدَّقوا الله ووحدوه، وأقربوا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الذين آمنوا عن الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ والحق: كتاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ قال: الحق كتاب الله.

حدثني عمران بن بكَّار الكُلاعيّ، قال: ثنا خطاب بن عثمان، قال: ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو رَوْح السُّكُونِيّ، جَمَصِيّ لَقِيْتَهُ بِارْمِينِيَّةِ، قال: سمعت الحسن يقول في ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ قال: الحق: كتاب الله.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ قال: الصبر: طاعة الله.

حدثني عمران بن بكَّار الكُلاعيّ، قال: ثنا خطاب بن عثمان، قال: ثنا عبد

الرحمن بن سنان أبو روح، قال: سمعت الحسن يقول في قوله ﴿وَتَوَاصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ قال: الصبر: طاعة الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿وَتَوَاصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ قال: الصبر: طاعة الله.

آخر تفسير سورة والعصر

(١٠٤) سورة الهمزة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنَادَىٰ فِي الظُّلُمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا آذَنَكَ مَا لِلظُّلُمَةِ ﴿٥﴾ نَارَ اللَّهِ الْمُرْقَدَةَ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَمِّنَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم، ﴿لكل همزة﴾: يقول: لكل مغتاب للناس، يغبابهم ويغضبهم، كما قال زياد الأعجم:

ثُدلي بوذي إذا لاقيتني كذيباً وإن أغيب فانت الهامز اللمزة^(١)

ويعني باللمزة: الذي يعيب الناس، ويطعن فيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

نكر من قال ذلك:

حدثنا مسروق بن أبان، قال: ثنا وكيع، عن رجل لم يسمه، عن أبي الجوزاء، قال: قلت لابن عباس: مَنْ هؤلاء هم الذين بدأهم الله بالويل؟ قال: هم المشاءون بالنميمة، المفترقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب.

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١٩٠) قال: الهمزة الذي يغباب ميغضه، قال الأعجم:

«تدلى بسودي...»

البيت. وفي «اللسان» همز قال ابن الأعرابي الهماز: العيابون في الغيب. واللماز: المغتابون بالحضرة. ومنه قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ قال أبو إسحاق (الزجاج) الهمزة اللمزة: الذي يغباب الناس ويغضبهم وأنشد:

إذا لقيتكَ عن شخيط تكاشرتني وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وفي «اللسان» لمز اللمز، كالغمز في الوجه، تلمزه بفيك بكلام خفي. ورجل لمزة: يعيبك في وجهك، ورجل همزة: يعيبك بالغيب. وقال الزجاج: الهمزة اللمزة الذي يغباب الناس ويغضبهم. وكذلك قال ابن السكيت ولم يفرق بينهما.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن رجل من أهل البصرة، عن أبي الجوزاء، قال: قلت: لابن عباس: من هؤلاء الذين ندبهم الله إلى الويل؟ ثم ذكر نحو حديث مسروق بن أبان.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** قال: الهمزة يأكل لحوم الناس، واللمزة: الطعان.
وقد روي عن مجاهد خلاف هذا القول، وهو ما:

حدثنا به أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾** قال: الهمزة: الطَّعَانُ، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس.

حدثنا مسروق بن أبان الحطاب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.
وروي عنه أيضاً خلاف هذين القولين، وهو ما:

حدثنا به ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** قال: أحدهما الذي يأكل لحوم الناس، والآخر الطعان.

وهذا يدل على أن الذي حدّث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين، فلذلك اختلف نقل الرواية عنه ما رويها على ما ذكرت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** أما الهمزة: فأكل لحوم الناس، وأما اللمزة: فالطعان عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: الهمزة: أكل لحوم الناس: واللمزة: الطعان عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن خثيم، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾** قال: ويل لكل طعان مغتاب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الهمزة باليد، واللمزة باللسان.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةً لَمْرَةً﴾ قال: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده، ويضربهم بلسانه، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيهم.

واختلف في المعنى بقوله: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةً﴾ فقال بعضهم: عني بذلك: رجل من أهل الشرك بعينه، فقال بعض من قال هذا القول: هو جميل بن عامر الجُمَحِيّ. وقال آخرون منهم: هو الأخنس بن شريق. ذكر من قال: عني به مشرك بعينه:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةً لَمْرَةً﴾ قال: مشرك كان يلمز الناس ويهمزهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجُمَحِيّ.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، في قوله ﴿هَمْزَةً لَمْرَةً﴾ قال: ليست بخاصة لأحد، نزلت في جميل بن عامر قال ورقاء: زعم الرقاشي.

وقال بعض أهل العربية: هذا من نوع ما تذكر العرب اسم الشيء العام، وهي تقصد به الواحد، كما يقال في الكلام، إذا قال رجل لأحد: لا أزورك أبداً: كل من لم يزرنني، فلست بزائره، وقائل ذلك يقصد جواب صاحبه القائل له: لا أزورك أبداً.

وقال آخرون: بل معني به، كل من كانت هذه الصفة صفته، ولم يقصد به قصد آخر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةً لَمْرَةً﴾ قال: ليست بخاصة لأحد.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله عمّ بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائناً من كان من الناس.

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ يقول: الذي جمع مالاً وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤدِّ حقَّ الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه من قراء أهل المدينة أبو جعفر، وعامة قراء الكوفة سوى عاصم: «جَمَعَ» بالتشديد، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والحجاز، سوى أبي جعفر وعامة قراء البصرة، ومن الكوفة عاصم، «جَمَعَ» بالتخفيف، وكلهم مجمعون على تشديد الدال من ﴿عَدَّدَهُ﴾، على الوجه الذي ذكرت من تأويله. وقد ذُكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت، أنه قرأه: «جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالاً، وجمع عشيرته وعَدَّدَهُ. وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

وأما قوله: ﴿جَمَعَ مَالاً﴾ فإن التشديد والتخفيف فيهما صوابان، لأنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿يَخْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يقول: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، ويخل بإنفاقه، مُخْلِدُهُ في الدنيا، فمزيلٌ عنه الموت. وقيل: أخلده، والمعنى: يخلده، كما يقال للرجل الذي يأتي الأمر الذي يكون سبباً لهلاكه: عَطِبَ والله فلان، وهلك والله فلان، بمعنى: أنه يَغْطِبُ من فعله ذلك، ولما يهلك بعد ولم يعطب وكالرجل يأتي الموبقة من الذنوب: دخل والله فلان النار.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ما ذلك كما ظن، ليس ماله مخلصه، ثم أخبر جَلَّ ثناؤه أنه هالك ومعذب على أفعاله ومعاصيه، التي كان يأتيها في الدنيا، فقال جَلَّ ثناؤه: ﴿لَيُثَبِّدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾: يقول: ليُثَبِّدَنَّ يوم القيامة في الحُطَمَةِ، والحطمة: اسم من أسماء النار، كما قيل لها: جهنم وسقر ولظى، وأحسبها سميت بذلك لحُطْمِهَا كُلِّ ما ألقى فيها، كما يقال للرجل الأكل: الحُطْمَةُ.

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: ﴿لَيُثَبِّدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ يعني: هذا الهمزة اللمزة وماله، فثناؤه لذلك.

وقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ يقول: وأي شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة، ثم أخبره عنها ما هي، فقال جَلَّ ثناؤه: هي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ﴾ يقول: التي يطلع إليها ووهجها القلوب والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى. حُكِيَ عن العرب سماعاً: متى طَلَعَتْ أَرْضُنَا وطلعت أرضي: بلغت.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الحُطَمَةَ التي وصفت صفتها عليهم، يعني: على هؤلاء الهمَّازين اللَّمَّازين ﴿مُّوَصَّدَةٌ﴾: يعني: مطبقة وهي تُهَمَزُ ولا تُهَمَزُ وقد قرئنا

جميعاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا طَلْق، عن ابن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس في مؤصدة: قال: مُطَبَّة.

حدثني عبيد بن أسباط، قال: ثني أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قال: مُطَبَّة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: في النار رجل في شغب من شعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا منان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مُطَبَّة، فيرجع فيقول: يا رب ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ فيقول: يا جبريل فُكِّهَا، وأخرج عبدي من النار، فيفكها، ويخرج مثل الخيال، فيطرح على ساحل الجنة حتى يُنبت الله له شعراً ولحمأً ودمأً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قال: مطبقة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن مضر بن عبد الله، قال: سمعت الضحاك ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قال: مطبقة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قال: عليهم مغلقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾: أي مطبقة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قال: مطبقة.

والعرب تقول: أوصد الباب: أغلق. وقوله: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بفتح العين والميم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿فِي عُمَدٍ﴾ بضم العين والميم. والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، ولغتان صحيحتان. والعرب تجمع العمود: عُمُوداً وَعَمَدًا، بضم الحرفين وفتحهما، وكذلك تفعل في جمع إهاب، تجمعه: أَهْبَاءً، بضم الألف والهاء، وأهْبَاءً

بفتحهما، وكذلك القضم، فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: إنها عليهم مُؤَصِّدَةٌ بعمد ممددة: أي مغلقة مطبقة عليهم، وكذلك هو في قراءة عبد الله فيما بلغنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قتادة، في قراءة عبد الله: «إِنَّهَا عَلَيْنِهِمْ مُؤَصِّدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ».

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما دخلوا في عمد، ثم مدت عليهم تلك العمد بعماد.

نكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾** قال: أدخلهم في عمد، فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل، فسدت بها الأبواب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **﴿فِي عَمَدٍ﴾** من حديد مغلولين فيها، وتلك العمد من نار قد احترقت من النار، فهي من نار **﴿مُتَمَدَّةٍ﴾** لهم.

وقال آخرون: هي عمد يعذبون بها.

نكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾** كنا نحدث أنها عمد يعذبون بها في النار، قال بشر: قال يزيد: في قراءة قتادة: **﴿عَمَدٍ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة **﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾** قال: عمود يعذبون به في النار.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معناه: أنهم يعذبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها، ولا وُضِعَ لنا عليها دليل، فنذكر به صفة ذلك، فلا قول فيه، غير الذي قلنا يصح عندنا، والله أعلم.

آخر تفسير سورة الهمزة

سورة الفيل مكية (١٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿الَّذِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَعَلَّهُمْ كَعْصِفًا مَّا كُولًا ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى بها ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الذين قَدِموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحَبْشَةِ ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ يقول: ألم يجعل سعي الحَبْشَةِ أصحاب الفيل في تخريب الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأرسل عليهم ريك طيراً متفرقة، يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى وهي جماع لا واحد لها، مثل الشمايط والعبايد ونحو ذلك. وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى، أنه لم ير أحداً يجعل لها واحداً. وقال الفراء: لم أسمع من العرب في توحيدها شيئاً. قال: وزعم أبو جعفر الرؤاسي، وكان ثقة، أنه سمع أن واحداً: إبالة. وكان الكسائي يقول: سمعت النحويين يقولون: إبول، مثل العجول. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول: واحداً: أبيل.

وبنحو الذي قلنا في الأبابيل: قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زرر، عن عبد الله، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: فرق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالوا: ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم،

عن زُرِّ، عن عبد الله، قال: الفِرَق.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: يتبع بعضها بعضاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: هي التي يتبع بعضها بعضاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أنه قال في: ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: هي الأقاطيع، كالإبل المؤبلة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمّي، عن جعفر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: متفرقة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الفضل، عن الحسن ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: الكثيرة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي سلمة، قال: الأبابيل: الزُّمَر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿أَبَابِيلَ﴾ قال: هي شتى متتابعة مجتمعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: الأبابيل: الكثيرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: الأبابيل: الكثيرة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ يقول: متتابعة. بعضها على أثر بعض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ قال: الأبابيل: المختلفة، تأتي من ها هنا، وتأتي من ها هنا، أتتهم من كل مكان.

وذكر أنها كانت طيراً أخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قِبَل البحر.

ثم اختلفوا في صفتها، فقال بعضهم: كانت بيضاء. وقال آخرون: كانت سوداء. وقال آخرون: كانت خضراء، لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: قال ابن عباس: هي طير، وكانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

حدثني الحسن بن خلف الواسطي، قال: ثنا وكيع وزُوح بن عبادة، عن ابن عون، عن ابن سيرين عن ابن عباس، مثله.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن ابن عون، عن ابن عباس، نحوه.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حسين، عن عكرمة، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيراً خُضراً، خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طير سُود بَحْرِيّة، في مناقرها وأظفارها الحجارة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: سُود بَحْرِيّة، في أظفيريها ومناقيريها الحجارة.

قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن عبد الله بن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عباس قال: لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: طير خُضْر، لها مناقير صُفْر، تختلف عليهم.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير، قال: طير سود تحمل الحجارة في أظفيريها ومناقيريها.

وقوله: ﴿تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ترمي هذه الطير الأبابيل التي أرسلها الله على أصحاب الفيل، بحجارة من سجيل.

وقد بيّنا معنى سجيل في موضع غير هذا، غير أننا نذكر بعض ما قيل من ذلك في هذا الموضع، من أقوال مَنْ لم نذكره في ذلك الموضع.

نكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿حِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾ قال: طين في حجارة.

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾** قال: من طين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿حِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾** قال: سنك وكل.

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، في قوله: **﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾** قال: من طين.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن شريقي، قال: سمعت عكرمة يقول: **﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾** قال: سنك وكل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى، قال: كان أول يوم رُوي فيه الجدرى قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، قال: ذكر أبو الكنود، قال: دون الحِمْصَة وفوق العدسة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، قال: كانت الحجارة التي رُموا بها أكبر من العدسة وأصغر من الحِمْصَة.

قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى، قال: ثنا إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة، عن عمران، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس: سجيل بالفارسية: سنك وكل، حَجَر وطين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر بن سابط، قال: هي بالأعجمية: سنك وكل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانت مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿حِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾** قال: هي من طين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: هي طير بيض، خرجت من قِبل البحر، مع كل طير ثلاثة أحجار: حَجْرَانِ فِي رِجْلِيهِ، وَحَجْرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَلَا يَصِيبُ شَيْئاً إِلَّا هَشَمَهُ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث بن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، كانت تحملها بأفواهاها، ثم إذا ألقتها نَفَطَ لها الجلد. وقال آخرون: معنى ذلك: ترميهم بحجارة من سماء الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَاجِدٍ﴾ قال: السماء الدنيا، قال: والسماء الدنيا اسمها سَجِيلٌ، وهي التي أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، أنها طير تخرج من البحر، وأن سجيل: السماء الدنيا. وهذا القول الذي قاله ابن زيد لا نعرف لصحته وجهاً في خبر ولا عقل، ولا لغة، وأسماء الأشياء لا تُدْرِكُ إلا من لغة سائرة، أو خبر من الله تعالى ذكره.

وكان السبب الذي من أجله حلّت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل، مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل، إلى بيت الله الحرام لتخريبه. وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانياً، فسامها القُلَيْسُ لم يُرْ مثلها في زمانها بشي من الأرض وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إن قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُنْ مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بَمُتِّته حتى أصرف إليها حاجّ العرب^(١). فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي، غضب رجل من النِّسَاءِ أحد بن فُقَيْمٍ، ثم أحد بني ملك، فخرج حتى أتى القُلَيْسَ، فقعده فيها، ثم خرج فلدق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذي تحجّ العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب، فجاء فقعده فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِمُوا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن حُرَاعِي بن حِرَابَةَ

(١) في «سيرة ابن هشام» طبعة الحلبي الأولى (١/٤٥) حج العرب.

الدُّكوانِي، ثم السُّلَمِي، في نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي فبينما هم عنده، غشيهم عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصَى فلما أتى القوم بغذائه، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعي، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك، إن هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجُنُوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليك ما أحببت، فإنما أكرمتكم بغذائي، لمنزلتكم عندي.

ثم إن أبرهة توجَّ محمد بن خُزَاعِي، وأمره على مضر، أن يسير في الناس، يدعوهم إلى حجِّ القُلَيْس، كنيسته التي بناها، فسار محمد بن خزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، بعثوا إليه رجلاً من هُدَيْل يقال له عُرْوَة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً، وحلف ليغزون بني كنانة، وليهدم البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبْشَان فتهيأت وتجهَّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُظِعُوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نُفَر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعَرَضَ له، وقاتله، فهُزِمَ وتفرَّق أصحابه، وأخذ له ذو نفر أسيراً فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له أسيراً، فأُتِيَ به فلما هم بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة فأعفاه وخلَّى سبيله، وخرج به معه، يدلّه على الطريق حتى إذا مرَّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن مَعْتَب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد إلا أنما تريد البيت الذي بمكة يعنون الكعبة ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رِغَال فخرج أبرهة ومعه أبو رِغَال حتى أنزله المغمَّس، فلما أنزله به مات أبو رِغَال هناك، فَرَجِمَت العرب قبره، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمَّس.

ولما نزل أبرهة المغمَّس، بعث رجلاً من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له

حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حنَاطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُرد حربي فاتني به.

فلما دخل حنَاطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قُصَي، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: واللّه ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام أو كما قال فإن يمنعه فهو بيته وحرّمه، وإن يُخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال فقال له حنَاطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتية بك. فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسکر، فسأل عن ذي نَفر، وكان له صديقاً، فذُلّ عليه، فجاءه وهو في محبسه، فقال: يا ذا نَفر، هل عندك غنّاء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقاً: وما غنّاء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ما عندي غنّاء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيساً سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نَفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيّد قريش، وصاحب غير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملكُ له مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفغه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك، فليكلمك بحاجته، وأحسن إليه. قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يُجلّسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبنتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، اردد إليّ إبلي.

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حنطة، يعمر بن ثفانة بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو يومئذ سيد بني كنانة، وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال يهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، والله أعلم.

وكان أبرهة، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شَعَف الجبال والشعاب، تخوفاً عليهم من مَعَرَة الجيش ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رَبِّ لا أَزْجُو لَهُمْ سِوَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ
وقال أيضاً:

لا هُمْ إِنْ الْعَبُدَ يَمُ
لا يَغْلِبُنَّ صَليِبُهُمْ
فَلَيْنَ فَعَلْتِ فَرُبَّمَا
وَلَيْنَ فَعَلْتِ فِسَائِلُهُ
وقال أيضاً:

وَكُنْتُ إِذَا أتَى باغٍ بِسَلْمٍ
نُرجِي أن تَكُونَ لَنَا كَذَلِكَ

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ زعموا أنه قالهما في حرب الفيل. وقد ذكرها الثعلبي المفسر في العرائس المعروف «بقصص الأنبياء» (طبعة الحلبي ٤٤٢).

(٢) بعض هذه الآيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة، وهدم الكعبة. وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات، وهي:

لا هُمْ إِنْ الْعَبُدَ يَمُخُ زَخْلَهُ فَاْمَنَعُ جِلالِكَ
لا يَغْلِبُنَّ صَليِبُهُمْ وَمِخالِكَ
إِنْ كُنْتُ تارِكَهُمُ وَقَبَلْتُنَا فَاْمَرُّ ما بَدَا لَكَ

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها. وقال للسهلي في «الروض الأنف» تعليقا على قول عبد المطلب هذا: وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل، وهو قوله:

وأنصُر على آل الصَّليِبِ وعابِديهِ اليَوْمِ أَلَكْ

وقوله: حلالك: هم القوم الحالون في المكان ا هـ. وقيل إن البيت الثالث مما رواه الواقدي، ولم يروه ابن إسحاق ا هـ.

فَوَلَّوْا لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خِزْيٍ وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكَ
وَلَمْ أَسْمَعْ بِأَزْجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَزَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا حَرَامَكَ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْفَيْلَ كَيْ يَسُبُّوا عِيَالَكَ^(١)

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفَ الجبال، فتحرزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة، وهياً فيله، وَعَبَّأَ جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مُجَمِّعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وَجَّهوا الفيل، أقبل نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه، فَبَرِكَ الفيل، وخرج نُفَيْلُ بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطَّبِيرِزِينَ ليقوم، فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مرقاه، فبزغوه بها ليقوم، فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يَهْزُولُ، ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحِصَّصِ والعَدَسِ، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا، ويسألون عن نُفَيْلِ بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيْلُ بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته:

أَيَّنَ الْمَمْفَرُّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ^(٢)

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعها مِدَّةٌ تَمُتُّ قِيحاً ودماً، حتى قَدِمُوا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأحنس، أنه حدث، أن أوَّلَ ما رُؤيت الحَضْبَةُ والجُدْرِيَّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أوَّلَ ما

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من بحر الوافر. أما البيت الرابع فليس منها لأنه من مجزوء الرجز، كالأبيات السابقة، فهو أخرى أن يلحق بها. ولكنها هكذا جاءت مختلطة في الأصل، وهذا من إفساد الناسخين. والله أعلم. وينبغي أن تكون قافية هذه الأبيات الكاف، لا اللام، لأن الشاعر لم يلتزم اللام في البيت الثالث، ولو لزمها لجاز أن تكون هي القافية.

(٢) البيت نسبة الثعلبي المفسر في «العرائس» إلى نفيل بن حبيب الخثعمي ٤٤٣ وقال السهيلي في «الروض الأثف» (٤٥/١) ونفيل الذي ذكر: هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك... بن خثعم، كذلك نسبة البرقي. وفي الكتاب: نفيل ابن حبيب. يريد بالكتاب كتاب السيرة لمحمد بن إسحاق، وقد ورد اسم نفيل في قصة الفيل.

رؤي بها مُرار الشجر: الحرملُ والحنظلُ والعُشُرُ ذلك العام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوماً ومن معه من عداد أهل اليمن، إلى بيت الله ليهدمه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصفاح برك فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه الأرض، وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هزولة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيراً بيضاً أبابيل. والأبابيل: الكثيرة، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضاً تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ يعني تعالى ذكره: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرائته، فيس وتفرقت أجزاءه شبه تقطع أوصلهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرقت آراب أبدانهم بها، بتفرقت أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع.

وقد كان بعضهم يقول: العصف: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة من خارج، كهية الغلاف لها. ذكر من قال: غني بذلك ورق الزرع:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال: ورق الحنطة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال: هو التبن.

وحدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾: كزرع مأكول.

حدثني محمد بن عُمارة الأسدي، قال: ثنا زريق بن مرزوق، قال: ثنا هبيرة، عن سلمة بن نُبَيْط، عن الضحاك، في قوله ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال: هو الهُبُور بالنبطية، وفي رواية: المقهور.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال: ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فرائته، فصار روثاً. ذكر من قال: غني به قشر الحب:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿كَعْصَفٍ مَأْكُولٍ﴾** قال: البرّ يؤكل ويُلقَى عَصْفُهُ الرّيح. والعَصْف: الذي يكون فوق البرّ: هو لحاء البرّ.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن حبيب بن أبي ثابت: **﴿كَعْصَفٍ مَأْكُولٍ﴾** قال: كطعام مطعوم.

آخر تفسير سورة الفيل

﴿١٠٦﴾ سورة قريش مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ۚ (١) إِلَّا إِلَهُمُ رَبُّكَ وَالشَّتَاءُ وَالصَّنِيفُ (٢) فَلْيَسْتَدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ حَوْفٍ (٤)﴾

اختلفت القراء في قراءة: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ إِلَّا إِلَهُمُ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم، سوى أبي جعفر، فإنه وافق غيره في قوله ﴿لَا إِلَافَ﴾ فقرأه بياء بعد همزة، واختلف عنه في قوله ﴿إِلَّا إِلَهُمُ﴾ فروي عنه أنه كان يقرؤه: «إِلْفِهِمْ»^(١) على أنه مصدر من أَلَفَ يَأْلَفُ إلفاً، بغير ياء. وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه: «إِلْفِهِمْ» بغير ياء مقصورة الألف.

والصواب من القراءة في ذلك عندي: من قرأه: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ إِلَّا إِلَهُمُ﴾ بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة، من أَلَفَتِ الشَّيْءَ أَوْلَفَهُ إِيْلَافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه. وللعرب في ذلك لغتان: أَلَفَتِ، وأَلَفَتْ فَمَنْ قَالَ: أَلَفْتُ بِمَدِّ الْأَلْفِ قَالَ: فَأَنَا أَوْلَفْتُ إِيْلَافاً وَمَنْ قَالَ: أَلَفْتُ بِقَصْرِ الْأَلْفِ قَالَ: فَأَنَا أَلَفْتُ إِفْئاً، وهو رجل أَلَفْتُ إِفْئاً. وحكي عن عكرمة أنه كان يقرأ ذلك: «لَتَأْلُفُ قُرَيْشٍ إِفْهَمُ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّنِيفِ».

حدثني بذلك أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا وكيع، عن أبي مكين، عن عكرمة.

وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك، ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ: «إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّنِيفِ».

واختلف أهل العربية في المعنى الجالب هذه اللام في قوله: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾، فكان بعض نحويي البصرة يقول: الجالب لها قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَضِفٍ مَأْكُولٍ فِيهِ فِي قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ صَلَةٌ لِقَوْلِهِ جَعَلَهُمْ، فالواجب على هذا القول، أن يكون معنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا

(١) لم يرد عن أبي جعفر إسكان اللام ولم نعلم أحداً قرأه، وإنما الوارد عنه حذف الياء فقط.

الفعل، نعمة منا على أهل هذا البيت، وإحساناً منا إليهم، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف، فتكون اللام في قوله ﴿لإيلاف﴾ بمعنى إلى، كأنه قيل: نعمة لنعمة وإلى نعمة، لأن إلى موضع اللام، واللام موضع إلى. وقد قال معنى هذا القول بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ قال: إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف.

حدثني إسماعيل بن موسى السدي، قال: أخبرنا شريك، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد ﴿لإيلاف قریش﴾ قال: نعمتي على قریش.

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي، قال: ثنا فزوة بن أبي المغراء الكندي، قال: ثنا شريك، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد، مثله.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني، قال: ثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لإيلاف قریش﴾ قال: نعمتي على قریش.

وكان بعض نحوي الكوفة يقول: قد قيل هذا القول، ويقال: إنه تبارك وتعالى عجب نبيه ﷺ فقال: اعجب يا محمد لنعم الله على قریش، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. ثم قال: فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك يستدل بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.

وكان بعض أهل التأويل يوجه تأويل قوله: ﴿لإيلاف قریش﴾ إلى ألفة بعضهم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿لإيلاف قریش﴾ فقرأ: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ إلى آخر السورة، قال: هذا لإيلاف قریش، صنعت هذا بهم لألفه قریش، لثلا أفرق ألفتهم وجماعتهم، إنما جاء صاحب الفيل ليستبيد حريمهم، فصنع الله ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن هذه اللام بمعنى التعجب. وأن معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف. والعرب إذا جاءت بهذه اللام، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على

التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها، كما قال الشاعر:

أَغْرَكَ أَنْ قَالُوا لِقُرَّةٍ شَاعِرًا فَيَالْأَبَاهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشَاعِرٍ^(١)
فاكتفى باللام دليلاً على التعجب من إظهار الفعل وإنما الكلام: أغرك أن قالوا: اعجبوا لقرة شاعراً فكذلك قوله: ﴿لإيلاف﴾.

وأما القول الذي قاله من حكينا قوله، أنه من صلة قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَضِفٍ مَأْكُولٍ﴾ فإن ذلك لو كان كذلك، لوجب أن يكون «لإيلاف» بعض «ألم تر»، وأن لا تكون سورة منفصلة من «ألم تر» وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تأمّتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى، ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك. ولو كان قوله: ﴿لإيلاف قُريشٍ﴾ من صلة قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَضِفٍ مَأْكُولٍ﴾ لم تكن «ألم تر» تأمة حتى توصل بقوله: ﴿لإيلاف قُريشٍ﴾ لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر الذي ذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يقول: لزومهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لإيلاف قُريشٍ﴾ قال: نهاهم عن الرحلة، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت، وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، فلم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف، فأطعمهم بعد ذلك من جوع، وأمنهم من خوف، وألفوا الرحلة، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا، وإذا شاءوا أقاموا، فكان ذلك من نعمة الله عليهم.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة قال: كانت قريش قد ألفتوا بضرى واليمن، يختلفون إلى هذه في الشتاء، وإلى هذه في الصيف ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فأمرهم أن يقيموا بمكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿لإيلاف

(١) هذا بيت لا أعرفه ولا أعف قائله. استشهد به المؤلف على أن اللام في قوله «لأباه» هي لام التعجب، وهي بدل النطق بالفعل: «اعجبوا لأباه». وهو نظير ما في قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش: أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف. وهي حرف جر. وإياه مجرور بكسرة مقدرة على الألف، في بعض لغات العرب، والعريف: القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس.

قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾ قال: كانوا تجاراً، فعلم الله حبههم للشام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قال: عادة قريش عادتهم رحلة الشتاء والصيف.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ كانوا ألفوا الارتحال في القيظ والشتاء.

وقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ مخفوضة على الإبدال، كأنه قال: لإيلاف قريش لإيلافهم، رحلة الشتاء والصيف. وأما الرحلة فنُصبت بقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾، ووقوعه عليها.

وقوله: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يقول: رحلة قريش الرحلتين، إحداهما إلى الشام في الصيف، والأخرى إلى اليمن في الشتاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن في التجارة، إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد، وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانوا تُجَاراً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبي ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانت لهم رحلتان: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني، قال: ثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال: ثنا أبي، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانوا يَشْتُونَ بمكة، وَيَصِيفُونَ بالطائف.

وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ يقول: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة، وليعبدوا رب هذا البيت، يعني بالبيت: الكعبة، كما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مُغِيرَةَ، عن إبراهيم، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صلى المغرب بمكة، فقرأ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ فلما انتهى إلى قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أشار بيده إلى البيت.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني، قال: ثنا خطاب بن

جعفر بن أبي المغيرة، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، في قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قال الكعبة.

وقال بعضهم: أمروا أن يألفوا عبادة رب مكة كإلفهم الرحلتين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا مروان، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قال: أمروا أن يألفوا عبادة رب هذا البيت، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف.

وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: الذي أطعم قريشاً من جوع، كما:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يعني: قريشاً أهل مكة، بدعوة إبراهيم ﷺ حيث قال: ﴿وَأَرْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه آمنهم مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم، من الغارات والحروب والقتال، والأمور التي كانت العرب يخاف بعضها من بعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ حيث قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قال: آمنهم من كل عدو في حرمهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ﴾ قال: كان أهل مكة تجاراً، يتعاورون ذلك شتاءً وصيفاً، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حي من أحياء العرب، وإذا قيل جزمي خُلي عنه وعن ماله، تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

قال: كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية، يأمنون بذلك، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أُغِير عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قال: كانت العرب يغير بعضها على بعض، وَيَسْبِي بعضها بعضاً، فأمنوا من ذلك لمكان الحرم، وقرأ: ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وقال آخرون: عُنِيَ بذلك: وآمنهم من الجذام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، قال: قال الضحاك: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قال: من خوفهم من الجذام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قال: من الجذام وغيره.

حدثنا أبو كريب، قال: قال وكيع: سمعت أطمعهم من جوع، قال: الجوع ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ الخوف: الجذام.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني، قال: ثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قال: الخوف: الجذام.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه ﴿أَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام، ولا من الجذام دون العدو، بل عمّ الخبر بذلك فالصواب أن يُعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما.

آخر تفسير سورة قريش

(١٠٧) سورة الماعون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْمَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يَكْذِبُ بِثَوَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، فَلَا يَطِيعُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ قال: الذي يكذب بحكم الله عز وجل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن جريج ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ قال: بالحساب.

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ الدِّينَ﴾ فالباء في قراءته صلة، دخولها في الكلام وخروجها واحد.

وقوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يقول: فهذا الذي يكذب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويظلمه. يقال منه: دَعَعْتُ فَلَانًا عَنْ حَقِّهِ، فَأَنَا أَدْعُهُ دَعَاً. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع حق اليتيم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع اليتيم فلا يطعمه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾: أي يفهره ويظلمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يقهره ويظلمه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يقهره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان في قوله: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يدفعه. وقوله: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحث غيره على إطعام المحتاج من الطعام.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون، لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوا.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك أنهم يؤخرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سكن بن نافع الباهلي، قال: ثنا شعبة، عن خلف بن حوشب، عن طلحة بن مَصْرَف، عن مصعب بن سعد، قال: قلت لأبي، رأيت قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي تركها؟ قال: لا، ولكن تأخيرها عن وقتها.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا عاصم بن بهدلة. عن مصعب بن سعد، قال: قلت لسعد: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أهو ما يحدث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا، ولكن السهو أن يؤخرها عن وقتها.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن مصعب بن سعد ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: السهو: الترك عن الوقت.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عمران بن تمام البُنَّانِي، قال: ثنا أبو جمرَة الصُّبَيْعِي

نصر بن عمران، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الذين يؤخرونها عن وقتها.

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ابن أزي: فويل للمصلين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الذين يؤخرون الصلاة المكتوبة، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الترك لوقتها.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: تضييع ميقاتها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: ترك المكتوبة لوقتها.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا يحيى بن أيوب، قال: أخبرني ابن زُخر، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين يضيعونها عن وقتها.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فهم المنافقون كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضاً لهم، وهو الماعون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم المنافقون يتركون الصلاة في السر، ويصلون في العلانية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الترك لها.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتهاونون بها، ويتغافلون عنها ويلهون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: لاهون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: غافلون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: ساء عنها، لا يبالي صلى أم لم يصل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يصلون، وليست الصلاة من شأنهم.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: يتهاونون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: ﴿سَاهُونَ﴾: لاهون يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحياناً، وتضييع وقتها أخرى. وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال: عُنِيَ بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عُنِيَ به تركها، لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت.

وقد روي عن رسول الله ﷺ بذلك خبران يؤيدان صحة ما قلنا في ذلك: أحدهما ما:

حدثني به زكريا بن أبان المصري، قال: ثنا عمرو بن طارق، قال: ثنا عكرمة بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الملك بن عُمَيْر، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت النبي ﷺ، عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها». والآخر منهما ما:

حدثني به أبو كُرَيْب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، قال: ثني رجل، عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِي، قال: قال رسول الله ﷺ، لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: «الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطيت كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرجُ خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه».

حدثني أبو عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

وكلا المعنيين اللذين ذكرت في الخبرين اللذين روينا عن رسول الله ﷺ محتمل عن معنى السهو عن الصلاة.

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُزَاهَوْنَ﴾ يقول: الذين هم يراؤون الناس بصلاتهم إذا صَلَّوْا، لأنهم لا يصلُّون رغبةً في ثواب، ولا رهبةً من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، يستبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام، كذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر ومؤمل، قالوا: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم المنافقون.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿يُزَاهَوْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: يراؤون بصلاتهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُزَاهَوْنَ﴾ يعني المنافقين.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: هم المنافقون كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ثني ابن زيد: ويصلون، وليس الصلاة من شأنهم رياء.

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يقول: ويمنعون الناس منافع ما عندهم وأصل الماعون من كل شيء منفعة يقال للماء الذي ينزل من السحاب: ماعون ومنه قول أعشى بني ثعلبة.

بَأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْنَمُ^(١)
وقال آخر يصف سحاباً:

يَمْجُجُ صَبِيرُهُ الْمَاعُونَ صَبًّا^(٢)

وقال عبيد الراعي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عُونَهُمْ وَوَضَّعُوا التَّهْلِيلَ^(٣)
يعني بالماعون: الطاعة والزكاة.

واختلف أهل التأويل في الذي عُني به من معاني الماعون في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني به الزكاة المفروضة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال علي رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: الزكاة.

(١) البيت لأعشى بني قيس بن عثيلة من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (ديوانه ٣٩) يقول: ليس الفرات إذا أزيد وتلاطمت أمواجه، بأجود منه في وقت الجذب، حين تصحو السماء، وينقطع المطر. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾: هو في الجاهلية كل منفعة وعطية، قال الأعشى: «بأجود منه بماعونه... البيت». والماعون في الإسلام: الطاعة والزكاة. قال الراعي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا الشَّنْزِيلَا

وفي «اللسان»: معن الماعون: المعروف كله. وقال ابن سيده: والماعون: الطاعة والزكاة، وعليه العمل، وهو من السهولة والقلّة، لأنها جزء من كل، قال الراعي: «قوم على التنزيل» البيت. والماعون: أسقاط البيت: كالدلو، والفأس، والقدر، والقصعة وهو منه أيضاً، لأنه لا يكرث معطيه، ولا يعني كاسبه. قال ثعلب: الماعون: ما يستعار من قدوم وشفرة. وفي الحديث: «وحسن مواساتهم بالماعون»؛ قال: هو اسم جامع لمنافع البيت، كالقدر والفأس وغيرهما، مما جرت العادة بعاريته. قال الأعشى: «بأجود منه... البيت». والماعون: المطر، لأنه يأتي من رحمة الله عضواً بغير علاج، كما تعالج الآبار ونحوها ١ هـ.

(٢) هذا شطر بيت استشهد به صاحب «اللسان»: معن على أن الماعون المطر، لأنه يأتي من غير علاج، كما تعالج الآبار ونحوها من قرض المشارب، وأنشد:

أَقُولُ لِصَاحِبِي بِبِرَاقِ نَجْدٍ تَبَصَّرَ هَلْ تَسْرَى بَرْقاً أَرَاهُ

يَمْجُجُ صَبِيرُهُ الْمَاعُونَ مَحَبًّا إِذَا نَسَمَ مِنَ الْهَيْفِ اغْتَرَاهُ

الصبير: كما في «اللسان»: صبر: السحاب الأبيض، الذي يصبر بعضه فوق بعض درجاً. والهيف والهوف (بالضم): ريح حارة تأتي من قبل اليمن، وهي النكباء، يهيف منها ورق الشجر، أي يسقط.

(٣) هذا بيت للشاعر الإسلامي عبيد بن حصين الراعي، والماعون: تقدم شرحه في الشاهدين قبله. والتهليل هو النطق بكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله». وقد سبق الكلام على البيت في الشاهد الذي قبل الشاهد السابق على هذا. وذكرنا فيه كلام أبي عبيدة في الماعون.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: قال عليّ رضي الله عنه: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي، عن أبي صالح، عن عليّ رضي الله عنه قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن عليّ رضي الله عنه ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: يمنعون زكاة أموالهم.

حدثني محمد بن عمارة وأحمد بن هشام قالوا: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السدي عن أبي صالح، عن عليّ رضي الله عنه ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: الزكاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿الْمَاعُونَ﴾ قال: الزكاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن عليّ، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، أن علياً رضي الله عنه كان يقول ﴿الْمَاعُونَ﴾: الصدقة المفروضة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أن علياً رضي الله عنه قال: هي الزكاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي المغيرة، قال: سألت رجل ابن عمر عن الماعون، قال: هو المال الذي لا يؤدى حقه قال: قلت: إن ابن أم عبد يقول: هو المتاع الذي يتعاطاه الناس بينهم، قال: هو ما أقول لك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن سلمة، قال: سمعت أبا المغيرة قال: سألت ابن عمر، عن الماعون، فقال: هو منع الحق.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن سلمة بن

كهيل، قال: سئل ابن عمر عن الماعون، فقال: هو الذي يُسأل حَقَّ ماله ويمنعه، فقال: إن ابن مسعود يقول: هو القدر والدلو والفأس، قال: هو ما أقول لكم.

حدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن خالد، عن سلمة بن كهيل، أن ابن عمر سئل عن قول الله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: الذي يُسأل مال الله فيمنعه، فقال الذي سأله، فإن ابن مسعود يقول: هو الفأس والقدر، قال ابن عمر: هو ما أقول لك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن خالد، عن سلمة بن كهيل، قال: سألت رجل ابن عمر عن الماعون، فذكر مثله.

حدثني سليمان بن محمد بن معدي كرب الرُعيني، قال: ثنا بقة بن الوليد، قال: ثنا شعبة، قال: ثني سلمة بن كهيل، قال: سمعت أبا المغيرة: رجلاً من بني أسد، قال: سألت عبد الله بن عمر عن الماعون، قال: هو منع الحق، قلت: إن ابن مسعود قال: هو منع الفأس والدلو قال: هو منع الحق.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي المغيرة، عن ابن عمر قال: هي الزكاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السُّدي، عن أبي صالح، عن علي، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا جابر بن زيد بن رفاعه، عن حسان بن مخارق، عن سعيد بن جبير، قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة والحسن: الماعون: الزكاة المفروضة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل، عن أبي عمر، عن ابن الحنفية رضي الله عنه قال: هي الزكاة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: الزكاة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: هم المنافقون يمنعون زكاة أموالهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: الزكاة المفروضة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن عقبة، قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: منعوا صدقات أموالهم، فعاب الله عليهم.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله، فإن صلى رأى، وإن فاتته لم يأس عليها.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سلمة، عن الضحاك، قال: هي الزكاة.

وقال آخرون: هو ما يتعاوَرُهُ النَّاسُ بينهم من مثل الدَّلْوِ والقِدْرِ ونحو ذلك.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا ابن أبي إدريس، عن الأعمش، عن الحكم بن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين، أنه قال لعبد الله: أخبرني عن الماعون؟ قال: هو ما يتعاوره الناس بينهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبي العبيدين: رجل من بني تميم ضرير البصر، وكان يسأل عبد الله بن مسعود، وكان ابن مسعود يعرف له ذلك، فسأل عبد الله عن الماعون، فقال عبد الله: إن من الماعون منع الفأس والقدر والدلو، خصلتان من هؤلاء الثلاث قال شعبة: الفأس ليس فيه شك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الوليد، قال: ثنا شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين، عن عبد الله، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار، أن أبا العبيدين: رجلا من بني تميم، كان ضرير البصر، سأل ابن مسعود عن الماعون، فقال: هو منع الفأس والدلو، أو قال: منع الفأس والقدر.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، أن أبا العبيدين سأل ابن مسعود، عن الماعون، قال: هو ما يتعاوره الناس بينهم، الفأس والقدر والدلو.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن أبي العبيدين، عن عبد الله، كنا أصحاب محمد نحدث أن الماعون: القدر والفأس والدلو. قال أبو بكر: قال أبو الجواب، وخالفه زهير بن معاوية فيما:

حدثنا به الحسن الأشيب، قال: ثنا زهير، قال: ثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن أبي العبيدين، حدثني محمد بن عبيد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن حارثة، عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض، عن عبد الله، قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون: الدلو والفأس والقدر، لا يستغنى عنهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن ابن أبي إسحاق، عن سعد بن عياض قال أبو موسى: هكذا قال عُذْر عن أصحاب النبي ﷺ، قالوا: إن من الماعون: الفأس والدلو والقدر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن عياض، يحدث عن أصحاب النبي ﷺ بمثله. **قال:** ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت سعد بن عياض، يحدث عن أصحاب النبي ﷺ، مثله.

حدثنا خلاد، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن أبي العبيدين، قال: قال عبد الله: الماعون: القدر والفأس والدلو.

حدثنا خلاد، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا المسعودي، قال: أخبرنا سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين، وكانت به زمانة، وكان عبد الله يعرف له ذلك، فقال: يا أبا عبد الرحمن ما الماعون؟ قال: ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم، عن أبي العبيدين، أن سأل ابن مسعود، عن الماعون، فقال: ما يتعاطاه الناس بينهم.

قال: ثنا مهران، عن الحسن وسلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين، عن ابن مسعود، قال: الفأس والدلو والقدر وأشباهه.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين، أنه سأل ابن مسعود، عن قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد، عن ابن مسعود، قال: الفأس والقدر والدلو.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾ منع الفأس والقدر والدلو.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله، أنه سُئِلَ عن الماعون، قال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو وشبهه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن ابن مسعود، قال: الدلو والفأس والقدر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن عياض، عن أصحاب النبي ﷺ قال: الماعون: الفأس والقدر والدلو.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: سُئِلَ عبد الله عن الماعون، قال: ما يتعاوره الناس بينهم، الفأس والقدر والدلو وشبهه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم أنه قال: هو عارية الناس: الفأس والقدر والدلو ونحو ذلك، يعني الماعون.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، بمثله.

قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس مثله، قال: الفأس والدلو.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: ﴿الْمَاعُونَ﴾: العارية.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: هو العارية.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الْمَاعُونَ﴾ قال: متاع البيت.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا إسماعيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أراه عن ابن عباس «شكُّ أبو كُرَيْب» ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: المتاع.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس هو متاع البيت.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: يمنعونهم العارية، وهو الماعون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة، ومنهم من قال: يمنعون الطاعة، ومنهم من قال: يمنعون العارية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: لم يجيء أهلها بعد.

حدثني ابن المنثي، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: ﴿الْمَاعُونَ﴾ ما يتعاطى الناس بينهم.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا ابن عُليّة، قال: ثنا ليث، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: قال عليّ رضي الله عنه: الماعون: منع الزكاة والفأس والدلو والقدر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم النبيل، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير قال: الماعون: العارية.

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك، في قول الله: ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: الدلو والقدر والفأس.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا أبو عوانة، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك.

وقال آخرون: الماعون: المعروف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إبراهيم السلمي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا محمد بن رفاعة، قال: سمعت محمد بن كعب يقول: الماعون: المعروف. وقال آخرون: الماعون: هو المال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن حرب، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، قال: الماعون، بلسان قریش: المال.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، قال: الماعون: بلسان قریش: المال.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعون الناس، خيراً عاماً، من غير أن يخص من ذلك شيئاً، أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق، لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض.

آخر تفسير سورة أرايت

(١٠٨) سورة الكوثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَاكِرٌ هُوَ الْأَكْبَرُ ﴿٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر، فقال بعضهم: هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر: أنه قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافته من ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن محارب بن دثار الباهلي، عن ابن عمر، في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: نهر في الجنة حافته الذهب، ومجره على الدر والياقوت، وماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأشد حلاوة من العسل، وتربته أطيب من ريح المسك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكوثر: نهر في الجنة حافته من ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق أو مسروق، قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، وما يُطنان الجنة؟ قالت: وسط الجنة: حافته قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحبهاؤهُ اللؤلؤ والياقوت.

حدثنا أحمد بن أبي سريح الرازي، قال: ثنا أبو النضر وشبابة، قالوا: ثنا أبو جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن رجل، عن عائشة قالت: الكوثر: نهر في الجنة

ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبي جعفر وحدثنا ابن أبي سُرَيْج، قال: ثنا أبو نَعِيم، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن ابن أبي نجیح، عن أنس، قال: الكوثر: نهر في الجنة.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة، درّ مجوّف.

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة: الكوثر: نهر في الجنة، عليه من الآتية عدد نجوم السماء.

قال: ثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجیح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فليجعل أصبعيه في أذنيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة، قالت: نهر في الجنة، شاطئاه الدرّ المجوّف.

قال: ثنا مهران، عن أبي معاذ عيسى بن يزيد، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر: نهر في بطنان الجنة: وسط الجنة، فيه نهر شاطئاه درّ مجوّف، فيه من الآتية لأهل الجنة، مثل عدد نجوم السماء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: نهر أعطاه الله محمداً ﷺ في الجنة.

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا مسعدة، عن عبد الوهاب، عن مجاهد، قال: الكوثر: نهر في الجنة، ترابه مسك أذفر، وماؤه الخمر.

حدثنا ابن أبي سريج، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: نهر في الجنة.

حدثنا الربيع، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا، قال: لما أسري برسول الله ﷺ، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك، فقال: «يا جبريل، ما هذا النهر؟» قال: هو الكوثر الذي خبا لك ربك.

وقال آخرون: عُني بالكوثر: الخير الكثير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثني هُشِيم، قال: أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جُبَيْر: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: فقال سعيد: النهر الذي في الجنة، من الخير الذي أعطاه الله إياه.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن عطاء بن السائب، قال: قال محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبَيْر في الكوثر؟ قال: قلت: قال: قال ابن عباس: هو الخير الكثير، فقال: صدق والله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: الكوثر: الخير الكثير.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جُبَيْر، عن الكوثر، فقال: هو الخير الكثير الذي آتاه الله، فقلت لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة، فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ قال: الخير الكثير.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن عُمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، قال: هو النبوة، والخير الذي أعطاه الله إياه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي بن عمار، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمار، عن عكرمة في قول الله: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ قال: الخير الكثير، والقرآن والحكمة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا عُمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة أنه قال: الكوثر: الخير الكثير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ قال: الخير الكثير.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن هلال، قال: سألت سعيد بن جُبَيْر ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ قال: أكثر الله له من الخير، قلت: نهر في الجنة؟ قال: نهر وغيره.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن

أبي نجیح، عن مجاهد، قال: الكوثر: الخير الكثير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: الكوثر: الخير الكثير.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن مجاهد: الكوثر: قال: الخير كله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: خير الدنيا والآخرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في الكوثر، قال: هو الخير الكثير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، قال: الكوثر: الخير الكثير.

قال: ثنا وكيع، عن بدر بن عثمان، سمع عكرمة يقول في الكوثر: قال: ما أعطي النبي ﷺ من الخير والنبوة والقرآن.

حدثنا أحمد بن أبي سريح الرازي، قال: ثنا أبو داود، عن بدر، عن عكرمة، قوله: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوثَرَ﴾ قال: الخير الذي أعطاه الله: النبوة والإسلام. وقال آخرون: هو حوض أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة.

نكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مطر، عن عطاء ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوثَرَ﴾ قال: حوض في الجنة أعطيه رسول الله ﷺ.

حدثنا أحمد بن أبي سريح، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا مطر، قال: سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوثَرَ﴾ قال: حوض أعطيه رسول الله ﷺ.

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعظم قدره.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا أحمد بن المقدام العجلي، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، عن أنس قال: لما عُرج بنبي الله ﷺ في الجنة، أو كما قال، عَرَضَ له نهر حافتاه الياقوت المجوف، أو قال: المجوب، فضرب المَلَك الذي معه بيده فيه، فاستخرج مسكاً، فقال محمد للملك الذي معه: «ما هَذَا؟» قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله قال: وُرِفِعَتْ له سِدْرَةٌ المُنْتَهَى، فأبصر عندها أثراً عظيماً، أو كما قال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ، قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَتَاهُ قِيَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، فَقَالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الكَوْتَرُ الَّذِي أُعْطَاكَ اللّهُ إِيَّاهُ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ المِسْكَ».

حدثني ابن عوف، قال: ثنا آدم، قال: ثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْتَرُ الَّذِي أُعْطَاكَ رَبِّكَ، فَأَهْوَى المَلَكُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ طِينَهُ مِسْكَاً أَذْفَرَ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ جِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ، فَإِذَا مِسْكَ أَذْفَرٌ قال: قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْتَرُ الَّذِي أُعْطَاكَ اللّهُ».

حدثنا ابن المشي، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا همام، قال: ثنا قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر نحو حديث يزيد، عن سعيد.

حدثنا بشر، قال: ثنا أحمد بن أبي سريح، قال: ثنا أبو أيوب العباس، قال: ثنا إبراهيم بن سعد، قال: ثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هُوَ نَهْرٌ أُعْطَانِيَهُ اللّهُ فِي الجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكَ أَيْضُ مَنْ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ العَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أُعْنَاقُهَا مِثْلُ أُعْنَاقِ الجُزْرِ»، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: «أَكَلُهَا نَاعِمٌ مِنْهَا».

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي، عن كثير، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ حِينَ عُرِجَ بِي، فَأُعْطِيتُ الكَوْتَرُ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، عُضَادَتَاهُ بِيُوتٌ مُجَوَّفَةٌ مِنْ لؤلؤ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ،

فقال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُرَيْرِ». قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة، قال: «أَكَلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا».

حدثنا يونس، قال: ثنا يحيى بن عبد الله، قال: ثني الليث، عن ابن الهاد، عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فذكر مثله.

حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن الزهري أن أخاه عبد الله، أخبره أن أنس بن مالك صاحب النبي ﷺ أخبره: أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: ما الكوثر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ، مَأْوَةٌ أْبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُرَيْرِ»، فقال عمر: إنها لناعمة يا رسول الله، فقال: «أَكَلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا».

فقال: عمر بن عثمان: قال ابن أبي أويس وحدثني أبي، عن ابن أخي الزهري، عن أبيه، عن أنس، عن النبي ﷺ في الكوثر، مثله.

حدثنا ابن المشني، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عطاء، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْكُوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالذَّرِّ، تَرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَأْوَةٌ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ».

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جببير في الكوثر؟ قلت: حَدَّثْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، فَقَالَ: صَدَقَ وَاللَّهِ، إِنَّهُ لِلْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَلَكِنْ حَدَّثْنَا ابْنُ عَمْرٍو، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثُرَ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكُوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى الذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «الْكُوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ»، قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ نَهْرًا حَافَتَاهُ اللَّوْلُؤُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثُرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ».

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، قال: أخبرنا حزام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً، فلم يجده، فسأل امرأته عنه، وكانت من بني النجار، فقالت: خرج، بأبي أنت أنفاً عامداً نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أولاً تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه خيساً، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئاً لك ومريثاً، لقد جئت وإني

لأريد أن آتيتك فأهنتيك وأمرتِك^(١) أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يُدعى الكوثر، فقال: «أجل، وعرضُهُ» يعني أرضه «بأقوت ومزجان وزبزجد ولؤلؤ».

وقوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» اختلف أهل التأويل في الصلاة التي أمر الله نبيه ﷺ أن يصليها بهذا الخطاب، ومعنى قوله: «وانحز» فقال بعضهم: حضه على المواظبة على الصلاة المكتوبة، وعلى الحفظ عليها في أوقاتها بقوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ».

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوتي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثني يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد، عن عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظهير، عن علي رضي الله عنه، في قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظبيان، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع اليد على اليد في الصلاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن حماد بن سلمة، عن عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظهير، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى، ثم وضعهما على صدره.

قال: ثنا مهران، عن حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن الشعبي، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن يزيد بن أبي زياد، عن عاصم الجحدري، عن عقبة بن ظهير، عن علي رضي الله عنه: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، يقال: ثنا عوف، عن أبي القموص، في قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع اليد على اليد في الصلاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو صالح الخراساني، قال: ثنا حماد، عن عاصم الجحدري، عن أبيه، عن عقبة بن ظبيان، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال في قول الله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» قال: وضع يده اليمنى على وسط ساعده الأيسر، ثم وضعهما على صدره.

(١) تريد: أقول لك: هناك الله وأمرأك، بما أعطاك من الكوثر.

وقال آخرون: بل عُني بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: الصلاة المكتوبة، وبقوله ﴿وَأَنْحَرْ﴾ أن يرفع يديه إلى النحر، عند افتتاح الصلاة والدخول فيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ الصلاة، وانحر: برفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح.

وقال آخرون: عُني بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ المكتوبة، وبقوله ﴿وَأَنْحَرْ﴾: نحر البُدن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم وهارون بن المُغيرة، عن عنبسة، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: الصلاة المكتوبة، ونحر البُدن.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير وحجاج، أنهما قالا في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: صلاة الغداة بجمع، ونحر البُدن بئس.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن قطر، عن عطاء: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: صلاة الفجر، وانحر البُدن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: الصلاة المكتوبة، والنحر: التُّسُكُ والذبح يوم الأضحى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: صلاة الفجر.

وقال آخرون: بل عُني بذلك: صلّ يوم النحر صلاة العيد، وانحر تُسُكَكَ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المُغيرة، عن عنبسة، عن جابر، عن أنس بن مالك، قال: كان النبي ﷺ ينحر قبل أن يصلي، فأمر أن يصلي ثم ينحر.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة: فصل الصلاة، وانحر التُّسُكُ.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن ثابت بن أبي صفية، عن أبي جعفر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ قال: الصلاة وقال عكرمة: الصلاة ونحر التُّسُكُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: إذا صليت يوم الأضحى فانحر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا قطر، قال: سألت عطاء، عن قوله: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: تصلي وتنحر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عوف، عن الحسن **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: اذبح.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبان بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: الذبح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: نحر البدن، والصلاة يوم النحر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: صلاة الأضحى، والنحر: نحر البدن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: مناحر البدن يميني.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: نحر النسك.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** يقول: اذبح يوم النحر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** قال: نحر البدن.

وقال آخرون: قيل ذلك للنبي ﷺ، لأن قوماً كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغيره فقيل له: اجعل صلاتك ونحرك لله، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** يقول: إن ناساً

كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي.

وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية يوم الحُدَيْبِيَّةِ، حين حُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه، وصدوا عن البيت، فأمره الله أن يصلي، وينحر البُذُن، وينصرف، ففعل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، قال: ثني أبو معاوية البَجَلِيّ، عن سعيد بن جُبَيْر أنه قال: كانت هذه الآية، يعني قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله ﷺ، فخطب خطبة الفطر والنحر^(١)، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البُذُن فنحرها، فذلك حين يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فصلّ وادع ربك وسله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاک ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ قال: صلّ لربك وسلّ.

وكان بعض أهل العربية يتأول قوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ واستقبل القبلة بنحرك. وذكر أنه سمع بعض العرب يقول: منازلهم تتناحر: أي هذا بنحر هذا: أي قبالة. وذكر أن بعض بني أسد أنشده:

أَبَا حَكَمٍ هَلْ أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الْأَبْطَحِ الْمُتَنَاجِرِ؟^(٢)
أي ينحر بعضه بعضاً.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر.

(١) لعله خطبة الفطر أو النحر، فإنه اختلف في الخروج إلى عمرة الحديبية هل كان في رمضان أو في ذي القعدة فيكون شكاً من الراوي.

(٢) البيت لبعض بني أسد. وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (٣٧٧) قال: وقوله: «فصل لربك وانحر» فصل لربك يوم القيامة: انحر. وبإسناده إلى علي قال فيها: النحر: أخذك شمالك بيمينك في الصلاة. ويقال فصل لربك وانحر: استقبل القبلة بنحرك. وسمعت بعض العرب يقول: منازلنا تناحر هذا: أي قبالة. وأنشد بعض بني أسد: «أبا حكم... البيت» فهذا من ذلك: ينحر بعضه بعضاً. اهـ. وفي (اللسان: نحر) والدار أن تتناحran: أي تتقابلان. وإذا استقبلت دار دار، قيل: هذه تنحر تلك. ثم نقل كلام الفراء والبيت.

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، فكان معلوماً بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر على الشكر له، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض، وجه، إذ كان حثاً على الشكر على النعم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاماً منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافاً لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان.

وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إن مُبْغَضَكَ يا محمد وعدوك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني بالابتتر: الأقل والأذل المنقطع دابره، الذي لا عَقِبَ له.

واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، فقال بعضهم: عُني به العاص بن وائل السهمي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يقول: عدوك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن هلال بن خباب، قال: سمعت سعيد بن جبيرة يقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يهران، عن سفيان، عن هلال، قال: سألت سعيد بن جبيرة، عن قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: عدوك العاص بن وائل ابتتر من قومه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: العاص بن وائل، قال: أنا شانيء محمد، ومن شأنه الناس فهو الأبتتر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل، قال: أنا شانيء محمد، وهو أبتتر، ليس له عَقِبٌ، قال الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال قتادة: الأبتتر: الحقيق الدقيق الذليل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ هذا العاص بن وائل، بلغنا أنه قال: أنا شانيء محمد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: الرجل يقول: إنما محمد أبتري، ليس له كما ترون عَقِبَ، قال الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وقال آخرون: بل عُني بذلك: عَقْبَةُ بن أبي مُعَيْط.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتري، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ عَقْبَةُ بن أبي مُعَيْط ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وقال آخرون: بل عُني بذلك جماعة من قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ قال: نزلت في كعب بن الأشرف، أتى مكة فقال له أهلها: نحن خير أم هذا الصنبر^(١) المنبتر من قومه، ونحن أهل الحجيج، وعندنا منحر البذن، قال: أنتم خير. فأنزل الله فيه هذه الآية، وأنزل في الذين قالوا للنبي ﷺ ما قالوا: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن بدر بن عثمان، عن عكرمة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. قال: لما أوحى إلى النبي ﷺ قالت قريش: بئتر محمد منا، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: الذي رماك بالبئتر هو الأبتري.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قديم كعب بن الأشرف مكة أتوه، فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبر المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم

(١) (في اللسان: صنبر): أصل الصنبر: سعفة تثبت في جذع النخلة، لا في الأرض، أو النخلة تبقى منفردة. ومراد كفار قريش بقولهم صنبر، أي أنه إذا قلع انقطع ذكره، كما يذهب أصل الصنبر، لأنه لا عقب له.

خير منه، فنزلت عليه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: وأنزلت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنْ الْكِتَابِ﴾... إلى قوله: نَصِيحاً.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مَبْغُضَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هو الْأَقْلُّ الْأَذَلُّ، المنقطع عقبه، فذلك صفة كلِّ من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

آخر تفسير سورة الكوثر

سورة الكافرون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَسْتَعِينُ عِبَادَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَّدتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَسْتَعِينُ عِبَادَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبيي الله ﷺ آلهتهم سنة، فأنزل الله مَعْرِفَهُ جوابهم في ذلك: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤَلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عِبَادَةَ آلِهِتِهِمْ سَنَةً، عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَكَ سَنَةً﴾ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ بِاللَّهِ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الْآنَ ﴿وَلَا أَتَشْتُمُ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الْآنَ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ فِيمَا أَسْتَقْبِلُ ﴿مَا عَبَّدتُمْ﴾ فِيمَا مَضَى ﴿وَلَا أَتَشْتُمُ عَابِدُونَ﴾ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ أَبَدًا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أَنَا الْآنَ، وَفِيمَا أَسْتَقْبِلُ. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْخُطَابَ مِنَ اللَّهِ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا، وَسَبَقَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ، فَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنَ الَّذِي طَمَعُوا فِيهِ، وَحَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ وَلَا مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَأَيَّسَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِيمَانِهِمْ، وَمَنْ أَنْ يَفْلَحُوا أَبَدًا، فَكَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يَفْلَحُوا وَلَمْ يَنْجِحُوا، إِلَى أَنْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ، وَهَلَكَ بَعْضٌ قَبْلَ ذَلِكَ كَافِرًا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: ثنا أبو خلف، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطنوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهمنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح، قال: «ما هي؟» قالوا: تعبد آلهمنا سنة: اللات والعزى، وتعبد إلهك سنة، قال: «حتى أنظر ما يأتي من عند ربِّي»، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ

أَعْبَدَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ... إلى قوله: ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني سعيد بن ميناء مولى البَحْثَرِيِّ^(١)، قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف، رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى انقضت السورة.

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: لكم دينكم فلا تتركوه أبداً، لأنه قد خُتِمَ عليكم، وقُضِيَ أن لا تنفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه، لا أتركه أبداً، لأنه قد مَضَى في سابق علم الله أني لا أتقل عنه إلى غيره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ قال: للمشركين قال: واليهود لا يعبدون إلا الله ولا يشركون، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء، وبما جاءوا به من عند الله، ويكفرون برسول الله، وبما جاء به من عند الله، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلماً وعدواناً، قال: إلا العصاة التي بقُوا، حتى خرج بختنصر، فقالوا: عَزِيزُ ابن الله، دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى، قالوا: المسيح ابن الله وعبدوه.

وكان بعض أهل العربية يقول: كَرَّرَ قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وما بعده على وجه التوكيد، كما قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، وكقوله: ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرْوُنَّهَا عَيْنَ الْبَاقِينَ﴾.

آخر تفسير سورة الكافرون

(١) في خلاصة الخزرجي: سعيد بن ميناء، بكسر الميم، ومد النون: مولى أبي ذباب... وثقه ابن معين وأبو حاتم.

(١١٠) سورة النصر مجيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جَل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش، والفتح: فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم، وقبائل نزار ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يقول: في دين الله الذي ابتعثك به، وطاعتك التي دعاهم إليها ﴿أَفْوَاجًا﴾، يعني: زُمراً، فوجاً فوجاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ما قلنا في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر حين فتح الله عليه ونصره.

حدثني إسماعيل بن موسى، قال: أخبرنا الحسين بن عيسى الحنفي، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عباس، قال: بينا رسول الله ﷺ بالمدينة، إذ قال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ»، قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ، الْإِيمَانُ يُمَانٌ، وَالْفِقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتَهَا إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتَحُ مَكَّةَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن المنثني، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر، عن عائشة، قالت: كان نبي الله ﷺ يُكثر قبل موته من قول سبحان الله ويحمده ثم ذكر نحوه.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد، عن داود، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ»، قالوا: يا نبي الله، وما أهل اليمن؟ قال: «رَقِيقَةٌ قَلُوبُهُمْ، لَيْتَنَّا طَبَّاعُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ». وأما قوله ﴿أَفْوَاجًا﴾ فقد تقدّم ذكره في معنى أفعال أهل التأويل. وقد:

حدثني الحارث، قال: ثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال: زُمرًا زُمرًا.

وقوله: ﴿فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على ما أنجز لك من وعده. فإنك حينئذٍ لاحق به، وذائق ما ذاق مَنْ قَبْلَكَ من رُسُلِهِ من الموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا ابن عباس ما تقول: قلت: مثل ضرب لمحمد ﷺ نُعيث إليه نفسه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدنيه، فقال له عبد الرحمن: إن لنا أبناء مثلّه، فقال عمر: إنه من حيث تعلم، قال: فسأله عمر عن قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة، فقال ابن عباس: أجله، أعلمه الله إياه، فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس، قال: قال عمر رضي الله عنه: ما هي؟ يعني ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال ابن عباس: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَاسْتَغْفِرُهُ﴾ إنك ميت ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما نعلم منها إلا ما قلت.

قال: ثنا مهران، عن سفيان عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ علم النبي أنه نُعِيَتْ إليه نفسه، فقبل له: إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، كَأَنِّي مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: ذلك حين نعى له نفسه يقول: إذا ﴿رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يعني إسلام الناس، يقول: فذاك حين حضر أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

حدثني أبو السائب وسعيد بن يحيى الأموي، قالوا: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» قالت: فقلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها؟ قال: «قَدْ جُعِلَتْ لِي عَلَامَةً فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُمَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ».

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قالت عائشة: ما سمعت رسول الله ﷺ منذ أنزلت عليه هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ لا يقول قبلها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يتأول القرآن.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن داود، عن الشعبي، قال داود: لا أعلمه إلا عن مسروق، وربما قال عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِر أن يقول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»، فقلت: إنك تُكثِر من هذا، فقال: «إِنَّ رَبِّي قَدْ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْعَلَامَةَ أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، وَأَسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ».

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا حفص، قال: ثنا عاصم، عن الشعبي، عن أم سلمة، قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده»، فقلت: يا رسول الله، إنك تُكثِر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده، قال: «إِنِّي أُمِرْتُ بِهَا»، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ كلها بالمدينة بعد فتح مكة، ودخولها الناس في الدين، يتعني إليه نفسه.

قال: ثنا جرير، عن مُعِينة، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية، قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ وَنُعِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ نَفْسُهُ، كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ كان النبي ﷺ مما يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ قرأها كلها قال ابن عباس: هذه السورة عَلَّمَ وَحَدَّ حَدَّهَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَنَعَى لَهُ نَفْسَهُ. أي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلاً. قال قتادة: والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلاً، سنتين، ثم توفي ﷺ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي معاذ عيسى بن أبي يزيد، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَضْرُ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ كان يُكثِر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التَّوَّابُ الْغَفُورُ».

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول

في قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: كانت هذه السورة آية لموت رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك.

وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يقول: وسله أن يغفر ذنوبك. ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾: يقول: إنه كان ذا رجوع لعبده، المطيع إلى ما يحب. والهاء من قوله «إنه» من ذكر الله عز وجل.

آخر تفسير سورة النصر

(١١١) سورة المسد مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ ﴿٢﴾ سَقَطَ ۙ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: خَسِرْتَ يدا أبي لهب، وخَسِرَ هو. وإنما عُنِيَ بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ تب عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: دعاء عليه من الله.

وأما قوله: ﴿وَتَبَّ﴾ فإنه خبر. ويُذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ﴾. وفي دخول «قد» فيه دلالة على أنه خبر، ويمثّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحاً وقد جعلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي خسرت وتب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال: التَّبُّ: الخسران، قال: قال أبو لهب للنبي ﷺ: ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: «كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ»، فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وَأَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تَبًّا لهذا من دين تَبًّا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ يقول: بما عملت أيديهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ قال: خَسِرْتَ يدا أبي لهب وخَسِرَ.

وقيل: إن هذه السورة نزلت في أبي لهب، لأن النبي ﷺ لما حَصَّ بالدعوة عشيرته، إذ نزل

عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وجمعهم للدعاء، قال له أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا؟ ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: «أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا وجمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن نُمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا ثم نادى: «يا صباحاه»، فاجتمع الناس إليه، فبين رجل يجيء، وبين آخر يبعث رسوله، فقال: «يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني... يا بني أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً يسفح هذا الجبل يريد تغير عليكم «صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ، حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف»، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جزبنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ﴾ كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ قال: حين أرسل النبي ﷺ إليه وإلى غيره، وكان أبو لهب عم النبي ﷺ، وكان اسمه عبد العزى، فذكرهم، فقال أبو لهب: تبا لك، في هذا أرسلت إلينا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يقول تعالى ذكره: أي شيء أغنى عنه ماله، ودفع

من سخط الله عليه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وهم ولده. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأوي لذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن داود بن محمد المنكدر، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خيثم، عن أبي الطفيل، قال: جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس، فقاموا يختصمون في البيت، فقام ابن عباس، فحجز بينهم، وقد كفّ بصره، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش، فغضب وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن محمد بن سفيان، عن رجل من بني مخزوم، عن ابن عباس أنه رأى يوماً ولد أبي لهب يقتلون، فجعل يحجز بينهم ويقول: هؤلاء مما كسب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قال: ما كسب ولده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قال: ولده هم من كسبه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قال: ولده.

وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ يقول: سيصلى أبو لهب ناراً ذات لهب.

وقوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يقول: سيصلى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب، ناراً ذات لهب.

واختلفت القرّاء في قراءة ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: «حَمَّالَةُ الْحَطَبِ» بالرفع، غير عبد الله بن أبي إسحاق، فإنه قرأ ذلك نصباً فيما ذكر لنا عنه.

واختلف فيه عن عاصم، فحكى عنه الرفع فيها والنصب، وكأنّ من رفع ذلك جعله من نعت المرأة، وجعل الرفع للمرأة ما تقدّم من الخبر، وهو «سيصلى»، وقد يجوز أن يكون رافعها الصفة، وذلك قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ وتكون «حَمَّالَةُ» نعتاً للمرأة. وأما النصب فيه فعلى

الذم، وقد يُحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة، لأن المرأة معرفة، وحمالة الحطب نكرة^(١).

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع، لأنه أفصح الكلامين فيه، ولإجماع الحجة من القرآء عليه.

واختلف أهل التأويل، في معنى قوله: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقال بعضهم: كانت تجيء بالشوك فتطرحة في طريق رسول الله ﷺ، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحة على طريق النبي ﷺ، ليعقره وأصحابه، ويقال: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾: نقالة للحديث.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد، أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾.

حدثني أبو هريرة الضُّبَيْعِي، محمد بن فراس، قال: ثنا أبو عامر، عن قُرَّة بن خالد، عن عطية الجدلي. في قوله: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تضع العِضَاء على طريق رسول الله ﷺ، فكانما يطأ به كثيراً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تحمل الشوك، فتلقيه على طريق نبي الله ﷺ ليعقره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تأتي بأغصان الشوك، فتطرُحُها بالليل في طريق رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: قيل لها ذلك: حمالة الحطب، لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتعيّر رسول الله ﷺ بالفقر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: قال أبو المعتمر: زعم محمد أن عكرمة قال: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾: كانت تمشي بالنميمة.

(١) لعله بقصه بقوله «وحمالة الحطب نكرة»: أنها إضافة لفظية لا معنوية، فهي في حكم النكرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾** قال: كانت تمشي بالنميمة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾** قال: النميمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾**: أي كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾** قال: كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة.

وقال بعضهم: كانت تُعَيِّرُ رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تَحْطِبُ فَعَبَّرَتْ بِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْطِبُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾** قال: كانت تمشي بالنميمة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن عيسى بن يزيد، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زيد، وكان ألزم شيء لمسروق، قال: لما نزلت: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾** بلغ امرأة أبي لهب أن النبي ﷺ يهجوك، قالت: علام يهجونني؟ هل رأيتموني كما قال محمد أحمل حطباً «في جيدها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ؟» فمكثت، ثم أتته، فقالت: إن ربك قلاك وودّعك، فأنزل الله: **﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**.

وقوله: **﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾** يقول: في عنقها والعرب تسمى العنق جيداً ومنه قول ذي الرمة:

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَلَوْ نُكِّ لَوْنُهَا وَجَيْدُكِ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ^(١)
وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ قال: في رقبتها.

وقوله: ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هي حبال تكون بمكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: هي حبال تكون بمكة ويقال: المَسَدُ: العصا التي تكون في البكرة، ويقال المَسَدُ: فلادة من ودع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: في قوله: ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد، وكانت تفتل وقال ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾: حبل من نار في رقبتها.

وقال آخرون: المَسَدُ: الليف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن يزيد، عن عروة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السدي، عن رجل يقال له يزيد، عن عروة بن الزبير ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن يزيد، عن عروة بن الزبير

(١) البيت لذي الرمة غيلان (ديوان ٤٩٥) وقد استشهد به المؤلف على أن العرب تسمى العنق جيداً، كما في بيت ذي الرمة. والعاطل: التي لا حلى عليها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً.

حدثنا أبو كُزَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: من حديد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: حبل في عنقها في النار مثل طوق، طوله سبعون ذراعاً.

وقال آخرون: الْمَسَدُ: الحديد الذي يكون في البكرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: الحديدة تكون في البكرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: عود البكرة من حديد.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: الحديدة للبكرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: قال أبو المعتمر: زعم محمد أن عكرمة قال: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ إنه الحديدة التي في وسط البكرة.

وقال آخرون: هو قِلادة من وَدَع في عنقها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: قِلادة من وَدَع.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قال: قِلادة من وَدَع.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبلٌ جُمع من أنواع مختلفة، ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا، ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول الراجز:

وَمَسَدٍ أَمْرٍ مِنْ أَيْزِقٍ صُهْبٍ عِتَاقٍ ذَاتِ مُخٍ زَاهِقٍ^(١)
 فجعل إمراره من شتى، وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب، أمرٌ من أشياء شتى،
 من ليف وحديد ولحاء، وجعل في عتقها طوقاً كالقلادة من ودع ومنه قول الأعشى:

تُمَسِّي فِيضْرِفُ بِأَبْهَا مِنْ دُونِنَا عَلَقًا صَرِيفًا مَحَالَّةَ الْأَمْسَادِ^(٢)
 يعني بالأمسَاد: جمع مسد، وهي الحبال.

آخر تفسير سورة تبث

(١) البيتان: لعمارة بن طارق وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد منلا بالآستانة) قال: «حبل من مسد»: من النار، والمسد عند العرب حبال تكون من ضروب. قال: «ومسد أمر... البيتين». وفي (اللسان: مسد) قال: المسد، بالتحريك: الليف. وقال ابن سيده: المسد: حبل من ليف، أو خوص، أو شعر، أو وبر، أو صوف، أو جلود الإبل، أو جلود، أو من أي شيء كان. قال: وقد يكون من جلود الإبل، أو من أوبارها. وأنشد الأصمعي لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: هو لعقبة الهجيمي:

فَأَعْجَلُ بِعَزْبٍ مِثْلَ عَزْبِ طَارِقِ
 وَمَسَدٍ أَمْرٍ مِنْ أَيْزِقِ
 لَيْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَسَقَائِقِ

قال: يقول ولو: عجل بدلو مثل طارق، ومسد فتل من أياتق. وأياتق: جمع أيتق، وأيتق جمع ناقة. والأنياب: جمع ناب، وهي الهرمة، والحقائق: جمع حقة (بالكسر) وهي التي دخلت في السنة الرابعة، وليس جلدها بالقوي. يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير، بل هو من جلد ثنية، أو رباعية، أو سدس، أو بازل؛ وخص به أبو عبيدة الحبل من الليف. وقيل: هو الحبل المضفور، المحكم القتل، من جميع ذلك. وقال الزجاج في قوله عز وجل ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾: جاء في التفسير: أنها سلسلة طولها سبعون ذراعاً، يسلك بها في النار. والجمع: أمساد، ومساد. (وانظر اللسان: مسد، ففيه أقوال كثيرة أخرى في الآية).

(٢) البيت من قصيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة في الفخر (ديوانه ١٢٩). وقبله مباشرة.

فَسَانَسَيْ خِيَالِكِ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وَسَادِي

قال الدكتور محمد حسين شارح الديوان: المنزل والمنزلة، مكان الإقامة. والصريف: صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور.

المحالة: البكرة. الأمساد: الحبال، جمع مسد (بفتحتين). يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها في المساء بصوت البكرة حين تدور على البئر). اهـ.

(١١٢) سورة الإخلاص مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَوْمَ تُولَدَ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب رب العزة، فأنزل الله هذا السورة جواباً لهم. وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأنزلت جواباً لهم.

ذكر من قال: أنزلت جواباً للمشركين الذين سألوه أن ينسب لهم الرب تبارك وتعالى.

حدثنا أحمد بن منيع المروزي ومحمود بن خدّاش الطالقاني، قالوا: ثنا أبو سعيد الصنعاني، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: قال المشركون للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الصَّمَدُ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال: إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الصَّمَدُ﴾ قال: قال ذلك قادة الأحزاب: انسب لنا ربك، فأنه جبريل بهذه.

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا شريح، قال: ثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال المشركون: انسب لنا ربك، فأنزل الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ذكر من قال: نزل ذلك من أجل مسألة اليهود:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي

﴿ حَتَّىٰ التَّقِيَعِ لُونَهُ ثُمَّ سَاوَرَهُمْ غَضِبًا لِرَبِّهِ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَكَّنَهُ، وَقَالَ: اخْفِضْ عَلَيْكَ جَنَاحَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَهُ مِنْ اللَّهِ جَوَابٌ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ. قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالُوا: صَف لَنَا رَيْكَ كَيْفَ خَلَقْتَهُ، وَكَيْفَ عَضُدَهُ، وَكَيْفَ ذِرَاعَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ، وَسَاوَرَهُمْ غَضِبًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، وَأَتَاهُ بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: انْسَبْ لَنَا رَيْكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ.

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا: قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ريك وصفته، ومن خلقه: الرب الذي سألتهموني عنه، هو الله الذي له عبادة كل شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، ولا تصلح لشيء سواه.

واختلف أهل العربية في الرفع ﴿أَحَدٌ﴾ فقال بعضهم: الرفع له «الله»، و«هو» عماد^(١)، بمنزلة الهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وقال آخر منهم: بل «هو» مرفوع، وإن كان نكرة بالاستئناف، كقوله: هذا بعلي شيخ، وقال: هو الله جواب لكلام قوم قالوا له: ما الذي تعبد؟ فقال: هو الله، ثم قيل له: فما هو؟ قال: هو أحد.

وقال آخرون ﴿أَحَدٌ﴾ بمعنى: واحد، وأنكر أن يكون العماد مستأنفاً به، حتى يكون قبله حرف من حروف الشك، كظن وأخواتها، وكان وذواتها، أو إن وما أشبهها، وهذا القول الثاني هو أشبه بمذاهب العربية.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿أَحَدَ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ بتنوين «أحد»، سوى نصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي إسحاق، فإنه روي عنهما ترك التنوين: «أحد الله» وكان من قرأ ذلك كذلك، قال: نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حذفت أحياناً، كما قال الشاعر:

كَيْفَ نُؤْمِي عَلَى الْفَرَاشِ وَلَمَّا تَشَمَلِ الشَّامَ غَارَةَ شِعْوَاءَ

(١) «العماد» في اصطلاح نحاة الكوفة: هو ما يسميه البصريون: «ضمير الفصل» وفي إعرابه خلاف بينهم.

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنِ بَيْتِهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءَ^(١)
يريد: عن خدام العقيلة.

والصواب في ذلك عندنا: التنوين، لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين، وأشهر الكلامين، وأجودهما عند العرب. والثاني: إجماع الحجة من قراءة الأمصار على اختيار التنوين فيه، ففي ذلك مُكْتَفَى عن الاستشهاد على صحته بغيره. وقد بيّنا معنى قوله «أحد» فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له الصمدُ. واختلف أهل التأويل في معنى الصمد، فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف، ولا يأكل ولا يشرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس، قال: الصمد: الذي ليس بأجوف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الصمد: المُصَمَّت الذي لا جوف له.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله سواء.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الصمد: المُصَمَّت الذي ليس له جوف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ووكيع، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الصمد: الذي لا جوف له.

(١) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر الإسلامي القرشي. وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصور الجامعة ٢٤٠٥٩) قال قد قرأت الفراء: «وقالت اليهود عزيز ابن الله» و«عزيز ابن الله» والتنوين أجود. أنشدني بعضهم:

لَسَّجِدُنِّي بِالْأَمِيرِ بَرًّا
وَبِالْقَنَاءِ مَسْأَمًا مَكْرًا
إِذَا غَطَّ نِيفَ السُّلَمِيِّ قَرًّا

وأنشدني آخر: «كيف نومي... البيتين»: والشاهد أن حذف التنوين من قوله غطيف السلمى، ومن قول ابن قيس «عن خدام العقيلة»، كما حذف التنوين من قراءة من قرأ «أحد الله الصمد» فلم ينون «أحد». والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات طبعة وينا سنة ١٩٠٢ ص ١٨٣ وفيه:

عن يسراها العقيلة العذراء

ولا شاهد فيه إذن.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران جميعاً، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا الربيع بن مسلم، عن الحسن، قال: الصَّمَدُ: الذي لا جوف له.

قال: ثنا الربيع بن مسلم، عن إبراهيم بن مسرة، قال: أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبیر أسأله عن الصمد، فقال: الذي لا جوف له.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: الصمدُ الذي لا يَطْعَمُ الطعام.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه قال: الصَّمَدُ: الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.

حدثنا أبو كُرَيْب وابن بشار، قالوا: ثنا وكيع، عن سلمة بن نُبَيْط، عن الضحاك، قال: الصمدُ: الذي لا جوف له.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن إسماعيل، عن عامر، قال: الصمدُ: الذي لا يأكل الطعام.

حدثنا ابن بشار وزيد بن أجزم، قالوا: ثنا ابن داود، عن المستقيم بن عبد الملك، عن سعيد بن المسيب قال: الصمدُ: الذي لا حِشْوَةٌ له.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الصمدُ: الذي لا جوف له.

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا محمد بن عمر بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، قال: ثنا صالح بن حيان، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لا أعلمه إلا قد رَفَعَهُ، قال: الصَّمَدُ الذي لا جوف له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن الربيع بن مسلم، قال: سمعت الحسن يقول: الصَّمَدُ: الذي لا جوف له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، قال: الصمدُ: الذي لا جوف له.

وقال آخرون: هو الذي لا يخرج منه شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، قال: سمعت عِكْرِمَةَ، قال في قوله: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لم يخرج منه شيء، ولم يلد، ولم يؤلد.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء محمد بن يوسف، عن عِكْرِمَةَ قال: الصَّمَدُ: الذي لا يخرج منه شيء.
وقال آخرون: هو الذي لم يلد ولم يؤلد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت.

حدثنا أحمد بن منيع ومحمود بن خدّاش قالوا: ثنا أبو سعيد الصنعاني، قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أنسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جل ثناؤه لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: ولم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثل شيء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب: الصَّمَدُ: الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.
وقال آخرون: هو السيد الذي قد انتهى سُودُّهُ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، قال: ﴿الصَّمَدُ﴾: هو السيد الذي قد انتهى سُودُّهُ.

حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى، قالوا: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: ﴿الصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى سُودُّهُ ولم يقل أبو كريب وابن عبد الأعلى سُودُّهُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل مثله.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الصَّمَدُ﴾ يقول: السيد الذي قد كمل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغنيّ الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسُؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له. وقال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ قال: كان الحسن وقاتدة يقولان: الباقي بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ﴿الصَّمَدُ﴾: الدائم.

قال أبو جعفر: الصَّمَدُ عند العرب: هو السيد الذي يُصمَدُ إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها ومنه قول الشاعر:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ^(١)
وقال الزبيرقان:

وَلَا رَهِيْنَةَ إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدٌ^(٢)

فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ولو كان حديث ابن بُريدة، عن أبيه صحيحاً، كان أولى الأقوال بالصحة، لأن رسول الله ﷺ أعلم بما عنى الله جل ثناؤه، وبما أنزل عليه.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يقول: ليس بفان، لأنه لا شيء يلد إلا هو فان بائد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول:

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد منلا بالآستانة): قال: الصمد: هو السيد يصمد (يقصد) ليس فوقه أحد. والعرب تسمى أشرافها، قال الأسدي: «لقد بكر الناعي... البيت».

(٢) هذا عجز بيت، نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد منلا بالآستانة ص ١٩٢) إلى الزبيرقان بن التميمي وأورده بعد الشاهد الذي قبله في تفسير الصمد من قوله تعالى «الله الصمد».

وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وُجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، ودائم لم يبد، ولا يزول ولا يفني.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولم يكن له شبيه ولا مثل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثل شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عمرو بن غيلان الثقفي، وكان أمير البصرة^(١)، عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: ليس كمثل شيء، فسبحان الله الواحد القهار.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن جريج ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾: مثل.

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الملك بن أبجر، عن طلحة، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: صاحبة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن ابن أبجر، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عبد الملك، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبجر، عن رجل عن مجاهد

(١) عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفي مختلف في صحبته، نزل الشام. وأخوه عبد الله من أمراء معاوية، قال المزني: لا تبعد صحبته.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: صاحبة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الملك بن أبجر، عن طلحة بن مصرف، عن مجاهد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: صاحبة.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عبد الملك، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

والكُفُوُ والكُفَىء والكِفَاء في كلام العرب واحد، وهو المِثْل والشُّبُه ومنه قول نابغة بني دُبَيان:

لَا تَقْدِفُنِّي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ وَلَوْ تَأْتَيْتُكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّقْدِ^(١)
يعني: لا كفاء له: لا مثل له.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿كُفُوًا﴾. فقرأ ذلك عامة قراء البصرة: ﴿كُفُوًا﴾ بضم الكاف والفاء. وقرأه بعض قراء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها «كُفُوءًا».

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان، فبأيهما قرأ القارىء فمصيب.

آخر تفسير سورة الإخلاص

(١) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البايي الحلبي وأولاده ١٥٤) قال شارحه: الكفاء: النظير والمثل. وتأنتفك الأعداء: صاروا حولك كالأنافى. والرفد: العصب من الناس. يريد: لا ترميني بما لا أطيق، ولا يقوم له أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤه، ولو أحاطوا بك متعاونين. وفي (اللسان: كفاً): وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: أربعة أوجه، القراءة منها ثلاثة: «كفوا» بضم الكاف والفاء و«كفاً» بضم الكاف، وإسكان الفاء، و«كفاً» بكسر الكاف، وسكون الفاء، وقد قرئ بهن. و«كفاء» بكسر الكاف والمد، ولم يقرأ بها. ومعناه: لم يكن أحد مثلاً لله تعالى ذكره. اهـ.

سورة الفلق، مكية (١١٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: أستجير برّب الفلق من شرّ ما خلق من الخلق.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلق، فقال بعضهم: هو سجن في جهنم يسمى هذا الاسم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله، عن حدثه عن ابن عباس قال: الفلق: سجن في جهنم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن رجل، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الْفَلَقِ﴾: سجن في جهنم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام بن عبد الجبار الجولاني، قال: قدّم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشام، قال: فنظر إلى دُور أهل الذمة، وما هم فيه من العيش والنضارة، وما وُسّع عليهم في دنياهم، قال: فقال: لا أبالك، أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم، إذ فتَحَ هَرَّ أهل النار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت السُدّي يقول: الفلق: جُبّ في جهنم.

حدثني علي بن حسن الأزدي، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن السُدّي، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السُدّي، مثله.

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: ثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، قال: ثنا نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الْفَلَقُ: جَبٌ فِي جَهَنَّمَ مَغْطَى».

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا نافع بن يزيد، قال: ثنا يحيى بن أبي أسيد، عن ابن عجلان، عن أبي عبيد، عن كعب، أنه دخل كنيسة فأعجبه حُسنها، فقال: أحسن عمل وأصل قوم، رضيت لكم الفلق، قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتِحَ صاح جميع أهل النار من شدة حرّه.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء جهنم.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت خيثم بن عبد الله يقول: سألت أبا عبد الرحمن الحبلي، عن الفلق، قال: هي جهنم.

وقال آخرون: الفلق: الصبح.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه. عن ابن عباس: «أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» قال: الفلق: الصُّبْحُ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا عوف، عن الحسن، في هذه الآية: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» قال: الفلق: الصبح.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سالم الأفظس، عن سعيد بن جبيرة، قال: الفلق الصبح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران جميعاً، عن سفيان، عن سالم الأفظس، عن سعيد بن جبيرة، مثله.

حدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبيرة، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: الفلق: الصبح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا الحسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا أبو صخر، عن القُرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ يقول: فالق الحب والنوى، قال: فالق الإصباح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قال: الصبح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قال: الفَلَقُ: فَلَاقُ النَّهَارِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: الفلق: فلق الصبح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قيل له: فَلَاقُ الصَّبْحِ، قال: نعم، وقرأ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾.

وقال آخرون: الفَلَقُ: الخلق، ومعنى الكلام: قل أعوذ برب الخلق.

نكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿الفلق﴾: يعني الخلق.

والصواب من القول في ذلك، أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر نبيه محمداً ﷺ أن يقول: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أبين من فلق الصبح، ومن فَرَقَ الصُّبْحِ. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَاقُ. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جل ثناؤه وضع دلالة على أنه عني بقوله ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ بعض ما يُدعى الفلق دون بعض، وكان الله تعالى ذكره رب كل ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنياً به كل ما اسمه الفَلَقُ، إذ كان رب جميع ذلك.

وقال جل ثناؤه: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شر كل شيء، إذ كان كل ما سواه، فهو ما خَلَقَ.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يقول: ومن شر مظلم إذا دخل، وهجم علينا بظلامه.

ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُني في هذه الآية، وأمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة منه، فقال بعضهم: هو الليل إذا أظلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: الليل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: أول الليل إذا أظلم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا أبو صخر، عن القرظي أنه كان يقول في: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يقول: النهار إذا دخل في الليل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل من أهل المدينة، عن محمد بن كعب ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وقب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿غَاسِقٍ﴾ قال: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ قال: إذا دخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: الليل إذا أقبل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: إذا جاء.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يقول: إذا أقبل.

وقال بعضهم: هو النهار إذا دخل في الليل، وقد ذكرناه قبل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل من أهل المدينة، عن محمد بن كعب القرظي ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وجب.

وقال آخرون: هو كوكب. وكان بعضهم يقول: ذلك الكوكب هو الثريا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا سليمان بن جبّان، عن أبي المَهْزَم، عن أبي هريرة في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: كوكب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها.

ولقائلي هذا القول علة من أثر عن النبي ﷺ، وهو ما:

حدثنا به نصر بن علي، قال: ثنا بكار بن عبد الله بن أخي همام، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: النجم الغاسق.

وقال آخرون: بل الغاسق إذا وقب: القمر، ورووا بذلك عن النبي ﷺ خبراً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع وحدثنا ابن سفيان، قال: ثنا أبي ويزيد بن هارون به.

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي، ثم نظر إلى القمر، ثم قال: «يا عائشة تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَهَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ»، وهذا لفظ حديث أبي كريب وابن وكيع. وأما ابن حميد، فإنه قال في حديثه: قالت أخذ النبي ﷺ بيدي، فقال: «أَتَذَرِينَ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن عائشة، عن النبي ﷺ نظر إلى القمر. فقال: «يا عائشة اسْتَعِيزِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ ﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وهو الذي يُظلم، يقال: قد غَسَقَ الليل يَغْسُقُ غَسوقاً: إذا أظلم. ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني: إذا دخل في ظلامه والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق، فإنه ﷺ كان يُؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب. وكان قتادة يقول في معنى وقب: ذهب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال:

إذا ذهب.

ولست أعرف ما قال قتادة في ذلك في كلام العرب، بل المعروف من كلامها من معنى
وقب: دخل.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يقول: ومن شرّ السواحر اللاتي ينفثن في عقْد
الخيط، حين يزيقن عليها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن
ابن عباس^(١): ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ قال: ما خالط السحر من الرقي.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ﴾ قال: السواحر والسحرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة: ﴿وَمِنْ شَرِّ
النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ قال: إياكم وما خالط السحر من هذه الرقي.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: ما من شيء أقرب إلى
الشرك من رقية المجانين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول إذا جاز
﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ قال: إياكم وما خالط السحر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة ﴿النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ﴾ قال: قال مجاهد: الرقي في عقْد الخيط وقال عكرمة: الأخذ في عقد الخيط.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ﴾ قال: النفثات: السواحر في العقْد.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أمر النبي ﷺ أن
يستعيد من شرّ حسده به، فقال بعضهم: ذلك كلّ حاسد أمر النبي ﷺ أن يستعيد من شرّ عينه
ونفسه.

(١) إلى هنا ينتهي الموجود من الجزء الأخرى من النسخة رقم ١٠٠ تفسير، المحفوظة بدار الكتب المصرية،

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** قال: من شرّ عينه ونفسه، وعن عطاء الخُراساني مثل ذلك. قال معمر: وسمعت ابن طاوُس يحدث عن أبيه، قال: العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ، سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلَ ^(١) أَحَدُكُمْ فَلْيُغْتَسِلْ.

وقال آخرون: بل أمر النبي ﷺ بهذه الآية أن يستعيذ من شرّ اليهود الذين حسدوه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** قال: يهود، لم يمنعم أن يؤمنوا به إلا حسدهم.

وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءاً.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** حاسداً دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك على عمومه.

آخر تفسير سورة الفلق

(١) في (النهاية لابن الأثير: غسل): أي إذا طلب من أصابته العين أن يغتسل من أصابه بعينه، فليجبه.

(١١٤) سورة الناس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد أستجير ﴿بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ﴾ وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم، وغير ذلك، إعلاماً منه بذلك مَنْ كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم، أنه مَلِكٌ من يعظمه، وأن ذلك في مُلكه وسلطانه، تجري عليه قُدرته، وأنه أولى بالتعظيم، وأحق بالتعبد له ممن يعظمه، ويتعبد له، من غيره من الناس.

وقوله: ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾ يقول: معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه.

وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ يعني: من شرّ الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس مرّة ويوسوس أخرى، وإنما يخنس فيما ذكر عند ذكر العبد ربه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن سفيان، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا عقل فذكر الله حنّس، وإذا غفل وسوس، قال: فذلك قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سفيان، عن ابن عباس، في قوله ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله حنّس.

قال: ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: ينسط، فإذا ذكر الله حنّس وانقبض، فإذا غفل انبسط.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان يكون على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قال: قال هو الشيطان، وهو الخَنَّاس أيضاً، إذا ذكر العبد ربه خنس، وهو يوسوس ويخنس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ يعني: الشيطان، يوسوس في صدر ابن آدم، ويخنس إذا ذكر الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن أبيه قال ذكر لي أن الشيطان، أو قال الوسواس، ينمّ في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذكر الله خنس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿الْخَنَّاسِ﴾ قال: الخناس الذي يوسوس مرّة، ويخنس مرّة من الجن والإنس، وكان يقال: شيطان الإنس أشدّ على الناس من شيطان الجنّ، شيطان الجنّ يوسوس ولا تراه، وهذا يُعابنك معاينة.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول في ذلك ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الذي يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس، حتى يُستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته، فإذا استجيب له إلى ذلك خنس.

ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قال: هو الشيطان يأمره، فإذا أطع خنس.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمداً ﷺ أن يستعيذ به من شرّ شيطان يوسوس مرّة ويخنس أخرى، ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها، ولا خنوسه على وجه دون وجه، وقد يوسوس الدعاء إلى معصية الله، فإذا أطع فيها خنس، وقد يوسوس بالتهني عن طاعة الله فإذا ذكر العبد أمر به، فأطاعه فيه، وعصى الشيطان خنس، فهو في كل حالته وسواس خَنَّاس، وهذه الصفة صفته.

وقوله: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ يعني بذلك: الشيطان الوسواس، الذي يوسوس في صدور الناس: جنهم وإنسهم.

فإن قال قائل: فالجنّ ناس، فيقال: الذي يوسوس في صدور الناس: من الجنة والناس. قيل: قد سماهم الله في هذا الموضع ناساً، كما سماهم في موضع آخر رجلاً، فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ

رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْمُدُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنَّةِ ﴿٦﴾، فجعل الجنّ رجالاً، وكذلك جعل منهم ناساً.

وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث، إذ جاء قوم من الجنّ فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجنّ، فجعل منهم ناساً، فكذلك ما في التنزيل من ذلك.

آخر كتاب التفسير، والحمد لله العليّ الكبير

محتوى الجزء الثلاثون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	عم يتساءلون	٥	٢٥	إلا حميماً وغساقاً	١٤
٢	عن النبأ العظيم	٥	٢٦	جزاءً وفاقاً	٢١
٣	الذي هم فيه مختلفون	٥	٢٧	إنهم كانوا لا يرجون حساباً	٢١
٤	كلا سيعلمون	٥	٢٨	وكذبوا بآياتنا كذاباً	٢١
٥	ثم كلا سيعلمون	٥	٢٩	وكل شيء أحصيناه كتاباً	٢١
٦	ألم نجعل الأرض مهاداً	٧	٣٠	فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً	٢١
٧	والجبال أوتاداً	٧	٣١	إن للمتقين مفازاً	٢٤
٨	وخلقناكم أزواجاً	٧	٣٢	حدائق وأعناباً	٢٤
٩	وجعلنا نومكم سباتاً	٧	٣٣	وكواعب أتراباً	٢٤
١٠	وجعلنا الليل لباساً	٧	٣٤	وكأساً دهاقاً	٢٤
١١	وجعلنا النهار معاشاً	٧	٣٥	لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ...	٢٤
١٢	وبيننا فوقكم سبعاً شداداً	٨	٣٦	جزاء من ربك عطاء حساباً	٢٨
١٣	وجعلنا سراجاً وهاجاً	٨	٣٧	رب السموات والأرض وما	
١٤	وأنزّلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ..	٨		بينهما	٢٨
١٥	لنخرج به حباً ونباتاً	١١	٣٨	يوم يقوم الروح والملائكة	٢٨
١٦	وجنات ألفافاً	١١	٣٩	ذلك اليوم الحق، فمن شاء اتخذ	٣٣
١٧	إن يوم الفصل كان ميقاتاً	١١	٤٠	إننا أنذرناكم عذاباً قريباً	٣٣
١٨	يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً	١١			
١٩	وفتحت السماء فكانت أبواباً	١١	١	والنازعات غرقاً	٣٦
٢٠	وسيرت الجبال فكانت سراباً	١١	٢	والماشطات نشطاً	٣٦
٢١	إن جهنم كانت مرصاداً	١٤	٣	والسابحات سبحاً	٣٦
٢٢	للطاغين مآباً	١٤	٤	السابقات سبقاً	٣٦
٢٣	لا يشين فيها أحقاباً	١٤	٥	فالمديرات أمراً	٣٦
٢٤	لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً	١٤	٦	يوم ترجف الراجفة	٣٦

تفسير سورة النازعات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	تتبعها الرادفة	٣٦	٣٦	ويرزت الجحيم لمن يرى	٦٠
٨	قلوب يومئذٍ واجفة	٣٦	٣٧	فأما من طغى	٦١
٩	أبصارها خاشعة	٣٦	٣٨	وأثر الحياة الدنيا	٦١
١٠	يقولون أننا لمرودون في الحافرة	٤٤	٣٩	فإن الجحيم هي المأوى	٦١
١١	أئنذا كنا عظاماً نخرة	٤٤	٤٠	وأما من خاف مقام ربه	٦١
١٢	قالوا تلك إذا كرة خاسرة	٤٤	٤١	فإن الجنة هي المأوى	٦١
١٣	فإنما هي زجرة واحدة	٤٤	٤٢	يسألونك عن الساعة	٦٢
١٤	فإذا هم بالساهرة	٤٤	٤٣	فيم أنت من ذاكرها	٦٢
١٥	هل أتاك حديث موسى	٥٠	٤٤	إلى ربك منهاها	٦٢
١٦	إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى .	٥٠	٤٥	إنما أنت منذر من يخشاها	٦٢
١٧	اذهب إلى فرعون إنه طغى	٥٠	٤٦	كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا	
١٨	فقل لك هل إلى أن تزكى	٥٠		عشية	٦٢
١٩	وأهديك إلى ربك فتحشى	٥١			
٢٠	فأراه الآية الكبرى	٥١			
٢١	فكذب وعصى	٥١			
٢٢	ثم أدبر يسعى	٥١			
٢٣	فحشر فنادى	٥١			
٢٤	فقال أنا ربكم الأعلى	٥١			
٥٢	فأخذخ الله نكال الآخرة والأولى .	٥٣			
٢٦	إن في ذلك لعبرة لمن يخشى	٥٣			
٢٧	أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها	٥٣			
٢٨	رفع سمكها فسواها	٥٣			
٢٩	وأغطش ليلها وأخرج ضحاها	٥٦			
٣٠	والأرض بعد ذلك دحاها	٥٦			
٣١	أخرج منها ماءها ومرعاها	٥٦			
٣٢	والجبال أرساها	٥٦			
٣٣	متاعاً لكم ولأنعامكم	٦٠			
٣٤	فإذا جاءت الطامة الكبرى	٦٠			
٣٥	يوم يتذكر الإنسان ما سعى	٦٠			
تفسير سورة عبس					
٦٤	عبس وتولى	١			
٦٤	أن جاءه الأعمى	٢			
٦٤	وما يدريك لعله يزكى	٣			
٦٤	أو يذكر فتنفعه الذكرى	٤			
٦٦	أما من استغنى	٥			
٦٦	فأنت له تصدى	٦			
٦٦	وما عليك ألا يزكى	٧			
٦٦	وأما من جاءك يسعى	٨			
٦٦	وهو يخشى	٩			
٦٦	فأنت عنه تلهى	١٠			
٦٧	كلا إنها تذكرة	١١			
٦٧	فمن شاء ذكره	١٢			
٦٧	في صحف مكرمة	١٣			
٦٧	مرفوعة مطهرة	١٤			
٦٧	بأيدي سفرة	١٥			
٦٧	كرام بررة	١٦			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٧	قتل الإنسان ما أكفره	٦٧	٣	وإذا الجبال سيرت	٨٠
١٨	من أي شيء خلقه	٦٩	٤	وإذا العشار عطلت	٨٠
١٩	من نطفة خلقه فقدّره	٦٩	٥	وإذا الوحوش حشرت	٨٤
٢٠	ثم السبيل يسره	٦٩	٦	وإذا البحار سجرت	٨٤
٢١	ثم أماته فأقبره	٦٩	٧	وإذا النفوس زوجت	٨٤
٢٢	ثم إذا شاء أنشره	٦٩	٨	وإذا المؤودة ستلت	٨٤
٢٣	كلا لما يقض ما أمره	٦٩	٩	بأي ذنب قتلت	٨٤
٢٤	فلينظر الإنسان إلى طعامه	٧١	١٠	وإذا الصحف نشرت	٨٤
٢٥	أنا صببنا الماء صباً	٧١	١١	وإذا السماء كُشِطت	٩٢
٢٦	ثم شققنا الأرض شققاً	٧١	١٢	وإذا الجحيم سعرت	٩٢
٢٧	فأنبتنا فيها حباً	٧١	١٣	وإذا الجنة أزلقت	٩٢
٢٨	وعنباً وقضباً	٧١	١٤	علمت نفس ما أحضرت	٩٢
٢٩	وزيتوناً ونخلاً	٧١	١٥	فلا أقسم بالْحُتِّسِّ	٩٢
٣٠	وحدائق غلبا	٧١	١٦	الجوار الكُتِّسِّ	٩٢
٣١	وفاكهة وأباً	٧٤	١٧	والليل إذا عسعس	٩٧
٣٢	متاعاً لكم ولأنعامكم	٧٤	١٨	والصبح إذا تنفس	٩٧
٣٣	فإذا جاءت الصاخة	٧٤	١٩	إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	٩٧
٣٤	يوم يفِرُّ المرء من أخيه	٧٤	٢٠	ذي قَوْرةٍ عند ذي العرش مكيمٍ	٩٧
٣٥	وأمه وأبيه	٧٤	٢١	مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ	١٠٠
٣٦	وصاحبته وبنيه	٧٤	٢٢	وما صاحبكم بمجنون	١٠٠
٣٧	لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه	٧٤	٢٣	ولقد رآه بالأفق المبين	١٠٠
٣٨	وجوه يومئذٍ مسفرة	٧٤	٢٤	وما هو على الغيب بضنين	١٠٠
٣٩	ضاحكة مستبشرة	٧٤	٢٥	وما هو بقول شيطانٍ رجيمٍ	١٠٠
٤٠	ووجوه يومئذٍ عليها غبرة	٧٤	٢٦	فأين تذهبون	١٠٠
٤١	ترهقها قفرة	٧٤	٢٧	إن هو إلا ذكر للعالمين	١٠٥
٤٢	أولئك هم الكفرة الفجرة	٧٤	٢٨	لمن شاء منكم أن يستقيم	١٠٥
			٢٩	وما تشاؤون إلا أن يشاء الله	١٠٥

تفسير سورة الشمس

١	إذا الشمس كورت	٨٠
٢	وإذا النجوم انكدرت	٨٠

تفسير سورة الإنفطار

١٠٧	إذا السماء انفطرت	١
-----	-------------------------	---

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	وإذا الكواكب انتشرت	١٠٧	١٠	ويل يومئذ للمكذبين	١١٧
٣	وإذا البحار فجرت	١٠٧	١١	الذين يكذبون بيوم الدين	١١٧
٤	وإذا القبور بُعثت	١٠٧	١٢	وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ...	١٢٠
٥	علمت نفس ما قدمت وأخرت	١٠٧	١٣	إذا تتلى عليه آياتنا	١٢٠
٦	يا أيها الإنسان ما غرّك بربك		١٤	كلا بل ران على قلوبهم	١٢٠
	الكريم	١٠٩	١٥	كلا إنهم عن ربهم يومئذ	
٧	الذي خلقك فسواك فعدلك	١٠٩		لمحججبون	١٢٣
٨	في أي صورة ما شاء ركبك	١٠٩	١٦	ثم إنهم لصالوا الجحيم	١٢٣
٩	كلا بل تكذبون بالدين	١١٠	١٧	ثم يقال هذا الذي كنتم به	
١٠	وإن عليكم لحافظين	١١٠		تكذبون	١٢٣
١١	كراماً كاتبين	١١٠	١٨	كلا إن كتاب أوبرار لفي عليين ...	١٢٤
١٢	يعلمون ما تفعلون	١١٠	١٩	وما أدراك ما عليون	١٢٤
١٣	إن الأبرار لفي نعيم	١١٠	٢٠	كتاب مرقوم	١٢٤
١٤	وإن الفجار لفي جحيم	١١١	٢١	يشهده المقرّبون	١٢٤
١٥	يصلونها يوم الدين	١١١	٢٢	إن الأبرار لفي نعيم	١٢٤
١٦	وما هم عنها بغائبين	١١١	٢٣	على الأرائك ينظرون	١٢٨
١٧	وما أدراك ما يوم الدين	١١١	٢٤	تعرف في وجوههم نضرة النعيم .	١٢٨
١٨	ثم ما أدراك ما يوم الدين	١١١	٢٥	يسقون من رحيق مختوم	١٢٨
١٩	يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً	١١١	٢٦	ختامه مسك	١٢٨
	تفسير سورة المطففين		٢٧	ومزاجه من تسنيم	١٣٣
١	ويل للمطففين	١١٣	٢٨	عيناً يشرب بها المقرّبون	١٣٣
٢	الذين إذا اکتالوا على الناس	١١٣	٢٩	إن الذين أجرموا	١٣٣
٣	وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون	١١٣	٣٠	وإذا مروا بهم يتغامزون	١٣٦
٤	ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون	١١٣	٣١	وإذا انقلبوا إلى أهلهم	١٣٦
٥	ليوم عظيم	١١٣	٣٢	وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء	
٦	يوم يقوم الناس لرب العالمين	١١٣		لضالون	١٣٦
٧	كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ..	١١٧	٣٣	وما أرسلوا عليهم حافظين	١٣٦
٨	وما أدراك ما سجين	١١٧	٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار	
٩	كتاب مرقوم	١١٧		يضحكون	١٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٥	على اورائك ينظرون	١٣٦	٢٥	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٥٤
٣٦	هل تُؤب الكفار ما كانوا يفعلون ..	١٣٧	تفسير البروج		
تفسير سورة الإنشقاق					
١	إذا السماء انشقت	١٣٩	١	والسما ذات البروج	١٥٦
٢	وأذنت لربها وحُتَّت	١٣٩	٢	واليوم الموعود	١٥٦
٣	وإذا اورض مدَّت	١٣٩	٣	وشاهد ومشهود	١٥٦
٤	وألقت ما فيها وتخلت	١٣٩	٤	فُتِل أصحاب الأخدود	١٥٦
٥	وأذنت لربها وحُتَّت	١٣٩	٥	النار ذات الوقود	١٥٦
٦	يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك	١٤٢	٦	إذ هم عليها قعود	١٦٥
٧	فأما من أوتي كتابه بيمينه	١٤٢	٧	وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود	١٦٥
٨	فسوف يحاسب حساباً يسيراً	١٤٢	٨	وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله الذي له ملك السموات والأرض	١٦٦
٩	وينقلب إلى أهله مسروراً	١٤٢	٩	إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات	١٦٦
١٠	وأما من أوتي كتابه وراء ظهره	١٤٤	١٠	والمؤمنات	١٦٦
١١	فسوف يدعو ثبوراً	١٤٤	١١	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٦٧
١٢	ويصلى سعيراً	١٤٤	١٢	إنَّ بطش ربك لشديد	١٦٧
١٣	إنه كان في أهله مسروراً	١٤٤	١٣	إنه هو يُبدىء ويُعيد	١٦٨
١٤	إنه ظن أن لن يحورَ	١٤٤	١٤	وهو الغفور الودود	١٦٨
١٥	بلى إن ربه كان به بصيراً	١٤٤	١٥	ذو العرش المجيد	١٦٨
١٦	فلا أقسم بالشفق	١٤٦	١٦	فعال لما يريد	١٦٨
١٧	والليل وما وسق	١٤٦	١٧	هل أتاك حديث الجنود	١٦٨
١٨	والقمر إذا اتسق	١٤٦	١٨	فرعون وثمود	١٦٨
١٩	لتركبن طبقاً عن طبق	١٤٦	١٩	بل الذين كفروا في تكذيب	١٧٠
٢٠	فما لهم لا يؤمنون	١٤٦	٢٠	والله من ورائهم محيط	١٧٠
٢١	وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون	١٤٦	٢١	بل هو قرآن مجيد	١٧٠
٢٢	بل الذين كفروا يكذبون	١٥٤	٢٢	في لوح محفوظ	١٧٠
٢٣	والله أعلم بما يُوعون	١٥٤	تفسير سورة الطارق		
٢٤	فبشرهم بعذاب أليم	١٥٤	١	والسما والطارق	١٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	وما أدراك ما الطارق	١٧٢	١٢	الذي يصلى النار الكبرى	١٨٨
٣	النجم الثاقب	١٧٢	١٣	ثم لا يموت فيها ولا يحيا	١٨٨
٤	إن كل نفس لئما عليها حافظ	١٧٢	١٤	قد أفلح من تزكى	١٨٩
٥	فلينظر الإنسان مم خلق	١٧٢	١٥	وذكر اسم ربه فصلى	١٨٩
٦	خلق من ماء دافق	١٧٢	١٦	بل تؤثرون الحياة الدنيا	١٨٩
٧	يخرج من بين الصلب والترائب	١٧٢	١٧	والآخرة خير وأبقى	١٨٩
٨	إنه على رجهه لقادر	١٧٢	١٨	إن هذا لفي الصحف الأولى	١٨٩
٩	يوم تبلى السرائر	١٧٢	١٩	صحف إبراهيم وموسى	١٨٩
١٠	فما له من قوة ولا ناصر	١٧٢	تفسير سورة الغاشية		
١١	والسماء ذات الرُّجج	١٧٩	١	هل أتاك حديث الغاشية	١٩٤
١٢	والأرض ذات الصدع	١٧٩	٢	وجوه يومئذ خاشعة	١٩٤
١٣	إنه لقول فصل	١٧٩	٣	عاملة ناصبة	١٩٤
١٤	وما هو بالهزل	١٧٩	٤	تصلى ناراً حامية	١٩٤
١٥	إنهم يكيدون كيداً	١٧٩	٥	تسقى من عين آنية	١٩٤
١٦	وأكيد كيداً	١٧٩	٦	ليس لهم طعام إلا من ضريع	١٩٤
١٧	فمهل الكافرين أمهلهم رويدا	١٧٩	٧	لا يُسمن ولا يُغني من جوع	١٩٤
			٨	وجوه يومئذ ناعمة	١٩٨
			تفسير سورة الأعلى		
١	سبح اسم ربك الأعلى	١٨٤	٩	اسعياها راضية	١٩٨
٢	الذي خلق فسوى	١٨٤	١٠	في جنة عالية	١٩٨
٣	والذي قدر فهدى	١٨٤	١١	لا تسمع فيها لاغية	١٩٨
٤	والذي أخرج المرعى	١٨٤	١٢	فيها عين جارية	١٩٨
٥	فجعله غثاء أحوى	١٨٤	١٣	فيها سرر مرفوعة	١٩٨
٦	سَتَقَرُّكَ فَلَ تَنْسَى	١٨٤	١٤	وأكواب موضوعة	١٩٨
٧	إلا ما شاء الله، إنه يعلم الجهر		١٥	ونمارق مصفوفة	١٩٨
	وما يخفى	١٨٤	١٦	وزرابي مبثوثة	١٩٨
٨	وَيُسِّرْكَ لِلْيَسْرَى	١٨٨	١٧	أفلا ينظرون إلى الإبل	٢٠٠
٩	فذكر إن نفعت الذكرى	١٨٨	١٨	وإلى السماء كيف رفعت	٢٠٠
١٠	سيذكركم من يخشى	١٨٨	١٩	وإلى الجبال كيف نصبت	٢٠٠
١١	ويتجنبها الأشقى	١٨٨	٢٠	وإلى الأرض كيف سطحت	٢٠٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	فذكر إنما أنت مذكر	٢٠١	٢٣	وجيء يومئذ بجهنم	٢٢٣
٢٢	لست عليهم بمصيطر	٢٠١	٢٤	يقول يا ليتني قدمت لحياتي	٢٢٨
٢٣	إلا من تولى وكفر	٢٠١	٢٥	فيومئذ لا يعذب عذابه أحد	٢٢٨
٢٤	فيعذبه الله العذاب الأكبر	٢٠١	٢٦	ولا يؤثق وثاقه أحد	٢٢٨
٢٥	إن إلينا إيابهم	٢٠١	٢٧	يا أيها النفس المطمئنة	٢٢٨
٢٦	ثم إن علينا حسابهم	٢٠١	٢٨	ارجعي إلى ربك راضية مرضية	٢٢٨
			٢٩	فادخلي في عبادي	٢٢٨
			٣٠	وادخلي جنتي	٢٢٨
تفسير سورة الفجر					
١	والفجر	٢٠٤			
٢	وليال عشر	٢٠٤			
٣	والشفع والوتر	٢٠٤	١	لا أقسم بهذا البلد	٢٣٤
٤	والليل إذا يسر	٢٠٤	٢	وأنت جل بهذا البلد	٢٣٤
٥	هل في ذلك قسم لذي حجر	٢٠٤	٣	ووالد وما ولد	٢٣٤
٦	ألم تر كيف فعل ربك بعاد	٢١٢	٤	لقد خلقنا الإنسان في كبد	٢٣٤
٧	إرّم ذات العماد	٢١٢	٥	أحسب أن لن يقدر عليه أحد	٢٣٤
٨	التي لم يُخلق مثلها في البلاد	٢١٢	٦	يقول أهلكت مالا لبدا	٢٣٤
٩	وثمود الذين جابوا الصخر بالواد	٢١٢	٧	أحسب أن لم يره أحد	٢٣٤
١٠	وفرعون ذي الأوتاد	٢١٢	٨	ألم نجعل له عينين	٢٤١
١١	الذين طغوا في البلاد	٢١٢	٩	ولساناً وشفقتين	٢٤١
١٢	فأكثر فيها الفساد	٢١٩	١٠	وهديناه للتجدين	٢٤١
١٣	فصب عليهم ربك سوط عذاب	٢١٩	١١	فلا اقتحم العقبة	٢٤١
١٤	إن ربك لبالمرصاد	٢١٩	١٢	وما أدراك ما العقبة	٢٤١
١٥	فأما الإنسان إذ ما ابتلاه ربه	٢١٩	١٣	فك رقبة	٢٤١
١٦	وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه	٢٢٠	١٤	أو إطعام في يوم ذي مسغبة	٢٤١
١٧	كلاً بل لا تكرمون اليتيم	٢٢٠	١٥	يتيماً ذا مقربة	٢٤١
١٨	ولا تحضون على طعام المسكين	٢٢٠	١٦	أو مسكيناً ذا متربة	٢٤١
١٩	وتأكلون الثراث أكلاً لئماً	٢٢٠	١٧	ثم كان من الذين آمنوا	٢٥٠
٢٠	وتحبون المال حباف جما	٢٢٣	١٨	أولئك أصحاب الميمنة	٢٥٠
٢٢١	كلا إذا دُكت الأرض دكا دكاً	٢٢٣	١٩	والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب	٢٥٠
٢٢	وجاء ربك والملك صفاً صفاً	٢٢٣	٢٠	عليهم نار مؤصدة	٢٥٠

تفسير سورة البلد

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الشمس				
١	والشمس وضحاها	٢٥٢	١٢	إن علينا للهدى	٢٧٢
٢	والقمر إذا تلاها	٢٥٢	١٣	وإن لنا للآخرة والأولى	٢٧٢
٣	والنهار إذا جلاها	٢٥٢	١٤	فأنذرتكم ناراً تلظى	٢٧٢
٤	والليل إذا يغشاها	٢٥٢	١٥	لا يضلها إلا الأشقى	٢٧٢
٥	والسماء وما بناها	٢٥٢	١٦	الذي كذب وتولى	٢٧٢
٦	وأورض وما طحاها	٢٥٢	١٧	وسيجنبها الأتقى	٢٧٢
٧	ونفس وما سواها	٢٥٢	١٨	الذي يُؤتى ماله يترزى	٢٧٢
٨	فألهمها فجورها وتقواها	٢٥٢	١٩	وما لأحد عنده من نعمة تُجرى ..	٢٧٥
٩	قد أفلح من زكَّأها	٢٥٦	٢٠	إلا ابتغاء وجه ربك الأعلى	٢٧٥
١٠	وقد خاب من دساها	٢٥٦	٢١	ولسوف يرضى	٢٧٥
١١	كذبت ثمودٌ بطغواها	٢٥٦	تفسير سورة الضحى		
١٢	إذا انبعث أشقاها	٢٥٦	١	والضحى	٢٧٧
١٣	فقال لهم رسول الله ناقة الله	٢٥٦	٢	والليل إذا سجى	٢٧٧
١٤	فكذبوه ففقروها	٢٥٦	٣	ما ودَّعك ربك وما قلى	٢٧٧
١٥	ولا يخاف عُقباها	٢٥٦	٤	وللآخرة خير لك من الأولى	٢٧٧
	تفسير سورة الليل				
١	والليل إذا يغشى	٢٦٣	٥	ولسوف يعطيك ربك فترضى	٢٧٧
٢	والنهار إذا تجلى	٢٦٣	٦	ألم يجدك يتيماً فأوى	٢٧٧
٣	وما خلق الذكر والأنثى	٢٦٣	٧	ووجدك ضالاً فهدى	٢٧٧
٤	إن سعيكم لشتى	٢٦٣	٨	ووجدك عائلاً فأغنى	٢٧٧
٥	فأما من أعطى واتقى	٢٦٣	٩	فأما اليتيم فلا تقهر	٢٨٢
٦	وصدق بالحسنى	٢٦٣	١٠	وأما السائل فلا تنهر	٢٨٢
٧	فستيسره لليسرى	٢٦٣	١١	وأما بنعمة ربك فحدث	٢٨٢
٨	وأما من بخل واستغنى	٢٦٣	تفسير سورة الشرح		
٩	وكذب بالحسنى	٢٦٣	١	ألم نشرح لك صدرك	٢٨٤
١٠	فستيسره لليسرى	٢٦٣	٢	ووضعنا عنك وزرك	٢٨٤
١١	وما يغنى عنه ماله إذا تردى	٢٧٢	٣	الذي أنقض ظهرك	٢٨٤
			٤	ورفعنا لك ذكرك	٢٨٤
			٥	فإن مع العسر يسرا	٢٨٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	٣٢١			
٨	ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره	٣٢١			
	تفسير سورة التكاثر				
١	ألهاكم التكاثر	٣٤٤	١	حتى زرتم المقابر	٣٤٤
٢	حتى زرتم المقابر	٣٤٤	٢	كلا سوف تعلمون	٣٤٤
٣	كلا سوف تعلمون	٣٤٤	٣	ثم كلا سوف تعلمون	٣٤٤
٤	ثم كلا سوف تعلمون	٣٤٤	٤	كلا لو تعلمون علم اليقين	٣٤٤
٥	كلا لو تعلمون علم اليقين	٣٤٤	٥	لتزوّن الجحيم	٣٤٤
٦	لتزوّن الجحيم	٣٤٤	٦	ثم لتزوّنها عين اليقين	٣٤٤
٧	ثم لتزوّنها عين اليقين	٣٤٤	٧	ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	٣٤٤
٨	ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	٣٤٤	٨		
	تفسير سورة العصر				
١	والعصر	٣٥١	١	إن الإنسان لفي خسر	٣٥١
٢	إن الإنسان لفي خسر	٣٥١	٢	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٣٥١
٣	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٣٥١	٣		
	تفسير سورة الهمة				
١	ويل لكل هُمزة لُمزة	٣٥٤	١	الذي جمع مالا وعدده	٣٥٤
٢	الذي جمع مالا وعدده	٣٥٤	٢	كلا ليتبدّل في الحطمة	٣٥٤
٣	كلا ليتبدّل في الحطمة	٣٥٤	٣	وما أدراك ما الحطمة	٣٥٤
٤	وما أدراك ما الحطمة	٣٥٤	٤	نار الله الموقدة	٣٥٤
٥	نار الله الموقدة	٣٥٤	٥	التي تطلّع على الأفتدة	٣٥٤
٦	التي تطلّع على الأفتدة	٣٥٤	٦	إنها عليهم مؤصدة	٣٥٤
٧	إنها عليهم مؤصدة	٣٥٤	٧	في عمد ممددة	٣٥٤
٨	في عمد ممددة	٣٥٤	٨		
	تفسير سورة الفيل				
١	ألم تر كيف فعل ريك بأصحاب	٣٦٠	١	الفيل	٣٦٠
٢	الفيل	٣٦٠	٢	ألم يجعل كيدهم في تضليل	٣٦٠
	تفسير سورة القارعة				
١	القارعة	٣٤٠	١	ما القارعة	٣٤٠
٢	ما القارعة	٣٤٠	٢	وما أدراك ما القارعة	٣٤٠
٣	وما أدراك ما القارعة	٣٤٠	٣	يوم يكون الناس كالفراش	٣٤٠
٤	يوم يكون الناس كالفراش	٣٤٠	٤	المبثوث	٣٤٠
٥	المبثوث	٣٤٠	٥	وتكون الجبال كالعهن المنفوش	٣٤٠
٦	وتكون الجبال كالعهن المنفوش	٣٤٠	٦	فأما من ثقلت موازينه	٣٤٠
٧	فأما من ثقلت موازينه	٣٤٠	٧	فهو في عيشة راضية	٣٤٠
٨	فهو في عيشة راضية	٣٤٠	٨	وأما من خفت موازينه	٣٤٠
٩	وأما من خفت موازينه	٣٤٠	٩	فأمه هاوية	٣٤٠
١٠	فأمه هاوية	٣٤٠	١٠	وما أدراك ما هية	٣٤٠
١١	وما أدراك ما هية	٣٤٠	١١	نار حامية	٣٤٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وأرسل عليهم طيراً أبابيل	٣٦٠	٦	لكم دينكم ولي دين	٤٠٣
٤	ترميمهم بحجارة من سجيل	٣٦٠	تفسير سورة النصر		
٥	فجعلهم كعضف مأكول	٣٦٠	١	إذا جاء نصر الله والفتح	٤٠٥
تفسير سورة قريش					
١	لإيلف قريش	٣٧١	٢	ورأيت الناس يدخلون في دين	
٢	إيلافهم رحلة الشتاء والصيف	٣٧١		الله	٤٠٥
٣	فليعبدوا رب هذا البيت	٣٧١	٣	فسبح بحمد ربك واستغفره	٤٠٥
٤	الذي أطعمهم من جوع وآمنهم		تفسير سورة المسد		
	من خوف	٣٧١	١	تَبَّتْ يدا أبي لهب وتَبَّ	٤١٠
تفسير سورة الماعون					
١	أرأيت الذي يكذب بالدين	٣٧٧	٢	ما أغنى عنه ماله وما كسب	٤١٠
٢	فذلك الذي يدعُ اليتيم	٣٧٧	٣	سيصلى ناراً ذات لهب	٤١٠
٣	ولا يحضُ على طعام المسكين ...	٣٧٧	٤	وامراته حمالة الحطب	٤١٠
٤	فويل للمصلين	٣٧٧	٥	في جيدها جبل من مسد	٤١٠
٥	الذين هم عن صلاتهم ساهون ...	٣٧٧	تفسير سورة الإخلاص		
٦	الذين هم براءون	٣٧٧	١	قل هو الله أحد	٤١٨
٧	ويمنعون الماعون	٣٧٧	٢	الله الصمد	٤١٨
تفسير سورة الكوثر					
١	إنا أعطيناك الكوثر	٣٩٠	٣	لم يلد ولم يولد	٤١٨
٢	فصل لربك وانحر	٣٩٠	٤	ولم يكن له كفواً أحد	٤١٨
٣	إن شاتك هو الأبر	٣٩٠	تفسير سورة الفلق		
تفسير سورة الكافرون					
١	قل يا أيها الكافرون	٤٠٣	١	قل أعوذ برب الفلق	٤٢٦
٢	لا أعبد ما تعبدون	٤٠٣	٢	من شر ما خلق	٤٢٦
٣	ولا أنتم عابدون ما أعبد	٤٠٣	٣	ومن شرّ غاسق إذا وقب	٤٢٦
٤	ولا أنا عابد ما عبدتم	٤٠٣	٤	ومن شر النفاثات في العُقد	٤٢٦
٥	ولا أنتم عابدون ما أعبد	٤٠٣	٥	ومن شرّ حاسد إذا حسد	٤٢٦
تفسير سورة الناس					
١	قل أعوذ برب الناس	٤٣٣	١	قل أعوذ برب الناس	٤٣٣
٢	ملك الناس	٤٣٣	٢	ملك الناس	٤٣٣
٣	إله الناس	٤٣٣	٣	إله الناس	٤٣٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	من شرّ الوسواس الخناس	٤٣٣	٦	من الجِنَّة والناس	٤٣٣
٥	الذي يوسوس في صدور الناس ..	٤٣٣			